المكتبة العربية

تصدرها

وزارة الثقافة

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر

بالاشتراك مع

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية



الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة

النظم الإقطاعية

في الشرق الأوسط في العصور الوسطى

تأليف
الدكتور إبراهيم علي طرخان
أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب
جامعة القاهرة بالخرطوم

الناشر
دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
القاهرة
١٣٨٨ – ١٩٦٨

تقـديم

بقلم الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة

التنظيم الإقطاعى مرحلة من مراحل التطور العام فى تاريخ الدول الملكية السالفة ، منذ العصور الوسطى فى الشرق والغرب . وتختلف أصول التنظيم الإقطاعى وجذوره وأطواره باختلاف البلاد والأزمنة والخصائص الجغرافية والبشرية ، فهو يرجع فى غرب أوربا عموماً إلى أزمنة الفرنجة الكارولنجيين وحوادث الفتوح الإسلامية والنورمانية فى حوض البحر الأبيض المتوسط والبحار الشمالية ، كما يرجع إلى ما طرأ على المجتمع الأوربى الغربى وأهله من تغييرات واسعة ناتجة عن تلك الحوادث .

ويستطيع الباحث أن يتنقل بين مختلف الدول الأوربية فى العصور الوسطى ليتعرف على بدايات التنظيم الإقطاعى بكل منها ، فهو يرجع فى انجلترا مثلا إلى عصر الفتح النورمانى أى إلى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى . وهو يرجع فى روسيا إلى أيام المغول والقيصرية الروسية الأولى ، أى إلى أواسط القرن الثالث عشر الميلادى ، وهكذا .

ومنشأ التنظيم الإقطاعى فى مختلف البلاد مجتمع زراعى إقليمى طبقى ، وهو مادرج عليه المجتمع الأوربى الغربى فى العصور الوسطى كلها ، من حياة زراعية اكتفائية وإقليمية جغرافية محدودة المعالم والتضاريس ، وطبقية حربية أركانها الملوك والنبلاء والفرسان ورجال الدين . وفى تلك العصور الوسطى نشأت الدولة الإسلامية الأولى فى شبه الجزيرة العربية فى مجتمع عربى معتمد فى أساسه على التجارة ، لا الزراعة ، دون أن يستند ذلك المجتمع إلى شىء من الأركان الإقطاعية التى تقدمت الإشارة إليها بصدد غرب أوربا . ومن

الدليل على صحة ذلك القول خلو السور القرآنية جميعاً من أية إشارة إلى الإقطاع أو التنظيم الإقطاعى من قريب أو بعيد ، والقرآن الكريم كما هو معروف سجل وصفى لأحوال العرب قبل الإسلام ودستور للدولة الإسلامية وأهلها إلى يوم يبعثون .

غير أن تنظيمات إقطاعية مختلفة قامت مبعثرة فى مختلف الأقاليم التى شملتها الفتوح الإسلامية ، وظلت الحال على ذلك المنوال المبعثر حتى كانت أيام بنى بويه والسلاجقة والزنكيين والأيوبيين والمماليك من بعدهم ، إذ غلبت الناحية الحربية على كل من تلك الدول المتتابعة فى الشرق الأوسط . فعمدت إلى تعميم التنظيم الإقطاعى وتطبيقه على المجتمع وتسخيره لسياستها ، وظهرت من أجل ذلك مؤلفات ودساتير جديدة ، ومنها سياسة نامه للوزير نظام الملك السلجوقى ، وصبح الأعشى الذى كتبه أحمد القلقشندى ، وزبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك لخليل بن شاهين الظاهرى والتحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ليحيى بن الجيعان .

ويتضح من خلال هذه الإشارات الراكضة العابرة لماذا وكيف اختار مؤلف هذا الكتاب الجديد فى ميدانه أن يتوفر فى الكتابة هنا على عصر التنظيم الإقطاعى فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، إذ استطاع بهذا الاختيار المحدد أن يتعمق فى البحث والاستقصاء وأن يخرج من هذه التجربة العلمية بصورة كاملة للإقطاع والإقطاعية فى مصر والشام زمن سلاطين الأيوبيين والمماليك . وكل ذلك فى أسلوب تاريخى تفصيلى حافل بمعلومات جديدة ليست بحاجة إلى تزجيتها أو التنويه بأهميتها العلمية للقارئ العربى فى مختلف البلاد فى الشرق الأوسط الحديث .

مصر الجديدة فى { ٢٧ من رمضان سنة ١٣٨٧ هـ / ٢٨ من ديسمبر سنة ١٩٦٧ م }

محمد مصطفى زيادة

مدخل

الشرق الأوسط ومدلوله وأهميته ـ تحديد العصور الوسطى ـ الدول السائدة فى الشرق الأوسط خلال تلك العصور خصائص النظم الاقطاعية بهذه البقعة فى تلك الحقبة .

الشرق الأوسط مصطلح حديث ، تمخضت عنه الحرب العالمية الثانية ، ويشمل بلاد الجزيرة العربية كلها ، بما فيها من دول مستقلة ودول ناقصة الاستقلال ، والعراق وإيران وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين ومصر والسودان وتركيا وليبيا وتونس والجزائر والمغرب ، وكذلك أثيوبيا وأرتريا والصومال ، وقبرص وكريت ومالطة واليونان . ثم استبعدت تركيا ، وأما أفغانستان ، وغربى باكستان فضمتا أحياناً إلى الشرق الأوسط ، غير أن اتصالهما الأقوى والأقرب قائم بقلب آسيا والقارة الهندية .

ويغطى هذا المصطلح ، ماكان يعرف من قبل باسم : « الشرق الأدنى » قبل الحرب العالمية الأولى ، واستثنيت شبه جزيرة البلقان من الشرق الأدنى سبب الحركات القومية التى ملأتها خلال تدهور الإمبراطورية العثمانية ، ومن ثم صار يشار إلى بلاد البلقان باسم « أوربا الجنوبية الشرقية » ، وخلال تدهور الإمبراطورية العثمانية ، واستغرق ذلك نحو قرن ونصف ، عرفت جميع المسائل والمشروعات التى قامت بين العثمانيين والدول الأوربية المتنافسة على اقتسامها ، باسم « مسائل الشرق الأدنى » .

كذلك يغطى مصطلح الشرق الأوسط ، ما عرف باسم بلاد الليفانت Levant ، وهى التى تشمل عالم البحر المتوسط الشرقى ، وتعنى هذه الكلمة كما تعنى كلمة الأناضول Anatolia بلاد الشمس المشرقة .



النظم الإقطاعية

في الشرق الأوسط في العصور الوسطى

المكتبة العربية

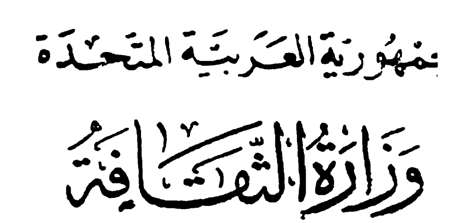
تصدرها

وزارة الثقافة

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر

بالاشتراك مع

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية





النظم الإقطاعية

في الشرق الأوسط في العصور الوسطى

تأليف

الدكتور إبراهيم علي طرخان

أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب
جامعة القاهرة بالخرطوم

الناشر

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر

القاهرة

١٣٨٨ - ١٩٦٨

الدليل على صحة ذلك القول خلو السور القرآنية جميعاً من أية إشارة إلى الإقطاع أو التنظيم الإقطاعى من قريب أو بعيد ، والقرآن الكريم كما هو معروف سجل وصفى لأحوال العرب قبل الإسلام ودستور للدولة الإسلامية وأهلها إلى يوم يبعثون .

غير أن تنظيمات إقطاعية مختلفة قامت مبعثرة فى مختلف الأقاليم التى شملتها الفتوح الإسلامية ، وظلت الحال على ذلك المنوال المبعثر حتى كانت أيام بنى بويه والسلاجقة والزنكيين والأيوبيين والمماليك من بعدهم ، إذ غلبت الناحية الحربية على كل من تلك الدول المتتابعة فى الشرق الأوسط . فعمدت إلى تعميم التنظيم الإقطاعى وتطبيقه على المجتمع وتسخيره لسياستها ، وظهرت من أجل ذلك مؤلفات ودساتير جديدة ، ومنها سياسة نامه للوزير نظام الملك السلجوقى ، وصبح الأعشى الذى كتبه أحمد القلقشندى ، وزبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك لخليل بن شاهين الظاهرى والتحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ليحيى بن الجيعان .

ويتضح من خلال هذه الإشارات الراكضة العابرة لماذا وكيف اختار مؤلف هذا الكتاب الجديد فى ميدانه أن يتوفر فى الكتابة هنا على عصر التنظيم الإقطاعى فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، إذ استطاع بهذا الاختيار المحدد أن يتعمق فى البحث والاستقصاء وأن يخرج من هذه التجربة العلمية بصورة كاملة للإقطاع والإقطاعية فى مصر والشام زمن سلاطين الأيوبيين والمماليك . وكل ذلك فى أسلوب تاريخى تفصيلى حافل بمعلومات جديدة ليست بحاجة إلى تزجيتها أو التنويه بأهميتها العلمية للقارئ العربى فى مختلف البلاد فى الشرق الأوسط الحديث .

مصر الجديدة فى { ٢٧ من رمضان سنة ١٣٨٧ هـ
٢٨ من ديسمبر سنة ١٩٦٧ م }

محمد مصطفى زيادة

مدخل

الشرق الأوسط ومدلوله وأهميته ـ تحديد العصور الوسطى ـ الدول السائدة فى الشرق الأوسط خلال تلك العصور خصائص النظم الاقطاعية بهذه البقعة فى تلك الحقبة .

الشرق الأوسط مصطلح حديث ، تمخضت عنه الحرب العالمية الثانية ، ويشمل بلاد الجزيرة العربية كلها ، بما فيها من دول مستقلة ودول ناقصة الاستقلال ، والعراق وإيران وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين ومصر والسودان وتركيا وليبيا وتونس والجزائر والمغرب ، وكذلك أثيوبيا وأرتريا والصومـــال ، وقبرص وكريت ومالطة واليونان . ثم استبعدت تركيا ، وأما أفغانستان ، وغربى باكستان فضمتا أحياناً إلى الشرق الأوسط ، غير أن اتصالهما الأقوى والأقرب قائم بقلب آسيا والقارة الهندية .

ويغطى هذا المصطلح ، ماكان يعرف من قبل باسم : « الشرق الأدنى » قبل الحرب العالمية الأولى ، واستثنيت شبه جزيرة البلقان من الشرق الأدنى سبب الحركات القومية التى ملأتها خلال تدهور الإمبراطورية العثمانية ، ومن ثم صار يشار إلى بلاد البلقان باسم « أوربا الجنوبية الشرقية » ، وخلال تدهور الإمبراطورية العثمانية ، واستغرق ذلك نحو قرن ونصف ، عرفت جميع المسائل والمشروعات التى قامت بين العثمانيين والدول الأوربية المتنافسة على اقتسامها ، باسم « مسائل الشرق الأدنى » .

كذلك يغطى مصطلح الشرق الأوسط ، ما عرف باسم بلاد الليفانت Levant ، وهى التى تشمل عالم البحر المتوسط الشرقى ، وتعنى هذه الكلمة كما تعنى كلمة الأناضول Anatolia بلاد الشمس المشرقة .

ولقد أطلقت جامعة كولومبيا المصطلحين معاً ، على هذه المنطقة ، فأشارت إليها باسم « الشرق الأدنى والأوسط » وعنت بها . أفغانستان وإيران وتركيا واليونان والبلاد العربية كلها حتى المحيط الأطلسى ، ثم أطلقت هذه التسمية على المعهد الذى أنشأته للعناية بالدراسات الشرقية .

Near and Middle East Institute

وفى عام ١٩٤٨ م ، تكونت لجنة فرعية فى الأمم المتحدة لتحديد بلاد الشرق الأوسط فأنهت أعمالها فى يونيو من نفس العام ، وحددت بلاد الشرق الأوسط بأنها : دول الجامعة العربية كلها ، ومعها أثيوبيا وتركيا واليونان وإيران وأفغانستان .

الخلاصة أن وصف هذه المنطقة أو بعضها ، بالشرق الأوسط تارة ، وبالشرق الأدنى تارة أخرى ، مصطلح سياسى أكثر منه جغرافى ، وإن جاءت هذه التسميات أصلا بالنسبة لموقع هذه البقعة من الدول الأوربية المطلة على ساحل الأطلسى وغربى البحر المتوسط ، مثل بريطانيا وهولندا وفرنسا والبرتغال وإسبانيا والجمهوريات الإيطالية التجارية ، ذوات العلاقات المتنوعة مع هذه البلاد ، وتمتاز هذه المنطقة بأنها نقطة التقاء رئيسية بين القارات الثلاث : آسيا وإفريقية وأوربا ، وهى ذات أهمية قصوى من الناحية الجغرافية والاستراتيجية ومن أجل ذلك قيل : « لقد هزم نابليون بونابرت أمام جغرافية الشرق الأوسط » . ثم هى مركز نشأة الخليقة وموطن الإشعاع الروحى ومهد الحضارات منذ أقدم العصور . وهناك أكثر من عامل ربط بين أجزائها من ناحية الموقع وسهولة الاتصال وتقارب المناخ ، باستثناء بعض الأجزاء المتطرفة ، ولهـذا أثره الكبير فى وحدة أو تشابه الإنتاج والنشاط البشرى ، ثم الارتباط الروحى ، وعماده الدين الإسلامى الغالب ، وهناك رباط اللغة العربية فضلا عن الوحدة التاريخية .

*

والمقصود بالعصور الوسطى تلك الحقبة الممتدة من القرن الخامس الميلادى تقريباً إلى مطالع القرن السادس عشر ، وإن كانت هذه العصور ،

تقسم فى التاريخ الأوربى العام إلى مرحلتين : الأولى : فجر العصور الوسطى أو العصور المظلمة وتبدأ من أواخر القرن الخامس الميلادى ، عقب سقوط روما على يد البرابرة الجرمان وغيرهم ، والثانية من القرن العاشر أو مطالع القرن الحادى عشر تقريباً إلى نهاية القرن الخامس عشر .

والثابت أن الحضارة الإسلامية خلال العصور الوسطى عامة ، كانت أسمى من حضارة أوربا المعاصرة لها ، بل كانت مورداً أصيلا ومنبعاً أساسياً لما قام فى أوربا من حضارات خلال تلك القرون . والعناصر الشرقية عامة ، والعربية الإسلامية بصفة خاصة ، واضحة كل الوضوح فى الحضارة الغربية على اختلاف مظاهرها .

يقول بعض المنصفين من كتاب الغرب ، أمثال لوبون :

«كان فضل العرب فى الغرب عظيماً ، وإليهم يرجع الفضل فى حضارة أوربا » .

ويقول دوزى :

« تاه الناس فى دياجير الجهل ، بينما سطع النور من جانب الأمة الإسلامية من علوم وفلسفة وآداب وصناعة » وهكذا ...

*

أما الدول التى سادت فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، فأولها الدولة الإسلامية ، منذ قيام الحكومة الإسلامية الأولى فى المدينة المنورة عام واحد من الهجرة (٦٢٢ م) ، وذلك على أثر هجرة الرسول (ص) إليها ، ثم ما تفرع عن هذه الدولة الكبرى ، حين ضعفت السلطة المركزية خلال العصر العباسى ، واستبد بها الموالى من الفرس والديالمة والترك . فقامت دويلات وانفصلت عن جسم الدولة العباسية ، وإن اعترفت إسمياً بالسيادة العليا للخليفة العباسى ، منها : الدولة السامانية والدولة الغزنوية ودولة بنى بويه بالمشرق الإسلامى، ثم دولة السلاجقة فى أغلب بلاد الشرق الأوسط .

والدولة الطولونية والدولة الإخشيدية فى مصر وما حولها ، والدولة الفاطمية فى المغرب أولا ثم فى مصر وما حولها أخيراً ، وقد نافس الفاطميون سلطان الخلافة العباسية وحاولوا القضاء عليه ثم ما تفرع عن الدولة السلجوقية مثل الدولة الزنكية أو النورية والدولة الأيوبية ، وما تفرع عن الأخيرة ، وهى دولة المماليك .

وخلال العصور الوسطى ، قامت دويلات صليبية فى بعض بلاد الشرق الأوسط ، ولكنها لم تنبت جذوراً أو تعمر طويلا ، فقد قامت عام ١٠٩٩ م وانتهت أواخر القرن الثالث عشر ، وجاء أول معول لهدمها على يد الدولة الزنكية ، وجاء المعول الأخير لاقتلاعها على يد سلاطين مصر من الأيوبيين والمماليك ، بل تعقب المماليك بقايا الصليبيين فى مياه البحر المتوسط ، للقضاء عليهم وعلى الفكرة الصليبية نفسها .

كذلك ساد المغول بعض الوقت فى بعض بلاد الشرق الأوسط ، خلال تلك العصور .

*

وتناول البحث فى هذا الكتاب ، ما قام من صور إقطاعية فى قلب بلاد الشرق الأوسط خلال تلك العصور .

فلقد شهدت هذه البلاد صورة من صور النظم الإقطاعية ، وهى وإن اختلفت عن الإقطاع الأوربى المعروف ، فى أبرز مظاهره ، إلا أنها لم تخل من السوء الذى هو سمة المجتمعات الإقطاعية الجامدة ، فى الشرق والغرب على السواء .

جاءت هذه التنظيمات ، نتيجة للضعف الذى ألم بالخلافة العباسية فى بغداد يوم استبد بها الموالى من غير العرب ، بحيث لم يعد للخليفة العباسى من السلطة إلا اسمها ، أو كما عبر بعض المعاصرين : « لم يبق له سوى السرير والمنبر والسكة والختم على الرسائل والصكوك والجلوس للوفود . . . » .

ومن قبل رفض عمر بن الخطاب إقطاع أرض السواد (العراق) ، واستطاب نفوس الغانمين ، علاجاً لما قد يتطور إليه المجتمع الإسلامى من ازدياد السكان وتجنباً لما يؤديه التقسيم والإقطاع من بذر بذور الفرقة والتنافس والانقسام ، فضلا عن وجود طبقية ، ومما قاله بهذا الصدد : « أخاف إن قسمته أن تتفاسدوا بينكم فى المياه » .

وكذلك رفض على بن أبى طالب وقال : « لولا أن يضرب بعضكم وجوه بعض ، لقسمت السواد بينكم » . وحذر على الأشتر النخعى واليه على مصر سنة ٣٦ هـ = ٦٥٦م ، من الإقطاع ، وذلك فى كتاب بعث به إليه :

« إن للوالى خاصة وبطانة ، فيهم استئثار وتطاول وقلة إنصاف فى معاملة فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال ، ولا تقطعن لأحد من حامتك وحاشيتك قطيعة » .

وما قيل عن إقطاعات عثمان بأرض السواد ، كان ذلك ، كما يقول المـــاوردى :

« إقطاع إجارة لا إقطاع تمليك » .

والجديد فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) ، أن المستبدين بشئون الخلافة العباسية أقطعوا وأساءوا التصرف ، ليس فقط فى إقطاع البلاد والقرى ، ولكن أيضاً فى إقطاع حقوق بيت مال المسلمين ، لأنصارهم وحواشيهم .

فعل ذلك بنو بويه ، ومن بعدهم السلاجقة الذين رأوا أن يحلوا الإقطاعات محل العطاء أو الرواتب لرجال الجيش ، وهذا مابدأه « نظام الملك » (ت٤٨٥هـ ١٠٩٢م) وزير السلطان ملكشاه السلجوقى ٤٦٥ ـ ٤٨٥هـ = ١٠٧٢ـ١٠٩٢م ونقلته عنه الدولة النورية ثم الدولة الأيوبية ، وبلغ الذروة فى دولة المماليك (٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ = ١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م) .

يقول المقريزى (ت ٨٤٥هـ = ١٤٤١م) : « وأما منذ كانت أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى يومنا هذا ، فإن أراضى مصر كلها ، صارت تقطع للسلطان وأمرائه وأجناده » .

ووجود الإقطاعات ، لم يحل دون وجود الملك الحر والأوقاف . ومنشأ الملك الحر ، عن طريق الشراء من بيت المال ، فكان للسلطان والأمراء والأجناد وبعض أفراد الشعب أملاك حرة خاصة ، وهذا هو القسم الخامس الذى ورد فى تقسيم المقريزى وابن إياس لأراضى مصر « ملك يباع ويشترى ويورث ويوهب ، لكونه اشترى من بيت المال » ، وعرفت أملاك السلطان الحرة ،وهذه غير إقطاعه الذى يحوزه بوصفه سلطاناً، باسم « الأملاك الشريفة » أو الأملاك الشريفة السلطانية .

ومع ذلك ، تعرض الملك الحر للإقطاع فى بعض الأحيان ، مهما كان صاحبه ، وكذلك تعرضت الأوقاف الإسلامية والذمية للحل والإقطاع ، بل إن جميع موارد الدولة الأخرى ، مثل الجزية والزكاة والمعادن ، تعرضت للإقطاع .

يقول القلقشندى ، معبراً عن فساد الحال فى زمانه ، بأن الأمور قد خرجت « عن القواعد الشرعية ، وصارت الإقطاعات ترد من جهة الملوك على سائر الأموال : من خراج الأرضين والجزية وزكاة المواشى والمعادن والعشر وغير ذلك ، ثم تفاحش الأمر وزاد حتى أقطعوا المكوس على اختلاف أصنافها ، وعمت بذلك البلوى ، والله المستعان فى الأمور كلها » .

من أجل ذلك ، يمكن أن توصف دولة المماليك ، بأنها الدولة الإقطاعية الكبرى ، التى قامت بالشرق الأوسط فى العصور الوسطى . ومع ذلك ، لم يكن للمقطع فيها سوى حق الاستغلال أو الارتفاق ، وحتى إذا ورث الجندى أباه ، فإنه لايرث غير هذا الحق ، ولا يملك الرقبة . ويقول السبكى (ت ٧٧١هـ = ١٣٦٩م) : « الإقطاعات المعروفة فى هذا الزمن ، إنما هى إقطاعات إرفاق » .

فكان حائز الإقطاع ، ينتقل عن إقطاعه إلى آخر بأمر السلطان ، وقلما ثبت الإقطاع فى يد صاحبه ، وقد ينقص ، وقد يعزل صاحب الإقطاع فيصير « بطالا » ، ويصادر ، وتوقع « الحوطه » على « موجوده » بل يحدث فى كثير من الأحيان ، خلال عصر المماليك ، أن يحل مقطع فى إقطاع غيره ، وفى داره وأثاثه ، وأحياناً يتزوج من زوجتــه . أما المماليك أو الأجناد التابعون للمقطع السابق ، فيضافون إلى السلطان ، تحت اسم « المماليك السيفية » ، لتصبح إحدى فرق « المماليك السلطانية » .

ومع ذلك فقد اقترن استغلال الإقطاع بكثير من أعمال الظلم والعسف وقاسى الفلاحون شر مايقاسى إنسان مستعبد وعبد مستذل . يقول المقريزى :

« ويسمى المزارع المقيم بالبلد ، فلاحاً قرارياً ، فيصير عبداً لمن أقطع تلك الناحية ، إلا أنه لايرجو قط أن يبـــاع ، ولا أن يعتق ، فهو قن ما بقى ومن ولد له كذلك » .

وإذا هرب الفلاح فراراً من الظلم والقهر ، أعيد قسراً ، يقول السبكى :

« وجرت عادة الشام ، بأن من ينزح من دون ثلاث سنين ، يلزم ويعاد إلى القرية قهراً ، ويلزم بشد الفلاحة ، والحال فى غير الشام ، أشد منه فيها ومن قبائحهم يقولون : « هذا شرع الديوان » .

وفى مثل هذه الأحوال ، وجدت الأشباه والنظائر ، بما وقع فى الإقطاع الأوربى المعاصر ، وزاد من شدة وطأة هذا النظام ، أن طبقة المقطعين الرئيسية ، وهم المماليك وأنصارهم ، كانوا أجانب عن مصر ، وهم أرقاء فى الأصل ، جاءوا من جنسيات مختلفة وعن طرق شتى ، أهمها أسواق النخاسة والأسر فى الحروب والإهداء ، وهؤلاء قلة — بالنسبة للمواطنين — استأثرت بالسلطة ، وظلت منفصلة عن الأمة طوال حكمهم ، وهذا هو سر الكراهية العنصرية والكراهية الطبقية التى ملأت قلوب المواطنين ؛ ومن الخصائص الجوهرية للنظام الإقطاعى فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، منذ عمم على أيدى السلاجقة ، أن الخدمة الحربية الإقطاعية ، لم تقيد بعدد معين من الفرسان ، يقدمه التابع المقطع لولى الأمر ، أو بمدة محدودة يقضيها مع فرسانه المجهزين فى حروب السلطان .

ويشبه هذا الوضع ، ما وجد فى إنجلترا النورمانية الإقطاعية ، على أثر الفتح النورمانى لها على يد وليام النورمانى (١٠٦٦م) ؛ حقيقة كان عدد الفرسان الذى يقدمه السيد الإقطاعى من البارونات أو الأساقفة للملك ، فى الإقطاع الغربى ، محدداً بأرقام تتراوح بين ١٠ ، ٣٠ ، ٦٠ ، ١٠٠ فارس ، إلا أن هذا التحديد كان نظرياً . فقدكان لوليام الفاتح النورمانى ، ولأبنائه من بعده الحق الكامل فى التعبئة العامة ، بشكل يختلف عما هو سائد فى بقية أجزاء القارة الأوربية .

ومع العلم بأن التحديد فى عدد الفرسان ، فى الإقطاع الشرقى ، نضج فى الدولتين الأيوبية والمملوكية ، ... ... فالمراجع تقتصر على القول بأن على المقطع « الحضور بالعساكر الجمة » للانضواء تحت لواء السلطان السلجوقى فى حروبه كاملى المؤن والعتاد على نفقاتهم الخاصة من إقطاعاتهم ، وكان بالعراق وحده نحو أربعين سيداً قطاعياً ينتسب القليل منهم إلى الأسر العربية . ومعنى هذا أنه لم تكن هناك مدة محدودة للخدمة الحربية فى الشرق كما كان معروفاً فى الغرب الإقطاعى بصفة عامة وإنجلترا بصفة خاصة ، فكان للسلطان السلجوقى ، والخليفة العباسى بجانبه أن يندب كل جيوش الولايات والإمارات فى أى وقت عند حدوث الخطر المفاجئ ، فمثلا حدث أن ندب السلطان بركياروق السلجوقى فى سنة ٤٩١هـ (١٠٩٧م) الأمراء بعساكرهم للخروج لحرب الصليبيين ، فتجهز الأمراء ومنهم سيف الدولة صدقة صاحب الحلة ، وبعث بمقدماته إلى الأنبار ، كما ندب السلطان محمد السلجوقى فى سنة ٥٠٤هـ (١١١٠م) بعض أولئك الحكام .

وفرق بين هذا النظام على سوئه ، وبين ماوقع بالشرق الأوسط فى العصور التالية ، منذ الفتح العثمانى ، من تمليك أراضى الدولة بثمن اسمى ، أو بغير ثمن ، كما هو فى « الأوسيات» ، وما اقترن بها من أعمال السخرة ، وذلك لفريق من الحامة أو الخاصة أو البطانة .

وكما جاء أول معول لهدم الإقطاعية فى أوربا على يد الثورة الفرنسية فى يولية سنة ١٧٨٩م ، جاء المعول الأول والأخير لاقتلاع جذور الإقطاعية من قلب الشرق الأوسط ، على يد الثورة المصرية العربية فى يولية عام ١٩٥٢م.

أما بعـــد : ـ

فلا يفوتني هنا ، أن أتقدم بأصدق الشكر ، لأستاذى الجليل الدكتور محمد مصطفى زيادة ، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة القاهرة ورئيس قسم التاريخ بها سابقاً ، مد الله فى عمره ، على مابذل من عون صادق خلال عملى فى هذا البحث .

كما لا يفوتني كذلك ، أن أشكر الأساتذة الأفاضل الذين عاونونى فى بعض جوانب هذا البحث ، وعلى رأس هؤلاء أستاذى المؤرخ المرحوم محمد شفيق غربال (ت فى نوفمبر ١٩٦١) وهم الدكتور حسن إبراهيم مدير جامعة أسيوط سابقاً ؛ والدكتور جمـــال الدين الشيال أستاذ التاريخ الإســـلامى بجـــامعة الإسكندرية وعميد كليـــة الآداب بها ، والدكتور حسين مؤنس أستاذ التاريخ الإسلامى بجامعة القاهرة سابقاً ومدير معهد مدريد الإسلامى حالياً ، والمرحوم الدكتور زكى محمد حسن عميد الآداب السابق بجامعة القاهرة ، والمرحوم الدكتور إبراهيم سلامة عميد الآداب بجامعة القاهرة .

ومن الأجانب الدكتور جورج كوبلاند Coopland أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعـــة ليفربول سابقاً والأســـتاذ الزائر بآداب القـــاهرة (عام ١٩٤٨) ، والأستاذ المستشرق جاستون فييت G. Wiet مدير متحف الفن الإسلامى بالقاهرة سابقاً .

وأرجو أن أسد بهذا الكتاب فراغاً فى المكتبة العربية ، والله ولى التوفيق ؟

القاهرة فى { ٢٤ من رمضان سنة ١٣٨٧ هـ / ٢٥ من ديسمبر سنة ١٩٦٧ م

ابراهيم على طرخان



الفصل الأول

الإقطاع في بلاد الشرق الأوسط



الدولة البويهية والإقطاع الحربى – السلاجقة والإقطاع الحربى – مقارنة بين نظام الملك والملك وليام الفاتح – التوزيع الإقطاعى الحربى بين أمراء الجيش السلجوقى – إقطاع قسيم الدولة آق سنقر . التوزيع الإقطاعى بين أبناء الأسرة السلجوقية المالكة – الدولة الزنكية والإقطاع الحربى – إقطاعات نجم الدين وأسد الدين فى الدولة الزنكية – الدولة الأيوبية والإقطاع الحربى – توزيع أراضى مصر لأول مرة ، إقطاعات بين السلطان وأمرائه وأجناده – بعض إقطاعات أمراء البيت الأيوبى – بعض إقطاعات الأمراء والأجناد – خلفـــاء صلاح الدين والتوزيع الإقطاعى الحربى – الصالح نجم الدين أيوب وإنشاء فرقة المماليك البحرية الصالحية – الدويلات الصليبية بالشام والإقطاع الأوربى – مدى سريان الإقطاع فى بلاد الشرق الأوسط .



مرحلة من مراحل التطور فى تاريخ النظم ، شهدها الشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، تلك هى ظاهرة إحلال الإقطاع محل العطاء أو الرواتب لرجال الجيش .

يقول أحمد بن على المقريزى :

« واعلم أنه كانت عادة الخلفاء من بنى أمية وبنى العباس والفاطميين من لدن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أن تجبى أموال الخراج ثم تفرق فى الأمراء والعمال والأجناد ، على قدر رتبهم ، وبحسب مقاديرهم ، وكان يقال لذلك ، فى صدر الإسلام « العطاء »(١) ، وما زال الأمر على ذلك إلى أن كانت دولة العجم ، فغير هذا الرسم ، وفرقت الأراضى إقطاعات على الجند . وأول من عرف أنه فرق الإقطاعات ، الملك أبو على الحسن بن على ابن العباس وزير البرشلان (ألب أرسلان) بن داود بن ميكال بن سلجوق ، ثم وزر (أبو على) لابنه ملكشاه ، وذلك أن مملكته اتسعت ، فرأى أن يسلم إلى كل مقطع قرية أو أكثر أو أقل ، على قدر طاقته(٢) » .

والملاحظ :

أولا — أن « نظام الملك » الفارسى الأصل ، والذى وزر لألب أرسلان (٤٥٧—٤٦٥هـ = ١٠٦٥—١٠٧٢ م) ولابنه ملكشاه من بعده (٤٦٥—٤٨٥هـ = ١٠٧٢—١٠٩٢ م) ، وهما من الأتراك الغز ، لم يكن المبتكر لهذا النظام ، وإن كان هو الذى عممه ؛ فقد سبقه إليه بنو جلدته من البويهيين ، الذين استبدوا بالخلافة العباسية فى

بغداد ما أربى على قرن من الزمان (٣٢٠–٤٤٧ ﻫ = ٩٣٢ – ١٠٥٥ م) .

ثانياً – إن بنى بويه قد أساءوا التصرف فى حكومتهم حتى خربوا البلاد ، مما حدا بنظام الملك أن يعالج الأمر ، كما تراءى له ، وقد شهد نظام الملك هذا النظام وعرفه عند بنى بويه .

ثالثاً – أن دولة السلاجقة ، النابتة فى تربة الخلافة العباسية ، قد اتسعت اتساعاً عظيما ، فامتد نفوذها من بلاد ما وراء النهر شرقاً إلى قلب آسيا الصغرى غرباً ومن أعالى الفرات شمالا إلى اليمن جنوباً ، وهذه هى ذروة النفوذ السلجوقى ، التى وصلت إليها دولتهم زمن ملكشاه (٣) .

رابعاً – أن هذه الإقطاعات لم تكن تمليكاً وإنما كانت استغلالا ، بمعنى لم يملك المقطع حق الرقبة ، بل له حق الاستغلال أو الارتفاق ، وحتى إذا ورث الجندى أباه ، فإنه لا يرث إلا حق الاستغلال ، وهذا هو وجه الخلاف الكبير بين الإقطاع فى الشرق ونظيره فى الغرب .

خامساً – تضمن الإقطاع فى الشرق الأوسط معنى الحكم والولاية .

سادساً – لم يكن هذا النظام الذى أوجده البويهيون وعممه السلاجقة ، النظام الإقطاعى الوحيد المعروف فى جميع بلاد الشرق الأوسط فى تلك العصور ، فقد وجد بجانبه إقطاع غربى انتقل مع الصليبيين من أوربا إلى الدويلات الصليبية بالشرق الأوسط .

سابعاً – مع اختلاف النظامين فى الخصائص الجوهرية ، هناك أوجه شبه كثيرة بينهما فى التفاصيل ، وعلى الأخص فى مجال استغلال الإقطاع ، وما حاق بالفلاحين من ظلم ، كما أن بعض مظاهر الإقطاع الغربى ، وهو ما عبر عنه النويرى « بالأراضى المفصولة » أى التابعة « للفصل » ، وهو التابع Vassal فى المصطلح الإقطاعى

الغربى ، ظلت هذه باسمها وطريقة استغلالها بعد انتقالها من أيدى الصليبيين [٤] .

ثامناً — انتقل هذا النظام عن السلاجقة إلى الدولة الزنكية فالدولة الأيوبية ثم إلى دولة المماليك ، وهى الدولة الإقطاعية الكبرى ، التى قامت فى الشرق الأوسط خلال تلك العصور .

لقد بلغ من شدة ضعف الخلافة العباسية وتسلط بنى بويه[٥] ، أن أحد سلاطين بنى بويه، وهو معز الدولة أبو الحسن أحمد، اعتقل الخليفة العباسى المستكفى (٣٣٣ — ٣٣٤هـ = ٩٤٦م) فى داره وضيق عليه ، حتى خلع نفسه ، وولى بدلامنه ، الخليفة المطيع (٣٣٤ — ٣٦٣هـ = ٩٤٦ — ٩٧٤م) ، وتسلم معز الدولة البويهى وجنوده من الديلم وغيرهم أعمال العراق ولاية وإقطاعاً ، وأقطع قادته وأصحابه من أهل عصبيته وخواصه وأتراكه جميع ما امتدت إليه يده : من ضياع الخلافة ، « وضياع المستنزين » ، وزاد على ذلك حتى أقطع أنصاره حقوق بيت المال فى ضياع الرعية[٦] . ومن الضياع التى أقطعها ، ضياع أبى جعفر محمد بن يحيى بن شير زاد ، وكان يخدم عند معز الدولة ، لكنه تغير عليه وصادره[٧] .

وقد أهمل الكثير من هؤلاء الأنصار المقطعين ، فى عمارة ما أقطعوا ، وصار من السهل على هؤلاء ، أن يخربوا إقطاعاتهم ويردوها ، فيعتاضوا عنها من حيث يختارون[٨] . وازداد الأمر سوءاً حين اعتمد المقطعون على وكلائهم فى إدارة إقطاعاتهم ، فقام هؤلاء بأعمال الظلم والمصادرات [٩] .

وفى زمن بختيار بن معز الدولة ، اتفقت كلمة الأتراك وغلمان الحجر فى عام ٣٥٦هـ = ٩٦٧م ، ألا يعارض كل فريق صاحبه فى « طلب الحظ لنفسه » فاضطر بختيار إلى أن يضمن لهم جميع ما التمسوه ، وأجبر وزراءه على الاحتيال للمال وجمعه « من أين كان وكيف كان »[١٠] ، كما أن العلاء ابن الحسن ، أحد وزراء صمصام الدولة بن بختيار ، وقد عاد إلى الوزارة عام ٣٨٢هـ = ٩٩٢م ، وقلبه مفعم غيظاً وحقداً ، بسبب ما لحقه وأهله على

يد السلطان البويهى : « أهلك دولته بإقطاع الإقطاعات وإيجاب الزيادات وتمزيق الأموال وتسليم الأعمال[11] » .

*

وهكذا أدى سوء تصرف بنى بويه وأعوانهم إلى خراب البلاد ، فضلا عن إقصاء السكان العرب عن بلادهم تدريجياً[12]، وكثرة الفتن والاضطرابات ، وهذا ما حدا بأصحاب السلطة الجديدة فى بغداد إلى إعادة النظر فى النظم القائمة ، وعلاجها على النحو الذى بدا لهم .

ولهذا، علل البندارى مؤرخ السلاجقة ، ما قام به نظام الملك ، بقوله : رأى نظام الملك أن « الأموال لا تحصل من البلاد لاختلالها ، ولا يصح منها ارتفاع — أى إيراد أودخل — لاعتلالها ، ففرقها على الأجناد إقطاعات وجعلها لهم حاصلا وارتفاعاً ، فتوفرت دواعيهم على عمارتها . . .[13] » .

وربما كان للخطر الخارجى أثره ، فى اتخاذ السلاجقة هذه الخطوة ، فإن العداء المزمن مع الدولة البيزنطية لم ينته بعد ، وكانت هذه الدولة حديثة العهد بالهزيمة الساحقة التى أنزلها بها ألب أرسلان فى وقعة ملاذكرد (مانزكرت) عام ١٠٧١ م ، حيث وقع الإمبراطور البيزنطى أيوجين Eugenius أسيراً .

وتوالت استغاثات بيزنطية بالغرب المسيحى ، فاستنجد الإمبراطور ميخائيل السابع (١٠٧١ — ١٠٧٨) بالبابا جريجورى السابع ، كما وصلت استغاثات الإمبراطور الكسيوس كومنين (Alexius) فى عام ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ م إلى سادة الإقطاع فى أوربا أمثال بالدوين كونت فلاندرز ، ثم إلى البابا أربان الثانى .

على أن « نظام الملك » ، لم يرد أن يكون نظامه الجديد صورة لما شهده فى العهد البويهى ، بل أراد منه أن يحقق الأغراض التى من أجلها أقامه ، وربما أدرك ببعد نظره خطورة هذا النظام على السلطة المركزية ، وعلى أحوال الأمن ، فاتخذ إجراء وقائياً ، بأن فرق إقطاع الجندى الواحد فى بلاد

مختلفة ، ولم يجعله جملة واحدة فى بلد واحد ، حتى لايقوى المقطع بما يكون له من عصبية وقوة ، قد تكون خطراً على كيان الدولة .

يقول الفتح بن على البندارى : « وربما قرر – أى نظام الملك – لواحد من الجند ألف دينار فى السنة ، فوجه نصفه على بلد من الروم – أى فى الأملاك السلجوقية بآسيا الصغرى – ونصفه على وجه فى أقصى خراسان ، وصاحب القرار راض[١٤] » .

وحدد نظام الملك الالتزامات الرئيسية لهؤلاء المقطعين ، وذلك بأن قرر عليهم كما يقول البندارى : « خدماً عن عصمة ولاياتهم يوصلونها ، وقرر معهم الحضور إلى الخدمة وموالاة الخدمات للحضرة ، والوصول بالعساكر الجمة . . . »[١٥] .

ولظاهرة تفرقة الإقطاع الواحد فى جهات متباعدة شبيه فى أوربا المعاصرة ؛ إذ أن الوقت الذى عمم فيه الإقطاع الحربى بالشرق الأوسط ، يقابل عصر الفتح النورمانى لإنجلترا وإدخال النظام الإقطاعى فيها ، منقولا من نورمانديا بفرنسا ، أو تدعيم النظام الإقطاعى القائم فعلا فى بلاد الأنجلو سكسون .

وجد وليام الفاتح النورمانى ، أن المجتمع الأنجلو سكسونى يشبه المجتمع الفرنسى من بعض الوجوه ، فسهل عليه أن يقيم الإقطاع الحربى أو يدعمه ، وأن يقيم نظام الدائرة Manor ، فمثلا جد طبقة من النبلاء عليها التزامات حربية نحو الملكية الأنجلو سكسونية الدائلة ، كالدفاع عن البلاد وحفظ الأمن ، والتزامات إدارية مثل جمع الضرائب ونحوها ، ولهم سلطة قضائية فى محاكم المقاطعات[١٦] .

على أن أول ما عنى به وليام الفاتح ، هو تنظيم القوة الحربية وعلاج الحالة المالية ، ليستطيع المحافظة على الأمن والنظام ، وليضمن فى الوقت نفسه التمكين لأسرته فى حكم البلاد ، فبدأ بتوزيع الأراضى على أتباعه ، على أساس الخدمة الحربية الإقطاعية ، وذلك على النسق الذى مارسه فى دوقية نورمانديا بفرنسا[١٧] ، وإن تميز هذا النظام بطابع خاص عبر المانش[١٨] .

احتاط « وليام النورمانى » ، احتياطاً يشبه ما فعله « نظام الملك » ،

فلم يمكن أتباعه من حيازة إقطاعات واسعة مرتبطة ببعضها ، حتى يمكن أن يقال إنها انعدمت تقريباً فى التوزيع الإقطاعى الحربى النورمانى ، بعد أن رالكوليام البلاد وأصدر كتاب الروك Domesday Book . وإذا وجدت آحاد من هذا النوع المندمج فى بعضه ، فإنها بلغت من الندرة بحيث لم يعتد بها ، وكانت فى الواقع نتيجة أنها من إقطاعات أحد السادة الإقطاعيين الأنجلوسكسون، ثم حازها التابع النورمانى الجديد كما هى ، ولكن القاعدة العامة فى توزيع وليام ، هى بعثرة الإقطاع الواحد فى جهات متباعدة ، وربما لم يكن هذا ابتداعاً من وليام النورمانى ، وإن كان هو صاحب الفضل فى تنظيمه وتوجيهه لخدمة التاج ، إذ المعروف فى العصور الوسطى بغرب أوربا الإلحاح فى هذا التوزيع المبعثر ، كأنما هو القاعدة العامة لينال كل مقطع نصيبه من الأراضى الجيدة والرديئة على السواء ، ووجدت محاولات كثيرة من جانب الأمراء والنبلاء الأقوياء خلال تلك العصور ، فى سبيل ضم أجزاء إقطاعاتهم إلى بعضها البعض[١٩] .

ولكى يضمن وليام الفاتح ولاء الأتباع بعد هذا التوزيع ، دعا جميع الزراع الأحرار سواء أكانوا من مرتبة الفرسان أو غيرها ، من الإنجليز أو النورمان ، لمؤتمر عام عقد فى مدينة ســولسبورى عام ١٠٨٦ م Moot of Salisbury وأخذ عليهم موثقاً بقسم أقسموه أن يكونوا مخلصين له مستعدين للدفاع عنه ضد كل الغزاة[٢٠] ، لذا كان له بمقتضى هذا التنظيم والتدعيم أن يندب كل الجيش الإقطاعى فى أية مناسبة يراها ضرورية ، واستغل فى ذلك ما كان معروفاً لدى الأنجلوسكسون من نظام التعبئة العامة Fyrd ، وفى ذلك يوجد شبه بينه وبين ما ألفه فريق من الأمراء أو ملوك الإسلام — على حد قول صاحب النجوم[٢١] — وهم كبار الأمراء المقطعين ، مثل شرف الدين مودود صاحب الموصل وقطب الدين سكمان بن أرتق صاحب ديار بكر اللذين دعاهما السلطان محمد السلجوقى عام ٥٠٤هـ = ١١١٠م لحرب الصليبيين كما دعا آق سنقر البرسقى صاحب همذان ، ولشدة ولاء الأخير وأهمية الجهاد لدفع العدو ، وصل وهو يعانى المرض[٢٢] .

والمعروف أن القوة العاملة تحت كنف السلطان السلجوقى ، كانت تعرف باسم « العسكر » على حين أطلقت كلمة « الجند » أو « الجنود » على القوات المحلية فى الإقطاعات[٢٣] وهذا يشبه تقسيم الجنود فى دولة الموحدين بمراكش إلى « جموع » وهم المرتزقة المقيمون بمراكش لا يبرحونها و « العموم » وهم الكائنون ببلادهم ولا يحضرون إلى مراكش إلا فى النفير العام[٢٤] .

ومن أمثلة التوزيع الإقطاعى الحربى عند السلاجقة ، إقطاع الأمير إيتاخ فى مازندران ، زمن السلطان ألب أرسلان عام ٤٥٨هـ = ١٠٦٦م[٢٥] ، والإقطاع الكبير الذى ظفر به محمد بن مسلم بن قريش العقيلى ، من السلطان ملكشاه عام ٤٦٩هـ = ١٠٧٦م ، وكان يشمل الموصل وحران والرحبة وأعمالها وسروج والرقة والخابور ، وبجانب هذا الإقطاع الضخم زوجه السلطان ملكشاه من أخته خاتون زليخة ، فتسلم ابن قريش جميع هذه الأعمال ماعدا حران التى امتنع مقطعها محمد بن المشاطر عن تسليمها إلا بناء على أمر السلطان[٢٦] ، وأقطع ملكشاه كذلك سالم بن مالك العقيلى ، وهو من أسرة العقيلى السابقة ، قلعة جعبر ، بعد أن أخذ منه دمشق وحلب[٢٧] ، وهذه من الأسر العربية الكبيرة التى حازت الإقطاع الحربى فى العصر السلجوقى[٢٨] ، ومن الأمراء التركمان الذين أقطعهم ملكشاه فى سنة ٤٧٧هـ = ١٠٨٤م الأمير بوزان ، وإقطاعه الرها وحران وقلعة حلب بعد أن فتحها فى السنة نفسها [١٩] ، وبلغت عبرة إقطاع الأمير أحمديل بن إبراهيم بن وهسوزان الروادى الكردى فى المراغة[٣٠] ٠٠٠ر٤٠٠ دينار فى السنة ، وكان يركب فى خمسة آلاف فارس[٣١] ، وأقر ملكشاه على بن المقلد بن نصر بن منقذ الكنانى العربى على شيزر ، وبعد وفاته فى سنة ٤٧٩هـ = ١٠٨٦م انتقلت لابنه نصر فسلم إلى ملكشاه اللاذقية وفامية وكفر طاب ودخل فى طاعته ، فأمّره عليها والياً ومقطعاً ، ومن مماليك السلطان ملكشاه الأمير قايماز الأرجوانى الذى أقطعه الكوفة[٣٢] ، وشمل إقطاع ياغى سيان أنطاكية وظل بها حتى زحف عليها الصليبيون فى الحملة الأولى[٣٣] ، ومن كبار الأمراء وأعيان القادة آق سنقر الملقب بقسيم الدولة

أبو عماد الدين زنكى ، كان من أصحاب السلطان ركن الدين ملكشاه ، وقد تربى معه فجعله من « أعيان أمرائه وأخص أوليائه » حتى كان يتقيه مثل « نظام الملك » ، ولذلك أشار على السلطان بأن يوليه حلب وأعمالها والياً ومقطعاً ليبعده عن السلطان، وفى الوقت نفسه يتخذ عنده يداً بذلك ، فأقطعه السلطان ملكشاه قلعة حلب وأعمالها وحماه ومنبج واللاذقية ومامعها ، وظلت هذه الإقطاعات بيده ، واحترمه ملوك السلاجقة لولائه وجهاده معهم[٣٤] حتى قتل سنة ٤٨٧هـ ـ[٣٥] ١٠٩٤م . ومن الأمراء الذين حازوا الإقطاعات فى عهد السلطان محمد السلجوقى الأمير جاولى ، إذ أقطعه السلطان فى سنة ٥٠١ هـ ـ ١١٠٨ م الموصل وأعمالها وما كان بيد الأمير جكرمش ، فلما توجه الحاولى لتسلم الإقطاع اضطر إلى حرب جكرمش حتى انتصر عليه ، غير أن أهل الموصل رغبوا عن الحاولى وراسلوا قليج أرسلان بن سليمان السلجوقى صاحب الروم فجاء وتسلم الموصل وألجأه الحاولى إلى الهرب ثم عاد الحاولى وهزم قليج أرسلان ودخل الموصل ، ولكن صدوف أهلها عنه حمل السلطان محمد على أن يقطعه جهة أخرى فأقطعه فارس وأقطع الموصل لآق سنقر البرسقى[٣٦] ثم استرد السلطان محمد الموصل من البرسقى عام ٥٠٩هـ = ١١١٥م وأقطعها الأمير حبوس بك وظل البرسقى فى إقطاعه بالمراغة حتى استرد الموصل ثانية فى عهد السلطان محمود فى عام ٥١٥ هـ = ١١٢١م[٣٧] .

وربما كان إقطاع قسيم الدولة آقسنقر أبى عماد الدين زنكى ، أهم هذه الإقطاعات لأن زنكى ترسم خطوات أبيه وصار أقوى الإقطاعيين فى عصره حتى امتدت دولته الإقطاعية من حلب إلى الموصل ، ذلك أن عماد الدين زنكى حاز لنفسه الإقطاعات بالإضافة إلى ماأخذ عن أبيه ، فاتصل بالأمير شرف الدولة مودود صاحب إقطاع الموصل منذ عهد السلطان محمد بن ملكشاه[٣٨] وصار أتابكاً له ، ثم حصل على إقطاع واسط فى سنة ٥١٦هـ = ١١٢٢م وصارت شحنجية البصرة[٣٩] إقطاعاً له سنة ٥١٦هـ = ١١٢٢م ، ثم انحاز

إلى جانب الخليفة المسترشد العباسي والبرسقى (٤٠) ضد الأمير دبيس بن صدقة الأسدى صاحب الحلة ، فانهزم دبيس وهرب إلى الملك طغرل ابن السلطان محمد ، ولما نهبت العرب البصرة سنة ٥١٧هـ = ١١٢٣م أرسل السلطان محمود السلجوقى الأتابك زنكى إليها وأقطعه إياها فضلا عن شحنجيتها ، ثم أضيفت إليه شحنجية بغداد والعراق مضافاً إلى مابيده من الإقطاع ، ويرجع إسناد شحنجية بغداد والعراق لزنكى إلى أن السلطان محمود السلجوقى خشى الخليفة المسترشد بعد أن وضحت له قوته فى الحرب التى نشبت بينهما سنة ٥٢١هـ = ١١٢٧م فرأى أن يسند هذين المنصبين إلى من يطمئن إليه من الأمراء الإقطاعيين المخلصين للسلاجقة ، فكان زنكى خير من يؤمن معه من الخليفة (٤١) . ولما توفى البرسقى صاحب إقطاع الموصل سنة ٥٢٠هـ = ١١٢٦م رأى السلطان محمود أن يقطعها إلى زنكى دون غيره لمكانته وشجاعته ، وكتب له منشوراً بها فى سنة ٥٢٣هـ ١١٢٨ / ١١٢٩م (٤٢) ، ثم أضيفت إليه الجزيرة العليا ، ومنحه السلطان محمود لقب «أتابك» وأرسل الخليفة إليه «العهد والعقد» كما جرت التقاليد (٤٣) ، وتأسست بذلك الأسرة الأتابكية بالموصل .

ومن التوزيع الإقطاعى ما كان اقتساماً للبلاد بين أمراء البيت السلجوقى ، ومثال ذلك قيام ألب أرسلان بعد أخذه العهد لابنه ملكشاه سنة ٤٥٨هـ — ١٠٦٥م بإقطاع آسيا الصغرى لابن عمه سليمان بن قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق ، (٤٤) وبلخ لأخيه سليمان بن داود بن جفرى بك ، وخوارزم لأخيه أرسلان أرغون ومرو لابنه أرسلان شاه ، وصغانيان وطخارستان لأخيه إلياس ، وولاية بقشور ونواحيها لمسعود بن أرتاش ، وولاية اسفزاز لمودود بن أرتاش ، وهما من أقارب السلطان (٤٥) ، وكل ذلك بين أعضاء البيت السلجوقى بعد موافقتهم على تولية ملكشاه بعد أبيه ألب أرسلان . وفعل ملكشاه مثل ذلك من حيث التوزيع بين أهله وذوى قرابته حتى لا يثوروا عليه ، فأقطع سنة ٤٧٠هـ = ١٠٧٧م أخاه تاج الدولة تتش فى بلاد الشـام : دمشق وأعمالهـا وما جاورها كطبرية وبيت المقدس ، فضلا عما يفتحه تتش من البلاد ،

فزحف تتش إلى الشام واستولى على بلاده كلها بعد أن هزم أتسز التركمانى (٤٦) ، ثم استولى على فلسطين (٤٧) التى أقطعها بدوره للأمير أرتق بك بن أكسب التركمانى (٤٨) .

وعلى أثر وفاة ملكشاه سنة ٤٨٥هـ=١٠٩٢م اقتسم أبناؤه البلاد فأخذ بركيارق أو بيك يارق – بمعنى البك اللامع – بلاد الرى وخوذســتان وطبرستان وفارس وديار بكر والجزيرة والحرمين ، وأخذ محمد بن ملكشاه ، وهو الذى تولى السلطنة بعد أبيه فى بغداد بلاد العراق جميعه إلا تكريت البطائح . (٤٩) كما أخذ أرمينية وأصبهان وأران وأذربيجان ، والخطبة له فى أذربيجان ، وأخذ سنجر من خراسان إلى ماوراء النهر (٥٠) . وبعد وفاة السلطان محمد سنة ٥١١هـ = ١١١٧م وتولية ابنه محمود السلطنة من بعده فى بغداد ، نازعه عمه سنجر شاه وحاربه وهزمه سنة ٥١٢هـ = ١١١٨م ، فعاد محمود إلى عمه بغير عهد فأكرمه وأقطعه من البلاد من حد خراسان إلى الداروم بجنوب فلسطين ، وشملت مملكته همذان وأصبهان والجبل جميعه وكرمان وفارس وخوذستان والعراق وأذربيجان وأرمينية وديار بكر وبلاد الموصل والجزيرة وديار مصر وديار ربيعة والشام وبلاد الروم التى بيد قليج أرسلان (٥١) ، وقد رأى ابن الأثير منشوره بذلك (٥٢) ، وشمل إقطاع الملك طغرل بن السلطان محمد بلاد ساوه وآوه ، وزنجان ، وأتابكه شركير ، ويقال : إن السلطان محمود منح طغرل ثلاثين ألف دينار وودعه بإقطاع كبير (٥٣) .

ولقد انتقل النظام الإقطاعى الحربى كاملا إلى الدول التى نبتت وتفرعت فى أحضان السلاجقة ، ثم ورثتهم من بعد ، وهذه الدول هى : الدولة الزنكية والدولة الأيوبية ثم دولة المماليك . والدولة السلجوقية نفسها أخذت هذا النظام عن معاصريهم وأسلافهم فى حكم العراق وغيره ، من بنى بويه .

يقول ابن تغرى بردى :

«أنشأ بنو بويه بنى سلجوق ، وأنشأ بنو سلجوق بنى أرتق وآق سنقر جد بنى زنكى ، ثم أنشأ بنو زنكى بنى أيوب سلاطين مصر وغيرها ، ثم أنشأ

بنو أيوب المماليك ودولة الترك . . . فانظر إلى أمر الدنيا وكيف كل طائفة نعمة طائفة ونشؤها إلى يومنا هذا (٥٤) » أى إلى أيام ابن تغرى بردى فى القرن الخامس عشر الميلادى .

ومن أمثلة كبار الأمراء الذين حازوا الإقطاعات الحربية زمن الدولة الزنكية ، نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه ، فقد أقطعهما عماد الدين زنكى فى عام ٥٣٣هـ = ١١٣٨م إقطاعاً «سنياً » فى شهر زور ، بشمالى العراق ، وأفرد أسد الدين بإقطاع الموزر ، وبذلك صار هذان الفارسان من أجناده .

والملاحظ أن نجم الدين وأخاه أسد الدين ، كانا قد اتصلا بخدمة زنكى على أثر رحيلهما من تكريت (٥٥) وسار نور الدين بن زنكى على سنة أبيه وأساتذته السلاجقة فى منح الإقطاعات الحربية ، من ذلك أن نور الدين بعد استيلائه على دمشق سنة ٥٤٩ هـ (٥٦) = ١١٥٤ م ، عوض صاحبها مجير الدين ، من سلالة طغتكين ، بإقطاعه عدة ضياع بأعمال حمص ، كما أقطع شهاب الدين على ابن مالك العقيلى ، إقطاعاً كبيراً شمل سروج والملاحة والباب وبزاغة (٥٧) قرب حلب ، وعلق ابن الأثير على هذا الإقطاع بقوله : «وهذا إقطاع عظيم جداً (٥٨) » . والملاحظ أن هذا الإقطاع كان تعويضاً عن قلعة جعبر التى كانت بيد ابن مالك العقيلى عن آبائه منذ عهد ملكشاه .

ثم إن نجم الدين وأخاه أسد الدين ظفرا بالإقطاعات الوفيرة نظير خدماتهما لنور الدين من بعد أبيه ، ولاسيما خلال استيلائه على دمشق ، وشمل إقطاع أسد الدين حمص والرحبة . ومن أمراء نور الدين الذين أقطعوا ، الأمير حسان المنبجى صاحب إقطاع منبج (٥٩) ، وقد نقله نور الدين عام ٥٦٣هـ ١١٦٧م إلى الرها والياً ومقطعاً ، فظل حسان بالرها حتى أخذها صلاح الدين من يد أبنائه فى سنة ٥٧٢ هـ = ١١٧٦م (٦٠) ، وكذلك أقطع نور الدين رضيعه مجد الدين أبا بكر بن الداية ، وكان إقطاعه حلب وحارم وقلعة جعبر (٦١) ، ثم أقرها نور الدين فى يد أخيه على بن الداية بعد وفاته سنة ٥٦٥هـ = ١١٦٩م ، وأقطع نور الدين كذلك فخر الدين مسعود بن الزعفرانى حمص وحماه وقلعة

بارين وسلمية وتل خالد والرها من بلاد الجزيرة (٦٢) ، كما أقطع أمراء العراق الإقطاعات لحفظ طريق الحجاج بين الشام والحجاز ، ولمثل هذا الهدف أقطع أمير مكة إقطاعاً وافراً (٦٣) .

ومن الأمراء الذين أقرهم نور الدين على مابأيديهم ، بنو بحتر القحطانى ، ويعرفون بأمراء بنى الغرب ، نسبة لتملكهم على قسم كبير من غربى لبنان ، وكانت إقطاعاتهم بغير مناشير قبل عام ٤٢٠هـ = ١٠٢٩م « لا يعرفون دركا . ولا مشاغرة ولا عدة جند ولم يحرر عليهم عبرة إقطاع ولا غيره ، ثم فى دولة الملك العادل نور الدين جعلوا لهم عدة جند (٦٤)... » ومعنى ذلك أنهم بقوا حتى أواخر السيادة الفاطمية بالشام ، حتى أقرهم نور الدين بعد أن جعل عليهم عدة من الجند وكتب لهم منشوراً بتاريخ ٧ من رجب سنة ٥٦٠هـ (١١٧٠م) بين فيه جهات إقطاعاتهم ، وحدد فيه عدد الفرسان الذين يتقدمون بهم « وقت المهمات الشريفة » . ويلاحظ أن تحديد العدد بأربعين فارساً ليس إلا لبيان العدد الأدنى الذى ينبغى للمقطع أن يتقدم به ، بدليل قوله فى المنشور « والعدة أربعون فارساً وما أمكنه» ، ويدل هذا التحديد من ناحية أخرى على مرتبة الإمارة التى نالها المقطع (٦٥) ؛ وفى أواخر أيام نور الدين ، حصل جمال الدين حجى على منشور بإضافة بلدة أخرى إلى إقطاعه على أن تكون الإضافة باسم ثمانية نفر من بنى الغرب ، وذلك بتاريخ أواخر رمضان سنة ٥٦٠هـ (١١٦٩م) (٦٦) .

هناك أسر إقطاعية غير آل تنوخ فى لبنان فى عهده الإقطاعى ، وقد بقيت هذه الأسر حتى الفتح العثمانى فأقرت على إقطاعاتها كما أبقى عليها بعض نفوذها (٦٧) .

وطبيعى أن تسير الدولة الأيوبية فى التوزيع الإقطاعى الحربى ، على سنن أساتذتها من السلاجقة وآل زنكى . وقد بدأ صلاح الدين الأيوبى هذا التوزيع فعلا ، منذ صار نائباً لنور الدين بعد وفاة العاضد الفاطمى عام ٥٦٧هـ = ١١٧١م ، وقبل أن يستقل بالبلاد ، بل بدأت عملية التوزيع على العساكر منذ وزارة أسد الدين شيركوه للخليفة العاضد الفاطمى (٦٨) .

حدث عندما بعث نور الدين إلى صلاح الدين فى عام ٥٦٩هـ = ١١٧٣م

بطلب إليه موافاته بحساب الإيرادات التى حصلها فى مصر ، أن اضطر صلاح الدين إلى إطلاع سفير نور الدين على «جرائد الأجناد بمبالغ إقطاعاتهم وتعيين جامكياتهم (٦٩) ورواتب نفقاتهم » وذلك على قول أبى شامة (٧٠) ، ثم قال للسفير ، بعد أن زوده بهدية ، : «ولا يضبط هذا الإقليم العظيم — أى مصر — إلا بالمال الكثير ، وأنت تعرف أكابر الدولة وعظماءها ، وأنهم معتادون بالنعمة والسعة ، وقد تصرفوا فى أماكن لا يمكن انتزاعها منهم ، ولا يسمحون بأن ينقص من ارتفاعها » (٧١) .

ويذكر القاضى الفاضل فى متجددات عام ٥٧٧هـ = ١١٨١م . «استمر انتصاب السلطان صلاح الدين فى هـذه السنة للنظر فى أمور الإقطاعات ومعرفة عبرها ، والنقص منها والزيادة فيها ، وإثبات المحروم وزيادة المشكور إلى أن استقرت العدة على ٦٤٨,٠٠٠ فارس ، منهم أمراء مائة وأحدعشر أميراً طواشياً : ٦٩٧٦ أميراً ، وقر غلاميه ١٥٥٣ غلاماً . والمستقر لهم جميعاً من المال : ٣,٦٠٠,٠٧٥ ديناراً ، وذلك خارج عن المحلولين من الأجناد الموسومين بالحوالة على العشر ، وعن عدة العربان المقطعين بالشرقية والبحيرة ، وعن الكاتبين والمصريين والفقهاء والقضاة والصوفية ، وعما يجرى بالدينار ، ولا يقصر مجموعه عن ألف ألف دينار ...» (٧٢) .

ولأول مرة فى تاريخ مصر ، توزع البلاد إقطاعات بين السلطان وجنوده منذ قيام الدولة الأيوبية فيها ، يقول المقريزى :

«واعلم أنه لم يكن فى الدولة الفاطمية بديار مصر ولا فيهما قبلها من دول أمراء مصر لعساكر البلاد ، إقطاعات ، بمعنى ماعليه الحال اليوم ، — أى زمن المقريزى فى القرن الخامس عشر الميلادى — وإنما كانت البلاد تضمن بقبالات (٧٣) معروفة لمن شاء من الأمراء والأجناد وأهل النواحى من العرب والقبط وغيرهم ... (٧٤) . وفى موضع آخر يقول :

«وأما منذ كانت أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى يومنا هذا ، فإن أراضى مصر كلها ، صارت تقطع للسلطان وأمرائه وأجناده (٧٥) » .

وليس معنى هذا أن جميع الأراضى كانت تقطع ، فهناك أراضى الأوقاف على أعمال البر والمنشآت الخيرية ، وهناك الملك الحر ، ولكن

المقريزى عمم الإقطاع فى الأراضى كلها ، لأن الأراضى غير الإقطاعية لم تكن شيئاً مذكوراً بالقياس إلى الأرض المقطعة .

يقول القلقشندى :

«كانت الأرزاق فى عهد الأيوبيين تجرى على نوعين : الإقطاعات ، وتجرى فى مصر على الأمراء والجند ، وعامة إقطاعاتهم بلاد وأرض ، يستغلها مقطعها ويتصرف فيها كيف شاء ، وربما كان فيها نقد يتناوله من جهات ، وهو القليل ، ويختلف حال أربابها . ورزق أرباب الأقلام (٧٦) » .

وجرت العادة ، أن يقدر دخل البلاد ، وعلى أساس هذا التقدير أو التخمين — فى لغة العصر — ، توزع البلاد إقطاعات بين السلطان وأمرائه وأجناده ، وهذه عبرة الوجهين البحرى والقبلى حسب روك صلاح الدين عام ٥٧٢هـ = ١١٧٦م :

الوجـه البحرى

اسم الجهة	مقدار العبرة بالأرقام	بالدينار الإقطاعى بالحروف
ضواحى ثغر الإسكندرية.. ...	٨٠٠ر٠٣٨	ثمانمائة ألف وثمانية وثلاثون ديناراً
ثغر رشيد	٢٠٠٠	ألفان
البحيرة	١١٥ر٦٧٥	مائة ألف وخمسة عشر ألفاً وستمائة وخمسة وسبعين .
حوف رمسيس	٩٢ر٤٠٣	اثنان وتسعون ألفاً وأربعمائة وثلاثة .
المزاحمتين (أ)وجزيرة بنى نصر...	١١٢ر٦٤٦	مائة ألف واثنا عشر ألفا وستمائة وستة وأربعون
(ب) جزيرة قويسنا ...	١٣٠ر٥٩٢	مائة ألف وثلاثون ألفا وخمسمائة واثنان وتسعون
الغربية	٦٧٤ر٦٠٥	ستمائة ألف وأربعة وسبعون ألفا وستمائة وخمسة
السمنودية	١٤٥ر٠٧٤	مائة ألف وخمسة وأربعون ألفا وأربعة وسبعون
المنوفية	١٤٨ر٣٤٧	مائة ألف وثمانية وأربعون ألفا وثلثمائة وسبعة وأربعون

اسم الجهـــة	مقدار العبرة بالأرقام	بالدينار الإقطاعى بالحـــروف
الجيزة	١٥٣٫٢٠٤	مائة ألف وثلاثة وخمسون ألفا ومائتان وأربعة
البوصيرية	٦٠٫٤٦٠	ستون ألفا وأربعمائة وستون
البهنسية	٣٥٢٫٦٣٤	ثلثمائة ألف واثنان وخمسون ألفا وستمائة وأربعة وثلاثون
الواحات الداخلة والخارجة (وواح البهنسا)	٢٥٫٠٠٠	خمسة وعشرون ألفا .
الأطفيحية	٥٩٫٧٢٨	تسعة وخمسون ألفا وسبعمائة وثمانية وعشرون
الفيومية	١٥٢٫٦٣٤	مائة ألف واثنان وخمسون ألفا وستمائة وأربعة وثلاثون
الأشمونين	١٤٧٫٧٣٢	مائة ألف وسبعة وأربعون ألفا وسبعمائة واثنان وثلاثون
السيوطية خارجـاً عن منفلوط ومنقباط	٧٢٫٥٠٤	اثنان وسبعون ألفا وخمسمائة وأربعة .
الأخيمية	١٠٨٫٨١٢	مائة ألف وثمانية ألف وثمانمائة واثناعشر
القوصية	٣٦٢٫٥٠٠	ثلثمائة ألف واثنان وستون ألفا وخمسمائة
ثغر أسوان	٢٥٫٠٠٠	خمسة وعشرون ألف .

ولا شك فى أن التقدير كان يتغير من سنة إلى أخرى ، تبعاً لما يصيب البلاد من نقص المحصول لانخفاض النيل أو طغيانه ، أو للإهمال وأشباهه من العوامل التى تؤدى إلى نقص المحاصيل أو زيادتها ، لذلك كانت العبرة دائمـة التغيير . ويتبع هذا التغيير، تغيير فى عبرة إقطاع كل طائفة من حين إلى آخر ، فمثلا استقرت العـبرة فى سنة ٥٨٥ هـ = ١١٨٩ م على هذا النحو :

الديوان العالى ... ... ٧٤٨ر٧٢٨ ديناراً

الأمراء والأجناد المرسوم بإبقائهم فى إقطاعاتهم

بالأعمال المذكورة (سابقا) : ... ... ٢٠٣ر١٥٨ ديناراً

ديوان السور المبارك والأشراف : ... ... ٨٠٤ر١٣ دنانير

العربان ... ... ٤١٢ر٢٢٠ ديناراً

القضاة والشيوخ ... ... ٧٠٠٤ دنانير

الغزاة والعساقلة المركزة بدمياط وتنيس وغيرهم ٧٢٥ر١٠ ديناراً

وبمعنى آخر، تدل هذه الأرقام على المبالغ المخصصة للأبواب المعينة، ولذلك يفرد لهذه الأبواب من منابع الإيراد مايكفى للحصول على هذه المبالغ .

والمقصود بالديوان العالى خزانة السلطان ويعبر عنها أحياناً بالديوان السلطانى، ويجىء دخلها من الحقوق الديوانية أو المعاملات السلطانية وهذا غير ديوان الخاص الملكى أو ديوان الخاص السلطانى، الذى يشرف على الإقطاع السلطانى ، فمثلا كان متحصل ديوان الخاص الملكى الناصرى (الناصر صلاح الدين) فى سنة ٥٨٧هـ = ١١٩١ بالديار المصرية ٤٥٤ر٣٥٤ ديناراً ونصف وثلث وثمن (٧٧) .

ويلاحظ أن هذه المبالغ المقدرة تختلف عما يتحصل فعلا فقد يزيد المتحصل وقد ينقص ، فمثلا زاد ارتفاع الديوان السلطانى فى سنة ٥٨٧هـ — ١١٩١م عن ارتفاعه فى سنة ٥٨٦هـ = ١١٩٠م بمبلغ : ٤٤٥ر١٢ ديناراً ، والذى انعقد عليه ارتفاع هذا الديوان فى ٥٨٨هـ = ١١٩٢م : ٠٤٤ر٠٥٤ر٣ دينارا ، كما أن مبلغ ما انساق من البواقى لتلك السنة (٥٨٨هـ = ١١٩٢م) : ٦٢٢ر٣١ ديناراً (٧٨) .

على هذا النحو كانت مصر توزع إقطاعياً بين السلطان وجنوده ،فى العهد الأيوبى ، وبجانب إقطاع السلطان أو الخاص السلطانى ، نجد إقطاعات بقية أفراد البيت الأيوبى ثم إقطاعات الأمراء والأجناد .

وقد أقطع صلاح الدين أباه نجم الدين أيوب الإسكندرية ودمياط

والبحيرة (٧٩) حين حضر إلى مصر سنة ٥٦٥هـ = ١١٦٩م واستقر فيها ، وأقطع أخاه شمس الدولة توران شاه : قوص وعيذاب وكان ذلك على أثر انتصاره على ثورة العبيد (٨٠) ، وكانت عبرة هذا الإقطاع : مائتى ألف دينار سنة ٥٦٥ هـ = ١١٦٩ م ، منها عبرة قوص وحدها مائة ألف دينار فى السنة (٨١) . وسير صلاح الدين إلى هذه البلاد قبل إقطاعها لأخيه ، الأمير « أرسلان بن دغمش » لجباية خراجها ، فلما صارت إقطاعاً أرسل تورانشاه وكيلا من قبله هو شمس الخلافة محمد بن مختار (٨٢) .

ثم إن صلاح الدين أطلق يد أخيه تورانشاه فى إقطاع مايفتح من البلاد لمن يشاء من أمرائه وخواصه ، ولذلك لما فتح توران‌شاه النوبة فى عام ٥٦٨هـ ١١٧٢م وعاد إلى قوص مركزاً إقطاعه ، أقطع إبراهيم الكردى أحد أمرائه قلعة أبريم ، وأنفذ معه جماعة من الأكراد البطالين لمعاونته (٨٣) ، غير أنه يبدوأن شمس الدولة تورانشاه لم يقتنع بما له من الإقطاع فى مصر ، وربما كان عدم اقتناعه هذامن بين الأسباب الكثيرة التى جعلته يقترح على صلاح الدين فتح اليمن بدليل أن أكثر بلاد اليمن صار إقطاعاً له بعد فتحها (٨٤) ، كذلك طلب توران شاه من أخيه صلاح الدين فى عام ٥٧٤هـ = ١١٧٨م أن يقطعه بعلبك ، فأرسل السلطان إلى صاحبها شمس الدين محمد بن عبد الله المعروف بابن المقدم ، لينزل عنها لتورنشاه ، فأبى ، فاضطر صلاح الدين لمحاربته حتى أجبره على النزول عنها وتسلمها . ولكن تورانشاه نزل عن بعلبك فى العام التالى وطلب الإسكندرية عوضاً عنها ، فقبل صلاح الدين وأقطع بعلبك لعز الدين فخرشاه ابن شاهنشاه بن أيوب (٨٥) ، هذا وكان حصن رعبان من بين إقطاعات تورانشاه الواســعة (٨٦) . وفى عام ٥٨٢ هـ = ١١٨٦ م أقطع صلاح الدين دمشق لابنه الأفضل (٨٧) ، كما أقطع أخاه مظفر الدين أربل ، وأضاف إليها شهر زور وأعمالها ، ثم أقطع ابن أخيه تقى الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب حران والرها فى نفس السنة بعد أن أخذهما من مظفر الدين ، وأضاف إلى إقطاع تقى الدين كذلك سميساط

وميافارقين وحماه والمعرة وسلمية ومنبج وقلعة نجم وجبلة واللاذقية وبلاطنس وجبل جور، بجميع أعمالها فضلا عن كفر طاب وبكراس وعدة بلاد أخرى من حماة إلى ديار بكر ، كما أقطعه فى مصر الفيوم وأعمالها مع القايات وبوش[٨٨] ، وأمره أن يقطع البلاد للجند ويعود معهم ليقوى بهم فى الجهاد ضد الصليبيين .

توجه تقى الدين فى صفر عام ٥٨٧هـ = ١١٩١ م وعبر الفرات ليتسلم إقطاعاته وينظمها ، فأصلح البلاد ولكنه كان كثير الطمع ، فاستولى على بعض البلاد المجاورة ، غير أنه توفى فى ذلك العام ، فأقطع صلاح الدين ابن المتوفى ، وهو الملك المنصور محمد ، جزءاً من إقطاع أبيه ، وهو حماة وسلمية والمعرة ومنبج وقلعة نجم[٨٩] .

أما إقطاع العادل أخى صلاح الدين فكان كبيراً ، إذ شمل حلب والكرك والشوبك والبلقاء ، ولكن صلاح الدين استرد حلب من العادل فى ٥٨٢هـ = ١١٨٦م وعوضه عنها حران والرها وميافارقين، ليخرجه من الشام، وذلك لرغبة السلطان فى إقطاع أبنائه البلاد الهامة والحصون ، ومن أدلة ما حدث فى صفر من ذلك العام، حين مرض صلاح الدين وهو على حصار الموصل فأوصى لكل واحد من أولاده بشىء من البلاد ، فلما عوفى قال له سليمان ابن جندر ، وكان من أصفياء صلاح الدين : « بأى رأى كنت تظن أن وصيتك تنفذ ؟ كأنك كنت خارجاً إلى الصيد ثم تعود فلا يخالفونك ، أما تستحى أن يكون الطير أهدى منك إلى المصلحة ؟ قال صلاح الدين : وكيف ذلك ؟ — (وهو يضحك) — قال : إذا أراد الطائر أن يعمل عشاً لفراخه قصد أعالى الشجر ليحمى فراخه ، وأنت سلمت الحصون إلى أهلك وجعلت أولادك على الأرض ، هذه حلب وهى أم البلاد ، بيد أخيك العادل ، وحماه بيد ابن أخيك تقى الدين وحمص بيد ابن عمك أسد الدين، وابنك الأفضل مع تقى الدين بمصر يخرجه متى شاء ، وابنك الآخر مع أخيك فى خيمته يفعل به ما أراد » . استحسن صلاح الدين هذا الرأى، وطلب إليه أن يكتم الخبر . وهذا هو السبب فى استرجاع حلب من العادل وإعطائها إلى الملك

الظاهر بن صلاح الدين وتوزيع الشام إقطاعات بين أولاده . والظاهر أن علم الدين سليمان بن جندر كان حانقاً على العادل حين كانت له حلب ، لأنه لم ينصفه وقدم عليه غيره(٩٠) ، بل إن صلاح الدين – لهذا السبب كذلك – طلب إلى العادل فى عام ٥٨٧هـ = ١١٩١م أن ينزل عن كل إقطاعاته بالشام ما عدا الكرك والشوبك والصلت والبلقاء ، وكذلك عن نصف خاصه بمصر وعوضه عن ذلك بإقطاعه البلاد الشرقية وهى منطقة الجزيرة ودجلة ، وقرر عليه فى كل سنة ستة آلاف أو عشرة آلاف غرارة (الغرارة = ١٢ كيلا)(٩١) تحمل من الصلت والبلقاء إلى القدس ، ولما استقر ذلك ، سار العادل إلى البلاد الشرقية ، لتقرير أمورها ، وعاد إلى خدمة السلطان ، وذلك فى آخر جمادى الآخرة من السنة القابلة ٥٨٨ هـ = ١١٩٢ م(٩٢) .

وبلغت غلة إقطاع العادل بمصر فقط سبعمائة ألف دينار فى كل سنة(٩٣) ، وللعادل نسخة « توقيع »(٩٤) بإقطاعه بالديار المصرية وبلاد الشام وبلاد الجزيرة وديار بكر ؛ كتب سنة ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م(٩٤) .

ويلاحظ فى هذا التوقيع ذكر الصلة الأخوية بين الملك العادل وأخيه السلطان صلاح الدين ، ثم الإشادة بفضل السلطان فى منحه هذا الإقطاع مع التنويه بأن الإقطاع منحة شخصية من ولى الأمر جزاء خدمات المقطع وشجاعته فى الحروب ، ثم يذكر التوقيع مواضع الإقطاع ، ويوصى بأهمية العدل والإحسان وتقوى الولاة ، وعدم تناول الرشوة ، والكياسة فى إدارة الإقطاع وعمارته وحفظ الأمن وسياسة الجوار وهكذا ، ثم يختم التوقيع بتعيين العادل مقدماً للفرسان .

أما القاهر محمد بن شيركوه ، وهو ابن عم صلاح الدين ، وموضع خشيته ، لادعائه أنه أحق بالملك من صلاح الدين ، فأقطعه السلطان حمص وتدمر والرحبة وسلمية ، ولما توفى القاهر محمد هذا فى سنة ٥٨١هـ = ١١٨٥م ، أبقى صلاح الدين إقطاعه على ولده وسمى جده أسد الدين شيركوه ، وخلع عليه وكتب له منشوراً بذلك (٩٥) ، كذلك أبقى صلاح

الدين بعلبك بيد الأمجد بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب[٩٦] ، كما أبقى حماه بيد شهاب الدين الحارمى خال صلاح الدين[٩٧] .

ومن الأمراء الذين حازوا الإقطاعات فى عصر صلاح الدين ، سيف الدين على بن أحمد الهكارى المشطوب[٩٨] ، وكان إقطاعه نابلس وأعمالها ، فلما مات سيف الدين هذا سنة ٥٨٨هـ (١١٩٢ م) منح السلطان ابنه عماد الدين أحمد وأميرين معه ثلثى نابلس بعد أن أرصد ثلثها على مصالح مدينة القدس وتشييد أسوارها[٩٩] ، وأقطع صلاح الدين الأمير حسام الدين أبا الهيجاء السمين مقدم الأكراد الأسـدية نصيبين بعد فتحها سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) [١٠٠] والأمير بدر الدين دلدرم بن بهاء الدين ياروق ، تل باشر ، والأمير سابق الدين عثمان بن الداية ، شيرز وأبا قبيس ، والأمير ناصر الدين ابن كورس ، صهيون وحصن برزية ، والأمير عز الدين[١٠١] أسامة كوكب عجلون ، والأمير عز الدين إبراهيم بن شمس الدين المقدم ، بغراس وكفر طاب وفامية . وقد ظل هؤلاء الأمراء على إقطاعاتهم حتى وفاة صلاح الدين . كذلك أقر صلاح الدين حجى بن كرامة أمير الغرب على إقطاعه ، مكافأة له من أجل « خدمته وقيامه على الأعداء »[١٠٢] أيام فتح بيروت سنة ١١٨٧ م .

ثم إن صلاح الدين كان يستفيد من كل قوة تخدم دولته ، ولذلك ضم إليه الأمراء الذين خضعوا له وساعدوه فى فتوحه وأقطعهم ، كما أقر كثيراً من الأمراء النورية على ما بأيديهم من إقطاعات وزادهم إقطاعات جديدة لانحيازهم إلى جانبه منذ سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) ومساعدتهم له فى فتوحه زمن توحيد الجبهة الإسلامية ضد الصليبيين . ومن هؤلاء الأمير علم الدين سليمان بن جندر وهو من « مشايخ الدولتين » النورية والصلاحية ، بحلب ، فأقطعه صلاح الدين حصن دربساك بعد فتحها فى ذلك العام ، وزاده عليها بلدة إعزاز فى عام ٥٧٩هـ (١١٨٣ م) [١٠٣] ولمـا فتح صلاح الدين عينتاب سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣ م) ، بتسليم صاحبها الشيخ إسماعيل الذى كان خازناً

لنورالدين ، أقره السلطان عليها فبقى « فى خـدمة السلطان من جملة أمرائه[١٠٤] ، وأقطع صـلاح الدين آمد من ديار بكر للأمير نورالدين محمد بن كرد أرسلان الأرتقى صاحب حصن كيفا مكافأة له على نجدته فى فتح أنطاكيـة فى نفس ذلك العـام[١٠٥] ، كما أقطع الرها إلى الأمير مظفر الدين كوكبورى بن قطب الدين بن ينال بن حسان المنبجى من الأمراء النورية[١٠٦] .

بل إن من سلالة البيت الزنكى نفسه من خضع لصلاح الدين فأقرهم على إقطاعهم ، وهذا شبيه بالإلجاء ، مثله فى ذلك مثل جميع الأمثلة من الإقطاعات التى أقر صلاح الدين أصحابها عليها ، ومنهم : الأمير عماد الدين زنكى ابن قطب الدين مودود بن زنكى صاحب سنجار[١٠٧] ، الذى أقره صلاح الدين على ما بيده حين خضع له سنة ٥٧١هـ — ١١٧٥م ثم أخوه عز الدين مسعود الذى أقره صلاح الدين على الموصل ، وكذلك أقر معز الدين سنجر شاه بن غازى على الجزيرة[١٠٨] ، وجميع هؤلاء الأمراء ساعدوا صلاح الدين فى فتوحه بالعسكر والسلاح[١٠٩] .

واستعان صلاح الدين وخلفاؤه من بعده كذلك ، بعربان مصر ، وأهمها جذام وثعلبة[١١٠] فأقطعهم الإقطاعات نظير المحافظة على الأمن والاشتراك معه فى الجهاد ، وجاءت غالبية إقطاعاتهم بالبلاد المصرية الشرقية ، فكانت إقطاعات جذام هربيط وتل بسـطة ونوب[١١١] وغيرها . وأما إقطاعات ثعلبة فكانت فى مناشير جذام ، ومن جذام « هدبا سويد » الذى أقطع فاقوس ؛ ثم إن صلاح الدين أمّر جماعة من جذام منهم : أبو راشد بن حبيش ودحية ونابت ، ولم تزل الإمرة فى نجم وبنيه[١١٢] حتى أيام المقريزى .

وجاءت إقطاعات الحيادرة ، ولد حيدرة بن معروف ؛ فى البرامون[١١٣] وممن أمّرهم صلاح الدين من الحيادرة معبد بن منازل ، أما إقطاعات الشواكرة — ولد شاكر بن راشد — ففى سنبارة[١٠٤] بنى خصيب ، كما

أن بنى خليفة وحصن من بنى عبيد ؛ أقطعوا موضعاً يعرف بالأحرار قرب هربيط ، وأقطع مهياع بن علوان كفر برشوط[١١٥] ، ووجدت إقطاعات بنى رديني فى تل محمد[١١٦] ، ومن بنى رديني المعروفين ؛ أولاد جاش بن عمران . ومن الأعراب الذين اشتهر أمرهم أواخر الدولة الأيوبية نمى أبو خثعم من ولد مالك ، فقد ارتفع ذكره زمن الصالح نجم الدين أيوب وفى أوائل عهد المماليك زمن أيبك ، حتى اقتنى فى إقطاعه كثيراً من المماليك الأتراك[١١٧] .

لم يكن من بأس لدى صلاح الدين أن يعطى إقطاعاً لعدوه متى أمن شره ، وذلك حقناً لدماء المسلمين ، فقد حدث على أثر وقعة حطين ٥٨٥ هـ = ١١٨٩ م أن استسلم صاحب « حصن شقيف أرنون » وهو قلعة حصينة فى كهف من الجبل قرب بانياس[١١٨] ، وطلب إليه أن يقطع مسكناً بدمشق لأنه لا يستطيع بعد استسلامه أن يساكن الفرنجة ، فأجابه صلاح الدين إلى ذلك[١١٩] . كما أنه كان من بين الشروط التى قبلها صلاح الدين من الصليبيين أن يقطع فرسان الداوية والاسبتارية بعض البلاد والقرى ، وكل هذا حسما للنزاع وحقناً للدما مؤقتاً[١٢٠] .

وقد سار خلفـــاء صلاح الدين[١٢١] فى مصر والشام على سننه ، فصارت مصر بجميع أعمالها للعزيز عثمان وأتابكه ، وصارت دمشق والشطوط البحرية وبيت المقدس والناصرة وبانياس وسوريا الغربية للملك الأفضل على ؛ كما صارت حلب وبقية سوريا ومن ضمنها حران وتل باشر وعزاز ومنبج للملك الظاهر غازى ، ومن هؤلاء الثلاثة تكونت ثلاث دول كبيرة ؛ أما بقية أفراد الأسرة ويلقبون «بالمشارقة» أى أمراء المشرق بما فيهم الظاهر غازى ؛ فمنهم : الملك العادل سيف الدين أبو بكر وإقطاعه : الكرك والشوبك والبلاد الشرقية وكذلك الجزيرة والرها وسميساط والرقة وقلعة جعبر وديار بكر وميافارقين ، وهى البلاد التى كان صلاح الدين أعطاها له فى حياته ، ثم الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقى الدين عمر ، وإقطاعه

حماه وسلمية ومنبج وقلعة نجم ، ثم الملك الأمجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه ابن شاهنشاه بن أيوب وإقطاعه بعلبك ، ثم شيركوه بن شادى فى حمص والرحبة وتدمر ، والملك خضر بن صلاح الدين فى بصرى على أن يكون فى خدمة أخيه الملك الأفضل ، واليمن للملك ظهير الدين بن سيف الإسلام طغتكين أخى صلاح الدين ، والبيرة وبعض أعمالها للملك الزاهر مجير الدين داود بن صلاح الدين (١٢٢) ؛ وظل بعض الحصون والبلاد بيد أمراء الدولة كما كانوا أيام صلاح الدين (١٢٣) . وقد سار أولئك جميعاً سيرة صلاح الدين فى التوزيع الإقطاعى الحربى ، ولم يكن لديهم مايحول دون منح الإقطاع ولو لأمير مغامر أجنبى عن البلاد ، طرأ على البلاد الدولة ، وطلب الدخول فى خدمتها مادام يؤدى الخدمة الحربية ، وهناك نسخة «توقيع» لأمير من هذا النوع ، ليس فيها مايدل إلا على أهمية الجهاد الحربى ، وسرعة استجابة أولى الأمر فى مصر والشام للانتفاع بكل من عساه يخدم الدولة ، فضلا عن تشجيعهم لذوى المواهب الحربية بزيادة الإقطاع إذا حسن بلاؤهم فى الحرب(١٢٤) .

ومن الإقطاعات التى منحها العزيز عثمان بن صلاح الدين ، نابلس ، منحها للأمير فارس الدين ميمون القصرى وذلك عام ٥٩١هـ = ١١٩٤م وحدد له عدد الفرسان الذين ينبغى أن يتقدم به لحرب الصليبيين عند الضرورة بسبعمائة فارس ، وفارس الدين هذا من أمراء الظاهر غازى بن صلاح الدين ، وله من الإقطاعات صيدا قبل أن يحصل على نابلس(١٢٥) . وبعد استيلاء العزيز عثمان على دمشق من أخيه الأفضل ٥٩٣هـ = ١١٩٦م؛ أقطعها لعمه العادل(١٢٦) .

وأقر الأفضل على بن صلاح الدين أمراء الغرب على مابأيديهم ، نظراً لحاجته إلى عونهم فى صراعه ضد أخيه العزيز عثمان ، إذ رد على كتاب ورد إليه من حجى (جمال الدين حجى بن كرامة) الداخل فى طاعته ، وحثه فى هذا الرد على الجهاد ، ووافق على إقطاعه الغرب جميعه ، وتاريخ هذا الرد ١٦ رمضان ٥٩٣هـ = ١١٩٦ م(١٢٧) ؛ ويتضح من هذا أن أمراء الغرب

تبع دائماً لمن غلب ، احتفاظاً بما لديهم من البلاد والإمرة ، ولا فرق عندهم بين ملك إسلامى يعلو أو صليبى يظهر أو مغولى يتحكم ، فالمهم كله طلب السلامة وإيثار العافية (١٢٨) ولذلك ، خضعوا للصليبيين ، ولهم منشور من صاحب صيدا الفرنجى ٦٥٤هـ=١٢٥٦م (١٢٩) ؛ كما أنه لما تغلب التتار على الشام واضطربت أمور البـــلاد ، توجه جمال الدين من أمراء الغرب إلى دمشق حيث يقيم كتبغا نائب هولاكو بالشام ، فاجتمع به ، وأظهر خضوعه للتتار فكتبوا له منشـــوراً ، بإقراره على مابيده ، وأبرز ما فيه أنه صدر بعلامة هولاكو فوق البسملة «مالك بسيطة الأرض هولاكوخان زيدت عظمته» (١٣٠) وكان هذا شأنهم دائماً فى كل عهد . (١٣١)

واستأدى العادل أبو بكر ، أخو صلاح الدين ، الإقطاع الحربى ، وسيلة للرشوة لجلب الأنصار ، خلال النزاع الذى دب بين أبناء صلاح الدين ، إذ كانت الأسدية فى مصر ، فى ١١٩٣م قد حنقت على العزيز عثمان لتقديمه المماليك الصلاحية عليهم ، فراسلهم العادل ووعدهم بالأموال والإقطاعات (١٣٢) ، ثم إنه رتب أمور الإقطاعات خلال أتابكيته للعزيز بمصر فغير الإقطاعات ووفر الارتفاعات وعمال الأعمال وذلك فى سنة ٥٩٢ هـ = ١١٩٥م (١٣٣) ؛ كما لم يفته ، حين انفرد بالأمر بمصر والشام ؛ على غرار صلاح الدين ؛ أن يقطع أبناءه دون غيرهم ، فأقطع ابنه الملك الأشرف موسى بلاد مارين سنة ٦٠٢هـ – ١٢٠٥م ؛ وكان صاحبها ناصر الدين أرتق (١٣٤) وأقطع ابنه الكامل أعمـــال الشرقية التى كانت له أيام أخيه صلاح الدين وجعله ولى عهده وحلف له الأمراء ، كما أقطع ابنه الملك المعظم عيسى قلعة صرخد (١٣٥) وكانت بيد الأمير ابن قراجا من مقدمى المماليك الصلاحية حتى ٦٠١هـ – ١٢٠٤م ، فعوضه عنها مالا وإقطاعا (١٣٦) .

ثم إن أبناء العادل سواء فى حياة والدهم أو بعده ، كانوا يوزعون أنصبتهم إقطاعات على أمرائهم ، فوزع المعظم بن العادل فى حياة أبيه البلاد الشامية على مماليكه ، حتى إنه عندما توجه العادل لقتال الصليبيين ؛ بعد نقض

عهدهم ٦١٤هـ = ١٢١٧م ؛ أنب ابنه وقال : بمن أقاتل ؟ أقطعت الشام مماليكك وتركت أولاد الناس(١٣٧) .

ولما كانت القاعدة فى ذلك العصر الإقطاعى هى توزيع الملك أنصبة بين أبناء الأسرة إقطاعات ، كالإرث ، كما فعل صلاح الدين ومن قبله السلاجقة وآل زنكى ، فإن العادل سار على هذه القاعدة وقسم البلاد بين بنيه قبل وفاته : الكامل فى مصر والمعظم فى الشام والعزيز عثمان فى بانياس والحافظ أرسلان فى قلعة جعبر والصالح إسماعيل فى بصرى ، لكنه تمكن بعد ذلك من الاستيلاء على دمشق ، كذلك اختص الملك الأشرف موسى بالبلاد الشرقية (أى شرقى الشام) والأوحد أيوب فى خلاط ، وهذه صارت للأشرف بعد ذلك ، فأقطعها أخاه شهاب الدين غازى صاحب ميافارقين وأضاف إليها جميع أعمال أرمينية ومدينة حانى فى ٦١٨هـ = ١٢٢١م (١٣٨) .

ولما جاء الملك الصالح نجم الدين أيوب ، أقر أمراء الغرب على إقطاعاتهم ، فكتب فى سنة ٦٤٤هـ = ١٢٤٦م إلى الأمير نجم الدين محمد بن حجى كتاباً يمدح فيه طاعته وحسن خدمته ويأمره أن يبقى على عادته القديمة مع زيادة المال المرتب له ولمن معه ، وبأن يستجلب للخدمة كل من يقدر عليه ؛ ويخبره أنه آت إلى البلاد ويأمره باستقباله بمن معه ، وكتب الملك الصالح كذلك سنة ٦٤٧هـ = ١٢٤٩م بخطه «توقيعاً» باسم الأمير زين الدين بن على من أمراء الغرب مضمونه : « أنه يجرى له من الإقطاع فى الناحية الغربية والجنوبية من جبل بيروت : القماطية ومزارعها ، شملال ومزرعتها ، ومن الجنوبية : بناثر بكاملها وكفرعمية ومزرعتها ؛ وذلك جزاء لخدمته ، وتشجيعاً له على الاستمرار فى المحافظة على الثغور المندوب إليها ، ومن الغرب : بيصور ومزارعها ، مجدليا والدوير ، ثلث عرمون ومزارعها كيفون ومزرعتها وغيرها . وأن يجرى على مابيده من الأملاك المستمرة عليه وعلى والده من قبله(١٣٩) » .

الأيوبيون فى مصر (١)

١ — الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب
(٥٦٤—٥٨٩ هـ / ١١٦٩—١١٩٣م)

٢ — الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين (٥٨٩—٥٩٥هـ / ١١٩٣—١١٩٨م)

٣ — الملك المنصور ناصر الدين محمد (٥٩٥—٥٩٦هـ / ١١٩٨—١١٩٩م)

٤ — الملك العادل سيف الدين أبو بكر أحمد بن أيوب
(٥٩٦—٦١٥ هـ / ١١٩٨—١٢١٨م)

٥ — الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالى محمد بن العادل
(٦١٥—٦٣٥ هـ / ١٢١٨—١٢٣٨م)

٦ — الملك العادل الثانى (٦٣٥—٦٣٧ هـ / ١٢٣٨—١٢٤٠م)

٧ — الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧—٦٤٧ هـ / ١٢٤٠—١٢٤٩م)

٨ — الملك المعظم تورانشاه بن الصالح (٦٤٧—٦٤٨ هـ / ١٢٤٩—١٢٥٠)

٩ — الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن يوسف بن محمد (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م)

(١) هناك فروع أخرى للأيوبيين حكمت فى دمشق وحلب وميافارقين وسنجار واليمن وبعلبك وحمص والكرك وحماه وحصن كيفا وآمد وبانياس وسبيبة وبصرى. والواضح أن الدولة الأيوبية سارت على سنة السلاجقة فى تقسيم الدولة كالإرث بين الأبناء، مع وجود سلطان أكبر هو سلطان مصر.

(راجع: زامبارو ج ١ ص ١٥٠ — ١٥٥ ، مفرج الكروب ج ١ ، ج ٢ — نشر الشيال — الروضتين فى أخبار الدولتين — النجوم الزاهرة ج ٦ ، ج ٧)

وفى أواخر الدولة الأيوبية ، أنشأ الملك الصالح فرقة المماليك البحرية حين تفرق الأكراد عنه ولم يبق معه سوى مماليكه ، فأكثر من شراء المماليك وجعلهم معظم عسكره ، وقبض على الأمراء الذين كانوا عند أبيه وقطع أخبازهم وأعطى مماليكه الأمريات فصاروا بطانته والمحيطين بدهليزه ، وبنى لهم القلعة بجزيرة الروضة سنة٦٣٨هـ = ١٢٤٠م وأسكنهم بها (١٤٠) وسماهم البحرية(١٤١) إما لأن معظمهم جاء من البـــلاد البحرية أو الشمالية (١٤٢) وإما لأنهم أقاموا بجزيرة الروضـــة ببحر النيل كما كان يطلق عليه . وبعد وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب خلال الحرب الصليبية بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا (١٤٣) ، قامت شجرة الدر بتدبير الملك حتى يحضر ابنه المعظم ، وقام بجانبها الأمير فخر الدين ابن شيخ الشيوخ ، وكان من كبار دولة الصالح ، « فاقطع البلاد بمناشير للأمراء والأجناد » (١٤٤) .

هذا هو نظام الإقطاع الحربى الذى عممته الدولة السلجوقية التركية ، منذ أواخر القرن الحادى عشر الميلادى ، وأخذته عنها الدول التى سادت فى الشرق الأوسط خلال العصور الوسطى .

على أن هذا النظام ، لم يكن النظام الإقطاعى الوحيد الذى وجد فى تلك الفترة ، بل وجد بجانبه نظام إقطاعى آخر ، انتقل من أوربا إلى الدويلات الصليبية التى قامت بالشام .

جاء الصليبيون إلى الشرق الأوســـط أواخر القرن الحادى عشر ، واستولوا على بيت المقدس عام ١٠٩٩م ، وأنشأوا الإمارات الصليبية أو الدويلات اللاتينية فى قلب هذه البلاد . وتتكون هذه الإمارات من مملكة القدس الصليبية تتبعها ثلاث إمارات هى : الرها وأنطاكية وطرابلس (١٤٥) .

قام التنظيم فى الدويلات الصليبية ، على أساس النظام الإقطاعى الغربى الذى كان سائداً فى أوربا فى ذلك الوقت ، ولمـــا كان سادة الإقطاع الأوربى من الأمراء والملوك والمغامرين ، هم الذين قاموا بهذه الحرب ، كان من من الطبعى أن يقيموا النظام الذى عرفوه ونشأوا فيه ، والذى لم يكن هناك غيره .

اتخذ الصليبيون الأوائل قاعدة فى التوزيع الإقطاعى ، ويتضمن هذا التوزيع معنى اقتسام الغنيمة ، فجعلوا للقادمين الأولين ، أى لأنفسهم ، الحق الكامل فى كل حصن أو بلد أو إقليم يضعون أيديهم عليه (١٤٦) . وانتقل النظام الإقطاعى الغربى كاملا إلى الشرق ، ولكنه اختلف عن بعض خصائصه الغربية ، نزولا على الوضع القائم بالشرق الأوسط. فمثلا نجد أن الخدمة الحربية الإقطاعية فى أوربا كانت مقررة نظرياً بأربعين يوماً ، يخدمها التابع عند سيده مع أتباعه المسلحين ، ولكن هذه المدة لم تحدد فى الشرق ، نظراً لقيام التحدى المستمر من جانب المسلمين المحيطين بالصليبيين . ونظمت الحقوق والالتزامات المتبادلة بين السيد وتابعه ، على النحو المعروف فى غربى أوربا (١٤٧) .

وجد الإقطاع الحربى كذلك عند بعض الدول الإسلامية التى سادت فى شمالى إفريقية ، وما يتصل به من بلاد الأندلس ؛ وقد عاصرت هذه الدول السلاجقة ، كما عاصرت ورثتهم فى هذا النظام . من ذلك ما كان لجيوش المرابطين من إقطاعات حربية ، وقد توسعوا فى هذا النظام على أثر فتحهم الأندلس بقيادة يوسف بن تاشفين عام ٤٤٨هـ — ١٠٥٦م .

وفى مراكش على عهد بنى مرين (٦١٠ — ٨٧٦هـ = ١٢١٣ — ١٤٧١م) المعاصرين للأيوبيين والمماليك ، كان للأشياخ الكبار من الجند الإقطاعات الجارية عليهم ، لكل واحد منهم ٢٠ مثقالا من الذهب يأخذها من قبائل وقرى وضياع ، ومعنى الإقطاع هنا العطاء أو الراتب ، وكذلك كان لكل واحد من هؤلاء المخصصات من الحبوب من القمح والشعير ونحوها ، مما يقدر بنحو ٢٠ ألف وسق ، وفضلا عن ذلك ، لكل منهم فى رأس كل سنة «حصان بسرجه ولجامه وسيف ورمح محليان ، وبقجة قماش وجوخ» ، وللأشياخ الصغار من الإقطاع والإحسان نصف ما للكبار (١٤٨) .

(١) بلغ عطاء الجندى الراجل فى العصر الأموى ١٠٠ درهم فى الشهر ، وفى العهد العباسى ، خفض الخليفة أبو عبد الله السفاح هذا الراتب إلى ٨٠ درهماً ، وجعل راتب الفارس ضعف راتب الراجل . وعموماً اختلفت رواتب الجنود باختلاف المواقع التى يعسكرون فيها ، فمثلا قرر الخليفة المأمون لرجالة العراق ٢٠ درهماً فى الشهر للواحد منهم ، وللفارس ٤٠ درهماً ، على حين كان راتب الراجل فى دمشق ٤٠ درهماً فى الشهر وراتب الفارس مائة درهم (سيد أمير على ص ٣٧٥) .

(٢) خطط ج ١ ص ١٥٣ — ١٥٤ .

(٣) انظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٣٥ .

(٤) انظر مايلى

(٥) ينتسب البويهيون إلى جدهم أبى شجاع بويه ، وهو من فقراء العامة من الفرس ، غير أن أبناءه الثلاثة على والحسن وأحمد ، اشتغلوا أجناداً عند بعض حكام العجم الذين استقلوا ببعض الولايات الخاضعة للخلافة العباسية ، وظلوا على ذلك حتى قوى أمرهم ، فأصبح على بن بويه حاكماً على بلاد الكرج من قبل المتغلب عليها وهو مراد ويج الديلمى ، ثم اشتهر أمره واستولى على جزء من بلاد فارس ، إلى أن اتسعت مملكته ، فكتب إلى الخليفة الراضى العباسى بالولاية والمقاطعة على فارس . كما أن أخاه أحمد ، وهو الملقب بمعز الدولة ، أضحى صاحب الأمر والنهى فى الخلافة العباسية فى بغداد عام ٣٣٤هـ — ٩٤٦م (راجع الفخرى فى الآداب السلطانية ص١٤٤ ، ٢٤٦ ، النجوم الزاهرة ج ٣ ص٢٤٥ ، ٢٤٦ ، السلوك ج١ ص٢٦ ، ٢٧ ؛ ابن خلدون ج٣ ص٣٩٥ — ٣٩٦) .

(٦) تجارب الأمم ج٥ ص٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ج٦ ص٩٦ ، ابن خلدون ج٣ ص٢٤٦ ، ج٤ ص ٤٣٥ .

(٧) عرف ابن شهرزاد بالشره للمال وجمعه من أى باب ، ويقال إنه ضمن اللصوصية فى بغداد لحمدى اللص بمبلغ ٢٥ ألف دينار فى كل شهر ، وسلط الجند على العامة وتفرغ للأذى (انظر النجوم الزاهرة ج ص ٢٦٤ ، ٢٧٠ ، ٢٨٠ — ٢٨٦) .

(٨) تجارب الأمم ج٦ ص٧٩ .

(٩) تجارب الأمم ج٦ ص٩٨ .

(١٠) تجارب الأمم ج ٦ ص٢٣٥ — ٢٣٧ ، ٢٩٨ ، ابن خلدون ج٣ ص٤٢١ — ٤٢٢ ج٤ ص ٤٣٥ .

(١١) ذيل تجارب الأمم ص ٢٤٧ ، ٣٢٣ — ٣٢٨ .

(١٢) سيد أمير علي ص٢٧٤ .

(١٣) دولة آل سلجوق ص٥٥ .

(١٤) دولة آل سلجوق ص٥٥ – ٥٦ .

(١٥) دولة آل سلجوق ص٥٥ – ٥٦ .

(١٦) Dutaillis Feudal Monarchyinrance & England, pp. 36-51

(١٧) Stentonton : The Finst Century of Engleish Feudalism pp. 7-00

(١٨) Dutaillis, Op. eit. p. 60

(١٩) SlSnt an Op. Cit. 02-03

(٢٠) Dutaillis, Op. Cit. 66. 66-70

(٢١) ابن تغرى بردى : جـ٥ ص١٦١ ، ٢٠١ .

(٢٢) المصدر السابق .

(٢٣) Sanaullah. The Destine of the Seljukid Empire. p. 80

(٢٤) راجع المعجب ص ١٩١ – ١٩٢ .

(٢٥) المعجب ص ١٩٣ .

(٢٦) ابن خلدون جـ٤ ص ٢٦٨ – ٢٦٩ .

(٢٧) ابن خلدون جـ٣ ص ٤٧٦ زجـ٤ ص٢٦٨ – ٢٦٩ .

(٢٨) بنوعقيل أميرهم قريش بن بدران أمير العرب ابن المقلد أبو المعالى العقيلى توفى سنة ٤٥١هـ – ١٠٦١م ، وكان إبراهيم بن قريش مقطع الموصل حين توفى ملكشاه فى سنة ٤٨٥هـ – ١٠٩٢م وخرج إبراهيم لمحاربة تتش حين طمع فى السلطة وقتل فى هذه الحرب مع أعيان بنى قريش ، أما مسلم بن قريش بن بدران أبو المكارم شرف الدولة فقد شمل إقطاعه الموصل والجزيرة وحلب فى دمشق سنة٤٧٥ هـ – ١٠٨٢م وقتل فى حرب بينه وبين سليمان بن قتلمش سنة ٤٧٧هـ ، أخلصت هذه الأسرة لسلاطين السلاجقة حتى إن على بن مسلم بن قريش ساعد بركياروق فى نزاعه مع عمه تتش ، كما كان له جهاد مشكور فى حرب الصليبيين .

(نجوم جـ٥ ص٦،٧ حاشية٤ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٧٨ ، ١٧٩) الروضتين ٢٥ ، ١٢٥ .

(٢٩) الأمير بوزان أمير تركمانى خدم السلاجقة وأخلص للسلطان ملكشاه وساعد تتش فى دفع جيوش الفاطميين بقيادة بدر الجمالى وكان مقتله على يد تتش سنة ٤٨٧هـ – ١٠٩٤م فانضم مماليكه إلى تركيا روق حين نازعه تتش على السلطنة ورماه أحد مماليك بوزان بسهم فقتله فى سنة ٤٨٨هـ – ١٠٩٥م (الروضتين ص٣٥ ، نجوم جـ٥ ص١٢٥ ، ١٢٨ز ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣، ١٣٥ ، ١٥٥) .

(٣٠) مراغة أشهر بلاد أذربيجان وكانت تدعى « افراز هروز فعسكر فيها مروان بن محمد حين ولايته لأرمنية وأذربيجان ، وكانت دوابه تتمرغ فيها فجعلوا يقولون : ابنوا قرية المراغة

فحذف الناس القرية وقالوا : مراغة (نجوم جـ٣ ص٨٤ حاشية٣ عن معجم ياقوت) .

(٣١) نجوم جـ٥ ص٢٠٨ .

(٣٢) ابن خلدون جـ٣ ص٤٩٤ ، نجوم جـ٥ ص٣٣٢ .

(٣٣) الروضتين ص٢٦ ، نجوم حـ٥ ص١٤٦ ، ١٤٧ ، مفرج الكروب (نشر الشيال) حـ١ ص١٩ .

(٣٤) اكتسب قسيم الدولة احترام السلاجقة وساعدهم وفتح باسمهم فامية من ابن ملاعب التابع للفاطميين سنة ٤٨٤هـ وحين حاصر تتش طرابلس، توقف قسيم الدولة احتراما لمنشور ملكشاه إذ أظهره صاحبها ابن عمار ... (الروضتين ص٢٧ ، نجوم جـ٥ ص١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، انظر مايلى ، ابن الأثير حـ١٠ ص٧٥) .

(٣٥) الروضتين ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٣٦) انظر مايلى .

(٣٧) أبوالفداء ص٩ز١٤ ، نجوم جـ٥ ص١٨٨ .

(٣٨) الروضتين ص٢٦ ، ٢٩ .

(٣٩) وظيفة الشحنجية أوالشحنكية هى رياسة الشرطة (راجع السلوك حـ١ ص٣٥ حاشية١ ص٤٠ حاشية ٥ وص٩٧٩ حاشية٣ ، وانظر قاموس الألفاظ الاصطلاحية بالملاحق) .

(٤٠) آق سنقر البرسقى أحديلى صاحب همذان وأذربيجان .

(٤١) على أثر الصلح مع المسترشد، اختبر السلطان محمود السلجوقى أمراءه وأعيان دولته، فلم ير فيهم من يقوم بمنصب الشحنجية خيراً من زنكى، وصدق أمراؤه على هذا الترشيح وقالوا « لايصلح لذلك وإعادة ناموس العراق ولا تقوى نفس أحد على ركوب هذا الخطر غير عماد الدين زنكى » فأسند إليه الولاية مضافاً إليه مابيده من الإقطاع . وذلك فى ربيع الآخر سنة ٥٢١هـ — ١١٢٧م (الروضتين ص٢٩) .

(٤٢) الروضتين ص٢٩ ، ٣٠ ، ابن خلدون جـ٣ ص٥٠٠ .

(٤٣) فتح فى سنة ٥٣٤هـ — ١١٣٩م بعلبك واستولى على شهرزور وأعمالها وما يجاورها من البلاد والجبال وكانت بيد آل مهارش ، وفى سنة ٥٣٩هـ — ١١٤٤م استولى على إمارة الرها الصليبية بأعمال الفرات ، وفى سنة ٥٣٩هـ ، أخذ المعرة وكفر طاب وقلعة جعبر ، وكان مقتل زنكى خلال فتح هذا الحصن الأخير بعد استيلائه على إمارة الرها الصليبية (الروضتين ص٣٣ ، ٤٢ ، النجوم الزاهرة جـ٥ ص٢٧١ ، ٢٧٥ ، جـ٦ ص٥) .

(٤٤) استقل سليمان بإقطاعه وتوسع فى فتوحه ، وحارب تتش فقتل سنة ٤٧٩هـ وخلفه ابنه قليج أرسلان الذى اتصل بخدمة ملكشاه وفتح باسمه معظم البلاد الروم مثل ملطية وقيسارية وأقصرى وقونية وسيواس ، فأقره بها ملكشاه ، ثم أضاف إليه ميافارقين ، وخلال النزاع بينه وبين جاولى مملوك ملكشاه ، رأى الهزيمة ، فألقى بنفسه فى نهر فغرق سنة ٤٩٨هـ (نجوم جـ٥ ص ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٩٠ ، ١٩١ سيد أمير على ص ٢٨٦) .

(٤٥) ابن الأثير جـ ١٠ ص١٩ .

(٤٦) أتسز بن اوق مقدم الأتراك خوارزمى الأصل ومن أمراء السلطان ملكشاه ، فتح الرملة وبيت المقدس وضايق دمشق وأخرب الشام جمعه فى سنة ٤٦٣هـ - ١٠٧٠م ثم استولى على دمشق سنة ٤٦٨هـ -١٠٧٥م وخطب فيها للمقتدى العباسى ، فلما جاء تتش حاربه واستولى على الشام (نجوم جـ٥ ص ٨٧، ١٠ ، ٢٠١ ، ١٥ ، ابن الأثير جـ ١٠ ص٢٥) .

(٤٧) بعد إستيلاء تتش على فلسطين كانت معظم بلاد الشام تابعة للفاطميين فقد قام بدر الجمالى وزير المستنصر الفاطمى لصده (نجوم حـ٥ ص١٢٨ ، ابن خلدون حـ٤ ص٦٥ ، ٦٦ ، ابن الأثير حـ ١٠ ص ٤١) .

(٤٨) أرتق بك جد الملوك الأرتقية، وكان له جهاد مشكور ضد القرامطة وأخذ بلادهم سنة ٤٧٠هـ - ١٠٧٧م كما ورد فى كتاب له إلى الخليفة المقتدى العباسى ومات بالقدس وخلفه ولداه سقمان (سنة ٥٠٤هـ - ١١١٠م) ، وأيلغازى (ت٥١٦هـ - ١١٢٢م) وهما أول ملوك الأرتقية ظهوراً ،وظل الإقطاع بأيديهم حتى استولى الأفضل بن بدر الجمالى على فلسطين ٤٨٩ - ٤٩٠هـ - ١٠٩٦م ثم الصليبيون سنة ٤٩٣هـ - ١٠٩٩م .

النجوم جـ٥ ص١٠٦ حاشية ١ ، ١١٥ ، ١٢٤ ، ١٥٩ .

(٤٩) كانت تكريت البطائح بينه وبين أخيه بركيا روق .

(٥٠) ابن خلدون جـ٣ ص٤٩٠ ، ٤٩١ ، نجوم جـ٥ ص١٣٤ ، ١٣٥ .

(٥١) قليج أرسلان كان بأرمينية ، وهوابن مسعود بن محمد بن ملكشاه، وتوفى سنة ٥٥١هـ - ١١٥٦م (نجوم جـ٥ ص٣٠٠ ، ٣٢٤ ، ٣٦٢) .

(٥٢) الروضتين ص٢٨ ، نجوم جـ٥ ص٢١٦ ، ٢١٨) .

(٥٣) ابن خلدون جـ٣ ص٤٩٦ ، جهينة الأخبار - مخطوط ورقة ٥ .

(٥٤) النجوم الزاهرة حـ٥ ص ٢٧٩ .

(٥٥) جد الأيوبيين هو شادى من بلد دوين بالعجم وهو من الأكراد الروادية جاء ومعه ولداه :نجم الدين وأسد الدين . والتحق الولدان بخدمة بهروز الخادم (أبوالحسن مجاهد الدين خادم السلطان مسعود السلجوقى الرومى ، صاحب شحنجية العراق من البصرة إلى الموصل إلى أصفهان وكانت تكريت إقطاعا له ، فجعل أيوب دزدار قلعتها أى حافظا لها ، وعلى أثر انهزام زنكى أمام الخليفة المسترشد سنة ٥٢٦هـ - ١١٣١م خدمه أيوب بأن أقام له المعابر فوق دجلة وبالغ فى إكرامه فحفظ له زنكى هذا الصنيع ، ثم خرج أيوب من تكريت على أثر وقوع نشابة فى مملوك بهروز قتلته من غير قصد واستحى نجم الدين من سيده ، خرج ومعه أخوه أسدالدين وتوجها إلى الموصل حيث أحسن إليهما زنكى . (الروضتين ص٩٥- ٩٦ -، ١٢٩ - ١٣٠ وما بعدها ٢١٠ ، شفاء القلوب ورقة ابن شداد ص ٢٦٠ ، نجوم حـ٥ ص٢٧٧ ، ٣٦٧ ، جـ٦ ص٤ ، ٦ مفرج الكروى جـ١ ص ٣ - ٦) .

(٥٦) اصطنع نور الدين الحيلة فى الاستيلاء على دمشق حقناً لدماء المسلمين بأن كره صاحبها

آبق فى أمرائه فكان يقطع الأمير تارة ويقبض عليه تارة حتّى خلت دمشق من الأمراء وحينئذ عجز عن مقاومة نورالدين حين أرسل إليه أسد الدين شيركوه بمساعــدة أخيه نجم الدين أيوب للاستيلاء عليها . وقد ولى صلاح الدين شحنجة دمشق عام ٥٦٠ هـ ، لما برز فيه من صفات النبوغ والكفاءة (نجم جـ ٥ ص٢٧٧ ، ٣١١١ ، ٣٦٧ جـ٦ ص٥ ، ٧١، مفرج الكروب ورقم ٤ ، ابن شداد ص٢٦٠ ، الروضتين ص٩٥ ، ٩٦ ، ١٢٩ ، ٢١٠) .

(٥٧) بزاغة قرية من أعمال حلب وفيها عيون ومياه جارية وأسواق (معجم البلدان) .

(٥٨) الروضتين ص ١٥٢ ، نجوم جـ٥ ص ٢٧٩ و٣٨١ .

(٥٩) تسلم حسان المنبجى مدينة تل باشر كذلك سنة ٥٥٣هـ - ١١٥٨م حين أرسل أهلها يستغيثون بنور الدين فأرسل إليهم حسان فتسلمها وحصنها باسم أستاذه .

(٦٠) أخذها صلاح الدين من ينال وأسره ثم أطلقه ، فتوجه إلى الموصل حيث أقطعه سيف الدين غازى بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكى ، مدينة الرقة ، ودخل بعض أبناء أسرة حسان فى خدمة صلاح الدين (الروضتين ص ٩٧ ، ابن شداد ص ٢٧٢ ، ٢٨٠) .

(٦١) الجهات التى يتكرر ذكرها فى الإقطاع مثل قلعة جعبر والرها وغيرها ،يدل على مناقلاتها من مقطع إلى آخر لأى سبب من أسباب الانتقال (انظر ما يلى) .

(٦٢) كان فخر الدين ابن الزعفرا سيء السيرة فلم يستطع المقام بحمص أو حماه بعد وفاة نور الدين ، وسقطت هذه البلاد جميعها فى يد صلاح الدين حين زحف على دمشق بعد وفاة نور الدين ٥٧٥هـ - ١١٧٤م . (أبو الفداء ص٤٠ ، ٤٥) .

(٦٣) يلاحظ تكرار إقطاع البلد الواحد لأكثر من مقطع ، وهو يدل على انتقال المقطع من جهة إلى أخرى ، وهنا الإقطاع يتضمن معنى الولاية والحكم .

(الروضتين ص٥ ،الذهب المسبوك ورقة ٧٦ ،ابن شداد ص ٢٧٠ ، انظر الفصل الثامن) .

(٦٤) تاريخ بيروت ص ٩٠ وما بعدها ،أخبار الأعيان ص ٢٢٣ ، ٣٢٥ .

(٦٥) بنو الغرب عرب قحطانية تملكوا فى غرب لبنان ، ما عرف باسم بلاد الشف وأملاكهم منذ جدهم بحتر الأول مثبتة بمحاضر شرعية ، وظلت هذه المحاضر حتى القرن التاسع الهجرى ، وخضع كل أمير يظهر سلطانه ، وبذا تمكنوا من المحافظة على أملاكهم ، وأول منشور كتب لهم كان لبحتر بن على عام ٤٥٢هـ - ١٠٤٧م من قبل ظهير الدين طغتكين أتابك دمشق من قبل السلاجقة ، ثم منشور من قبل السلطان مجير الدين آبق من سلالة طغتكين بدمشق سنة ١١٤٧م إلى الأمير بحتر بأن يبقى على رسومه المستمرة فى الضياع المنسوبة إليه فى الغرب باسم والده واسمه ويتناول الأموال الأميرية ويصرفها على الخدمة ... (تاريخ بيروت ص٩٠-٩٤ ، أخبار الأعيان ص ٢٢٣ - ٢٢٤) .

(٦٦) نص المنشور بالملاحق (تاريخ بيروت ص ٤٨ - ٤٩ ، أخبار الأعيان)

(٦٧) كانت هذه العشائر من العرب وغير العرب ،قد نزلت على سواحل الشام فى أزمان مختلفة ،قصد

المرابطة ضد غزوات البيزنطيين والصليبيين البرية والبحرية ، وكان أشهرها عند الفتح العثمانى : آل معن وآل عساف وآل سيفا وآل تنوخ . وقد توزعت الحكم فى لبنان . . (انظر : : بينهم : الحلقة المفقودة فى تاريخ العرب ص ٤٤ وما بعدها) .

(٦٨) ابن خلدون جـ٤ ص ٧٩

(٦٩) الجامكيات أو الجوامك هى الرواتب عامة ، وكانت نفقة المماليك السلطانية عبارة عن جوامك وعليق وكسوة وغير ذلك (السلوك جـ١ ص٥٢، حاشية١ ، صبح الأعشى جـ١٣ص٤٥٧)

(٧٠) الروضتين ص٢١٩

(٧١) السلوك جـ١ ص ٥٢

(٧١) السلوك جـ١ ص٥٢

(٧٢) خطط جـ ١ ص ١٣٩ — ١٤٠

(٧٣) قبائل وقبالات ، جمع قبالة ، وهى الأرض يتقبلها أصحابها ، أى يضمنونها بمبلغ من المال يؤدونه عنها فى كل سنة ، ولكل نوع من الأراضى قطيعة أى ضريبة خاصة تناسب حالـه . (نهاية الأرب جـ٨ ص ٢٤٨ ، أنظر ما يلى)

(٧٤) خطط جـ١ ص ١٣٨

(٧٥) خطط جـ ١ ص ١٥٦

(٧٦) صبح الأعشى جـ ٤ ص ٥٠

(٧٧) خطط جـ٢ ص ١٤١

(٧٨) خطط جـ٢ ص ١٤٠ — ١٤١

(٧٩) أسكن صلاح الدين أباه قصر اللؤلؤة أحد قصور الفاطميين على الخليج ، وكان صلاح الدين تسلمها مع الدور والرباع الفاطمية وباع ما فى هذه القصور ، وملكها أمراءه ، وضرب الألواح على ما كان للخلفاء وأتباعهم من الدور ، وأقطع خواصه منها وباع بعضها ، وقسم القصور بين أسرته ، (ابن شداد ص ٢٦١)

(٨٠) الأخبار السنية ص ١٤٢ .

(٨١) شفاء القلوب ورقة : ١٢ .

(٨٢) الروضتين ص ١٨٤ ، الذهب المسبوك ورقة ٧٦ .

(٨٣) الروضتين : ص ٢٠٩ ، طرخان : العلاقات المصرية النوبية فى العصور الوسطى (بحث تحت الطبع) .

(٨٤) كان لتورانشاه باليمن نائبان هما عز الدين عثمان الزنجيلى ومركزه عدن ، وحطان بن كامل بن منقذ الكنانى من بيت صاحب شيزر ويقيم فى زبيد ، وكانا يحملان إليه الأموال ، ولقب تورانشاه بسيف الإسلام وتوفى فى عام ٥٧٦هـ — ١١٨٠م (ابن شداد ص ٢٧٧ — ٢٧٨ ، السلوك جـ٢ ص ٥٣ ، النجوم الزاهرة جـ٦ ص ١١) .

(٨٥) ذيل ابن شداد ص ٢٧٧ .

(٨٦) نفسه ص ٢٧٦ .

(٨٧) نفسه ص٢٨٧ – ٢٨٨ .

(٨٨) القايات بالمنيا الحالية ومركزها مغاغة وبوش فى بنى سويف (السلوك جـ١ ص٥٨٢ حاشية ١) .

(٨٩) شفاء القلوب ورقة ٤٦ ، السلوك جـ٢ ص٨٢ ، ذيل ابن شداد ص٢٨٨ – ٢٨٩ ، ٣٠٠–٣٠١ ، النجوم الزاهرة جـ٦ ص١١٣ ، ابن الأثير ص٤٠–٤١ ن مجموعة .

(٩٠) النجوم الزاهرة جـ٦ ص٣٠ – ٣١ .

(٩١) تاريخ بيروت ص ٨٠ حاشية ، انظر المكاييل بالملاحق .

(٩٢) شفاء القلوب ورقة – ٦٤ ، ذيل ابن شداد ص٢٧٢ – ٢٨٣ ، ٢٨٨ ، ٣٠١ – ٣٠٣ السلوك جـ١ ق ص٨١ ، ٨٢ ، ٩١ .

(٩٣) السلوك جـ١ ص٨١ – ٨٢ .

(٩٤) نسخة التوقيع بالتفصيل فى الملاحق .

(٩٥) شفاء القلوب ورقة – ١١ ، ذيل ابن شداد ص٣١١ ، نجوم جـ٦ ص٩٩ – ١٠٠

(٩٦) ذيل ابن شداد ص ٣١١ .

(٩٧) ذيل ابن شداد ص ٢٧٥ .

(٩٨) المشطوب من الأمراء النورية، وجده كان صاحب القلاع الهكارية (قرية قريبة من الموصل يسكنها أكراد يقال لهم الهكارية) دخل مع أسد الدين شيركوه مصر فى المرات الثلاث وقد خطب – مع من خطب – الوزارة لنفسه والتقدم على المعسكر على أثر وفاة أسد الدين، كما طمع من هم فى منزلته من الأمراء النورية أمثال عين الدولة الياروقى وقطب الدين خسرو بن تليل وابن أخى أبى الهيجاء الهدبانى صاحب أربل ، وبعد سلطنة صلاح الدين، أقام المشطوب بالشام حتى توفى بالقدس سنة ٥٨٨هـ (١١٩٢م) – (الروضتين ٥٢ ، ذيل ابن شداد ص٣٠٤–٣٠٥) ، (نجوم جـ٦ ص١٦ ، ١٧ ، ٤٤ ، ٨٦ ، ١١٧ ، ١١٩)

(٩٩) وربما غضب عماد الدين بن المشطوب من ذلك ، فخرج فى فتنة فيما بعد أيام الكامل لعزله وتمليك أخيه الفائز إبراهيم ، وذلك فى سنة ٦١٥هـ (١٢١٨م) (سلوك جـ١ ص١٩٦ ، الفتح القسى ص ٣٠٣) .

(١٠٠) انضم أبو الهيجاء السمين إلى العادل فى نزاعه مع العزيز على أثر عزله عن ولاية القدس فى سنة ٥٨٩هـ (١١٩٣م) ثم دخل بغداد فى سنة ٥٩٣هـ (١١٩٦ م) وصار من جملة أمراء الخليفة الناصر (٥٧٥هـ – ٦٢٢هـ – ١١٨٠ – ١٢٢٥م) وتوفى بالشام سنة ٥٩٤هـ – ١١٩٧م (ذيل ابن شداد ص ٢٨١ ، نجوم جـ٦ ص١٢٣ – ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٤١ ، ١٤٥) .

(١٠١) ذيل ابن شداد ص ٣١١ .

(١٠٢) أخبار الأعيان ص ٢٢٥ – ٢٢٦ .

(١٠٣) ذيل ابن شداد ص٢٧٢ ، ٢٨٣ ، نجوم جـ٦ ص٣٠ – ٣١ ، ٤١ ، ١١٣ .
(١٠٤) ذيل بن شداد ص٢٨٢ – ٢٨٣ .
(١٠٥) ذيل ابن شداد ص ٢٨٠ ، نجوم جـ٦ ص٩٤ ، أبوالفدا ص٥٢ .
(١٠٦) ذيل بن شداد ص٢٨٠ .
(١٠٧) أبو الفدا ص٥٢ « انظر ما سبقه »
(١٠٨) الفتح القسى ص٩٦ ، ١٢٠ . . .

(١٠٩) ساعد مسعود بتقديم النفط الأبيض والرماح والتراس للسلطان فى سنة ٥٨٥هـ – ١١٨٩م وأرسل ابنه بالعساكر – من توجه من « الأكابر » فى سنة ٥٨٦هـ – ١١٩٠م وجهز عماد الدين ابنه قطب الدين بمدد لم يكن السلطان بحاجة إليه فى ذلك الوقت ، فلما رده السلطان أسف برغم كتاب الشــهر الذى عاد به قطب الدين من السلطان . . . وقد خرج بعض أولئك الأبناء من السلالة الزنكية على أبناء صلاح الدين بعد وفاته فى سنة ٥٨٩هـ – ١١٩٣م مثل عز الدين أتابك مسعود بن مودود بن زنكى صاحب الموصل وأخيه عماد الدين بنصيبين ، فجاهدهم الملك الأفضل مع أفراد بيته وأعاد الأمن إلى البلاد (الفتح القسى صفحات : ٩٦ ، ١٢ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٨٦ – ١٨٨ ، ٣٣٢ – ٣٣٤) .

(١١٠) المعروف أن العرب الذين جاءوا إلى مصر مع الفتح العربى الإسلامى لها ، قد انقرض أغلبهم ، ومن القبائل الباقية : بنو سعد من جذام ، وهؤلاء اختلطوا بالمصريين وحازوا المزارع ، وأكثرهم مشايخ البلاد وخفراء ، غير أنهم كثيرو الفتن والفساد وتمتد مساكن هؤلاء من ميت غمر إلى زفتى وإليهم ينسب الوزير الفاطمى شاور بن مجبر السعدى ، وعندما قدم أسد الدين شيركوه إلى مصر ، كانت القبائل العربية المشهورة بمصر فى ذلك الوقت : جعفر وطلحة وبلى وجهينة وجذام وشيبان وعذرة وحنيفة ومخزوم . وفى سجلات الدولة الفاطمية عدة آلاف من العربان ، والملاحظ أن جذام من قدماء عربان مصر ، فقد جاءوا مع عمرو بن العاص ، ولهم عدة إقطاعات . (الأعراب – مخطوط – ورقة ٨٧ – ٩٠) .

(١١١) نوب : لعلها المعروفة زمن المماليك باسم نوب ومنية غراب البطط بالأعمال الشرقية . لا توجد بلدة بهذا الاسم فى الوقت الحاضر . (التحفة السنية ص٤٥ ، الدليل الجغرافى لمصلحة المساحة) .
(١١٢) التعريف ص٧٧ .
(١١٣) البرامون : لم تزل موجودة ومعروفة بهذا الاسم وهى قاعة لمركز المنصورة بالدقهلية وعرفت فى عصر المماليك باسم البرامونين بنفس الاقليم الذى كان يطلق عليه وقتئذ (الأعمال الدقهلية والمرتاحية) ، (الدليل الجغرافى – التحفة السنية ص٤٦) .

(١١٤) سنبارة : تعرف حاليا باسم سنابارة مركز بيلا بالغربية . وعرفت فى العصر المملوكى باسم سنبارة (الدليل الجغرافى – التحفة ص ٨٠) .

(١١٥) برشوط : عرفت بهذا الاسم فى العصر المملوكى بأعمال البحيرة وكان للعربان بها إقطاعات ،ولا توجد بلدة بهذا الاسم حاليا (الدليل الجغرافى - التحفة السنية ص١٢٣ ،) .

(١١٦) تل محمد : يتبع حاليا مركز ههيا بالشرقية بعد أن كان تابعاً لمركز كفر صقر ، وعرف بهذا الاسم فى العصر المملوكى (الدليل الجغرافى - التحفة السنية ص٢٨ ، قاموس جغرافى للقطر المصرى أصدرته إدارة التعداد التابعة لنظارة المالية ١٨٩٩م) .

(١١٧) الأعراب ورقة ٩٠ .

(١١٨) النجوم الزاهرة جـ٦ ص٤٢ حاشية -٣ .

(١١٩) النجوم الزاهرة حـ٦ ص٤٢ - ٤٣ .

(١٢٠) الأخبار السنية ص ٢٨٠ .

(١٢١) توفى صلاح الدين بدمشق فى ٢٧ صفر سنة ٥٨٩هـ (١١٩٣م) وخلف سبعة عشر ولداً وبنتاً صغيرة . (ذيل شداد ص٣٠٨ وما بعدها - نجوم جـ٦ ص٦٢) .

(١٢٢) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ص٣٥٠ - ٣٥١ .

(١٢٣) الفتح القسى ص٣٢٦ - ٣٣٢ ، ذيل ابن شداد ص ٣٠٨ - ٣١١ ، النجوم الزاهرة جـ٦ ص٦٢ - ٦٣ ، ١٠٣ ، ١٢١ ، ابن الأثير ص٧٥ - ٧٧ .

(١٢٤) انظر الملاحق .

(١٢٥) النجوم الزاهرة جـ٦ ص١٣٧ - ٢١٩ ، السلوك جـ١ ص١٢١ .

(١٢٦) السلوك جـ ١ ص ١٣٦ .

(١٢٧) النجوم الزاهرة جـ٦ ص١٢٠ ، ١٢٦ ، تاريخ بيروت ص٥٢ - ٥٣ ، أخبار الأعيان ص٢٢٦ .

(١٢٨) لم يهتم أمراء الغرب بالمشاكل المحيطة بهم كالخطر الصليبى ، والخطر المغولى ، ثم النزاع بين الأمراء ، إلا بقدر ما يحقق لهم فائدتهم ، فمثلا نجد جمال الدين حجى بن نجم الدين محمد ابن جمال الدين حجى بن كرامة ،يستقر على إقطاعات أبيه بمنشور من الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز محمد بن غازى بن صلاح الدين وكان ملكاً على حلب ودعاه أهل دمشق لولاية مدينتهم سنة ٦٤٨هـ - ١٢٥٠م ، ثم جدد له المنشور فى سنة ١٢٥٦م بجهات متفرقة ، منها : عرمون ، عين درافيل ، طرد لا ، عين كسور ، رامطون وقدرون ، مرتغون ، السياحية ، سرخمور والدوير وغيرها (أخبار الأعيان ص٢٢٧) .

(١٢٩) تاريخ بيروت ص٥٧ - ٥٨ ، انظر الملاحق .

(١٣٠) تاريخ بيروت ص٥٦ - ٥٧ ، انظر الملاحق .

(١٣١) ويتضح مدى تذبذب هؤلاء الأمراء بين الغالب والمغلوب أو حتى بين من قد عساه يغلب وينتصر ومن قد ينكسر أو يهزم ، حين استعد السلطان قطز لصد التتار فى عين جالوت (٦٥٨هـ - ١٢٦٠م) ،من هذا الانقسام الذى انقسم إليه أمراء الغرب،فقد انضم زين الدين صالح إلى العسكر المصرى ، ثم حاول الاتصال بكتبغا نائب هولاكو بالشام كما فعل جمال الدين حجى ، ولكنه رأى استعداد قطز لسحق التتار ، فرأى الاثنان أن يبقى أحدهما مع التتر فى حين ينضم الآخر إلى العسكر المصرى ، فكان زين الدين بجانب قطز ، وجمال الدين بجانب هولاكو ، وهذا « ليكون أى من انتصر من الفريقين كان أحدهما معه ، فيسد خلة رفيقه وخلة بلاده ، قصدا بذلك إصلاح

الحال» ولهم مناشير من المماليك (تاريخ بيروت ص٤٨ – ٩٠ وحواشيها ثم ص٣٣٧وما بعدها أخبار الأعيان ص٢٢٧ ، انظر الملاحق . . عن أحوال آل تنوخ ونهايتهم فى النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادى خلال العصر العثمانى، وانظر بينهم الحلقة المفقودة فى تاريخ العرب ص ٤٧ – ٤٧) .

(١٣٢) النجوم الزاهرة ج٦ ص١٢٢ – ١٢٤ ز ١٢٩ ز ١٣١ ز ١٤١ ، ١٤٣ ،

(١٣٣) سلوك ج ١ ص١٢٩ .

(١٣٤) نجوم ج٦ ص١٨٩ .

(١٣٥) سلوك ج ١ ص ١٥٢ .

(١٣٦) النجوم ج٦ ص١٣٠ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٨٧ ، ١١٢ .

(١٣٧) شفاء القلوب ورقة ٦٢ .

(١٣٨) شفاء القلوب ورقة ١٠٨ ، كامل التواريخ ص ١٦٢ – ١٦٥ ، النجوم الزاهرة ج ٦ ص١٦٣ – ١٧٢ .

(١٣٩) أخبار الأعيان ص ٢٢٦ – ٢٢٧ .

(١٤٠) كانت مساحة القلعة ٦٠ فدانا تقريباً عرفت باسم قلعة الجزيرة أو قلعة الصالحية أو قلعة جزيرة الفسطاط أو قلعة المقياس ، وأسس هؤلاء المماليك الدولة المملوكية بمصر والشام . (سلوك ج١ ص٣٦٨ – ٤٣٦ ، ٦٣٣ ، النجوم ج٦ ص٣٢٠ ، حاشية–٣ ، ٣٣١ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ حاشية – ١) .

(١٤١) سلوك ج١ ص٣٣٩ – ٣٤٠ .

(١٤٢) الدكتور زيادة : بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ المماليك (مجلة كلية الآداب م٤ ج١ مايو ١٩٣٦ (ص٧١ – ٧٤) .

(١٤٣) انظر زيادة : حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة ص١١٦ وما بعدها ، ص١٦٥ وما يليها .

(١٤٤) السلوك ج١ ص٣٣٣ ، ٣٣٦ ، ٣٣٩ ٣٤٣ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

(١٤٥) انظر فى أخبار الحروب الصليبية : Runciman : A. Hist. of The Cru- -sades Vols, I, II, III; Richard, J. Le Royaume Latin de Jerusalem; Baldwin, M. (Ed.) : The First Hundred Years (A Hist. of The Crusades, Vol. I).

(١٤٦) باركر (الترجمة العربية) للدكتور الباز ص٦٥ – ٧٢ .

(١٤٧) انظر وراجع للنظام الإقطاعى الغربى عامة : (المراجع الأجنبية حاشية ١٤٥) .

(١٤٨) انظر : المعجب ص٣٣ – ٤٠ ، ابن الأثير ج٩ ص١٢ – ١٣ ، نفح الطيب ج٢ ص٣٠٤ – ٣٠٩ ، ج٤ ص ٦٦ ، على ج٢ ص٢٧١ – ٢٧٣ .

الفصل الثاني

السلاطين المماليك والإقطاع

الأرض للسلطان وجنوده – أقسام الأراضى – القاعدة العامة فى التوزيع الإقطاعى – الأسباب العامة فى التوزيع الإقطاعى : تغير السلطان – عرض الجيش – الحاجة إلى المـــال وحل بعض الأوقاف الإسلامية والذمية وإقطاعها – اتساع رقعة الأرض – إقطاع التمليك – الأسباب الثانوية فى التوزيع الإقطاعى – قدوم لاجئ سياسى – هواية السلطان وشرهه – المراعى والمعادن وإقطاعها – إقطاع المكوس–إقطاع الهدية والضيافة والزكاة –الجزية وإقطاعها .

يعتبر عصر السلاطين المماليك (١٢٥٠ – ١٥١٧م) ، العصر الذى اكتملت فيه النظم الإقطاعية الحربية فى الشرق الأوسط ، فقد نشأ المماليك فى هذا النظام زمن الأيوبيين وأقاموا دولتهم الإقطاعية الكبرى على أنقاض دولة أساتذتهم من الأيوبيين[١] .

واعتبرت الأرض ملكاً للسلطان وجنوده ، وهو الاعتبار الذى وضح زمن السلاجقة . يقول نظام الملك وزير ملكشاه السلجوقى : «أرض المملكة وسكانها ملك للسلطان»[٢] وذكر المقريزى وابن إياس ، أن أرض مصر زمن المماليك ، كانت تنقسم إلى سبعة أقسام ، هى :

١ – قسم يجرى فى ديوان السلطان ، وهو ثلاثة أقسام :

(أ) منه ما يجرى فى ديوان الوزارة .

(ب) ما يجرى فى ديوان الخاص .

(ج) ما يجرى فى الديوان المفرد .

٢ – قسم أقطعه السلطان للأمراء والجند .

٣ – قسم جعل وقفاً على الجوامع والمدارس والخوانك وعلى البر وعلى ذرارى واقفى تلك الأرض وعتقائهم .

٤ – أرض الأحباس ، وتجرى أرضها بأيدى قوام يأكلونها ، إما عن قيامهم بمصالح مسجد أو جامع ، وإما يكون لهم ، فى مقابل عمل .

٥ – ملك يباع ويشترى ويورث ويوهب لكونه اشترى من بيت المال .

٦ – قسم لايزرع للعجز عن زراعته ، فترعاه المواشى أو ينبت فيه الحطب ونحوه .

٧ – قسم لا يشمله ماء النيل ، فهو قفر ، ولا يزال كذلك ، ومنه ماكان عامراً ثم خرب[٣] .

*

ومع وضوح اقتصار الإقطاع على القسم الثانى ، فى هذا التقسيم؛ إلا أن جميع الأقسام الأخرى رغم مسمياتها المختلفة ، تعرضت للتوزيع الإقطاعى فى أوقات مختلفة . فمثلا القسم الأول ، ويشمل البلاد والإيرادات المخصصة للنفقة على الدواوين السلطانية ، هذه تسمى إقطاعات ، فديوان الخاص هو المشرف على الخاص الشريف وهو الإقطاع السلطانى ، وهناك ماعرف باسم إقطاعات الديوان المفرد وهكذا .

يقول القلقشندى : كانت البلاد بجملتها جارية فى الدواوين السلطانية وإقطاعات الأمراء وغيرهم من سائر الجند ، إلا النزر اليسير مما يجرى فى وقف ملوك مصر على الجوامع والمدارس والخوانق ونحوها ، مما لايعتد به لقلته[٤] .

والقاعدة العامة فى التوزيع الإقطاعى ، وحدتها «القيراط» ، إذ كان خراج مصر يقسم إلى أربعة وعشرين قيراطاً ، توزع أجزاؤها على القرى توزيعاً متناسباً مع طاقتها ، وتعرضت مقادير الخراج سواء فى مجموعها الكلى أم فى الأجزاء الموزعة على القرى ، لكثير من التعديل[٥] .

وفى عصر المماليك ، اختص السلطان بأربعة قراريط « للكلف والرواتب وغيرها » ، على حين أفرد عشرة قراريط للأمراء والإطلاقات أى المنح والزيادات . أما العشرة الباقية فهى للتوزيع بين الأجناد[٦] .

وطبقت وحدة القيراط كذلك على جزئيات الخراج المقرر على بعض القرى ، فمثلا : بلدة دبيج بالشرقية ومساحتها ٢٨٦فداناً ، كان المقرر عليها ٨٠٠ دينار ، لديوان الذخيرة قيراطان والباقى للعربان[٧] .

والأراضى المقطعة ثلاث درجات من حيث الرى والخصوبة ووفرة الإنتاج، اختص السلطان وكبار أمرائه، على قدر منازلهم؛ بأجود هذه الأراضى ؛

فمنهم من اجتمع له نحو العشرة بلاد منها ، ويسمى القلقشندى هذا النوع من الأراضى (البلاد النفيسة الكثيرة المتحصل)[٨] ، أما المتوسطة الجودة ، فتقطع للمماليك السلطانية ، سواء انفرد الواحد منهم بجهة خاصة أو اشترك مع غيره . ويلى ذلك أرض الدرجة الثالثة ، وهـــذه تقطع لأجناد الحلقة والعربان والتركمان (من أرباب الإدراك وملتزمى خيل البريد وغيرهم)[٩] .

على أن الإقطاعات لم تقتصر على مختلف أنواع الأراضى بل تعدتها إلى جميع موارد الدولة ، ومصداق ذلك قول القلقشندى (المعاصر للمماليك) « صارت الإقطاعات ترد من جهة الملوك على سائر الأموال ، من خراج الأراضى والجزية وزكاة المواشى والمعادن والعشر وغير ذلك ، ثم تفاحش الأمر وزاد ، حتى أقطعوا المكوس على اختلاف أصنافها »[١٠] .

ظل الإقطاع فى عصر المماليك شاملا لهذه الموارد المختلفة ، حتى مسح الناصر محمد بن قلاوون البلاد أو «راكها»[١١] فى المصطلح ، وأبطل عدة مكوس وقصر الإقطاع على الأراضى والبلاد[١٢] . على أن ذلك لم يستمر من بعده ، ومن هذه أقطع السلطان ، وهو رأس الإدارة الاقطاعية ، لنفسه ولأعوانه الأراضى الواسعة أو المدن بخراجها ولواحقها ، مثال ذلك أقطع السلطان أيبك التركمانى فى سنة ٦٥١هـ — ١٢٥٣م الأمير فارس الدين اقطاى المستعرب الصالحى، ثغر الإسكندرية بناء على طلبه ، وكتب له بذلك منشوراً وهذا بالإضافة إلى مابيده من إقطاع كبير[١٣] ، والأمير أيدغدى العزيزى دمياط زيادة على إقطـــاعه ، وارتفاعها يومئـــذ ثلاثون ألف دينار[١٤] . وأقطع السلطان قطز الأمير بيبرس فى سنة ٦٥٧هـ = ١٢٥٨ م قليوب وأعمالها وذلك قبيل رحيله إلى حرب التتر[١٥] .

على أن هناك أسباباً عامة للتوزيع الإقطاعى ، أهمها عند قيام سلطان جديد ، فيعمل على تدعيم عرشه حتى ولو اقتضى ذلك مجاملة سلفه المعزول ، سيما وأن تغير الســـلطان يقترن فى معظم الأحوال بكثير من إحداث الفتن والمنافسة ، فلابد لولى الأمر الجديد من إجراء حركة توزيع ومناقلات ،

أو زيادة أو عزل، بمعنى مانعرفه اليوم باسم « حركات التطهير للإدارة الحكومية » والقياس هنا مع الفارق دائما فى التاريخ، وربما لجأ السلطان إلى عرض الجيش فى الوقت الذى يختاره لإبعاد العاجزين عن العمل والمشكوك فى ولائه ومكافأة العاملين .

كذلك عند حاجة السلطان إلى المال لإعداد الجيوش وقت الحرب أو استجابة لرغبته فى الانتقام من بعض منافسيه ، وفى مثل هذه الحالات ، وقع الاعتداء على الأوقاف الإسلامية والذمية بالحل والإقطاع .

وإذا اتسعت رقعة الأراضى بالفتح الخارجى أو بالإصلاح والعمارة للأراضى البور ، وزع السلطان هذه الأراضى الجديدة إقطاعات ، ومن هذا التوزيع ماكان تمليكاً ، وبجانب هذه الأسباب العامة ، هناك أسباب ثانوية خاصة لهذا التوزيع ، مثل قدوم طارىء لاجىء من أصحاب السلطة والمكانة فى بلده ، ويعبر عن هؤلاء فى لغة العصر باسم « الوافدية » أى الوافدين من الخارج ، وهم اللاجئون السياسيون فى المصطلح الدولى الحديث ، واقتضت التقاليد توفير الحياة الملائمة لهؤلاء من باب الشهامة والنخوة ، فضلا عن الأخوة بين أصحاب السلطة ، وإقطاعهم هو الوسيلة المألوفة يومئذ ، وربما أعجب السلطان بهدية قدمت إليه ولا سيما إذا وافقت الهدية هوى فى نفسه ، فإنه يمنح الإقطاعات نظيرها ، ومن عوامل توزيع الإقطاعات كذلك، شره السلطان إلى الحصول على المال ، فيمنح الإقطاعات نظير مبالغ من المال ، وهى أقرب ما تكون إلى بيع الإقطاعات .

تلك هى الأحوال التى وقع فيها التوزيع الإقطاعى فى عصر المماليك ، ومن أمثلتها ما حدث سنة ٦٧٨ هـ — ١٢٧٩ م حين اتفق الأمراء على خلع السعيد بن بيبرس من السلطنة وتعيين أخيه سلامش بدله ، إذ أقطع الأمراء السلطان المخلوع بلاد الكرك والشوبك وأعمالها(١٦) وحين نزل الناصر محمد عن السلطنة سنة ٧٠٨ هـ — ١٣٠٨م وتولاها بيبرس الجاشنكير ، كتب

الحاشنكير للناصر تقليداً[١٧] بالكرك ، ومنشوراً[١٨] بماعين له من الإقطاعات ؛ وهى إقطاعات مائة فارس[١٩] .

أما السلطان الجديد ، كائناً من كان ، فيقوم عادة بإجراء توزيع ومناقلات بين أمرائه ليدعم مركزه ، وليضمن ولاء من حوله ، ولا سيما الذين أعانوه وأخلصوا له ، ومن ناحية أخرى ليبعد عنه من يخشى بأسهم ، ومثال ذلك بيبرس البندقدارى بعد توليته السلطنة على أثر مقتل السلطان قطز سنة ٦٥٩ هـ — ١٢٦٠ م ، فإنه أبعد سنجر بن عبد الله الصيرفى وهو « من أعيان الأمراء بمصر » وممن يخشى جانبه ؛ فأخرجه إلى دمشق ليأمن غائلته ، وأقطعه بها ، « خبزاً » جيداً ، فأقام فيها حتى مات سنة ٦٦٩ هـ — ١٢٧٠م[٢٠] وأخذ كتبغا ، الذى تولى السلطنة بعد عزل الناصر فى سنة ٦٩٤ هـ — ١٢٩٤م ؛ يقرب « خداشيته » وينعم عليهم بتقادم الألوف و بالإقطاعات السنية[٢١] ولما تولى السلطان شعبان العرش سنة ٧٦٤ هـ — ١٣٦٢ م ؛ خلع على الأمراء وفرق الإقطاعات على طائفة من المماليك ، وجعل منهم أمراء طبلخاناه وأمراء عشرات ، كما أنفق على العسكر[٢٢] ، وكذلك فعل الملك المنصور محمد حفيد الناصر محمد بن قلاوون عند توليته العرش سنة ٧٧٢ هـ — ١٣٧٠ م ، إذ أفرج عن المسجونين من الأمراء ومنهم : طاز الناصرى نائب حلب ، وأقتمر عبدالغنى وقطلوبغا المنصورى وغيرهم ، فحضروا وصعدوا إليه بالقلعة حيث خلع عليهم ورفعهم إلى « تقادم الألوف » كما وزع عليهم الإقطاعات[٢٣] ، ثم إن السلطان على بن شعبان ، أنعم فى سنة ٧٧٨هـ — ١٣٦٧ م على الأمير طشتمر المحمدى الشهير باللفاف وجعله أمير مائة بعد أن كان أمير عشرة وعينه « أتابكا للعسكر » أى قائداً عاماً ، وعبر ابن إياس عن هذه الطفرة بقوله : « فبقى أتابك العساكر فى يوم واحد » ورفع السلطان على بن شعبان فى هذه المناسبة كثيراً من الأمراء إلى أمريات طبلخاناه مثل : — تمريغا البدرى وعلى بن اقتمر عبد الغنى ، وأمريات عشرات مثل : اقبغا السيفى يلبغا وسودون العثمانى وغيرهما ، ومما أخذ على السلطان

برقوق[٢٤] (٧٨٤-٨٠١هـ = ١٣٨٢ - ١٣٩٨م) فى مثل هذا الصدد ، إعطاؤه إمرة مائة فارس وتقدمة ألف لقريبه الأمير قجماس وهو غتمى[٢٥] لا يحسن التلفظ بالشهادتين ، حتى أن موظفى ديوانه كانوا يدخلون عليه (فيجدون الفقيه يعلمه الشهادة وقراءة الفاتحة وهو كالتيس بين يدى الفقيه[٢٦]) ، وبدأ السلطان قايتباى سنة ٨٧٢ هـ - ١٤٦٧م « بتفريق الأقاطيع » على الجند وكان أكثرهم أينالية ، وآمر جماعة كثيرة حتى رضوا[٢٧] « وحين تولى ابنه محمد السلطنة فى سنة ٩٠١ هـ - ١٤٩٥ م فرق جملة أقاطيع » كانت فى الذخيرة من أيام أبيه ، وكانت نحواً من ألف إقطاع ، على المماليك جميعاً ما بين أقاطيع ورزق وغير ذلك[٢٨] » وبلغ حرص السلطان جان بلاط على مكافأة الموالين له قبل فوات الأوان ، أنه كتب سنة ٩٠٦ هـ - ١٥٠٠م وثائق الإقطاع بغير أسماء ووزعها على عساكره ، وذلك حين خرج طومان باى عليه بالشام وأعلن نفسه سلطاناً بدمشق ثم قدم لمحاربته بمصر ، وتحققت مخاوف جان بلاط بخلعه فى تلك السنة[٢٩] .

ومن الوسائل العامة العادية الكثيرة الوقوع فى عصر المماليك ، فى التوزيع الإقطاعى ؛ ماهو معروف بعبارة « عرض الجند » ، يلجأ أولو الأمر لهذه الوسيلة لقطع العاجز والمشكوك فى ولائه من أصحاب الإقطاعات أو « الأخبار » ، واستخدام غيرهم فضلا عن توفير بعض الإقطاعات للخزانة .

ففى سنة ٧٤١هـ - ١٣٤٠ م أمر الناصر محمد بن قلاوون ، بطلب أجناد الحلقة من الأقاليم ليعرضهم بحضرته ، وتولى عملية العرض الأمير برسبغا الحاجب ، فى القلعة بالإيوان ؛ فكتب أوراقاً « بعبرة كل خبز » أى بمتحصل كل إقطاع من الخراج ، كما فتش على ملابس الأجناد ، وشملت هذه الأوراق كذلك ، أسماء أصحاب المرتبات من الأجناد ، على مدينة بلبيس وبساتينها وحوانيتها ؛ وأسماء الأجناد المقطعين على (الحكورة)[٣٠] كما قيدت

إيرادات (المعادى)[٣١] ببولاق وجهات النطرون ، انتهت هذه الحركة بقطع (الزمنى والعميان والضعفاء وأرباب العاهات » من أولئك الأجناد ، كما قطع جماعة كبيرة من « المشايخ والمحارفين » [٣٢] ، وفرق بعض إقطاعاتهم على أمرائه المقربين أمثال الأمير الطنبغا الماردينى والأمير بشتاك[٣٣] ، كما وزع البعض الآخر على المماليك السلطانية أرباب الحوامك[٣٤] ، واستبقى الناصر جزءاً من هذه الإقطاعات « للوافدية » الذين يفدون من الخارج ، ثم أدخل ما توفر من الإقطاعات فى بيت المال[٣٥] . وكان الأجناد يكرهون هذه الحركة كلما أمر بها سلطان من السلاطين ، نظراً لما يحدث فيها من الحرمان أو الإنقاص ، لذلك احتالوا بشتى الوسائل لكى يصرفوا السلطان عنها ، وآية ذلك ما حدث فى عهد السلطان برقوق ، حين أمر بعرض أجناد الحلقة فى سنة ٧٨٩ هـ — ٧٩٠ هـ (١٣٨٧—١٣٨٨م) وأرسل البريد إلى الأقاليم بطلب الأجناد ، كما دار النقباء عليهم ليكون العرض فى يوم معين ، فانتهز الأمراء الاحتفال بالمولد النبوى قبل ذلك ؛ وسعوا إلى الشيخ سراج الدين البلقينى[٣٦] والشيخ برهان الدين بن جماعة[٣٧] ، وهما موضع ثقة السلطان ، فتكلما معه لإبطال العرض ، لأن الجند فى « شدة عظيمة » فقبل السلطان شفاعة الشيخين وأبطل العرض[٣٨] . وقد تدعو الحاجة إلى المال ليس لمجرد شره ولى الأمر فحسب ؛ بل لضرورات ماسة كالحرب وما تستلزم من نفقات لإعداد الجيوش وتجهيزها ، فضلا عن الرغبة فى الانتقام من بعض ، وفى مثل هذه الأحوال وقع الاعتداء على الأوقاف والرزق الأحباسية عامة .

ومثال ذلك ما فعله السلطان الناصر محمد ، على أثر عودته إلى سلطانه الأخيرة فى عام ٧٠٩ هـ — ١٣٠٩م ؛ فقد استولى على الأوقاف التى أوقفها بيبرس الجاشنكير (ت ٧٠٩ هـ — ١٣٠٩م) على الخانقاه التى بناها ؛ وهى « الخانقاه المظفرية بيبرس » ووزعها إقطاعات [٣٩] ، وحين راك الناصر محمد البلاد روكا عاماً فى سنة ٧١٥هـ —١٣١٥م[٤٠] ، ارتجع الرزق[٤١] من هذه الأوقاف

من واضعى اليد عليها وأخرج ما هو باسم بيبرس الجاشنكير وسلار وبرلغى وإلجوكندار وغيرهم من أصحاب الجاشنكير ، ولم يدع من ذلك شيئاً مما أوقفه حتى حله وجعل الجميع إقطاعات[٤٢] ، وفى عهد السلطان على بن شعبان، استدعى الأمير برقوق – وهو وقتذاك كبير الأمراء – جميع القضاة وشيوخ العلم سنة ٧٨٠هـ – ١٣٧٨م، وتحدث معهم فى حل الأراضى الموقوفة على المساجد والمدارس والخوانق والزوايا والربط وعلى أولاد الملوك والأمراء وعلى الرزق الأحباسية ، وجهزت أوراق بما وقف من أراضى مصر والشام وبما تملك منها ومبلغها ، فى السنة ، فوجده مبلغاً ضخماً ، وبرر برقوق مشروعه بأن هذا الوضع هو الذى أضعف جيش المسلمين ، فاعترض شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى ، غير أن الأمر انتهى بإخراج عدة أوقاف وتوزيعها إقطاعات[٤٣] ، ووقعت مثل هذه المحاولة سنة ٨٠٣هـ – ١٤٠٠ م فى عهد السلطان فرج ، وذلك بمناسبة إنذار تيمورلنك بالزحف على مصر ، فاجتمع مجلس المشورة للبحث فى جمع الأموال المطلوبة لإعداد الجيوش ، ومن المسائل التى طرحت للبحث « ارتجاع الأوقاف وإقطاعها لمن يستخدم من البطالين » ، فاعترض القاضى الحنفى جمال الدين المالطى بقوله : « القدر الذى يتحصل منها قليل جداً ، والأجناد البطالة لا يستنصر بهم إلا مع من غلب ، ووظيفتهم النهب » . فانفض المجلس على ذلك[٤٤] وفى سلطنة فرج الثانية ، خرج الأمير جكم العوضى نائب حلب سنة ٨١٠ هـ – ١٤٠٧م وتسلطن بحلب (وباس له الأمراء الأرض وتلقب بالملك العادل ، ووضع يده على البلاد الشامية إلى الفرات » ، ولحاجته لتقوية جنده : « أخرج أوقاف الناس وجعلها إقطاعات وفرقها مثالات على عسكر حلب[٤٥] » ، ويبدو أن بعض الأمراء مدوا أيديهم إلى الأوقاف ، يدل على ذلك أن القاضى برهان الدين ابن أبى البقاء أرسل إلى حاجب الحجاب أقبغا الكوكانى يلفت نظره إلى الوقف المقطع فى حوزته ويطلب منه التعويض عنه ، فأجاب الكوكانى : إن السلطان أقطعنى هذا ، ولما اجتمع به القاضى فى القاهرة أعرض القاضى عنه ،

فأكب أقبغا على يد القاضى ، فلم يلتفت إليه ، وهنا قال الحاجب : ما ذنبى ، قال القاضى : ثبت عندى فسقك ، وشرح له الموقف ، فأظهر أقبغا التوبة والاستغفار ونزل فى الحال إلى بيت القاضى والمنشور معه ، وقال : خذ هذا الإقطاع كله وتصرف فيه كيف شئت ، غير أن القاضى قال : نقتصر على الشىء الموقوف(٤٦) .

وتعرضت الرزق الأحباسية الذمية كذلك للحل والإقطاع فى أثناء بعض الأزمات السياسية أو الاجتماعية ، ويدل على ذلك أنه فى سنة ٧٥٥ هـ – ١٣٥٤م رسم السلطان صالح بن محمد بن قلاوون بإحصائها ، سواء ما كان منها مفرقاً فى إقطاعات الأمراء ، أو قائماً بذاته فى جهات معينة بأرض مصر ، فبلغت نحو ٢٥ ألف فدان ، موقوفة على الكنائس والأديرة ، فأنعم بالموجود منها فى إقطاع كل أمير على صاحب الإقطاع ، كما أعطى جماعة الفقهاء بعضاً منها(٤٧) ، وتكررت عملية الحل والإقطاع لهذه الرزق فى عهد السلطان حسن وأتابكية الأمير صرغتمش . إذ رفعت قوائم للأتابك من ديوان الأحباس سنة ٧٥٩هـ – ١٣٥٧م فوجد فيها عدة حصص جارية على منافع الكنائس والديور ، وحينئذ حنق الأمير صرغتمش ، وتوجه من فوره إلى السلطان بالقلعة وتشاور معه فى حلها وإخراجها « من يد النصارى » وانتهى الأمر بإقطاعها للأمراء زيادة على إقطاعهم .

الخلاصة أن الأوقاف على أنواعها تعرضت للحل والإقطاع مرات كثيرة خلال عصر المماليك برغم معارضة الفقهاء ، وبرغم شروط الواقفين ، ويبدو أن ابن إياس أراد الدفاع عن سلاطين المماليك عامة حين قال : (إن الرزق الأحباسية ما تعرض لها أحد من سلاطين مصر ولا أخرج منها شيئاً عن أصحابها ولا ضيقوا عليهم بسبب ذلك(٤٨)) مع العلم أنه تحدث عن إقطاع الوقف(٤٩) فى أكثر من موضع من كتابه ، ولعله ذكر هذه العبارة بعد استيلاء العثمانيين على مصر ، ليسند إليهم الانفراد بحل هذه الرزق وإدخالها فى الذخيرة ، نظراً لحزنه على زوال دولة المماليك(٥٠) .

إما إذا اتسعت رقعة الأرض سواء أكان بالفتح الخارجى أم بإصلاح الأراضى البور ، وزعها ولى الأمر إقطاعات بين أمرائه وأجناده ، وسار المماليك على هذه القاعدة حسب أصول شرعية[٥١] ، مثال ذلك إقطاع السلطان قطز بلاد الشام لزملائه من الأمراء الصالحية والمعزية[٥٢] ، على أثر هزيمة المغول سنة٦٥٨ هـ — ١٢٦٠م فى واقعةعين جالوت بفلسطين ، وبعد انتصار بيبرس على الصليبيين بالشام سنة ٦٦١هـ — ١٢٦٢م « أمّر » جماعة فى الشام والساحل[٥٣] ، وأجرى بيبرس التوزيع على هذا النحو الذى يصور هذه العملية أحسن تصوير ، ذلك أنه أحضر فخر الدين محمد بن حنا وزير الصحبة ، وجماعة من كتاب الدرج بديوان الإنشاء[٥٤] على رأسهم فخرالدين بن لقمان ناظر الديوان[٥٥]، ثم دعا السلطان طائفة منكتاب ديوان الجيش ، وهو ديوان الإقطاع[٥٦] ، وعلى رأسهم فتح الدين بن سناء الملك صاحب الديوان ، كما طلب إلى الأمير سيف الدين الزينى أمير علم[٥٧] أن يجلس معهم لكتابة المناشير وإعداد الطبلخاناه ، على أن يكون أتابك العساكر بين يدى السلطان ، ثم استدعى السلطان من « الحشارات »[٥٨] بخمسمائة فرس لأجل الطبلخاناه وخيول الأمراء وأعدت الخلع والسناجق[٥٩] وكتبت المثالات والمناشير بين يديه ، وهو يوقع عليها ، وبلغت عدة ما كتب من المناشير لكبار الأمراء نحو ٥٦ منشوراً سلمت جميعها لأصحابها مع ما يخص كلا منهم من الطبول والصناجق والخيول والخلع ، ثم عين السلطان الأمير ناصر الدين القيمرى نائباً للسلطنة بالفتوحات الساحلية[٦٠] ، وقام بيبرس بمثل ذلك حين فتح الكرك فى السنة نفسها ، إذ أحضر هيئة الكتاب المختصين بكتابة الوثائق ورتب الإقطاعات للعربان والأجناد وكتب بين يديه أكثر من ٣٠٠ منشور سلمت لأربابها بعد ما حلفوا اليمين[٦١] ، وعلى أثر فتح حيفا بعد هزيمة الصليبيين سنة ٦٦٣هـ — ١٢٦٤م ، قسم بيبرس الإقطاعات بين أمرائه[٦٢] ، وكذلك بعد فتح صفد سنة ٦٦٤ هـ —١٢٦٥م أقطعها للمرتبين لحفظها من الأجناد ، وجعل مقدمهم الأمير علاء الدين الكبكى[٦٣] ،

ولما فتحت بلاد سيس (أرمينية الصغرى) سنة ٧٣٨ هـ – ١٣٣٧ م أيام الناصر محمد بن قلاوون بقيادة الأمير علاء الدين الطنبغا نائب حلب ، أقطعها السلطان له ولتنكز نائب الشام وغيرهما من أمراء الشام ، كما أقطع بعضاً منها لجماعة من التركمان والأجناد ، وخص الأمير تنكز من هذه الإقطاعات ثلاث ضياع هى : كوارة ونجيمة وسرقندكار(٦٤) .

ومن الأراضى ما يرى ولى الأمر أن يوزعه إقطاعات من نوع التمليك ، أى أن الأمراء الذين يحوزونها ، يصبحون مالكين لرقبة الأرض ، المقصور يتصرفون فيها تصرفاً حراً ، وهذا على غير المتبع فى التوزيع الإقطاعى العام على الاستغلال الشخصى الموقوت (٦٥) .

ومن أمثلة إقطاع التمليك ماحدث سنة ٦٦٣ هـ – ١٢٦٤ م ، حين فتح بيبرس بلاد قيسارية بالشام ، إذ أمر بمسحها ومعرفة المزروع من ضياعها وقراها ، وحفظت الأوراق الخاصة بهذه العملية عند الأمير سيف الدين بلبان الرومى الدوادار ، وهو من الموظفين الذين يدخل ضمن اختصاصهم أمور الإقطاعات وتوزيعها(٦٦) . ثم طلب السلطان قاضى دمشق وهو شمس الدين بن خلكان(٦٧) وعدولها ووكيل بيت المال وجماعة من الفقهاء والأئمة ، وطلب إليهم أن « يملك الأمراء المجاهدون من البلاد التى فتحها الله عليه » ، فكتبت « التواقيع » لكل منهم وأرسلت إلى مصر حيث وقعها الوزير والخازندار وديوان الجيش ومستوفى الصحبة وأثبتت ، ثم أعيدت للسلطان مرة أخـــرى فسلمها إلى الداودارية وأمرهم أن يفرقوها على أصحابها . فجاء الأمراء وقبلوا الأرض وتسلموا تواقيعهم ، ثم كتب قاضى القضاة ابن خلكان مكتوباً جامع التمليك »(٦٨) ، وأشهد السلطان على نفسه وفرق على كل أمير نسخة بما ملكه إياه ؛ ومن الأمراء من حاز بلاداً بأكملها مثل الأمير إقطاى المستعرب الذى اختص ببلدة « عثيل » ومنهم من اشترك مع غيره مثل الأمير أيدغدى العزيزى الذى أخذ نصف « زيتا » وهكذا(٦٩) .

ومن أمثلة إقطاع التمليك كذلك ، ما حدث فى عصر السلطان خليل بن قلاوون، حين أمر بتمليك قلعة الصبيبة فى سنة ٦٩١ هـ - ١٢٩١م للأمير بيدرا نائب السلطنة، وكتب بذلك تقليداً شريفاً [٧٠] ، ومن هنا نشأ الملك الحر الذى تمتع به بعض أمراء المماليك ، بالإضافة إلى إقطاعاتهم التى يستغلونها فقط ، وهذا هو القسم الخامس من تقسيم مؤرخى العصر المملوكى للأرض ؛ والأمثلة على ذلك كثيرة فضلا عما تقدم ، ثم إن بعض الأمراء اشتروا الأراضى من بيت المال شراء حراً ؛ فمثلا بيع فى أواخر عصر المماليك أرض الخندق بضواحى القاهرة ، ومساحتها ٣٨ فداناً .

كما أن صنافير بالقليوبية بيع منها ٣٠ فداناً[٧١] ، وبيعت سنهور كلها بالقوصية « من بيت المال المعمور » ومساحتها ٣٤٣٨ فداناً للأمير ناصر الدين ابن مسلم[٧٢] ، وكذلك بيع من أراضى ترسا « بالجيزية » مساحة ٣٥٠ فداناً ؛ وبيع من أراضى أبى قرقاص بالأشمونين ٤٠٠ فدان مع أنها كانت من أوقاف الأمير طيبغا الطويل[٧٣] .

غير أنه من الغريب أن تتعرض الأملاك الحرة كذلك للحل والإقطاع ، ولكن الراجح أن ذلك اقتصر على الأملاك التى اشتريت من بيت المال بدليل استثناء بعض هذه الأملاك من هذه العملية ، كما هو الشأن فى بلدتى قلة وطوة بالبهنساوية، إذ حسبت مساحتها ٢٥٠٠ فدان « خارجاً من الملك» وهما ضمن إقطاع الأمير أزبك اليوسفى ومن معه [٧٤] ، واستند السلاطين فى ذلك إلى قاعدة قياسية فى حكم البيع من أراضى بيت المال إذ جوزه بعض الفقهاء : « يجوز بيع الأراضى الخراجية ، ويعم هـذا المنقول والعقار والدور والأراضى . . . » [٧٥] ، إلا أن ذلك قل حدوثه ، ويسجل أبو المحاسن رفضه لهذا الإجراء بقوله إنه « بيع لا يعبأ به الله قديماً ولا حديثاً » [٧٦] ، وهذا ما جعل الناصر محمد فى روكه للديار المصرية سنة ٧١٥هـ - ١٣١٥ م يأمر بحل بعض هذه الأملاك « فارتجعت عدة بلاد كانت قد اشتريت من بيت المال وأدخلت فى إقطاعات » .

وأما إذا اتسعت رقعة الأرض باستصلاح العاطل والبور ، فهذه توزع إقطاعات لأن الأراضى البور ، وإن لم يعتد بها فى المساحة الأصلية المقطعة ، داخلة فى إقطاع الأمراء فعلا ، فإذا استصلحت ، لابد من إقطاعها ، ويعبر عن هذا النوع من الأراضى باسم « زايد القانون » (٧٧) أى الزائدة أو الخارجة عن المساحة الأصلية المقطعة ، واستخدمت كلمة « قانون » لتدل على المساحة ، ومثال ذلك أن الإصلاحات التى أدخلها الناصر محمد فى أمور الرى من إقامة الجسور وإنشاء القناطر أدت إلى رى أراض فى البحيرة لم يكن يعلوها ماء الرى قبل ذلك ، فتقدم كاشف البحيرة الأمير ركن الدين القلنجى ، وسأل السلطان أن يقتطع ولده منها « خبزاً بعشرة أرماح » أى بقدر رمية الرمح (٧٨) عشر مرات ، أو إقطاع أمير عشرة ، فإنها زايدة عن قانون المقطعين ، لذلك ندب السلطان الموظفين لكشف هذه الأراضى ، وقياسها ، فبلغت ٢٥ ألف فدان وكتبت « مشاريحها » أى التقارير (٧٩) عنها ، ولم يذكر فيها غير ١٥ ألف فدان لتفرقها فى بلاد المقطعين وصعوبة حصرها بدقة ، ومن ثم كتب السلطان بها مثالات عبرتها ما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ دينار وفرقها على أرباب الجوامك من المماليك ، غير أن أجناد الحلقة ، وهم أصحاب هذه الإقطاعات الكائنة فيها هذه الأراضى ، تضرروا من هذا الإجراء (٨٠) ، كذلك استصلح الناصر كثيراً من الأراضى ببلاد الجيزية وعمل على كل بلد جسراً وقنطرة) (٨١) ووزعت أراض كثيرة واستجد على ما أصلح ٣٠٠ جندى ، كما استصلح كذلك عدة أراض بالشرقية ونواحى فوة وغيرها ، وهذه أقطعها للأجناد ، حتى قيل : إن الديار المصرية زادت فى عهد الناصر مقدار النصف (٨٢) .

والأحوال الثانوية التى يقع فيها التوزيع الإقطاعى كثيرة ، أهمها قدوم اللاجئين مثل أولاد الأمير بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وهم : إسماعيل (٨٣) وأخوه إسحق صاحب جزيرة ابن عمر والمظفر صاحب سنجار ، قدم هؤلاء الثلاثة إلى مصر أيام بيبرس سنة ٦٥٩هـ - ١٢٦٠م بعد دخول التتار بلادهم ، « فأحسن إليهم (السلطان) وأعطاهم الإقطاعات الجليلة (٨٤) » ، وكذلك قدم

جماعة من مماليك الخليفة المستعصم البغاددة ومقدمهم شمس الدين سلار سنة ٦٦٠ هـ - ١٢٦١م فأحسن إليهم بيبرس وعين لهم الإقطاعات بالديار المصرية [٨٥].

ويحدث أن يكون للسلطان هواية خاصة ، فيمنح فى سبيلها الإقطاعات ، ومضرب المثل فى هذه الحالة ، ولع الناصر محمد بن قلاوون بالخيول ، فهو « أول من اتخذ ديوان الإصطبل » ، وأهم طائفة حصلت على الإقطاعات الواسعة « بسبب الخيل » فى عصره ، هم عرب آل مهنا وآل فضل من عربان الشام ، وبلغ الأمر بالناصر أن أقطع مشايخ أولئك العربان الضياع الواسعة بأراضى حماة وحلب ، وهذا غير ما دفعه لهم من أثمان الخيل ، واستغل أولئك المشايخ حب السلطان لامتلاك الخيول الجيدة ، فإذا أراد أحدهم من السلطان شيئاً قدم عليه ليخبره بفرس يقال لها كذا ، عند فلان ويأخذ فى تعظيم أمرها ، وسرعان ما يكتب السلطان بطلبها على الفور ، فيشتد صاحبها ويتمنع ، ثم يقترح ما شاء من الضياع ، حتى يصل إلى هدفه ، صار هذا الأمر معروفاً فيما بينهم [٨٦] . وبلغ من استغلالهم للناصر أنهم طلبوا منه بلاداً مقطعة لأمراء حلب وحماة ودمشق ، وبلغ من شدة حب الناصر للخيل أنه أجابهم إلى طلبهم ، وعوض الأمراء عن إقطاعاتهم التى أخذها منهم ، بذلك قوى شأن آل مهنا وآل فضل ، وصاروا من القوة والكثرة بحيث خافهم من عداهم من قبائل العرب [٨٧] .

ومن صور التوزيع الإقطاعى فى عصر المماليك ، بيع الإقطاعات طمعاً فى المال ، وممن عرفوا بالشره الزائد فى الحصول على المال ، السلطان الكامل شعبان إذ صار فى سنة ٧٤٧هـ = ١٣٤٦م « يخرج الإقطاعات بمال معلوم » [٨٨] .

وخضعت المراعى وهى « الكلأ المباح » للتوزيع الإقطاعى فى عصر المماليك ولم يكن لولى الأمر قبل ذلك سوى الإشراف على تنظيم استغلالها بالعدل على المشاع بين الناس ، فصار الأمير المقطع فى عصر المماليك هو الذى يتولى أمر استغلالها لحسابه باعتبارها جزءاً من إقطاعه [٨٩] ، وذكر ابن إياس أراضى الرعى فى القسم السادس من تقسيمه للأراضى ، والقاعدة

الشرعية فى المراعى من الحمى المنهى عنه فى الحديث « لا حمى إلا الله ورسوله »(٩٠) .

أما المعادن وهى التى ذكرها القلقشندى ضمن الإقطاعات واستدل بإقطاعها على فساد الحال (٩١) ، فالمعروف أنها صارت فى عصر المماليك تقطع وتضمن وتفرض عليها المكوس وأحياناً يحجر عليها أو تحتكر من قبل السلطان ، مثل ضمان الملح وضمان الأطرون أو مكس الأطرون ، وهو النطرون ، وكذلك معدن الشب ، وأبطل أحياناً وأعيد فى أحيان كثيرة خلال ذلك العصر ، وأشهر معدن أقطع فى عصر المماليك هو « معدن النطرون » فى مكان يعرف باسم « الطرانة » قرب القاهرة غربى فرع رشيد ، وكان مقطعاً لعدة أجناد ، وأضيف فى بعض الأوقات إلى الديوان السلطانى ، وسار إقطاع النطرون على قاعدة التضمين ، أى نظام القبالات المعروف فى مصر فى صدر الإسلام ، وشملت هذه القاعدة الملح كذلك للاستغلال أو الارتفاق مقابل مبلغ يضمن المقطع دفعه للسلطان(٩٢) .

وأما المكوس وتوزيعها إقطاعات فى عصر المماليك ، فيرجع إحياؤها أوائل ذلك العصر إلى الوزير هبة الله بن صاعد الفائزى أحد كتاب الأقباط الذين أسلموا فى العصر الأيوبى ، فلما استوزره السلطان أيبك التركمانى سنة ٦٥٠هـ=١٢٥٢م ، أحيا بعض المكوس القديمة بأن قرر أموالا على التجار وذوى اليسار وأرباب العقار ، سماها « الحقوق والمعاملات » ، واختلف الاصطلاح على تسمياتها ، فاشتهرت باسم المكس والمقرر والرسم والضمان والموجب ، ومنها ما يختص بالديوان السلطانى مثل مقرر البضائع الواردة إلى موانى مصر وهى عيذاب والقصير والطور والسويس ، ومنها ما يختص بالمقطعين لوقوعها فى البلاد الداخلة فى إقطاعاتهم(٩٣) ، غير أن بعض ولاة الأمور استنكرها ، فاعتبر إلغاءها عدلا ووسيلة إلى التقرب إلى الله ، ويرجع هذا إلى مدى ظلمه أو عسفه ؛ فمثلا أبطل بيبرس جميع المكوس وكتب بذلك « مساميح » قرئت

على المنابر ، وأعيد بعضها من بعده ، وأبطل قلاوون كثيراً منها ، كذلك فعل الناصر ابنه عند روكه للبلاد ، وعلق المقريزى على إلغاء الناصر لها ، بعبارة تدل على مدى ما قاساه الناس منها ، قال : فأراح الله سبحانه وتعالى الخلق بإبطال هذه الجهات من بلاء لا يقدر قدره ولا يمكن وصفه [٩٤] : ومن السلاطين من سجل أمر إلغائه لهـا على لوح مثل المؤيد شيخ ؛ إذ أبطل مكس الفواكه قاطبة سنة ٨٢٢ هـ (١٤١٩م) ونقش ذلك على بعض الرخام بمسجده، وخشقدم الذى نقش بما أبطله رخامتين ألصقتا بحائط المسجد الأقصى [٩٥] .

ومن هذه المكوس التى غدت إقطاعية ، مكس ساحل الغلة ومقرر السجون ومقرر طرح الفراريج ونصف السمسرة ، ورسوم الولاية ، وضمان المغانى والأفراح وضمان المزر ومقرر الحوائص والبغـال وكذلك متوفر الحراريف . أما مكس ساحل الغلة فهو مبلغ مقرر على ما يباع من الغلال بنسبة درهمين على كل إردب للسلطان ، ويلحقه نصف درهم سوى ما كان ينهب [٩٦] ويسرق ، وعرف مكان البيع باسم « خص الكيالة » بساحل بولاق حيث يجلس الموظفون من كتاب ومستوفين ومعهم ثلاثون جندياً ، وتحمل الغلال إلى هذا المكان ولا يسمح ببيعها فى غيره، ثم تحول خص الكيالة إلى (ديوان) للإشراف على البيع وتحصيل المكس ، واعتبر إيراد هذا الباب من أعظم الجهات الديوانية وأجل معاملات مصر ؛ إذ تحصل منه فى السنة ٦٠٤ر٠٠٠ درهم ، وبلغ عدد المقطعين عليه ٤٠٠ جندى من أجناد الحلقة ، سوى الأمراء ، فبلغت عبرة إقطاع الجندى من ٣ آلاف إلى ١٠ آلاف درهم فى السنة ، أما الأمراء فبلغت عبرة إقطاع الواحد منهم من ١٠ آلاف إلى ٤٠ ألف درهم فى السنة [٩٧] .

وقد تطور مكس الغلة بين الإقرار والإعادة والإلغاء فى العصر المملوكى ؛ فمثلا أبطله الناصر ضمن ما أبطله من مكوس حين راك البلاد ، وزاد هذا المكس فى عهد قايتباى بحيث غدت الزيادة فى نظر الناس « من أقبح مساويه »

ثم أبطله الأشرف طومان باى ، إلا أن الغورى زاده حتى صار يؤخذ عن كل إردب ثلاثة أنصاف فضة من البائع والمشترى على السواء وعرف باسم « الموجب » ، وهناك مكس آخر يسمى « مكس ساحل الغلة » يحصل فى ثغر دمياط ممن يشترى إردبين فما دونهما (٩٨) .

ومقرر السجون وهوما يدفعه السجين للسجان ومبلغه ستة دراهم غير ما يغرمه ، فلو تخاصم رجل مع امرأته أو ابنه رفعه إلى الوالى فيدفعه الوالى إلى السجن حيث يدفع هذا المقرر ولو تم الإفراج عنه بعد ساعة من سجنه ، ويحصل هذا المقرر فى جميع السجون ، وأقبل عليه الضمان وتزايدوا فيه لكثرة ما يتحصل منه ، وعلى هذا المقرر كثير من المقطعين(٩٩) .

أما مقرر طرح الفراريج ،وهو حق احتكار تجارة الدجاج ، فاشتراه الضمان كذلك بمبالغ ضخمة وتصرفوا هم فى فرضها على الناس بالقاهرة والأقاليم بحيث إنه لم يكن لأحد الحق فى شراء أو بيع أى فروج من غير الضامن « عثر عليه أنه اشترى أو باع فروجاً من سوى الضامن جاءه الموت من كل مكان وما هو بميت » على قول المقريزى ، ولذا نال الناس من الباعة والمشترين بسبب ذلك ، بلاء عظيم(١٠٠) .

ومقرر نصف السمسرة ، أحدثه والى القاهرة ناصر الدين الشيخى(١٠١) فى وزارته زمن السلطان الناصر محمد ، وخلاصته أن من باع شيئاً يؤخذ منه درهمان « دلالة » عن كل مائة درهم ، منهما درهم للسلطان ، وكان الدلالون يجتهدون فى تحصيل نصيبهم قبل نصيب السلطان ، وعلى هذا البند عدة مقطعين(١٠٢) .

أما رسوم الولاية فهو مبلغ يقوم بجبايته الولاة والمقدمون من عرفاء الأسواق وبيوت الدعارة ، واقترنت جبايته بالهجوم على بيوت أكثر الناس ، وبلغ إيراد هذه الرسوم فى إقليمى الدقهلية والمرتاحية ٢٤ ألف دينار ،وفى مصر وحدها مائة ألف درهم وذلك فى عهد بيبرس ، ولهذه الرسوم ضامن وتحت يده عدة صبيان وعليها جند مقطعون وأمراء وغيرهم(١٠٣) .

وثمة رسوم أخرى تشبه رسوم الولاية من حيث خسة المورد ، وهى ضمان المغانى والأفراح أو ضمان المغانى والبغايا أو مقرر الملاهى ، وكذلك ضمان المِزْرْ . فأما ضمان المغانى فهو مبلغ مقرر على النساء اللاتى يقمن بعمل الأفراح والاحتفالات المختلفة فى منازل الناس يدفعونه للضامنة أو للضامن ، فإن تغيبت مغنية عن بيتها حتى ولو فى زيارة أهلها ، فلابد لها من دفع هذه القطيعة باعتبارها تغيبت فى عمل فرح من الأفراح ، لذلك دار فى كل ليلة على بيوت المغانى ، جماعة من جهة الضامن ، لمعرفة من باتت منهن خارج بيتها ، ومن أجل ذلك احتال المغانى والبغايا بشتى الوسائل لإيفاء ماعليهن ، حتى إنه فى الأحياء المخصصة لهن بالقاهرة والأقاليم حيث يكثر الفساد جهراً ، أجبر المجتاز عليهن أن يخطى بخاطية ، فإن لم يفعل فدى نفسه بشىء من المال « لتقوم الباغية المسكينة بما عليها من الضريبة [١٠٤] » ، ومن هذه المكوس كذلك رسم العرس [١٠٥] ، فإن العرس ماكان يتهيأ حتى يغرم أهله للضامنة ٥٠٠ درهم فما فوقها أو من ٢٠ إلى ٣٠ مثقالا ذهباً بحسب حال أهل العرس ، ولاتقدر امرأة وإن جلت أن تتنفس إلا بإطلاق – أى إذن – من الضامنة ، ولا يضرب بدف فى عرس أو ختان أو نحو ذلك إلا بإطلاق ، وعلى كل إطلاق فريضة مال مقررة فى الديوان[١٠٦] ، ومن الملحوظ أن أكثر المقطعين على هذا الباب من رجال الحاشية [١٠٧] .

وضمان المزر وهو نبيذ الذرة والشعير ، عبارة عن مبلغ مقرر على بيعه ، ويستفاد هذا المعنى من قرار السلطان بيبرس فى سنة ٦٦٢ هـ – ١٢٦٣م حين أمر بإبطاله تقرباً إلى الله فى ساعة الخطر ، وهو على مدينة البيرة يحارب التتر ، إذ كتب « إلى الديار المصرية بتبطيل المزر وأن تعفى آثاره وتخرب بيوته وتكسر مواعينه وأن يسقط من الديوان ارتفاعه ، ومن كان له على هذه الجهة شىء نعوضه من مال الله الحلال » ، فاعتمد ذلك وعوض المقطعون بدل ما كان لهم على جهته (أى المزر)[١٠٨] ، ويستفاد من ذلك كذلك أن أنواع الخمور الشائعة بمصر فى ذلك الوقت هى : النبيذ والبوزة فضلا عن الحشيش [١٠٩] .

أما مقرر الحوائص والبغال فهو مبلغ مقرر على الناس ، ويقوم بحمايته الولاة والمقدمون لتوريده إلى بيت المال ، ويقدر بمبلغ ٣٠٠ درهم : بدل ثمن حياصة ، ٥٠٠ درهم بدل ثمن بغل ، ولكثرة ما تحصل من هذا المقرر ، رتب ولى الأمر عليه بعض المقطعين(١١٠) .

ويقصد بمكس « متوفر الحراريف » (١١١) ما يجبيه الولاة والمهندسون من البلاد لاستخدامه فى نقل التراب لأعمال إقامة الجسور السلطانية وصيانتها ، وهى الجسور عامة النفع التى تتولى الدولة إقامتها ، وعلى هذا الباب عدة مقطعين من الجند » (١١٢) .

وهناك مورد آخر غير المكوس خضع للتوزيع الإقطاعى وهو « الهدية والضيافة » وخلاصة ذلك أن يقوم الفلاحون بتقديم هدايا من منتجات ريفهم لأمراء الإقطاع ، مثل الغنم والدجاج ، والكشك والعدس والبيض وغيره ، فإذا نزل المقطع وأتباعه بإحدى قرى إقطاعه تقررت ضيافتهم على الفلاحين ، ثبت هذا التقليد وتقرر بحكم العادة اعتبر ضمن المال الخراجى ، إلا أن السلطان الناصر محمد حسب قيمة هذا المقرر عند ماراك البلاد وأضافه إلى عبرة الإقطاع الذى يمنحه لأتباعه (١١٣) .

كذلك أقطعت الزكاة أو ضمنت ، ومن الأمراء الذين أقطعوا هذا المورد ، الأمير إياس الصرغتمشى الذى أقطع الزكاة ببرقة ، وكانت تقدر بنحو ثمانية آلاف دينار(١١٤) والأمير خليل بن عرام(١١٥) والى الإسكندرية فى عهد السلطان حاجى بن شعبان .

أما إقطاع الجزية (١١٦) ، والجوالى ؛ وهى الرسوم التى يدفعها أهل الذمة ، فتطور أمرها بين التوزيع الإقطاعى وبين استيلاء السلاطين عليها واعتبارها ضمن خاصهم ، فهى حتى الروك الناصرى سنة ٧١٥ هـ – ١٣١٥م ، لم تكن داخلة فى الإقطاع ، إذ اختص بها الملوك لمأكلهم(١١٧) ، ثم أدخلت الجزية أو الجوالى فى الإقطاعات فى الروك بإضافة جوالى كل بلد إلى متحصل خراجها ، فأضحى أهل الذمة فى كل بلد يدفعون جاليتهم إلى مقطعها (١١٨) ،

وبلغ متحصلها فى عهد المؤيد شيخ سنة ٨١٦ هـ ١٤١٣م : ١١٤٠٠ دينار؛ سوى ما غرم للأعوان إلا أنها كانت فى نقص؛ إذ صار الذميون يتنقلون من بلد إلى بلد ولا يدفعون من جاليتهم إلا ما يريدون ، وإذا خرج الإقطاع إلى آخر؛جرت الجزية مجرى المال الهلالى ، لأنها تستخرج على حكم الشهور الهلالية لا الشمسية ، فإن تعجلها المقطع فى غرة السنة على العادة ، ثم خرج الإقطاع عنه فى أثناء السنة بوفاة أو نقل أو عزل أو غيره [119] ، استحق فقط ما مضى من الشهور حتى انتقاله ، كما يستحق، المقطع الجديد تحصيلها؛ لأنها جزء من مال إقطاعه من تاريخ صدور منشوره بالإقطاع ، على أنه إذا تخللت مدة بين المتصل وهو المقطع الجديد ، وبين المنفصل وهو المقطع السابق ، غدا قسط هذه المدة (الفترة) ، وهى فترة الخلو ،للديوان [120] ، ويعبر عن الإقطاعات فى فترة الخلو هذه سواء أكانت مالا منقولا كالجزية وأشباهها أو عقارات ثابتة كالأراضى ، باسم «المحلولات » أى الإقطاعات التى انحلت عن أصحابها ولم تدخل فى إقطاع أحد بعد . والمعروف أن إقطاع الجزية من نوع إقطاع الاستغلال ، لأنها مأخوذة مع بقاء الكفر وزائلة بحدوث الإسلام ، كما فصل الماوردى .

هوامش الفصل الثانى

(١) يتناول هذا الفصل والفصول التالية النظم الإقطاعية فى عصر المماليك ، نظراً لأن قمة التنظيم الإقطاعى الحربى ، كانت فى عصر المماليك ، ومن بعد عصر المماليك اتجه تاريخ الشرق الأوسط والتنظيمات القائمة به وجهة أخرى ، منذ الفتح العثمانى فى مطالع القرن السادس عشر الميلادى . كما أن هذا الفصل والفصول التالية ، سوف تنصب بصفة خاصة على ما وقع بمصر المملوكية ، فهى قلب الإمبراطورية المملوكية الكبرى .

(٢) سياسة نامة ص٤٠ – ٤١ (الترجمة الفرنسية) .

(٣) خطط جـ ١ ص ١٥٦ – ١٥٧ ، نزهة الأمم (مصور) ورقة ١١٣ .

(٤) صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٥٥ .

(٥) السلوك جـ ١ ص٨٤١ وحاشية ٣ .

(٦) ابن دقماق: الجوهر الثمين ورقة ١٢٦، ابن شاكر: عيون التواريخ ص١٦٩، ١٧٠ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ١ ص٩٠ – ٩٣ ، السلوك جـ١ ص٨٤٢ – ٨٤٣ .

(٧) التحفة السنية ص ٣٠ .

(٨) صبح الأعشى جـ٣ ص ٤٥٨ .

(٩) صبح الأعشى جـ٣ ص٤٥٨ ، انظر فصل الحقوق والالتزامات .

(١٠) صبح الأعشى جـ١٣ ص١٧٧ ، العمرى ، مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٩٤ .

(١١) انظر الفصل التالى .

(١٢) خطط جـ٣ ص٣٥٣ ، مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٩٤ .

(١٣) السلوك جـ١ ص٨٤ ، درة الأسلاك ورقة ٤٧ ، تاريخ الفيوم وبلاده ص١١١ ، نهاية الأرب (مخطوط) جـ٢٧ ورقة ١١٤ – ١١٥ .

(١٤) السلوك جـ١ ص٣٩٤ نهاية الأرب (مخطوط) جـ٢٧ ورقة ١١٥ .

(١٥) السلوك جـ١ ص٤٢٠ ، النجوم الزاهرة جـ٧ ص١٠١٠

(١٦) النجوم الزاهرة جـ٧ ص٢٦٧ – ٢٧١ .

(١٧) التقليد أمر التعيين .

(١٨) المنشور هو الوثيقة النهائية التى تصدر من ديوان الإنشاء بالإقطاع فيصير بها الإقطاع قانونيا – انظر الفصل الرابع .

(١٩) إقطاع مائة فارس أرق مرتبة فى الجيش المملوكى (السلوك جـ٢ ص ٤٧، تاريخ أبى الفداء جـ٣ ص٥٦ – ٥٧ انظر الفصل الخامس) .

(٢٠) النجوم الزاهرة جـ٧ ص٢٣١ .

(٢١) بدائع الزهور جـ١ ص١٣٣ .

(٢٢) بدائع الزهور جـ١ ص٢١٢ ، ابن شاهين : زبدة كشف المماليك ص ١١٣ .

(٢٣) بدائع الزهور جـ١ ص٢٣٩ .

(٢٤) تخلل حكم السلطان برقوق فترة عام من ٧٩١ إلى ٧٩٢هـ = ١٣٨٨ – ١٣٨٩م حكم فيها أمير حاج بن شعبان بعد عزل برقوق (بدائع الزهور جـ١ ص ٢٧٤ وما بعدها ، انظر الجداول الملحقة بفصل المجتمع).

(٢٥) غتمي : شخص لا يحسن الكلام (القاموس المحيط) .

(٢٦) يذكر ابن تغرى بردى أن هذا من جملة الذنوب التى عدها الأمراء على السلطان برقوق حين خرجوا عليه بزعامة يلبغا بن عبد الله الناصرى المتوفى سنة ٧٩٣هـ – ١٣٩٠م . (النجوم الزاهرة جـ٩ ص٥١ – ٥٢ .

(٢٧) بدائع الزهور جـ١ ص٩٣

(٢٨) بدائع الزهور جـ١ ص ٣٠٥ .

(٢٩) بدائع الزهور جـ٢ ص ٣٨١ .

(٣٠) الحكورة هى الأحكار ، وهى عبارة عن أجرة مقررة على مساحات دائرة عمرت مساكن وبساتين (السلوك جـ٢ ص٥١٨ حاشية٣١) .

(٣١) يقصد بالمعادى المراكب التى تستخدم لتعدية الناس عبر النيل (المصدر السابق والجزء والصحيفة حاشية١) .

(٣٢) لعل المقصود بالحارفين ، أصحاب الحرف ، انظر : السلوك جـ٢ ص٥١٧ حاشية٧ وانظر الفصل الخامس .

(٣٣) جعلت الإقطاعات التى أنعم بها السلطان على هذين الأميرين وقفاً على جامعيهما .

(٣٤) أرباب الجوامك هم أصحاب الرواتب والمخصصات فى الأرزاق ويعبر عنهم كذلك بأرباب النقود والمكيلات .

(٣٥) السلوك جـ٢ ص٥١٧ – ٥١٨ .

(٣٦) الشيخ سراج الدين البلقينى ، عمر بن أرسلان بن ناصر الكنانى العسقلانى الشافعى ، ولد فى بلقين بمصر ٧٢٤هـ – ١٣٢٤م وولى قضاء الشام ٧٦٩هـ – ١٣٦٧م أيام السلطان شعبان. وله عدة مؤلفات فى الفقه مثل : التدريب فى فقه الشافعية (لم يتمه) وتصحيح المنهاج فى ستة مجلدات والملمات فرد المهمات وفى الحديث : محاسن الاصطلاح وغيرها ، ت ٨١٥هـ – ١٤٠٢م (ذيل أقرب الموارد جـ٣ ص٧١٤ – ٧١٥م) .

(٣٧) القاضى برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الخطيب المعروف بابن جماعة الكنانى

(٧٢٥ – ٧٥٠) قاضى مصر والشام، ولى القضاء أكثر من مرة ، هو من أعلام المائة الثامنة ، وله عدة مؤلفات فى الفقه ، وينسب إليه المنبر الرخامى بالمسجد الشافعى بالصخرة الشريفة ، وهو الذى يخطب منه للعيد ، دفن بتربة أقاربه بالمزة قرب دمشق (رفع الإصر عن قضاة مصر ص١٤ الأنس الجليل ج٢ ص٤٥٢ – ٤٥٣) .

(٣٨) تاريخ ابن الفرات المجلد ٩ج١ ص٥ .

(٣٩) هذه الخانقاه بنيت بالقرب من باب النصر وفيها ٤٠٠ صوفى ، وكانت أولا دار الوزراء الفاطميين وانتهت عمارتها فى سنة ٧٠٩هـ ، ولما حلت أوقافها ، سمت ابنة بيبرس بعد إغلاقها بمدة حتى أعيد إليها بعض الأوقاف وأذن لها فى فتحها (الدرر الكامنة .ج١ ص ٥٠٧).

(٤٠) انظر فصل الروك .

(٤١) المقصود بالرزق ما منحت فى الأصل رزقة ثم أوقفها أصحابها .

(٤٢) خطط ج١ ص١٤٥ ، النجوم الزاهرة ج٩ ص٥٣ حاشية ١ ، ص٥٤ .

(٤٣) السلوك (مخطوط) ج٣ ص٣٤٣ – ٣٤٥ .

(٤٤) أنباء الغمر ج١ ص٥٢٨ – ٥٢٩ .

(٤٥) بدائع الزهور ج١ ص٣٥٢ .

(٤٦) رفع الأصر عن قضاة مصر (مخطوط) ص١٢ .

(٤٧) السلوك (مخطوط) ج٣ ص٤٣ .

(٤٨) بدائع الزهور ج ١ ص٢٠٩ .

(٤٩) بدائع الزهور ج ٢ ص٣٠٤ .

(٥٠) ذكر ابن إياس فى هذا الصدد أن القاضى فخرالدين بن عوض القادم من قبل العثمانيين فى سنة ٩٢٨هـ – ١٥٢١م ،توجه ليمسح جهات الصعيد، فأدخل الرزق الأحباسية قاطبة فى المساحة التى بالمكاتب الشرعية والمربعات والمناشير وأبطل ما كان صنعه الإمام الليث بن سعد رضى الله عنه فهو أول من دون للأحباس ديواناً وأفرد للرزق الأحباسية ديواناً يختص بها دون ديوان الجيش ، وكان عدد الرزق ١٨٠٠ رزقة . منها ماكان على الزاويا والمساجد والترب وغيرذلك ، وعندما اشتد المرض بخايربك ، رسم بأن يفرج عن الرزق الأحباسية التى دخلت فى الديوان السلطانى – (بدائع الزهور ج٢ ص٣٠٤ – ٣٠٥ – ٣١٣ – ٣١٥ – ٣١٦ ، انظر الملاحق عن تاريخ الرزق الحباسية والوقوف) .

(٥١) ملتقى الأبحر ص١٧٥ ، أبو يوسف :– الخراج ص٣٢ – ٣٣ ١٣٩ ، الماوردى الأحكام السلطانية ص١٨٥ – ١٨٧ ، راجع الفصلين الأول والخامس .

(٥٢) الصالحية والمعزية نسبة للصالح نجم أيوب والمعز ايبك التركمانى .

(٥٣) السلوك ج١ ص٤٨٧ – ٤٨٨ .

(٥٤) تختص هذه الطائفة من كتاب ديوان الإنشاء بكتابة المناشير الإقطاعية – انظر الثامن .

(٥٥) الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان ناظر ديوان الإنشاء ، اشتغل بكتابة الإنشاء إلى أواخر الأيوبيين وظل حتى عصر بيبرس ، فنقله إلى الوزارة وعين بدلا منه القاضى محيى الدين ثم عزله قلاوون سنة ٦٧٩ – ١٢٨٠م عن الوزارة وأعاده إلى ديوان الإنشاء (الجوهر الثمين ورقة ١٩٦ ، السلوك جـ١ ص٦٨٢ النسخة المخطوطة جـ٣ ص ٤٠٩ – ٤٣٧) .

(٥٦) انظر الفصل الرابع .

(٥٧) أمير علم هو الذى يتولى أمر الأعلام السلطانية ، وهناك وظيفة « علم دار الذى يحمل العلم فى ركاب السلطان ، والطبلخاناه مخازن الطبول والموسيقى ، والمتحدث ، عليهامن طبقة أمير عشرة (السلوك جـ٢ ص٤٩٠ حاشية ، صبح الأعشى جـ٤ ص٢٢ ، جـ٥ ص٤٥٦،٤٥٠و٤٦٣) .

(٥٨) الجشارات :– أماكن رعى الماشية والخيل وغيرها . (السلوك جـ٢ ص٤٩٠ حاشية٢)

(٥٩) السنجق أو الصنجق بمعنى علم .

(٦٠) السلوك جـ ٢ ص٤٩٠ – ٤٩١ .

(٦١) كتب بيبرس بهذه المناسبة كذلك « تواقيع» بمعنى أوامر سلطانية لأهل الكرك بمناصب دينية وديوانية (البداية والنهاية لأبى الفداء جـ١٣ ص٢٣٨ ، السلوك جـ٣ ص٤٩٢ ، انظر الفصل العاشر) .

(٦٢) ابن بهادر : فتوح النصر : جـ١ ورقة ١٠٧ .

(٦٣) النجوم جـ٧ ص١٣٩ .

(٦٤) ووجد كذلك توزيع الفتوح إقطاعات عند المغول ، إلا أن توزيع المغول أقرب إلى استباحة البلاد منه إلى إقطاعها ، كما فعل تيمورلنك عندما اجتاح بلاد الشام ٨٠٣هـ – ١٤٠٠م (السلوك جـ ٢ ص٤١٧ – ٤١٨ ، أبناء الغمر جـ١ ص٥٢٨ – ٥٣٤ عجائب المقدور ص ١٠٧ – ١٠٨) .

(٦٥) الماوردى : الأحكام السلطانية ص١٨٥ أبو يوسف : الخراج ص ١٣٩ .

(٦٦) أصل وظيفة الدوادار : حامل الدواة وأول من أحدثها السلاجقة ، وكان يسمى أيضاً بالحاجب ، وكانت وظيفة صغيرة يليها جندى ثم صيرها بيبرس ذات أهمية كبرى وعين فيها أمير عشرة ، وقد يعين فيها أيضاً أمير طبلخاناه أو أمير مائة ، وتضاعفت اختصاصاتها كما يتضح من وصية تعيينه (ينبغى أن « لايؤدى عن مولاه السلطان رسالة فى إطلاق مال ولا استخدام مستخدم ولا إقطاع إقطاع ولا ترتيب مرتب ولا تجديد مستجد ولا ساد شاغر إلا بعد عرضه على السلطان) ، ويحدث أن يعظم شأن الدوادار فلا يتقيد بهذه المهام المنوطة به ويتدخل فى كل صغيرة وكبيرة ويسلب سلطة السلطان ، مثل الدوادار اقتمر الحنبلى أيام شعبان ، إذ صار يخرج المراسيم السلطانية بغير مشاورة . (السبكى : معيد النعم ص٣١ – ٣٥ ، العمرى : مسالك الأبصار جـ٢ ورقة٣٩٩ النجوم الزاهرة جـ٧ ص١٨٥ – صبح الأعشى جـ١٣ ص٣١٠ ، خطط ص٢٢٢ (بولاق) .

(٦٧) شمس الدين بن خلكان ، أبو العباس أحمد بن إبراهيم مؤرخ حجة ، صاحب وفيات

الأعيان وأبناء الزمان ، تولى نيابة القضاء فى مصر مدة ثم ولاه بيبرس قضاء الشام ثم عزل وتولى التدريس بالشام حيث توفى ٦٨١هـ – ١٢٨٢م ودفن . (الأعلام) .

(٦٨) انظر نسخة التمليك فى الملاحق وفى السلوك جـ٢ ص٥٣٠ – ٥٣٤ .

(٦٩) السلوك جـ٢ ص٥٣٠ – ٥٣٤ أبو الفداء : البداية والنهاية جـ١٣ ص٢٢٤ – ٢٤٥ أبو الفضائل ص٤٦٩ – ٤٨٦ النهج السديد ص١٣٧ – ١٣٩ .

(٧٠) انظر نص التقليد بالملاحق ، وفى الألطاف الخفية ص٢٩ – ٣٦ .

(٧١) التحفة السنية ص٥ .

(٧٢) التحفة السنية ص١١ .

(٧٣) التحفة السنية ص١٩٤ .

(٧٤) هناك كثير من الأملاك الحرة المفرقة بنواحى مصر المختلفة (التحفة السنية صفحات ٤٢ ، ١٠٣ وحاشية ٥١ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٤٣ ، ١٧٤ ، ١٨٣ ، ١٨٨) .

(٧٥) ابن نجيم المصرى : رسالة التحفة المرضية فى الأراضى المصرية ص٢٠٣ – ٢٠٥ عطية الرحمن ص٧ و١٩ ، التذكرة ورقة ٣ – ٤ .

(٧٦) النجوم الزاهرة جـ٩ ص٥٠ ..

(٧٧) جاء هذا المصطلح فى أكثر من موضع بالتحفة السنية ، فمثلا : أحواض روى من الأعمال الأطفيحية ، قانونها ٤٧ فداناً وعبرتها ٢٠٠ دينار ، وهى باسم المقطعين ، وبركة الضبع بالشرقية قانونها ٨٧ فدانا – تقدوس بالشرقية قانونها ١٥٢٠ فدانا وتل الدهب بالشرقية ، قانونه ٥٨٧ فدانا ، وتل حيوين بالشرقية قانونه ٦٢٢ فدانا وهكذا ...
(التحفة السنية ص٢٤ ، ٢٧ ، ١٧٤) .

(٧٨) السلوك جـ٢ ص ٢٣١ حاشية ٢ .

(٧٩) السلوك جـ٢ ص٢٣١ حاشية٥ .

(٨٠) السلوك جـ٢ ص ٢٣١ .

(٨١) مثل هذه الجسور : جسر أم دينار بنواحى مركز إمبابة بمديرية الجيزة قرب القناطر الخيرية لتنظيم الرى بماء النيل وقت الفيضان ولا يزال باقياً ومعروفا باسم « صليبة أم دينار » « النجوم الزاهرة جـ١ ص ١٩٠ حاشية٨ » .

(٨٢) النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ١٩٨ .

(٨٣) أتابكية الموصل كانت فى يد أبناء عماد الدين زنكى من سلالة سيف الدين غازى بن زنكى وأخى نور الدين، تولى على الموصل منهذه السلالة ثمانية أمراء ، ثم جاء بدر الدين لؤلؤ ، وهو ليس من بيت زنكى واستقل بالملك بعد آخر أمير وهو نصير الدين محمود بن مسعود ، وجاء بعده ابنه إسماعيل لؤلؤ وكان زوال دولتهم على يد المغول (الخضرى ص٤٥٤ – ٤٥٥) .

(٨٤) أبو الفدا – تاريخه جـ ٢ ص ٢٢٣ .

(٨٥) أبو الفدا جـ ٢ ص ٢٢٣ .

(٨٦) السلوك جـ ٢ ص ٥٢٦ – ٥٢٧ .

(٨٧) السلوك جـ ٢ ص٥٢٨ – ٥٢٩ .

(٨٨) بدائع الزهور جـ ١ ص ١٨٤ .

(٨٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص١٣٩ – ١٤٠ ، خطط جـ١ ص١٦٧ .

(٩٠) خطط جـ ١ ص١٧٣ .

(٩١) الروض الأنف : جـ٢ ص٢٤٩ ، الأحكام السلطانية ص١٧٦ – ١٧٨ – كتاب الخراج ص٥٨ – ٢٦٠ ، رسالة فى أحكام الرزق الصادرة ص٦ .

(٩٢) صبح الأعشى جـ١٣ ص ١١٧ .

(٩٣) إمتاع الأسماع جـ٥ ورقة ١٠٤٥ ، الماوردى ص١٨٧ – ١٨٨ ، خطط جـ١ ص١٥٥،١٦٧ ، ١٧٦ – ١٧٧ ، الإصابة جـ١ ص١٤ ، ابن مماتى ص٣٢٨– ٣٢٩ ، النجوم الزاهرة جـ٩ ص٦٢ ، السلوك مخطوط جـ٣ ص٣٦٩ ، بدائع الزهور جـ٢ص١٢٣ جـ٣ ص٢٩٠

(٩٤) صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٦٨ .

(٩٥) خطط جـ ١ ص١٤٢ – ١٤٤ .

(٩٦) بقى الكثير منها حتى دخل العثمانيون ، وحاول بعض الناس الشكوى من شدة وطأتها بأن توجهوا إلى القلعة وعلى رءوسهم المصاحف سنة ٩٢٨هـ – ١٥٢١م فأمر خاير بك الانكشارية بضربهم . (بدائع الزهور جـ٢ ص٧ جـ٢ ص٢٩٠ ، فتوح النصر جـ١ ورقة ١٠٨) .

(٩٧) قاسى الناس من هذا المكس بلاء شديداً من المغارم والظلم ، فإن مظالمها كانت تتعدد من : نواتية تسرق وكيالين تبخس وكتاب يريد كل منهم شيئا (خطط جـ١ ص١٤٣) .

(٩٨) بدائع الزهور جـ٢ ص١٠ ، عيون الأخبار : غير مرقم ، خطط جـ ١ ص ١٤٣ ، ١٧٢ ، النجوم الزاهرة جـ٩ ص٤٤ – ٤٥ ، السلوك جـ٢ ص١٥٠ .

(٩٩) خطط جـ١ ص ١٤٣ – ١٤٤ السلوك جـ٢ ص ١٥١ – ١٥٢ النجوم الزاهرة جـ ٩ ص ٤٦ .

(١٠٠) ابن الشيخ : ناصر الدين محمد بن عبد الله الماوردى الشيخى ولى الجيزة ثم القاهرة ، ومما يأخذه عليه صاحب النجوم ، التبذير حين احتفل فى سنة٧٠٢هـ – ١٣٠٢م على أثر انتصار الناصر على التتر وعودته بالأسرى ، إذ عمل قلعة بباب النصر فيها سائر أنواع الجد والهزل ونصب عدة أحواض ملأها بالسكر والليمون وأوقف مماليكه لتسقى العسكر ، يقول صاحب النجوم : ولو

فعل هذا فى زماننا والى القاهرة لكان حصل عليه الإنكار بسب إضاعة المال» ، توفى ابن الشيخ سنة ٧٠٣هـ - ١٣٠٣م (النجوم الزاهرة جـ٨ ص١٥٠ ، ١٦٦ - ٢١٤) .

(١٠١) النجوم الزاهرة جـ٩ ص ٤٥ - ٤٦ .

(١٠٢) ألغى هـذا المكس وغيره وأعيد أكثر من مرة خـلال عصر المماليك ، وآخر ماعرف عنه بعد زوال دولة المماليك ، أن خاير بك أمر بالغائه سنة ٩٢٥هـ-١٥١٩م ، وقبض على امرأة يقال لها أنس كانت تقيم فى الأزبكية وتجمع عندها بنات الخطا ، وعليها مبالغ مقررة توردها كل شهر للوالى ، فأمر خاير بك بإغراقها مع امرأة أخرى يقال لها «بدرية» (ابن إياس جـ٣ ص١٩٧ ، خطط جـ١ ص١٤٣ و ١٧٠ ، السلوك جـ٢ ص١٥١ ، النجوم جـ٩ ص٤٥ - ٤٦) .

(١٠٣) أنباء الغمر جـ١ ص٧١ - بدائع الزهور جـ١ ص ٢٣٠ .

(١٠٤) يشبه هذا المكس أو هذا الضمان ما عرف باسم « حقوق القينات » وهو عبارة عن مال يؤخذ ويجمع من المنكرات يجبيه مهتار الطشتخاناه السلطانية من أوباش الناس ، وهنا مقر أماكن فى القاهرة تعرف باسم « الخانات » ربما كانت خاصة بالبغايا من الجوارى والعبيد ، فإذا نزل عبد أو جارية بالخان لعمل الفاحشة « أخذ من كل ذكر وأنثى من المال ، عرف هذا المقرر باسم « شد » وهذا إن لم يرد عنه أنه مقطع ، إلا أنه يتفق من حيث النوع ودناءة المورد وخسة الوضع مع نظائره المقطعة . (السلوك « مخطوط » جـ ٣ ص ٢٦٩ - ٢٧٠) .

(١٠٥) أنباء الغمر جـ٢ ص٧١ السلوك مخطوط جـ٢ ص٢٦٩ - ٢٧٠ خطط جـ١ ص١٧١ بدائع الزهور جـ١ ص١٧٥ دول الإسلام ص٢٩ .

(١٠٦) اجتمع قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة والشيخ سراج الدين البلقينى بالسلطان شعبان سنة ٧٧٥هـ - ١٣٧٣م وعرفاه ما فى ضمان المغانى وغيره من المفاسد والقبائح فأمر السلطان بإبطاله بمصر والشام وسائر الاعمال ، واستمر جاريا فى صحيفته ، على أنه أعيد مع غيره بعد شعبان وتعرض كغيره من المكوس للإلغاء والإعادة (عيون الأخبار غير مرقم ، السلوك مخطوط جـ٣ ص٥٢٣ - ١٤٦ ، أبناء الغمر جـ١ ص٧١ ، الجوهر الثمين جـ٢ ورقة ١٢٦ ، خطط جـ١ ص١٧٢ ص٥٢٣ - ١٤٦ ، أبناء الغمر جـ١ ص٧١ ، الجوهر الثمين جـ٢ ورقة ١٢٦ ، خطط جـ١ ص ١٧٢ ، ابن إياس جـ١ ص٢٣٠) .

(١٠٧) بلغ متحصل الخمور فى كل يوم أيام بيبرس ألف دينار ، وحدث أن أمر بيبرس بشنق أحد الطواشية تحت قلعة الجبل لشربه الخمر (خطط جـ١ ص١٧٠ - ١٧١ ، السلوك جـ١ ص٥٢٥ ، دول الإسلام ص ٢٩) .

(١٠٨) للحشيش ضمان ، وأبطله بيبرس فيما أبطل سنة ٦٦٥هـ - ١٢٦٦م (دول الإسلام ص٢٩ ، الجوهر الثمين جـ٢ ، رقة ١٠٨) .

(١٠٩) خطط جـ١ ص ١٤٣ ، جـ٣ ص ٥٢٢ - ٥٢٤ النجوم الزاهرة جـ٩ ص٤٦ .

(١١٠) الجراريف هى الآلات التى يجرف بها التراب .

(١١١) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ص١٢٩ ، خطط جـ١ ص١٤٤ ، السلوك جـ٢ ص ١٥٢ النجوم جـ٩ ص ٤٨ .

(١١٢) ظلت الضيافة المقررة على أهل الذمة ببعض نواحى الشام منذ عهد عمر بن الخطاب حين صالحهم أيام الفتوح الكبرى ، وشروط هذه الضيافة لمن يمر بهم من المسلمين مدة ثلاثة أيام من غير أن يكلفوا ذبح شاة ولا دجاجة ، وتبييت دوابهم من غير شعير (نهاية الأرب جـ٨ ص٢٤٥ — ٢٤٦ ، التيسير والاعتبار ورقة ١٦ — ١٧ ، خطط جـ١ ص١٤١ ، ١٤٥ — ١٤٦ ، النجوم الزاهرة جـ٩ ص٥٠ ، عيون الأخبار غير مرقوم ، انظر الروك) .

(١١٣) ينتسب الأمير إياس الصرغتمشى إلى سيف الدين صرغتمش بن عبد الله الناصرى ، والأخير هذا طار صيته فى عهد الناصر حسن وصار مدير الدولة ، لكنه مات سجيناً بالإسكندرية سنة ٧٥٩هـ — ١٣٥٧م، أما إياس هذا فمن مماليكه. ويحتمل أنه كان من المعاصرين للسلطان شعبان بن حسين ، وله إقطاع كبير موزع فى مصر. منه : مدينة السمرنا بالبعير ومساحتها ٤١٠ فدانا وعبرتها ألف دينار ، وفى الأشمونين مدينة الطيبة ومساحتها خمسة آلاف فدان وعبرتها ٥٠٠٠ دينار (التحفة السنية ص ١١٦ — ١٣٨ — ١٧٢ — ١٨١ ، النجوم الزاهرة جـ١٠ ص٣٠٢ ، ٣٠٧ — ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣٢٨) .

(١١٤) هذا غير ماله من إقطاع بالأعمال البهنساوية .ومساحته ١٥٠ فدانا باستثناء ما له من رزق وقدرها ٤٨ فدانا ، وعبرة هذا الإقطاع ١١٠٠٠ دينار (التحفة السنية ص١٦٣ ، التدبيرات السلطانية ورقة ٨) .

(١١٥) سميت الجزية كذلك لأنها تجزى عن الدم أى تغنى وتكنى عن القتل، وعرفت باسم الجالية والجمع جوالى ، لأنه كان ينبغى على أهل الذمة أن يجلوا عن بلاد المسلمين غير أنهم بقوا ، فدفعوا هذا القدر نظير بقائهم أو لأن الإمام عمر أجلاهم عن جزيرة العرب ، ومن ثم لزم هذا الاسم كل من لزمته الجزية من أهل الذمة وأن لم يجلوا عن أوطانهم ، وكان لها ناظر يشرف على جبايتها مثل البدرى محمد بن كمال الدين فى أيام قايتباى سنة ٩٠٢هـ — ١٤٩٦م ولها ديوان خاص ، وهى نوعان : بالصلح وتقدر بالتراضى وحسب الاتفاق ، وعنوة إذا غلب الإمام . فله أن يضع الجزية عليهم. الأرب جـ ٨ ص٢٣٥ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧، ٢٣٩ ، فتوح النصر جـ٢ ورقة ٢٣٥ ، السلوك جـ١ ص٣٨٤ حاشية — ١ ، النجوم الزاهرة جـ٩ ص٤٣ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ملتقى الأبحر ص١٧٦ ، خطط جـ١ ص١٤٥ — ١٧٣ بدائع الزهور جـ٢ ص٣١١ . الدرر شرح الغرر جـ ١ ص ١١٣ .

(١١٦) خرجت الجزية بعد ذلك من التوزيع الإقطاعى وعادت إلى الخاص وهكذا . . . (فتوح النصر جـ٢ ورقة ٢٣٥ ، التيسير والاعتبار ورقة ١٧) .

(١١٧) فتوح النصر جـ ٢ ورقة ٢٣٥ .

(١١٨) انظر فصل المناقلات الإقطاعية .

(١١٩) نهاية الأرب جـ ٢ ص٢٤١ ، انظر فصل المناقلات .

(١٢٠) الأحكام السلطانية ص١٨٦ .

الرّوكُ



إعادة التوزيع الإقطاعى العام وعوامله : العامل المالى والاجتماعى – العامل الاقتصادى – العامل السياسى – أشباهه فى الغرب الإقطاعى – عملية الروك – الفحص النظرى والقياس – تفصيل أنواع الأراضى – القائمون بهذه العملية فى عصر المماليك – التعديلات المختلفة بمقتضى الروك : فى قاعدة التوزيع الإقطاعى العامة – العبرة – نوع الإقطاع وأماكنه – النظائر فى الغرب – تحويل السنة الخراجية .



أوجب النظام الإقطاعى فى مصر فى زمن المماليك، أن يقوم السلطان أو ولى الأمر بإعادة توزيع الإقطاعات، كلما دعت الحاجة، وجرت العادة أن يقوم كل سلطان جديد، عند ولايته للعرش بإجراء تعديلات فى التوزيع، لكنها قد تكون محلية وفى نطاق محدود، وقد تكون عامة شاملة، ولقد أقر أوائل سلاطين المماليك ما فعله أساتذتهم الأيوبيون وساروا على نهجه، لكنهم أجروا بعض التعديلات فى التوزيع الإقطاعى، نظراً لانتقال الملك إليهم.

على أنه قد توجد عوامل تدفع ولى الأمر إلى إعادة النظر فى التوزيع الإقطاعى إعادة شاملة عامة؛ ومن هذه العوامل: العامل المالى والاجتماعى؛ كأن يتظلم الأمراء المقطعون من تراكم الخراج عليهم وعجزهم عن الدفع، أو يشكو بعض الأجناد من معاملة أمرائهم، وطغيانهم على حقوقهم، أو يتذمر الفلاحون من تعنت الأمراء معهم وكثرة المغارم التى يخضعون لها، فضلا عن أعمال النهب التى يتعرضون لها من قطاع الطرق الذين يحتمون بالأمراء، وهناك المكوس المتعددة التى يصيب الناس بسببها الظلم والحيف على أيدى مقطعيها أو ضمانها أو من شدة وطأتها وطرق جبايتها.

لهذا يجد ولى الأمر نفسه مضطراً – فى سبيل الإصلاح – لإعادة النظر فى التوزيع الإقطاعى بشكل شامل، فيقوم بمسح الأراضى لحصرها وتقدير درجة خصوبتها لربط خراج مناسب عليها وإعادة إقطاعها، وعرفت هذه العملية فى المصطلح باسم « الروك »؛ غير أن الروك ليس من مبتكرات المماليك أو النظام الإقطاعى المملوكى، فهو نظام قديم عرفته مصر منذ فجر الإسلام،

وعرفته الدولة الإسلامية ، قبل عصر المماليك ، وقد حدث أن ريكت مصر أكثر من مرة قبل عصر السلاطين المماليك .

والروك كلمة قبطية أصلها (روش) ومعناها الحبل ، ثم استعملت للدلالة على عملية قياس الأرض بالحبل ، وهى بدورها مشتقة من اللفظ الديموطيقى (روخ) ، ومعناها تقسيم الأرض .

وقد اصطلح على استعمالها فى مصطلح الإدارة المالية فى مصر والشام فى العصور الوسطى؛ للدلالة على عملية قياس الأرض وحصرها فى سجلات وتثمينها وتقويم العقارات وغيرها من الأملاك الثابتة ومتعلقاتها ، وذلك مرة فى كل ثلاثين سنة . والمعروف حتى الآن من حوادث الروك بمصر فى العصور الوسطى ، قبل عصر المماليك خمس : أولها حوالى عام ٩٧هـ = ٧١٥م على يد ابن رفاعة والى مصر من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك الأموى ، وثانيها سنة ١٢٥ هـ — ٨٦٧م وقد تم أيام ابن المدبر عامل الخراج بمصر فى خلافة المعتز بالله العباسى ، ورابعها :الروك الأفضلى سنة٥٠١ هـ — ١١٠٧م؛ نسبة إلى الأفضل ابن أمير الجيوش فى عهد الخليفة الآمر الفاطمى ، وخامسها الروك الصلاحى نسبة إلى السلطان صلاح الدين يوسف الأيوبى ،وقد تم عام ٥٧٢هـ — ١١٧٦ م . على أن مدة الثلاثين سنة ، نظرية وليست ثابتة أو مطردة ، فمثلا جاء روك السلطان حسام الدين لاجين فى مصر عام ٦٩٧ هـ بعد روك صلاح الدين بخمس وأربعين سنة ، كما جاء الروك الناصرى سنة ٧١٥هـ بعد روك لاجين بثمان عشرة سنة[1] .

ويتضح فى الروك الحسامى الذى قام به السلطان حسام الدين لاجين سنة٦٩٧هـ —١٢٩٧م — وهو أول روك معروف زمن السلاطين المماليك — أن من الأسباب الكبرى التى دعت إليه طغيان الأمراء على أتباعهم وأكلهم الحقوق الواجبة عليهم؛ إذ « كانوا يأخذون كثيراً من إقطاعات الأجناد فلا يصل إلى الأجناد منها شىء ويصير ذلك الإقطاع فى دواوين الأمراء ويحتمى بها قطاع الطرق » ، وفى عبارة أخرى : « يبقى الإقطاع فى حمى الأمراء ، يأوى إليه

كل مفسد وقاطع طريق وتثور بها الفتن وتقوم بها الهوسات ، ويمنع منها الحقوق والمقررات الديوانية ، وتصير مأكلة لأعوان الأمراء ومستخدميهم ومضرة على أهل البلاد التى تجاورها . من أجل ذلك عمل السلطان لاجين على رد تلك الإقطاعات على أربابها من الأجناد وإخراجها بأسرها من دواوين الأمراء[٢] » .

ابتدأ السلطان لاجين بالنظر فى إقطاع الأمير منكوتمر نائب السلطنة ، فأخرج ما كان فيه من الإقطاعات المغتصبة التى بلغ متحصلها فى السنة أكثر من مائة ألف إردب غلة ، ثم اقتدى جميع الأمراء بنائب السلطنة وأخرجوا ما فى إقطاعاتهم[٣] ، ثم إن السلطان لاجين أبطل فى هذا الصدد ما عرف باسم « الحمايات » وهى مغارم مفروضة على الأراضى والقرى والعقارات مثل الطواحين والحوانيت والأفران والمساكن»[٤] .

ومن الناحية الاقتصادية يرى السلطان ضرورة روك البلاد لإعادة النظر فيما طرأ على الأرض من إصلاح أو عمارة أو إهمال ، لإنقاص الخراج أو زيادته حسبما يقتضيه الوضع الراهن الذى آلت إليه الأرض ، كأن تكون وسائل الرى تحسنت مما يستدعى زيادة الجباية ، أو تكون الأرض قد ضعفت بسبب ضعف المقطعين وكبر سنهم وعجزهم عن القيام بما يتطلبه استثمارها من جهد وعناية ، أو بسبب قلة أهلها فى أعقاب حرب أو وباء أو فتنة ، وما أكثر هذه الأحداث خلال تلك العصور ، أو أن الأرض أجدبت لنقص فى ماء الرى أو صارت غامرة أى « قطعها البحر » فى المصطلح مما يقضى إنقاص الجباية أو إلغاءها ، وفى ذلك يقول بيبرس الدوادار : « إن لاجين أزمع روك الديار المصرية وتغيير الإقطاعات وترتيب المعاملات لأن النواحى آلت إلى الخراب ، والفلاحين عجزوا عن الخراج وصارت الأراضى تبور لضعف المزارعين وتغرق والشكاوى من المقطعين داعية فى كل وقت[٥] .

والأمثلة كثيرة على هذا التحول الذى يحدث للأراضى ، منها الحوض المعروف باسم « اليهودى » والمجاور لخربتا بالبحيرة ، مساحته ٣٤٠ فداناً كان

مقطعاً ثم صار خراباً ، والنقراش مساحتها ١٥٥٦ فداناً كانت مقطعة ثم صارت رزقة خراب ، وفى الغربية،حصة فارس الشام، مساحتها ٣٤٠فداناً آلت إلى الخراب ، وكذلك أبو شادى والكرملية بالأعمال الأخميمية التى كانت مقطعة لمتولى البهنساوية ، ومن البلاد التى قطعها البحر وصارت غامرة،جزيرة الواسطا بالأعمال الأطفيحية كانت مقطعة ثم صارت غامرة إذ قطعها البحر ، وبالفيوم مدينة ترسا مساحتها ٢٠٩٦ فداناً كانت مقطعة ثم صارت تحت الغرق وهكذا [٦] .

وتكون عملية الروك لأسباب سياسية وذلك لتوزيع الإقطاعات على الموالين لولى الأمر بدلا من الخائنين أو الخارجين عليه أو المشكوك فى ولائهم ، حدث ذلك فى الروك الحسامى ، إذا اختلف بعض الأمراء مع السلطان لاجين ، ومنهم بكتمر السلاح دار وغيره ، ففروا إلى بلاد التتر حيث أقطعهم غازان ملك التتر[٧] الإقطاعات الجليلة ، بل إنه تجهز معهم حين استعدوه على سلطنة المماليك فى مصر[٨] ، فلما راك لاجين البلاد قطع « أخباز » أولئك الخارجين عليه ومن لف لفهم ، واستبدل بهم غيرهم من الموالين ، ويقال إنه بالغ فى ذلك لدرجة أضعفت الجيش المملوكى وخصوصاً الحلقة[٩] .

كذلك اتخذ السلاطين من الروك وسيلة من وسائل التقليل من نفوذ كبار الأمراء إذا اتسعت إقطاعاتهم وقويت شوكتهم ، فخشية من مفاجأتهم باسترجاع الإقطاعات منهم أو إنقاصها ، دون سبب ظاهر ، توسل السلطان إلى غايته بمسح البلاد من جديد وإعادة توزيعها إقطاعات ، واستطاع أن يغير ما يلزم تغييره من الإقطاعات . وضح هذا فى روك الناصر ٧١٥ هـ — ١٣١٥م إذ استكثر « أخباز » المماليك من أصحاب بيبرس الجاشنكير وبقية البرجية ، فقد بلغ خبز الأمير منهم مبلغاً يتراوح مابين ألف مثقال إلى ثمانية آلاف[١٠] ، ولذلك عمل السلطان الناصر خلال سلطنته الثالثة التى بدأت عام ٧٠٩هـ — ١٣٠٩م على الاستيلاء على إقطاعاتهم ، ومن ثم قرر مع الفخر محمد بن فضل الله ناظر الجيش روك البلاد[١١] وعندما فتح العثمانيون مصر ،واختفى طومان باى ، قرر السلطان سليم فى ٩٢٣ هـ —١٥١٧م مسح البـــلاد لقطع « أخباز » من اختفى

من المماليك ورسم على مباشرى الأمراء الذين قتلوا حتى يقيموا حساب إقطاعاتهم. فأقاموا « بالترسيم » مدة ، والمقصود بالترسيم هو الحجز الاحتياطى(١٢) .

وعملية الروك فى ظروف الفتح وعند تغير الهيئة الحاكمة ، لها شبيه فيما فعله وليام الفاتح الرومانى بعد أن فتح انجلترا سنة ١٠٦٦م . فقد قرر روكها لتقرير الخراج المناسب وإعادة توزيعها إقطاعياً على أتباعه ، وسجلت هذه العملية فيما عرف باسم « كتاب الروك النورمانى »(١٣) . على أن الدافع لعملية الروك النورمانى لم يكن نتيجة لظروف الفتح وتغير الهيئة الحاكمة فحسب ، وإنما يرجع إلى أسباب اقتصادية وحربية فى الوقت نفسه ، اقترنت بها إبانئذ ، إذ أشيع عام ١٠٨٥ م أن كانيوت Canute ملك الدانمرك يستعد للزحف على انجلترا ، وكان الملك وليام وقتذاك فى نورمانديا بفرنسا فلما سمع بذلك أسرع إلى انجلترا بقوة هائلة جمعها من فرنسا ، وبريتانى لم يسبق لتلك السواحل مشاهدتها. حتى قيل إن الناس بدءوا يعجبون كيف تفى إمكانيات انجلترا الغذائية هذا العدد الضخم ؟ ولكن الفاتح وزع الجنود فى طول البلاد وعرضها وألزم الرعايا بإمدادها بالمؤن ، كلا بحسب ما يحوزه من الأرض ، ومع أن كانيوت لم ينفذ ما أشيع عنه عن الغزو وقعد ، لم ير وليام بداً من تنظيم موارد البلاد وإعادة توزيعها على النظام الإقطاعى الحربى حتى يضمن وجود قوة حربية وموارد منظمة عند الحاجة . ولذلك عقد أكثر من جلسة مع نبلائه ، وبدأ مشاوراته فى عيد رأس السنة فى ١٠٨٥ م فى جلوستر ، حيث ظل المجلس منعقداً لمدة خمسة أيام ، ثم عقد مجلس دينى بإشراك رئيس الأساقفة ، استغرق ثلاثة أيام ، وختمت هذه الجلسات بعقد المجلس الأعظم ، تقرر فى هذه المجالس توزيع الإقطاعات توزيعاً عاماً ، وتحديد فئات المقطعين ومساحات الإقطاعات . وبدئ بعد ذلك فى عملية الروك نفسها بالفحص والقياس والتسجيل والتوزيع الفعلى(١٤) .

أما عملية الروك التى تمت فى عصر السلاطين المماليك لإعادة التوزيع الإقطاعى بشكل عام ، فإجراءاتها أن يندب السلطان بعض الأمراء ، ويوزعهم

على الأقاليم وبصحبة كل أمير عدد من الكتبة والمساعدين ، فإذا نزل الواحد منهم بالجهة التى ندب إليها ، طلب مشايخ كل بلد ودلاّءها وعدولها ليعاونوه فى عملية الفحص النظرى أولا ، وهذه يتولاها ، « الدلاّء » من أهل الناحية ، فيقومون بتعيين أسماء المزارعين للأراضى المزروعة وتفصيل الأرض ببقاعها وأصناف مزروعاتها « وقطايعها » المفروضة عليها ، كما أنهم هم الذين يتولون عمل الدفاتر المعروفة باسم « القناديق » و « القوانين » و « السجلات » ، ويوقع شيخ كل بلد على ما يسجله[١٥] ، وبعد ذلك يطلب الأمراء قضاة الجهة والسجلات التى بأيدى المقطعين فيها ، وذلك لفحص المتحصل من عين وغلة وأصناف ، ومعرفة المساحة بالفدان[١٦] ، ثم ما بها من الأراضى المزروعة أو البور .

وكذلك عبرة الناحية وما عليها لمقطعها من غلة ودجاج وخراف وبرسيم وكشك وعدس وكعك وغير ذلك من ألوان الضيافة المقررة بحكم العادة[١٧] ، يحرر هذا كله ، ثم تبدأ عملية القياس بمساعدة العدول والقياس وقاضى العمل ، ولابد من بيان نوع الأرض فى المساحة التى تقاس إن كانت من نوع البرايب أو البواق أو النقا أو الخرس أو المستبحر[١٨] . فمثلا نجد فى إقليم إبيار وجزيرة بنى نصر شرقى فرع رشيد[١٩] ، مساحة مدينة أكوى مفصلة فى الروك الناصرى بالنقا والخرس وجملتها ١٧٧٢ فداناً[٢٠] ، ومساحة حصة عامر نقا وخرس ومستبحر ١١٦٢ فداناً[٢١] ، وقد يوضح مساحة كل نوع على حدة بعد ذكر المساحة الإجمالية كما هو فى مدينتى أبى بشادة والكرمانية بإقليم الإخميمية بالوجه القبلى فمساحتها الإجمالية ١٢٦٩ فداناً وتفصيلها : نقا ٢٥٠ فدان وخرس ١٠١٩ فداناً ومساحة إدفه بهذا الإقليم كذلك ٧٣٥٠ فداناً ، وتفصيلها : ٢٤٤٧ فداناً نقا ، ٤٩٠٣ فداناً خرس ومستبحر وهكذا[٢٢] ، على أن هناك بلاداً لم تمسح الروك مثل المعصرة بالشرقية وعبرتها ١٠٠٠ دينار ، كانت مقطعة لمتولى الغربية ، وتطورت بعده إلى الديوان المفرد ، وهكذا[٢٣] .

وبعد عملية القياس ، تطلب « مكلفات القرية » وهى سجلاتها ، لمعرفة

الأراضى التابعة للخاص السلطانى وأراضى إقطاعات الأمراء والأجناد وما بها من رزق ، وربما أضيفت الرزق الموجودة بها إلى المساحة[٢٤] ، مثل بلدة قنتير بالشرقية، مساحتها مع الرزق ٢١٠٠ فدان وعبرتها ٢٦٠٠ دينار، وهى فى إقطاع العربان ، وهكذا فى كل منطقة من مناطق الجهة التى ندب لها المشرفون على هذا العمل[٢٥] .

وقام على عملية الروك الحسامى ٦٩٧ هـ — ١٢٩٧م الأمير بيليك الفارسى الحاجب والأمير قراقوش الطواشى الظاهرى والقطب اليونينى أحد كتاب الجيش وعبد الرحمن الطويل مستوفى الدولة وهو من مسالمة القبط [٢٦] واستغرق الروك الحسامى ثمانية شهور من جمادى الأولى ٦٩٧هـ / ١٢٩٧ م إلى ذى الحجة من السنة نفسها[٢٧] . وقام على عملية الروك الناصرى بمصر سنة ٧١٥ هـ / ١٣١٥ م الأمير جنكلى ابن البابا وآقولى الحاجب ومكين الدين قروينة لناحية الغربية ، ولناحية الشرقية الأمير أيدمر الخطيرى ومساعده الأمير أيتمش المحمدى ، ومن الكتاب أمين الدولة ابن قرموط ، وفى البحيرة والمنوفية الأمير بلبان الصرخدى ومعه البكيجى وابن طرنطاى وبيبرس الجمدار ، أما فى الوجه القبلى، فندب إليه الأمير البليلى، والمرشينى ومعهم كتاب ومستوفون، واستغرق هذا الروك[٢٨] ١٥ يوماً .

وفى البلاد الشامية استغرق الروك عدة سنوات فى عهد الناصر ، وتولى هذه العملية بدمشق سنة ٧١٢ هـ — ١٣١٢م : الأمير سنجر الجاولى[٢٩] نائب غزة وابن هبة الله بن حشيش ناظر الجيش بالشام وكذلك عدد من المباشرين بديوان الجيش بمصر ، وأقام الجاولى عند الأمير تنكز نائب الشام (بدمشق) حتى انتهت عملية الروك فى ذى الحجة سنة ٧١٣هـ / ١٣١٣ م ، وحررت بعبرة البلاد ومتحصلها وما فيها من إقطاع ووقف وملك[٣٠] وأمر السلطان الناصر محمد بروك بلاد طرابلس سنة ٧١٧ هـ — ١٣١٧م على يد يعقوب ناظر حلب[٣١] أما بلاد حلب، فأمر بروكها فى سنة ٧٢٤ هـ — ١٣٢٣م على نسق روك الشام أى دمشق ونيابتها .

وبعد أن تحررت البيانات اللازمة فى الأوراق بحال جميع الضياع بمصر والشام ، تسلمها ناظر الجيش فى كل إقليم ، والرئيس الأعلى لنظار الجيوش وهو ناظر الجيوش المنصورة ، بمصر ، ولذا أرسلت أوراق الروك بالشام كله إلى ناظر الجيــوش بمصر(٣٢) لفحص البيانات فى ديوان الجيش(٣٣) ، وإجراء التعديلات اللازمة . شملت هذه التعديلات قاعدة التوزيع العام بالقيراط وعبرة البلاد ، أى المبالغ المربوطة عليها ، ثم التعديل فى التوزيع للإقطاعات من حيث أماكنها ونوعها من حيث الجودة أو الضعف، كذلك تطلب العمل نقل السنة من الناحية التنظيمية الإصلاحية .

أما التعديل الخاص بالقاعدة العامة فى التوزيع بالقيراط(٣٤) ، فيجرى بحسب ما يرى السلطان تحقيقاً لأغراضه ، فمثلا فى الروك الحسامى أمر السلطان لاجين ونائبه منكوتمر ؛ رئيس الكتاب ومستوفى الدولة بأن يكتفى الأمراء والجند جميعهم بعشرة قراريط بدلا من عشرين حسب القاعدة العامة ، وأرصد لمن عساه يشكو قلة متحصله قيراطاً واحداً ثم احتفظ بتسعة قراريط « برسم عسكر يستجد » ، فضلا عن أربعة قراريط نصيب السلطان .

غير أن هذا التعديل أغضب الأمراء ، وتطور الغضب إلى سخط والسخط إلى ثورة والثورة إلى مقتل السلطان ونائبه منكوتمر . أما الناصر محمد فأفرد لخاصته عشرة قراريط ولجميع الجيش من أمراء وأجناد أربعة عشر قيراطاً ، وهذا فضلا عما يتوفر من الإقطاعات عند التوزيع ، فهذه تضاف إلى السلطان يتصرف فيها، كما حدث فى روك الشام ، وذلك أن عدة إقطاعات توفرت وقدرها نحو مائتى مثال ، أى مائتى وثيقة بإقطاع ، فأدخلها الناصر فى ديوان الخاص وزاد منها فى إقطاع نيابة السلطنة ، وتوفر فى روك مصر سنة ٧١٥ هـ ـ ١٣١٥م مائتا مثال كذلك(٣٥) ، وفى روك طرابلس سنة ٧١٧ هـ ـ ١٣١٧م توفرت ستة إقطاعات من مرتبة الطبلخاناه وثلاثة إقطاعات من مرتبــة العشرات(٣٦) .

ومن حيث التعديل فى عبرة الإقطاعات ، يلاحظ أن العبرة دائمة

التغير زيادة ونقصاً وإلغاء ، سواء أكان ذلك نتيجة لفحص شامل كالروك أو فحص جزئى على ممر السنين تبعاً لحالة الأرض وسياسة ولى الأمر ، فقد تصلح بعض الأراضى ويحسن ريها فتزداد عمارتها وبالتالى يعظم إنتاجها ، وهذه تقضى بزيادة المال المربوط عليها ، أى ترتفع عبرتها ، فمثلا كوم الودان بالغربية كانت عبرته فى الروك الناصرى ٥٠٠ دينار ثم صارت بعد الروك ٨٢٥ ديناراً وهو للمقطعين ، ومن حيث النقص ، وهو الغالب على عبرة البلاد بعد عهد الناصر تقريباً للإهمال أو عدم توافر الأيدى العاملة فمثله : طبرينة بالبحيرة ، كانت عبرتها ٥٠٠٠ دينار ثم نقصت إلى ٧٥٠ ديناراً ، وقد تظل العبرة كما هى دون تغير ، مثل محلة حسن بالغربية ظلت عبرتها ٣٣٠٠ دينار وهكذا ، على أنه قد لاتحدد العبرة أحياناً لعدم التمكن من الدقة فى ربط مال معين عليها وإنما تحدد حصة المقطع بالمقاسمة ، كأن يقال بحق النصف أو الثلث مثل مدينة البهيو ومنية فوريك بالدقهلية كانت عبرتها فى الروك ٢١٠٠ دينار ثم صارت بحق النصف ، وقد لا تذكر العبرة نهائياً مثل أطناى بالبهنساوية كانت عبرتها فى الروك ٦٠٠ دينار ثم استقرت بغير عبرة وهكذا (٣٧) .

والمقصود بتعديل العبرة فى التوزيع الإقطاعى ، هو الناحية السياسية أى إضعاف المقطعين بإعطائهم إقطاعات ضعيفة الإنتاج قليلة العبرة ، حدث ذلك فى الروك الحسامى حيث أبدلت الإقطاعات « الثقيلة » المتحصل بإقطاعات دونها فى العبرة والمتحصل ، على حين أصلح بعض الإقطاعات الضيفة ولا سيما ما خص أجناد الحلقة منها ، غير أن عبرة الإقطاعات للروك الحسامى عامة ، نقصت كلها عما كانت عليه أيام قلاوون ، فبينما بلغت عبرة أقلها نحو عشرة آلاف درهم وزاد أكثرها على ثلاثين ألف درهم زمن قلاوون ، صار أكبر إقطاع للجندى فى هذا الروك لا يتحصل منه أكثر من ٢٠ ألف درهم إلى ما دونها ، كما أنقص من كان عبرة إقطاعه ٢٠ ألف درهم إلى ١٠ آلاف درهم ومن كان عشرة آلاف درهم إلى ٥ آلاف درهم ، لذلك شق الأمر على الأجناد ، حتى إن طائفة منهم تجمعت أمام دار النيابة بالقلعة ورموا بمثالاتهم (٣٨) ،

وقالوا : « إنا لم نعتد بمثل هذا ، فإما أن تعطونا ما يقوم بكفايتنا وإلا فخذوا أخبازكم ، وإما أن نخدم الأمراء ، أو نقيم بطالين[٣٩] » . لم يستمع منكوتمر النائب لشكايتهم ، وأمر الحجاب بضربهم وسوقهم إلى السجن برغم شفاعة بعض الأمراء فيهم ، وبرغم وصية السلطان بزيادة إقطاعاتهم[٤٠] ، بل قال منكوتمر متحدياً : « أيما قواد يجى يشتكى من خبزه ويقول : أعرف السلطان، فإنى أعرف أيش يقول السلطان ، فإما أن يرضى يخدم وإلا فإلى لعنة الله[٤١] » .

كذلك شق هذا التغيير والإنقاص على الأمراء المقدمين، إذ أن السلطان هو الذى وزع عليهم مثالاتهم ، فبان فى وجوههم التغير ، على قول صاحب السلوك ، لقلة العبرة ، ولما هم بزيادتهم، منعه منكوتمر من فتح هذا الباب ، وحذره أنه متى فتح هذا الباب تعب[٤٢] ، ويضيف أبو المحاسن ، أن منكوتمر كان يخشى أن يعجز السلطان عن سده[٤٣] ، لذلك كان لاجين يحيل من يشكو من قلة إقطاعه على منكوتمر ، وهذا بدوره لم ينصفهم بل أساء إليهم بالتقريع والتعنيف والسب حتى أوغر صـــدورهم وأثار حنقهم ، فانصرفوا وقد عولوا على عمل الفتنة [٤٤] .

ويستطيع السلطان بواسطة الروك كذلك أن يختار لنفسه وللمقربين إليه ما يشاء من الأرض الجيدة وفى الأماكن التى يختارها ، بدليل أن السلطان لاجين أفرد فى روكه لخاصته : الأعمال الجيزية والأطفيحية ومنفلوط وكفورها وهوب والكوم الأحمر من الأعمال القوصية وغير ذلك[٤٥] وأفرد للنائب منكوتمر إقطاعاً عظيماً ، منه : مرج بنى هميم وكفورها وسمهود وكفورها وحرجة قوص ومدينة إدفو[٤٦]، ونيفت عبرة إقطاعاته عن مائة ألف دينار ، فصار (كل له حاسد)[٤٧]، وطلب الناصر عند روكه البلاد سائر مستوفى الدولة بما فيهم الفخرى ناظر الجيوش وألزمهم « بعمل أوراق تشتمل على بلاد الخاص السلطانى التى عينها لهم »[٤٨] ، ومنها ما هو تابع لإقطاعات البرجية كالجيزة وأعمالها والكوم الأحمر ومنفلوط والمرج والخصوص وغير ذلك ، مما هو مذكور فى الجرايد الحسابية[٤٩] ، كما أفرد من بلاد الشام

لخاصته « خراجات ضياع الغوطة والمرج وكذلك الضياع التى هى منازل من دمشق إلى العريش »(٥٠) .

هذا ما يتعلق بالسلطان فى اختياره لنوع الإقطاع ومكانه ، أما إقطاعات الأمراء ، فيستطيع السلطان كذلك أن يعينها فى الأماكن التى يختارها بحسب درجة ولاء الأمير ، ومثال ذلك ما حدث فى الروك الناصرى حيث وزعت إقطاعات بعض الأمراء والأجناد فى أماكن متباعدة إضعافاً لهم ، ليضمن تمركز السلطة فى يده ، ويرجع هذا إلى تدبير الأقباط الذين أسلموا ، وهم المعروفون باسم « المسالمة » وهؤلاء قربهم الناصر(٥١) ، وليس هذا غريباً فى بابه ، إذا علمنا أن السبب الرئيسى فى الروك الناصرى هو استكثار الناصر لأخباز الأمراء ، أصحاب الدور الأول فى عزله من سلطنته الثانية(٥٢) فأراد أن يحتاط لنفسه ، حتى لا يمكن غيرهم من القوة والتركيز بحيث يصبحون خطراً على عرشه . غير أن هذا لا ينفى مسئولية الأقباط ، يقول المقريزى : « ومكر الأقباط فيما أمكنهم المكر فيه ، فبدءوا بأن أضعفوا عسكر مصر فصار بعض الجبى فى الصعيد وبعضه فى الشرقية وبعضه فى الغربية ، إتعاباً للجندى ، وتكثيراً للكلفة »(٥٣) والدليل على أنهم كانوا يعملون لمصلحتهم بصدد هذا الروك كذلك أنهم كما يقول المقريزى : « أفردوا جوالى الذمة من الخاص (أى أخرجوها من الخاص السلطانى) وفرقوها فى البلاد التى أقطعت للأمراء، والأجناد فصار نصارى كل بلد يدفعون جاليتهم إلى مقطع تلك الضيعة ، فاتسع مجال النصارى وصاروا ينتقلون فى القرى ولا يدفعون من جزيتهم إلا ما يريدون ، فقل متحصل هذه الجهة بعد كثرته »(٥٤) .

وعمل بعض الأمراء الذين اشتركوا فى روك الشام ٧١٢ هـ — ١٣١٢م أمثال سنجر بن عبد الله الجاولى، على أن يختاروا لأنفسهم ومماليكهم إقطاعات معينة ، فاختار سنجر هذا « لمماليكه خيار الإقطاعات »، على قول ابن حجر ، ولكن تنكز نائب الشام ، وقف له بالمرصاد ، فأمر السلطان بالقبض عليه(٥٥) .

وتوزيع الإقطاعات فى أماكن متباعدة لم يكن من مبتكرات السلطان

الناصر أوكابه الأقباط فى الروك الناصرى ، بل سبقه فى ذلك نظام الملك وزير ملكشاه السلجوقى[٥٦] ، كما سبق إلى ذلك وليام الفاتح فى الروك النورمانى بانجلترا عام ١٠٨٦ م ، ولذلك امتاز النظام الإقطاعى النورمانى عن غيره من نظائره فى القارة بقوة الملوك[٥٧] .

واقتضى الروك تعديلات من نوع آخر للتوفيق بين السنة الخراجية القمرية والسنة الميلادية الشمسية ، وذلك بتقديم السنة القمرية سنة كاملة لتنظيم الخراج . ويرجع ذلك إلى وجود تفاوت[٥٨] بين السنة القمرية، وهى المعتمد عليها فى جباية الخراج ، وبين السنة الشمسية المعتمد عليها فى مواسم الزرع ومواعيد استحقاق الجباية ، وتفسير ذلك : أن السنة القمرية أقل من السنة الشمسية بمقدار أحد عشر يوماً وسدس يوم تقريباً ، ولذا تنقص السنة القمرية عن الشمسية سنة كاملة تقريباً كل ٣٣ سنة ، فإذا مضت ثلاث وثلاثون سنة حولت السنة الثالثة والثلاثون إلى تلو السنة التى بعدها ، أى إلى الخامسة والثلاثين وتلغى الرابعة والثلاثون ، وهو إلغاء نظرى ، أو كما يقول أبو الفضائل : « تحويل بالكلام تنطق به ألسنة الأقلام »[٥٩] ، والسبب فى هذا التحويل أنه قد يحدث أن توافق مواعيد تحصيل الخراج أول السنة الهلالية ثم تزحف هذه المواعيد فتكون فى وسط السنة الهلالية أو آخرها أو فى السنة التالية بسبب تداخل السنوات الهلالية فى الشمسية وبسبب قصر القمرية عن الشمسية ، وحينئذ يجبى الخراج المستحق عن السنة السابقة فى السنة التى بعدها ، فتدعو الضرورة عند ذلك إلى تحويل السنة الخراجية السابقة إلى التى بعدها بعد أن يجبى خراج سنتين دفعة واحدة ويلغى خراج السابقة ، وبذلك ينقل خراج السنة ٣٣ إلى السنة ٣٥ ويلغى اسم خراج السنة ٣٤ ، حتى توافق السنة الخراجية السنة الشمسية[٦٠] .

طبقت هذه القاعدة فى الروك الحسامى ٦٩٦هـ – ١٢٩٦م وفى الروك الناصرى بدمشق ٧٩٢ هـ – ١٣١٢ م [٦١] .

الأوضاع التي استقر عليها التقسيم الإدارى والتوزيع الإقطاعى – بمقتضى الروك الناصرى « الوجه البحرى »

٧١٥ هـ – ١٣١٥ م

الرقم	اسم الإقليم أو الأعمال	عدد نواحيه	مساحة كل إقليم بالفدان الإقطاعى	مساحة كل إقليم بالفدان الحديث	العبرة أو الخراج المقدر على كل إقليم بالدينار الإقطاعى	العبرة أو الخراج المقدر على كل إقليم بالجنيه المصرى الحديث
١	ضواحى القاهرة	٢٦	٢٠ر٥٩٨	٢٩ر٠٧٧	١٥٣ر٠٧٥	١ر٨٤٥
٢	الأعمال القليوبية	٦١	١١٣ر٣٢١	١٥٩ر٩٧٢	٤١٩ر٨٥٠	٢٥١ر٩١٠
٣	الأعمال الشرقية	٣٩٦	٥١ر٩٣٧٠	٧٢٥ر٥٥٥	١ر٤١١ر٨٧٥	٨٤٧ر١٢٥
٤	الأعمال الدقهلية والمرتاحية	٢١٤	١٧٠ر٥٨٨	٢٤٠ر٨١٤	٥٩٦ر٠٧١	٣٥٧ر٦٤٣
٥	ثغر دمياط المحروس	١٤	٩ر١٩١	١٢ر٩٧٤	١١ر١٠٠	٦ر٦٦٠
٦	الأعمال الغربية	٤٧٧	٥٥٧ر١٧٦	٧٨٦ر٥١٧	١ر٨٤٤ر٠٨٠	١ر١٠٦ر٤٤٨
٧	أعمال المنوفية	١٣٣	١٤٦ر٠٥٦	٢٠٦ر١٨٢	٥٧٤ر٦٢٩	٣٤٤ر٧٧٧
٨	عمل إبيار وجيزة	٤٩	١٠٠ر٢٢٤	١٤١ر٤٨٣	١٠٠ر٢٣٢	٦٠ر١٣٩
٩	أعمال البحيرة	٢٣١	٣١٨ر١٩٦	٤٤٩ر١٨٧	٧٤١ر٢٩٤	٤٤٤ر٧٧٦
١٠	إقليم فوة والمزاحمتين...	١٦	١٢ر٩٢٧	١٨ر٢٤٨	٥٦ر٨٤٦	٣٤ر١٠٨
١١	إقليم نستراوه	٦	٧ر٣٢٦	١٠ر٣٤٢	٤٣ر٥٠٠	٢٦ر١٠٠
١٢	ثغر إسكندرية	١٤	٣٢ر١٧٢	٤٥ر٤١٦	١١ر٠٠٠	٥ر٦٠٠
	١٢	١٦٣٧	٢ر٠٠٠ر٧٤٥	٢ر٨٢٥ر٧٦٧	٥ر٩٦٣ر٥٥٢	٣ر٤٨٧ر٠٢٠

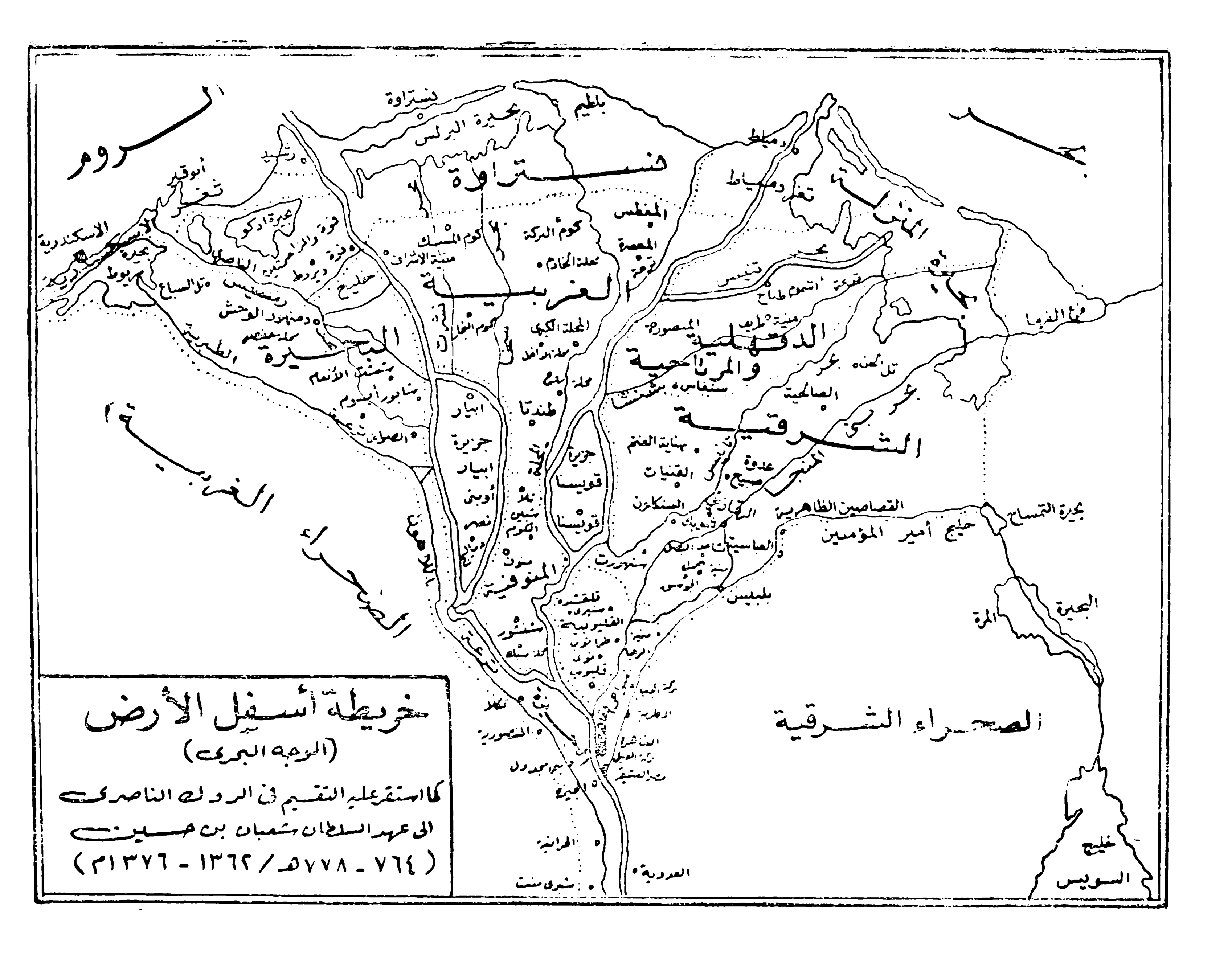
الوجه القبلى

الرقم	اسم الإقليم أو الأعمال	عدد نواحيه	مساحة الإقليم		العبرة أو الخراج المقدر على كل إقليم	
			بالفدان الإقطاعى	بالفدان الحديث	بالدينار الإقطاعى	بالجنيه المصرى الحديث
١	الأعمال الجيزية	١٥٤	١٦٥ر١٣٦	٢٣٣ر١١٧	٦٢ر٠٠٠	٣٧ر٢٠٠
٢	« الأطفيحية	٥٢	١٢٥ر٢١٦	١٧٦ر٧٦٣	١٤٣ر٩٩٧	٨٦ر٣٩٨
٣	« الفيومية	١٠٤	١٥٥ر٣٥٢	٢١٩ر٣٠٥	١٦٤ر٠٥٠	٩٨ر٤٣٠
٤	« البهنساوية	١٥٩	٣٥٧ر١٢٦	٥٠٤ر١٤٣	١ر٣٠٢ر٦٤٢	٧٨١ر٥٨٥
٥	« الأشمونين	١٠٤	٢٠٩ر١٣٩	٢٩٥ر٢٣٥	٧٦٢و٠٤٠	٤٥٧ر٢٢٤
٦	« المنفلوطية	٥	٢٢ر٧٩١	٣٢ر١٧٣	٤٧ر٥٠٠	٢٨ر٥٠٠
٧	« السيوطية	٣٢	١٣٤ر٤٢٢	١٨٩ر٧٥٩	٣٢٣ر٩٢٠	١٩٤ر٣٥٢
٨	« الإخيمية	٢٥	١٢٠ر٦٢٠	١٧٠ر٢٧٥	٢٤٣ر٩٢٥	١٤٦ر٣٥٥
٩	« القوصية	٤٣	٣٤٥ر٠٩٣	٤٨٧ر١٥٦	٤١٤ر٦٦٣	٢٤٨ر٧٩٨
المجموع	٩	٦٧٩	١ر٦٣٤ر٨٩٥	١ر٣٠٧ر٩٢٦	٣ر٤٦٤ر٧٣٧	٢ر٠٧٨ر٨٤٢

ملاحظة : –

لم يحدث خلاف بين التقسيم الإدارى وعدد النواحى فى روك لاجين عن التقسيم الذى وقع بمقتضى الروك الناصرى إلا أن الخلاف وضح فى المساحات وفى تقدير عبرة الإقطاعات والخراج المقدر وهذا أمر طبيعى كما وضح فى هذا الفصل .

(مالية مصر ص ٢٤١–٢٤٧ ، ٢٦٠–٢٦٦ والتحفة السنية ص ٥٠٢) .


خريطة أسفل الأرض
(الوجه البحرى)
كما استقر عليه التقسيم فى الدولة الناصرى
الى عهد السلطان شعبان بن حسين
(٧٦٤ - ٧٧٨هـ / ١٣٦٢ - ١٣٧٦م)
بحر الروم
الصحراء الغربية
الصحراء الشرقية
نستراوة
بحيرة البرلس
الغربية
البحيرة
الدقهلية والمرتاحية
الشرقية
المنوفية
الاسكندرية
رشيد
أبوقير
دمياط
تغر دمياط
بحيرة ادكو
بلطيم
المحلة الكبرى
طندتا
سمنود
المنصورة
قويسنا
بلبيس
الصالحية
القصاصين الظاهرية
خليج أمير المؤمنين
بحيرة التمساح
المرة
البحيرة
خليج السويس
قطيا
تنيس
الفرما
الجيزة
شبرامنت
العدوية
المرابية

(١) السلوك جـ٢ ص٤٦ حاشية ١ ، النجوم الزاهرة جـ٨ ص٩٠ ، عمر طوسون : مالية مصر ص ٢١٤ – ٢١٩ ، ٢٣٨ – ٢٥٣، الشيال : صفحة من الحياة الاقتصادية فى مصر الإسلامية – مجلة الثقافة عدد ٩٧ ، ٩٩ سنة ١٩٤٠ .

(٢) خطط جـ١ ص١٤١ – ١٤٢ ، السلوك جـ١ ص٨٦٥ .

(٣) خطط جـ ١ ص ١٤٢ .

(٤) ظلت هذه الحمايات تفرض تارة وتلغى تارة أخرى ، غير أن الإقرار كان أقرب إلى الاستمرار ، وقد نظم السلطان برقوق جبايتها فى سنة ٧٨٢هـ – ١٣٨٠م كما أفرد السلطان فرج بن برقوق ديوانا لها وللمستأجرات . (التيسير والاعتبار ورقة ٥٢ – ٥٣، خطط جـ١ ص١٧٩ ، السلوك (مخطوط) جـ٣ ص٧٥٤) .

(٥) تاريخ بيبرس ورقة ٧٥ ، السلوك جـ٢ ص٨٤١ – ٨٤٢ وحاشية ٧ ، النجوم الزاهرة جـ٧ ص٧٧ وحاشية ٢ ، جـ٩ ص٥٢ – ٥٣ ، خطط جـ٢ ص١٤٥ – ١٤٦ .

(٦) التحفة السنية ص ٧٥ ، ص١١٩ ، ١٢٢ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٨٨ .

(٧) غازان محمود بن ارغون بن ابغا بن هولاكو بن تولى خان بن جنكيزخان ملك التتر ، جلس على عرش السلطنة سنة ٦٩٣هـ – ١٢٩٣م واعتنق الإسلام سنة ٦٩٤هـ – ١٢٩٤م فأسلم غالب جنده، وقد تعددت اعتداءاته على بلاد الدولة المملوكية ، وتوفى سنة ٧٠٣هـ – ١٣٠٣م (النجوم الزاهرة جـ٨ ص٧١ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٨٩ ٢١٢ ، ٢١٣) .

(٨) مورد اللطافة : ص٤٩ .

(٩) سلاطين المماليك ص٤٥ .

(١٠) خطط جـ ١ ص ١٤٢ .

(١١) النجوم الزاهرة جـ٨ ص١١٥ – ١١٦ ، ١٧٢ ، ١٨٠ – ١٨١ ، ٢٣٢ ، ٢٧٥ ، جـ٩ ص٣ وما بعدها ، السلوك جـ ٣ ص ١٤٦ .

(١٢) أمر السلطان سليم فى أواخر المحرم من ٩٢٣هـ ، وكان طومان باى فى ذلك الوقت مختفياً عند أولاد مرعى ، لم يقبض عليه بعد، بمسح بلاد الشرقية، وعين لهذا الغرض الأمير الشرفى يونسى الاستادار ليكشف ما فيها من إقطاعات المماليك والجراكسة وغير ذلك من الرزق والأوقاف وعين اثنين للقيام بمسح الغربية ، وواحد لجهات المحلة واثنين للوجه القبلى (بدائع الزهور جـ٣ ص ١٠٧ – ١٠٨ ، ١١٢ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٣٠٣) .

(١٣) ترجع تسمية كتاب الروك باسم (Domesday Book) إلى رسالة نشرت بعد عملية الروك بنحو قرن من الزمان لمؤلفها (Nijel) وذلك سنة ١١٧٦م، فقد جاء فى هذه الرسالة أن الإنجليز يسمون كتاب المساحة أو سجل المساحة (Domesdei) تشبهاً بيوم الحساب لأن الفحص شمل كل شيء بحيث لم يتمكن أحد من الفرار منه ، ثم إن ما قرره هذا السجل بصدد الأراضى وملكياتها ، أضحى غير قابل للتغيير أو الاعتراض أو الاستئناف ، وهو محفوظ اليوم فى مكتب السجلات العامة Chapter House ، وتحتوى النسخة المخطوطة الأصلية لهذا السجل على مجلدين ، يختص الأول ببحث معظم بلاد انجلترا على حين تناول الثانى ، وهو أقل حجماً من الأول ، بحث ثلاث كونتيات فقط هى نورفلك وسسكس وسفولك .

إلا أنه أكثر تفصيلا فى بعض البيانات برغم صغر حجمه ، وبالكتاب جميعه ستة جداول إحصائية ينفرد الأول بتعداد السكان وطبقاتهم ويوضح الثانى عدد الأقسام الفرعية لكل كونتية ، ويسمى الواحد من هذه الأقسام الفرعية باسم (Borough) ، ويذكر الجدول الثالث أسماء المدن ذات الأسوار مثل أكسفورد ويورك وغيرهما ، أما الرابع فيضم أسماء دائرة كبار أصحاب الأملاك وعدد دوائر كل منهم ، فمثلا تمتلك الأديرة نحو ٧٠٠ دائرة Manors ، وللملك ١٤٢٢ دائرة ، ويفصل الجدول الخامس عدد الدوائر الموزعة فى الكونتيات المختلفة لأحد السادة الإقطاعيين وهو سيد منطقة مورتين (Mortaine) كمثل لذلك ، كأن يقول : يمتلك هذا السيد فى كونتية سسكس (Sussex) ١٤ دائرة وفى يوركشير ١٩٦ دائرة وهكذا ، وبالجدول الأخير جملة السكان المحليين بطبقاتهم وحرفهم المختلفة مثل الأحرار المستأجرين (Alloarii) وأناث الأقنان (Ancillae) ورعاة الأغنام (Berquarii) وغيرهم .

(١٤) Davies, Documents, PP. 2 — 3

(١٥) التيسير والاعتبار ورقة ١٧ ، ج٢ ص ١٤٩ وحاشية ٣ .

(١٦) مساحة الفدان ٤٠٠ قصبة حاكية مربعة وطول هذه القصبة ٦ أذرع بالهاشمى و ٥ أذرع بالبخارى و ٨ أذرع بذراع اليد (نهاية الأرب ج٨ ص٢٤٩ وحاشية ٢ عن القلقشندى : صبح الأعشى ج٣ ص ٤٤٦) .

(١٧) خطط ج١ ص١٤١ — ١٤٣ — ١٦٢ ، النجوم الزاهرة ج٩ ص٤٣ ، نهاية الأرب ج٨ ص٢٤٧ — ٢٤٨ .

(١٨) انظر الفصل السابع .

(١٩) انظر الخريطة .

(٢٠) التحفة السنية ص ١١٢ .

(٢١) التحفة السنية ص١١٣ .

(٢٢) التحفة السنية ص١٨٨ .

(٢٣) التحفة السنية ص١٧ — ١٨ .

(٢٤) التحفة السنية ص٣٩ .

(٢٥) خطط : جـ١ ص١٤٣ ، السلوك : جـ٣ ص١٤٦ – ١٤٩ ، سلاطين المماليك ص ١٤٦ .

(٢٦) عيون التواريخ : جـ٢ ص ١٦٩ ، النجوم جـ٨ ص٩٠ – ٩٣ – ١٩٣ ، السلوك جـ١ ص٨٤٢ ، ٨٤٣ تاريخ أبي الفداء جـ٣ ص٣٩ ، جـ١ ص٨٤٢ ، ٨٤٣ تاريخ أبي الفداء جـ٣ ص ٣٩ ، تاريخ الملك الأشرف – مخطوط غير مرقم – ، بدائع الزهور : جـ ١ ص١٣٧ ، سلاطين المماليك ص ٤٥ .

(٢٧) فتوح النصر : جـ٢ ورقة ١٨٨ ، نهاية الأرب (مخطوط) جـ٢٩ ورقة ١٠٠ .

(٢٨) فتوح النصر : جـ٢ ورقة ١٨٨ – ٢٣٥ ، خطط جـ١ ص١٤٢ ، السلوك جـ٢ ص١٢٧ النجوم جـ٩ ص٣٦ – ٤٢ – ٤٣ ، ابن إياس جـ١ ص١٥٩ ، تاريخ بيروت ص٨٩ – ٩٥ ، الجوهر الثمين ورقة ١٣٦ ، نهاية الأرب (مخطوط) جـ ٣٠ ورقة ٩٠ – ٩٢ .

(٢٩) الجاولى نسبة إلى أمير يقال له جاول منذ عهد بيبرس وقد خدمه سنجر هذا ثم خدم عند قلاوون ثم الناصر .

(٣٠) السلوك جـ٢ ص١٢٧ ، الدرر الكامنة جـ١ ص١٧٠ – ١٧١ ، النجوم جـ٩ ص٣٦ . بدائع الزهور جـ١ ص١٥٩ ، روض المناظر – مخطوط غير مرقم ، فتوح النصر جـ٢ ورقة ٢٣٢ ، النويرى : نهاية الأرب (مخطوط) جـ٣٠ ورقة ٨١ .

(٣١) السلوك جـ٢ ص١٧٦ – ١٧٧ .

(٣٢) السلوك جـ٢ ص١٧٦ – ١٧٧ .

(٣٣) انظر الفصل الرابع .

(٣٤) راجع الفصل الثانى .

(٣٥) السلوك جـ٢ ص١٥٥ .

(٣٦) خطط جـ١ ص١٤٤ – ١٤٥ ، السلوك جـ٢ ص١٢٧ – ١٧٦ – ١٧٧ .

(٣٧) التحفة السنية ص٤٧ ، ٨٨ – ٨٩ ، ١٣٠ ، ١٦٠ .

(٣٨) انظر الفصل التالى .

(٣٩) النجوم الزاهرة جـ٨ ص٩٤ – ٥٩ – السلوك جـ١ ص٨٤٦ .

(٤٠) السلوك جـ١ ص٨٤٥ .

(٤١) المصدر السابق ص٨٤٦ .

(٤٢) المصدر السابق ٨٤٥ .

(٤٣) النجوم الزاهرة جـ ٨ ص٩٤ .

(٤٤) المصدر السابق ص٩٥ .

(٤٥) السلوك جـ ١ ص٨٤٣ وحواشيها .

(٤٦) مرج بنى هميم في الأعمال القصوصية ، عبرته ، ٥٠٠٠ دينار ، الحرجة مساحتها ١٥٩٥٢ فدانا خرس وعبرتها ١٠،٠٠٠ دينار ، ادفو مساحتها ٢٤٧٦٢ فدانا خرس وعبرتها ٢٠،٠٠٠ دينار (التحفة السنية ص١٩١ – ١٩٥) .

(٤٧) كان يتحصل من بعض إقطاعات منكوتمر بالوجه القبلى أكثر من ١٠ آلاف إردب غلة ، خارجا عن المال العين والقنود والأعسال والتمر والأغنام والأحطاب، وكان يتبعه ٢٧ معصرة لقصب السكر ، سوى ماله من المشتريات والمتاجر وما له ببلاد الشام من الضياع والعقار وما يرد إليه من التقادم . (السلوك جـ١ ص٨٤٤ ، النجوم الزاهرة جـ٨ ص٩٣ – ٩٤، تاريخ بيبرس ورقة ٧٥) .

(٤٨) السلوك جـ٢ ص ١٤٩ – ١٥٠ .

(٤٩) الكوم الأحمر بالأعمال الجيزية لم يمسح ، أما المرج فيعتبر من كفور نقادة بالبحيرة ومساحته ٥٧١فدانا وعبرته ١٥٠٠ دينار وقد نقصت هذهالعبرة فيما بعد إلى ٧٥٠ دينارا والخصوص تابعة لأسيوط لم تمسح فى الروك وعبرتها ٢٢،٠٠٠ دينار (التحفة السنية ص ١٤١ ، ١٦٤ ١٢١ ، ١٨٥ ، خطط جـ١ ص١٤٤ ، النجوم الزاهرة جـ٩ ص٥٠ الييسير والاعتبار ورقة ١٦)

(٥٠) تاريخ بيروت ص ٩٦ .

(٥١) خطط جـ١ ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٥٢) السلوك جـ٢ ص ١٤٦ .

(٥٣) الخطط جـ١ ص١٤٥ .

(٥٤) الخطط جـ١ ص ١٤٥ .

(٥٥) الدرر الكامنة جـ٢ ص١٧٠ - ١٧١ .

(٥٦) راجع الفصل الأول .

(٥٧)

(٥٨) هذا التفاوت غير « تفاوت المدد » المقدر بالمال عن مقطع انتقل من الجامكية إلى الإقطاع خلال السنة . له غلة الإقطاع عن السنة كلها ، وفى هذه الحالة عليه أن يرد ما أخذه من الجامكية خلال الفترة التى عمل فيهابالجامكية منتلكالسنة، وهذا المبلغ هوالمصطلح عليه بتفاوت المدد .

(٥٩) النهج السديد ص ٦٠٠ .

(٦٠) السلوك جـ١ ص٨٤٥ حاشية١ ، جـ٢ ص١٢٧ حاشية٤ ، صبحالأعشى جـ١٣ ص٥٤ – ٥٥ ، ٥٧ – ٥٨ ، ٦١ ، ٧٤ ، ٧٨ ، خطط جـ١ ص ٢٧٣، نزهة الأنام ورقة ٣٤ – ٢٣٩ .

(٦١) أول من فكر فى نقل السنة الخليفة المتوكل عام ٢٤٢هـ – إذكان خراج سنة ٢٤١هـ يستحق تحصيله فى أول سنة ٢٤٢هـ ، فأمر بإلغاء ذكر سنة ٢٤١هـ لانقضائها ونسبة الخراج إلى سنة ٢٤٢هـ ، وجبى خراج سنتى ٢٤١ ، ٢٤٢هـ دفعة واحدة (صبح الأعشى جـ١٣ ص٥٧) .

الفصل الرابع

الأوراق التي تصدر بصدد التوزيع الإقطاعي



الإدارة الإقطاعية : ديوان الجيش وتسجيل البيانات — الأوراق التى يصدرها ديوان الجيش : المثال — المربعة — ديوان الإنشاء والأوراق التى تصدر عنه — المنشور الإقطاعى وكيفية صدوره — رتب المناشير — المناشير الطارئة — طريقة كتابة المنشور — توقيع السلطان بعلامته — الطغرى السلطانية وموضعها من المنشور — تحليل المناشير — حفل توزيع البراءات الإقطاعية فى مصر وخارجها — الجريدة الإقطاعية — الإفراج عن الإقطاعات .



تشمل الإدارة الإقطاعية — ورأسها السلطان — الدواوين والموظفين المنوط بهم أمر النظر فى الإقطاع ، وأول هذه الدواوين : ديوان الجيش ، فهو « مظنة الإقطاعات » ، أى محلها ، على قول القلقشندى[1] ، كما أنه أكبر الدواوين المختصة بالشئون المالية[2]. ويليه ديوان الإنشاء الذى تخرج منه الوثيقة الإقطاعية النهائية، بناء على مايرد إليه من الوثائق التى تكتب فى ديوان الجيش[3] ، وبمقتضى هذه الوثيقة الأخيرة يصبح الإقطاع قانونياً فى يد صاحبه .

وأول هذه العملية أن يتسلم ناظر الجيش[4] الأوراق الخاصة بالروك من البلاد المختلفة، لأنه الشخصية الأولى بعد السلطان فى أمور الإقطاع ، وتلخص اختصاصاته فى تحرى الدقة[5] فى مقادير الإقطاعات بأرجاء الدولة المملوكية ، والتشاور مع السلطان بشأنها وينص فى « توقيع » تعيينه على هذه الاختصاصات ، كما يوصى بالعناية بها ، ومما جاء فى هذه الصدد : « عليه الاحتياط فى أمر المربعات وجهات الإقطاع وما يترتب عليها من المناشير والنظر فى أمر المقطعين من العرب والتركمان والأكراد ومن عليه تقدمة أو درك أو غير ذلك » [6] .

يراجع ناظر الجيش البيانات الواردة بأوراق الروك ويفحصها فى ديوانه ، وبعد إتمام هذا الفحص ، يأمر السلطان بكتابة الوثائق المختلفة ، ويتولى كتابتها كتاب الجيش بإشراف الناظر ، وربما كتبوها بين يدى السلطان فى بعض الأحيان[7]. وأول وثيقة يصدرها ديوان الجيش هى « المثال »[8] التى تنص على الإقطاع الممنوح ، سواء أكان جديداً لأول مرة أو منقولا عن مقطع سابق ، واسم المقطع الجديد والسابق إن وجد ، وعبرة الإقطاع ثم تاريخ الاعتماد ، وربما

خلا المثال من اسم المقطع واقتصر على عبرة الإقطاع فقط ، بدليل أن السلطان أو نائبه فى بعض حفلات توزيع المثالات ، أعطاها « بحسب الحظ » وبدليل أن كثيراً من المقطعين تألموا حين استلموا مثالاتهم ، فمنهم من جاء إقطاعه دون ما يأمل ، ومنهم من ظفر بإقطاع فوق ما ينتظر .

ويوقع السلطان هذه المثالات بكلمة « يكتب » ثم يليه توقيع ناظر الجيش تحت توقيع السلطان بعبارة « يمتثل الأمر الشريف »(٩) .

أما صورة المثال ، فهى ورقة من جدولين : أيمن وأيسر ، يكتب فى الجدول الأيمن بعد ترك الثلثين من أعلاه بياضاً عبارة : خبز فلان المتوفى إلى رحمة الله أو المرسوم ارتجاعه أو المنتقل عنه إلى غيره ونحو ذلك . . . على أن تكون كلمة « خبز » فى سطر واحد قائم بذاته ، وباقى الوصف تحت ذلك فى سطر واحد ، وفى السطر الثالث تكتب عبارة « عبرة كذا ديناراً » ، ويكتب فى الجدول الأيسر « باسم فلان الفلانى » . . ثم يأتى توقيع السلطان وبعده توقيع ناظر الجيش ، ثم يحيل الناظر المثال المعتمد هكذا إلى أحد كتاب الجيش « فيخلده عنده » ويكتب تاريخه(١٠) . ويكتب بمقتضى هذا المثال وثيقة ثانية مربعة الشكل وهى « المربعة » .

وتتضمن المربعة البيانات الموجودة بالمثال ولكن بتفصيل أكثر ، فيذكر فيها مرتبة الأمير وعدد أتباعه فى الأجناد ، كما يشار فى الإقطاع إلى تحديده من حيث شموله جهة كاملة أو تفرقه فى جهات متعددة ، وهل يدخل فيه وقف أو مواريث أو نحوها ، وفى المربعة تذكر ألقاب السلطان كاملة وتكتب المربعة فى ورقة من صحيفتين متقابلتين : فى الصفحة الأولى البسملة الشريفة ثم يترك فراغ فى أعلاها ، ويكتب فى ذيلها من جهة أسفل المربعة إلى أعلاها عدة أسطر على قدر عرض ثلاثة أصابع عبارة : مثال شريف ، شرفه الله تعالى وعظمه ، بما رسم به الآن من الإقطاع باسم من عين فيه من الأمراء أو من المماليك السلطانية بالديار المصرية أو بالمملكة الفلانية أو من الحلقة المصرية أو الشامية(١١) ، أو نحو ذلك على ما شرح فيه حسب الأمر الشريف

شرفه الله تعالى وعظمه » . وتحت ذلك عبارة « يحتاج إلى الخط الشريف أعلاه الله تعالى وعظمه » ، وبعد إخلاء هامش قدر إصبعين تكتب « البسملة » وتحتها فى سطر ملاصق لها « المرسوم الشريف العالى المولوى السلطانى » ثم يترك بعض الفراغ إلى قدر ثلثى الصحيفة وتكتب عبارة « الملكى » الفلانى بلقب السلطان كالناصرى ، أعلاه الله وشرفه وأنفذه وصرفه ، أن يقطع باسم فلان الفلانى أحد الأمراء المقدمين أو الطبلخاناه أو العشرات أو الخمساوات بالمكان الفلانى ، أو أحد المماليك السلطانية أو مقدمى الحلقة أو أجناد الحلقة بالمكان الفلانى . . . المرسوم استقراره فى أمراء العشرات أو الطبلخاناه أو المقدمين أو نحو ذلك ، ما رسم له به الآن من الإقطاع حسب الأمر الشريف شرفه الله تعالى وعظمه » .

ويكتب بالمربعة كذلك بالصحيفة الثانية المقابلة فى مقابل البسملة : « فلان الدين فلان الفلانى المرسوم إثباته فى جملة رجال الحلقة المنصورة[١٢] أو الشامية ويضاف للأمير عبارة : لخاصته ولمن يستخدمه من الأجناد الجياد للخدمة الشريفــة والبرْك التام والعدة الكاملة ، بمقتضى المثال الشريف أو الخط العالى الكافلى[١٣] أو بمقتضى الإشهاد[١٤] المشمول بالخط الشريف أو الخط الكافلى ، أو بمقتضى المربعة المكتتبة من المملكة الفلانية المشمولة بالخط الشريف ، إن كان أصله مربعة من بعض الممالك ، وتحت السطر الأخير تكتب عبارة « فى السنة دربستا »[١٥] فى الوسط ، وذلك إذا شمل الإقطاع جميع الجهة بدون استثناء حقوق أخرى ، وإذا وجد استثناء فى الجهة المقطعة أضيفت عبارة «خارجاً عن الملك والوقف ، أو خارجاً عن الجوالى والمواريث الحشرية والرزق الأحباسية» ونحو ذلك ، ويتلو هذا عبارة « على ما يقتضيه الحق » ثم تكتب كلمة « خبز » من أول السطر إلى آخره تحت ما سبق ، وتحت كلمة خبز يكتب اسم المقطع السابق وكيف انتقل عنه الإقطاع : « فلان الدين الفلانى بحكم وفاته أو نزوله برضاه . . . » وتفصل نواحى الإقطاع ثم يشار إلى المخصصات الراتبة الأخرى من النقد والحبوب إذا تضمنها الإقطاع

وتختم هذه الوثيقة بعبارة : « بعد الخط الشريف » — شرفه الله تعالى — إن شاء الله تعالى والحمد لله والصلاة على النبي « ص »، وتؤرخ فى سطرين قصيرين، ومن ثم ترسل المربعة إلى ديوان الإنشاء حيث يكتب المنشور بمقتضاها . ويلاحظ أن ديوان الإنشاء يشترك مع ديوان الجيش فى كتابة وثائق تعرف كذلك بالأمثلة والمربعات غير التى يصدرها ديوان الجيش فى الإقطاعات ، ويبدو أن ما يصدره ديوان الإنشاء بهذا الاسم وثائق فردية وتختص ببعض المنح الاستثنائية ، وليست عامة فى التوزيع الإقطاعى[١٦] . أما المربعة التى تصل من ديوان الجيش ، فهذه يتسلمها كاتب السر[١٧] عن طريق المدرا « وهم طائفة من الأعوان بديوان الإنشاء مهمتهم أخذ المكاتبات وإدارتها على كاتب السر ومن دونه من كتاب الديوان[١٨] » ، ثم يحيل كاتب السر المربعة على المختصين من الكتاب ليكتبوا المنشور على أساس البيانات الموضحة بالمربعة ، وهؤلاء المختصون هم كتاب الدرج ، إشارة لكتابتهم على درج من ورق[١٩] ، وعرفوا كذلك باسم « الموقعين » نسبة لتوقيعهم على جوانب الأوراق . وتنفرد هذه الطائفة بكتابة المناشير الخاصة بصغار الأمراء ، وبلغ عددهم أكثر من مائة[٢٠] ، أما المختصون بكتابة كبار المناشير ونحوها[٢١] فهم كتاب الدست ، وهؤلاء أرفع مرتبة من سابقيهم ، بدليل إضافتهم إلى دست السلطان ، وهو مرتبة جلوسه، وذلك لجلوسهم للكتابة بين يديه أحياناً ؛ بل إن صاحب ديوان الإنشاء كان يعرف بكاتب الدست ، ويعينون كزملائهم بتوقيع من السلطان، بلغ عددهم أيام بيبرس ثلاثة على رأسهم القاضى محيي الدين ابن عبد الظاهر. وزادوا إلى عشرة فى عهد السلطان شعبان، وجاوز عددهم العشرين أيام برقوق وابنه فرج[٢٢] .

وتختلف صيغة الإحالة باختلاف أعمار الكتاب ، فيكتب لكبير السن منهم : « الموالى فلان الدين » ، وللصغير : « الولد فلان الدين » ، وربما ميز بعض الصغار بالعبارة الأولى أو « الشيخ فلان الدين »[٢٣] .

والمعروف أن المنشور فى النظام الإقطاعى المملوكى ، لا يصدر إلا عن

السلطان مشمولا بخطه ؛ ولا يتعارض هذا مع حق نائب السلطنة بمصر، وبعض النواب خارج مصر فى منح الإقطاعات التى يرون منحها ، فإن حق نائب السلطنة فى مصر أن يخرج من الإقطاعات ما تتراوح عبرته بين ٤٠٠ دينار إلى ما دونها ، وربما أطلقت يد النائب فى المنح الإقطاعية فى أكثر من هذه العبرة كما كان الشأن مع الأميرين الحاى يوسف وسيف الدين منجك من نواب السلطان شعبان[٢٤] ، إنما ظل إصدار الوثيقة النهائية للإقطاع وهى المنشور ، عن السلطان بمصر أو حيثما يكون[٢٥] . والاستثناء الوحيد الذى حدث فى عصر المماليك على ما يبدو ، هو ما تمتع به أبو الفدا نائب حماة من سلطة استثنائية فى إصدار المناشير ؛ ذلك أن السلطان الناصر محمد فوضه فى سنة ٧١٢ هـ (١٣١٢ م) فى جميع أمور حماة ؛ يقول القلقشندى: «كان نائب حماة يستقل فيها بإعطاء الأمر ، والإقطاعات وتولية القضاة والوزراء وكتاب السر وسائر الوظائف لها ، وتكتب المناشير والتواقيع من جهته ، لكنه لا يمضى أمراً كبيراً حتى يشاور السلطان »[٢٦] .

ويمتاز المنشور عن غيره من وثائق الإقطاع بأنه أكثر تفصيلا كما يشترط فيه براعة الاستهلال ، والإشادة بكرم السلطان وإحسانه إلى أخصائه ، إلا أن المناشير تختلف فى افتتاحياتها وحجوم أوراقها ومقدار الفراغ بين السطور باختلاف مرتبة المقطع : فتكتب مناشير الطبقة الأولى من الأمراء وهم مقدمو الألوف وبعض الطبلخاناه ومن فى مستواهم ، فى ورقة كبيرة من حجم « قطع الثلثين » أى أن عرضها ثلثا ذراع أو ثلثا طومار[٢٧] ، وتفتتح بخطبة تشبه الخطب المنبرية أولها « الحمد لله » كما يتضمن هذا النوع من المناشير « طغرى » باسم السلطان وألقابه[٢٨] ، وتكتب مناشير الطبقة الثانية من أمراء العشرينات والعشرات وبعض نواب القلاع الشامية من التركمان والأكراد ، فى ورقة عرضها نصف ذراع وهى « قطع النصف » فى المصطلح ، وتفتتح بعبارة : « أما بعد حمد الله » . أما مناشير المرتبة الثالثة فعبارتها الافتتاحية : « خرج الأمر الشريف » وتكتب فى « قطع الثلث » ،

وهى للعشرات إطلاقاً بمصر وسائر الممالك ولبعض الطبلخاناه من التركمان والأكراد(٢٩) ، ولا يوجد فى المراجع من هذا النوع سوى نسخة منشور أوردها القلقشندى للنسج على منوالها(٣٠) . وأدنى مراتب المناشير ما كتب فى القطع العادى المنصورى وعرضه ربع ذراع ، ويفتتح بعبارة « خرج الأمر » وهى للمماليك السلطانية وأجناد الحلقة على الإطلاق فى مصر وخارجها(٣١) . وتتدرج مناشير العربان على هذا النحو من العبارات الافتتاحية وأحجام الأوراق ، إلا أنها ثلاث مراتب فقط(٣٢) .

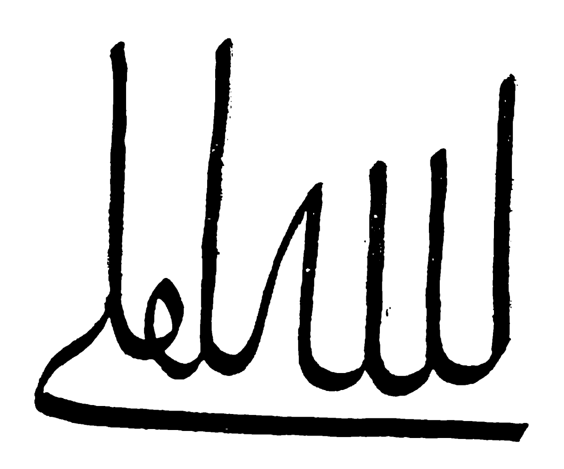
هذا هو المنشور العام فى المنح الإقطاعية ، وهناك مناشير تصدر فى أوقات مختلفة كأن يتظلم مقطع ، فيرفع « قصة »(٣٣) بما يشكو منه ، أو بما يطلبه أو يأمر السلطان بترقية أحد من أتباعه بزيادة إقطاعه وإمرته ، وربما حدث نزول عن الإقطاع من مقطع لآخر ، فى مثل هذه الأحوال تكتب مناشير فى ديوان الإنشاء بالزيادة أو التعويض أو التجديد أو غيره بحسب ظروف المنح(٣٤) ، وذلك بعد أن يمر أصله بديوان الجيش : قصة كان أم نزولا أم إشهاداً بنزول ، والفرق بين هذه المناشير الطارئة وإن كثرت والمناشير العامة ، هو اختلاف حجم الأوراق التى تكتب فيها ، واختلاف الافتتاحية ، فضلا عن اختلاف عدد مراتب المناشير ، فالنوع العام على أربع مراتب ، وهذه على مرتبتين فقط ، وينحصر حجم الأوراق بين قطع الثلث لفريق الطبقة الأولى من المقطعين وقطع العادة لمن عداهم كذلك الافتتاحية نوعان : « أما بعد حمد الله » ، ويليها « خرج الأمر الشريف »(٣٥) .

وطريقة كتابة المنشور فى ديوان الإنشاء ، أن يبدأ الكاتب من جهة اليمين بغير هامش ويكتب فى طرة(٣٦) المنشور لكبار الأمراء عبارة « منشور شريف بأن يجرى فى إقطاعات المقر الكريم أو الجناب الكريم العالى الأميرى الكبيرى » ، وتزاد لنائب السلطنة عبارة « الكافلى » مع الإضافة إلى لقب السلطان ، كالناصرى ، ونحوه . وفى المناشير من المرتبة الثانية تكتب عبارة « منشور شريف » . أن يجرى فى إقطاع المجلس العالى أو السامى ، أو . . . »

بما رسم للمجلس السامى من الإقطاع ، ولما دون ذلك من المناشير ، يكتفى بعبارة « منشور شريف ، بما رسم به من الإقطاع لمجلس الأمير » . ويلى ذلك الدعاء ، ثم يشرح ما تضمنته المربعة . وتكتب هذه العبارة كلها فى سطرين بقلم الثلث ، وتحت ذلك كلمة « والعدة » بالقلم الغليظ(٣٧) ، فى وسط السطر وفى السطر الذى يلى هذه الكلمة ، يكتب « خاصته » ومن يتبعه من المماليك بعددهم حسب مرتبة الأمير ، وذلك بالقلم الدقيق ، ويترك بعد ذلك فراغ قدره خمسه أوصال فى مناشير الطبقة الأولى وثلاثة أوصال(٣٨) لما دونها من المناشير ، وتكتب البسملة ثم الخطبة المفتتحة « بالحمد لله » أو « أما بعد حمد الله » وهكذا . . . وأخيراً يكتب التاريخ المثبت فى المربعة لأهمية ذلك فى المحاسبات(٣٩) .

أما توقيع السلطان على المنشور فيجىء فى الفراغ المتروك فوق البسملة فيوقع « بعلامته » ، وعلائم السلطان جميعها تكتب بقلم الطومار(٤٠) وتختلف حسب الوثيقة الصادرة ، فعلامة المناشير هى : « الله أملى » أو « الله ولي » أو « الله حسبي » أو « لله الملك » أو « المنة لله وحده » وهكذا(٤١) ولا يختلف فى هذه العلامة كبار المقطعين أو صغارهم ، وتعرف هذه العلامة فى مصر باسم « رجل غراب » ، وكتب الناصر علامته بياء راجعة « الله أملى »(٤٢) ، واكتفى خليل بن قلاوون فى علامته بحرف الخاء فقط ؛ إشارة إلى الحرف الأول من اسمه(٤٣) . ومن السلاطين من اهتم بالتوقيع ، ومنهم من أهمل ، فمن المهتمين السلطان محمد بن قايتباى ؛ إذ أمر كاتب السر وناظر الجيش فى سنة٩٠٢هـ – ١٤٩٦م بألا يخرجوا مراسيم سلطانية ولا مربعات ولا مناشير إلا بختم من وراء العلامة السلطانية ، على عكس أبيه الذى عرف عنه الكسل فى التوقيع(٤٤) . أما السلطان الطفل ، فكان مدبر أموره يمسك يده وبها القلم ويوقع ، مثل السلطان كجك بن الناصر محمد ، وكان مدبر دولته الأمير قوصون(٤٥) ، والأمى من السلاطين ، يخط له الكتاب على الوثائق ، فيمشى هو عليها بالقلم ، مثل السلطان إينال(٤٦) .

٦



علامة السـلطان الناصر محمد

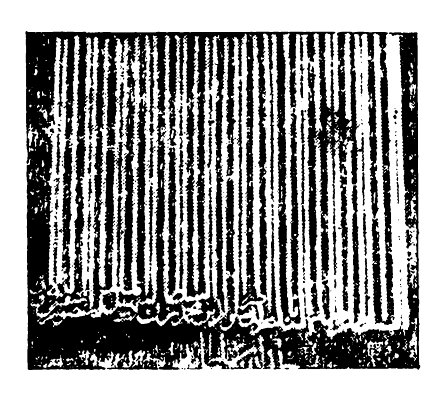
على المناشـير

لوحة رقم ١

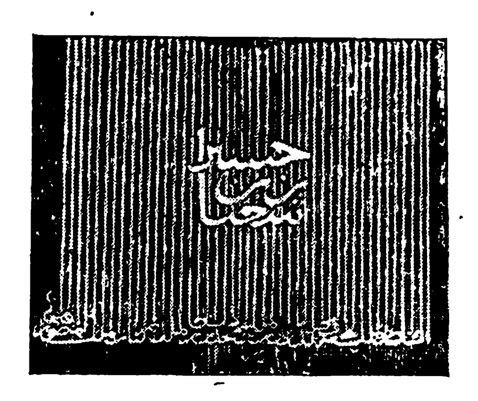
كذلك توضع طغرى على المناشير الكبار ، بألقاب السلطان مثل « السلطان الملكى فلان الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين ملك البسيطة » ، بأحرف طوال مزدوجة ومذهبة ، وذلك فى سطر واحد ، كما يكتب الاسم بين ألقاب قاطع ومقطوع وتحت ذلك عبارة « خلد الله ملكه » ، ولهذه الطغرى رجل مختص يلقب « بالطغرائى » لعملها بالديوان ، فإذا كتب الكاتب منشوراً ، أخذ من تلك الطغراوات واحدة وألصقها فيما كتب . وموضع الطغرى من المنشور بين الطرة المكتبة فى أعلى المنشور ، أى الحاشية التى كتبت فيها العبارات الأولى من المنشور ، وبين البسملة مع ترك وصل بياض فوق البسملة ؛ وبعد وصلين أو ثلاثة من الطرة ، وهناك اعتراض على تقديم اسم السلطان على البسملة ، وبسبب هذا الاعتراض ، ترك استعمال الطغرى فى المناشير منذ أواخر عهد السلطان شعبان بن حسين (٧٦٤ — ٧٧٨ هـ) (٤٧) .

وهناك نسختان لطغراوتين إحداهما خاصة بألقاب السلطان الناصر محمد ابن قلاوون ومضمونها : « السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدين قلاوون » وتحتها عبارة « خلد الله سلطانه » وتختص الطغرى الأخرى ألقاب السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد ومضمونها : « السلطان الملك الأشرف ناصر الدنيا والدين ابن الملك الأمجد ابن السلطان الملك الناصر ابن الملك المنصور قلاوون » . واسم السلطان بأعاليها قاطع ومقطوع : « شـــعبان بن حسين » ، وتحتها عبارة « خلد الله سلطانه » (٤٨) .

ويتضح من جملة المناشـــير أن افتتاحياتها تشبه الخطبة المنبرية ، ويتلو ذلك تعداد سوابق الخدمة للمقطع والإشادة بالجهاد والحث على مضاعفته ، كأن يقول : « ولما كان فلان من هذه الدولة بموضع الغرة من الجبين . . . وله سوابق خدمة لا يزاحمه أى أحد فى طرق طروقها . . . وهو من التقوى بالمحل الأسمى . . . فهو المجاهد للكفار وهو المتهجد فى الأسحار . . . » أو « إذا أشهر غضبه أرضى ربه وإذا هز رمحه حمى سرحه ، وإذا أطلق سهماً



طغرى بألقاب السلطان الملك الناصر محمد



طغرى بألقاب السلطان شعبان بن حسين

لوحة رقم ٢

قتل شهماً وإذا جرد حساماً كان حساماً » ، ويشار إلى الترقية كجزاء للولى المجاهد ، إن كانت ترقية ، كقوله فى الترقية إلى إمرة مائة « ليعلم كل أحد كيف يجازى شكور ، وكيف نذكر واحداً منهم فيغدو فى زعماء العسكر المؤيدة وهو مذكور . . . اقتضت الآراء الشريفة . . . أن تزداد عدته المباركة فى كميتها وقدرها ، وأن تكمل عشراتها التسع بعشرها . . . » ، أو فى الترقية إلى إمرةعشرة « اقتضى حسن الرأى الشريف أن ترفع درجته وتعلى رتبته ، وينظر فى عقود الأمراء ويسلك به جادة الكبراء بترقيته فى درج السعادة ، وتبلغ به مرتبة السيادة . . .إلخ » .

ومن الملحوظ فى المناشير أنها تنص على أن الإقطاع من نعم السلطان وعطاياه ، بل من صدقاته وكرمه وبره بالمخلصين ، كقوله : « أما بعد فنعمنا إذا أولت ولياً منحها وآلت ، وإذا قدمت صفياً وهبته مزيدها وأنالت » « فكرمنا يسبغ المواهب والمنائح ، ونعمنا تبلغ المآرب والمناجح »(٤٩) . . . أو « . . ولما كان فلان هو الموصوف بهذه الأوصاف الجليلة ، أوجب له الاختيار المزيد وقضى له الامتنان بتخويله نعماً وتنويله مننا »(٥٠) أو « فإن أولى من ضوعفت له النعم ووطدت له الرتب . . . من ربى فى ظل خدمتنا التى هى منشأ الآساد ومربى فرسان الجهاد(٥١) » . . . وهكذا(٥٢) .

وبصدد تعداد الصدقات ونعم السلطان على الأولياء المخلصين ، يحث المنشور دائماً على مضاعفة الولاء كقوله : « أن يبذلوا فى خدمة أبوابنا الشريفة جهدهم ويتوكلوا على الله تعالى ثم على صدقاتنا العميمة التى تحقق قصدهم . . » ويستشهد بعد ذلك بقوله تعالى « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها »(٥٣) .

وعبر فى المناشير عن الولاء والإخلاص والطاعة بلفظ « العبودية » ، وهى ليست غريبة فى ذلك العصر ، كقوله فى منشور لأحد أبناء الأمراء ، مشيراً إلى خدمة الوالد والولد وترقيتهما : « فإن أنمى الغروس من كان أصله فى درج الولاء نابتاً ، وتلقى ولاءنا عن أبوة كريمة ، وحذا فى عبوديتنا حذو والده ، اقتضى حسن الرأى الشريف أن ننضد لسعادتهما عقداً منضداً ،

وأن نخص كلا منهما بإمرة حتى يغدو لنا من هذا والداً من أعز الأنصار ومن هذا ولداً[٥٤] . وإذا كان المنشور لمن مات أبوه ، نوه فيه بخدمة السلف ونعم الدولة وتعميمها للأعقاب وجبر المصاب ، وما ينتظر من الخلف ، كقوله : « فإن أولى من درت أخلاق جودنا لخلفه ، من استمسك من سبب إخلاصنا بآكده ، وحذا فى ولائنا أحسن حذو ، ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده[٥٥] » .

وتختص مناشير أمراء العرب بذكر البادية وكرم العرب والجهاد فى سبيل الله ، كما تشير إلى إحسان السلطان وتقديم المقطع على قبيلته لطاعته وإخلاصه ، كأن يقال فى ذلك مثلا : « فإن أولى من عمرنا بكرمنا مربعه وناديه . . . وقابله إقدامه ، فقدمه على قبيلته وميزه على أسرته، من أخلص فى طاعتنا ضميراً . . . » أو « كم أنهل مثقفاته فى دماء النحور وأشرع صعادها فأوردها وأصدرها فى الصدور ، ورفع أسنتها فى ليل النقع ناراً ، قراها لحوم العدا وأضيافها الآساد والنسور . . » وهكذا . . .[٥٦] .

وبالإضافة إلى ما تضمنته المناشير الإقطاعية من هذه المعانى والمبالغة فى صفات السلطان ، باذل الإقطاع ، فإنها توضح كذلك نواحى الإقطاع الممنوح تفصيلا ، وتبين ما إذا كان الإقطاع مشاركة مع الغير ، أو خاصاً بصاحبه ، ومثال ذلك ما ورد فى المنشور الذى أصدره السلطان بيبرس فى سنة ٦٥٩ هـ – ١٣٦١م إلى الأمير جمال الدين حجى أحد أمراء الغرب التنوخيين والمنشور الذى أصدره الناصر محمد بن قلاوون للأمير الحسين التنوخى بعد روك الشام سنة ٧١٣ هـ – ١٣١٣م[٥٧] .

*

وجرت العادة أن يقوم السلطان بتوزيع براءات الإقطاع ،سواء أكانت أمثلة أم مناشيراً [٥٨] ، إنما الغالب توزيع الأمثلة وهى أولى وثائق الإقطاع ، وربما كان ذلك لسهولة تغير ما يحتمل حدوثه من تغيير فى الإقطاع ، إذا شكا المقطع أو تظلم أو بدا لولى الأمر ما يستدعى ذلك ، وربما اقتصر السلطان

على توزيع مثالات الأمراء المقدمين . وعهد لنائبه بتوزيع مثالات بقية الأجناد . كما فعل لاجين سنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٧ م [٥٩] ، وهذا يرجع إلى ثقة السلطان بنائب السلطنة ، كما يرجع من ناحية أخرى إلى قوة شخصية النائب وتغلبه على السلطان ، والعادة أن توزع براءات الإقطاع خارج مصر ، على يد النواب أو من ينتدبهم السلطان لهذا الأمر ، وسواء أكان التوزيع فى مصر أم فى خارجها فإنه لا يتم إلا فى موكب حافل .

ففى مصر ، يعقد هذا الحفل بالقلعة ، ويعرف بيوم العرض أو مجلس العرض ، وإذا تولى النائب التوزيع ، جلس فى دار النيابة بالقلعة كذلك [٦٠] .

وفى نهاية سنة ٧١٥هـ / ١٣١٥ م ، بعد أن تمت عملية الروك الناصرى فى مصر. أقيم حفل توزيع البراءات الإقطاعية بالقصر الأبلق [٦١] فى القلعة ، حيث تصدر السلطان الحفل ، وجلس حوله الأمراء المقدمون على مقاعد من حرير ، كما جلس ناظر الجيش ، وهو وقتذاك الفخر محمد [٦٢] . يتولى الناظر عرض ما يتعلق بالإقطاعات على مسامع السلطان فيمضى منها ما يشاء ، وحينئذ يدخل كاتب السر ويقدم العلامة السلطانية ، فيعلم السلطان على ما أقره من المربعات والمناشير [٦٣] ، ثم يأمر بدخول الجيش طائفة بعد أخرى ، ويتولى إحضارهم نقباؤهم ، وقد خصص الناصر كل يوم لاثنين من المقدمين وأتباعهما من الأجناد ، فيقف الأمير ومعه أتباعه أمام السلطان ، ويتولى نقيب الجيش [٦٤] تقديمهم واحداً بعد آخر ، فيسأله السلطان عن اسمه وأصله وجنسه [٦٥] ووقت حضوره إلى ديار مصر ومع من قدم وإلى من صار من الأمراء وغيرهم ، وعن مشاهده التى حضرها فى الغزو وعما يعرفه من صناعة الحرب وكم حضر من « المصاف » ، وكم رأى « بيكارا » [٦٦] وأى قلعة حاصر وغير ذلك من الاستقصاء ، فإذا انتهى ناوله مثالا بما يلائمه أو « من غير تأمل بحسب ما قسم له » ، واتفق أن تقدم فى العرض رجل دميم الخلقة وكان له إقطاع سابق عبرته ٨٠٠ دينار ، وهو إقطاع كبير ، أو من النوع « الثقيل » ، بلغة العصر ، فلما تناول مثاله ونظر فيه ، وجد عبرته نصف ما كان بيده

سابقاً ، فعاد بعد أن انصرف أولا ، وقبل الأرض بين يدى السلطان فسأله الناصر عن حاجته فقال : « الله يحفظ السلطان فإنه غلط فى حقى ، فإن إقطاعى كانت عبرته ٨٠٠ دينار ، وهذا عبرته ٤٠٠ دينار . فقال السلطان : بل الغلط فى إقطاعك الأول ، فارض بما قسم لك[٦٧] ، واتفق كذلك أن تقدم إليه شاب فى وجهه أثر يشبه ضربة السيف ، فأعجبه وناوله مثالا بإقطاع وقال له : فى أى مصاف وقع فى وجهك هذا السيف ؟ فقال الشاب : يا خوند ، هذا ما هو أثر سيف وإنما وقعت من سلم فصار من وجهى هذا الأثر » ، فتبسم السلطان وتركه ، ولما اعترض الفخرى ناظر الجيش بقوله : « ما بقى يصلح له هذا الخبز ، أجابه الناصر : قد صدقنى وقال الحق وقد أخذ رزقه ، فلو قال أصبت فى المصاف الفلانى من كان يكذبه[٦٨] ؟ وأمر الناصر ألا يرد أحد مثاله ولو استقله ، ولا يشفع أمير فى جندى ، ومن يخالف يضرب ويحبس وينفى ويقطع خبزه ، لذلك حضر الأمراء وهم سكوت خشية بطشه ، وإذا حدث أن أثنى أمير على جندى ، تعمد السلطان إعطاءه مثالا « بإقطاع ردىء » ، فأمسكوا عن الكلام فى تزكية أجنادهم ، ولذا جاء التوزيع على غير رغبة الكثير من المقطعين ، وصار كثير ممن عبرة إقطاعه ألف دينار مثلا إلى إقطاع عبرته مائتا دينار فقط ، كما حاز كثير من أصحاب الإقطاعات الصغيرة ، إقطاعات كبيرة ، ولما حاول الأمراء مخاطبة السلطان فى هذا الأمر ، نهاهم الأمير أرغون النائب خشية بطش السلطان بهم[٦٩] . والملاحظ أن الكثير من المماليك السلطانية ، أصحاب الجوامك ، قد نقل إلى الإقطاعات[٧٠] .

وعلى أثر روك الشام ، حمل الأمير سيف الدين قجليس المناشير الخاصة بالروك ، ممضاة من السلطان الناصر بمصر ، وذلك فى كيس مختوم ، وأقيم حفل توزيع البراءات فى دمشق حيث قام الأمير تنكز نائب الشام ، بتوزيعها بمعاونة الأمير قجليس وناظر جيش الشام . وعندما دخل الأمراء المقدمون وأجناد الحلقة ، أخذ قطب الدين ناظر الجيش البراءات ووزعها عليهم من غير قراءة بل « حظ وبخت » وكل من يأخذ براءته يقبلها ويضعها على رأسه

وينصرف إلى داره ، إلا أن هذه الطريقة أدت إلى إنصاف البعض وغبن البعض ، ولما تظلم الأمراء منها ، أمر النائب بإحضار خمسة أو ستة منهم ، وأمر بضربهم وحبسهم ، فسكت الباقون (٧١) .

وجرت العادة ، أن تستغرق عملية توزيع البراءات الإقطاعية ، أكثر من يوم ، ففى الروك الحسامى ، بدأ توزيع هذه البراءات فى ٨ رجب سنة ٦٩٧ هـ - ١٣٩٧م . حيث خصص ذلك اليوم لتفرقة مثالات الأمراء، وفى ٩ رجب ، وزعت مثالات مقدمى الحلقة ، وانفرد اليوم العاشر من ذلك الشهر بتوزيع مثالات أجناد الحلقة والبحرية ومماليك السلطان(٧٢) . أما عملية التوزيع فى الروك الناصرى فاستغرقت شهر المحرم من سنة ٧١٦ هـ - ١٣١٦م(٧٣) .

وبانتهاء توزيع البراءات ، هناك تسجيل نهائى يتم داخل ديوان الجيش ، لأن هذا الديوان هو الذى يتولى « الإفراج » عن الإقطاعات وتسليمها لأصحابها ، ويعرف هذا السجل باسم « جريدة الإقطاع » ، ويشمل أسماء أرباب الإقطاع وجهات إقطاعاتهم محددة ، وعبراتها ، على أن الإشارة إلى العبرة فى هذا السجل تكون عادة بالرمز وليس تصريحاً (٧٤) . وبعد أن تتم هذه العملية ، يقوم ناظر الجيش بتسليم الإقطاع . إلى صاحبه ، ثم يكتب محضر تسليم من ديوان الإنشاء ، يشهد فيه المقطع على نفسه بحضرة الموقعين(٧٥) . وعلى ذلك يستحق صاحب الإقطاع إقطاعه ، فإن كان أميراً ، استحق الإقطاع من تاريخ المنشور ، وهو نفسه تاريخ المربعة ، أما الأجناد ، فيستحقون إقطاعاتهم وما لهم من مخصصات أخرى ، من تاريخ عرضهم وتسجيلهم بديوان الجيش(٧٦) .

(١) صبح الأعشى جـ ١٣ ص١٥٣ .

(٢) مسالك الأبصار جـ ٢ ورقة ٤٠٠ .

(٣) صبح الأعشى جـ ١٣ ص١٥٣ .

(٤) يلقب ناظر الجيش بناظر الجيوش المنصورة تفاؤلا : كما يقال العساكر المنصورة ، وجرى العرف على ذلك فى معظم الأمور والمؤسسات الخاصة بالحرب ، فيقال : قلعة دمشق المنصورة وعن الأعداء – العدو المخذول وعن الدواوين : الدواوين المعمورة أو الديوان السعيد وهكذا (زبدة كشف المماليك ص١٠٣ ، أثار الأول ص٦٩ – ٧٠ معيد النعم ص٤٣ – ٤٤ ، خطط جـ٣ ص٣٥٠ ، بدائع الزهور ص٢٩٧ ، صبح الأعشى جـ٤ ص١٨٥ – ١٩٢ ، جـ٥ ص٤٩٤ – ٤٩٥ ، جـ٦ ص٣٠ – ٣١ و ١٨٣ – ١٨٤) .

(٥) صبح الأعشى جـ ٦ من النسخة المخطوط ورقة ٨٢ ، صبح الأعشى جـ١١ (المطبوع) ص٣٢١ – ٣٢٣ وما بعدها .

(٦) زبدة كشف المماليك ص١٠١ ، أثار الأول ص٦٩ – ٧٠ ، معيد النعم ص٤٣–٤٤ .

(٧) راجع الفصل السادس .

(٨) انظر قاموس المصطلحات للمعانى التى يتضمنها المثال غير معنى الوثيقة الإقطاعية .

(٩) نهاية الأرب جـ ٨ ص٢٠٨ ، مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٩٣ ، خطط جـ٣ – ص٣٥٢ – ٣٥٣ .

(١٠) نهاية الأرب جـ٨ ص٢٠٨ ، صبح الأعشى جـ١٣ ص١٥٣ – ١٥٤ .

(١١) المقصود بالحلقة المصرية أو الشامية أجناد الحلقة المقيمون بمصر أو الشام .

(١٢) المقصود بالحلقة المنصورة أجناد الحلقة الموجودون بالقاهرة .

(١٣) يقصد بهذه التعبيرات : بمقتضى المثال الشريف أو الخط العالى الكافلى . الإشارة إلى السلطان بكلمة الشريف وإلى نائبه بكلمة العالى الكافلى .

(١٤) الإشهاد أحد وثائق الإقطاع (انظر الفصل الثامن) .

(١٥) مثال ذلك : أقطع السلطان خليل بن قلاوون الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى الصالحى منية بنى خصيب دربستا أى كاملة بجواليها ومواريسها الخشرية ، وفى إقطاع أمراء الغرب التنوخيين، استثنى الناصر محمد الملك والوقف (تاريخ بيروت ص٩٢، أخبار الأعيان ص٢٣٢ جـ ١ ص٧٦٩ – ٧٧٠) .

(١٦) زبدة كشف الممالیك ص١٠٠ ، صبح الأعشى جـ٦ ص٢٠١ – ٢٠٢ ، جـ١٣ ص١٥٤ – ١٥٦ ، نهاية الأرب جـ٨ ص٢٠٨ ، ٢١١ ، السلوك جـ١ ص٧٦٩ – ٧٧٠ ، التحفة السنية ص٣٩ ، مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٩٣ .

(١٧) أول من لقب بكاتب السر أو كاتم السر فى عصر المماليك ، القاضى فتح الدين محمد ابن محيى الدين بن عبد الظاهر فى عهد قلاوون ، ويعد كتاب السر من كبار رجال الدولة وتصدر لهم المكاتبات مقرونة بلقب « المقر » أو « المقر الشريف العالى » . . . كما يلقب بصاحب دواوين الإنشاء أو كاتب الإنشاء (نزهة الأمم ورقة ١١ ، مسالك الأبصار جـ٢ورقة ٤٠٠ ، صبح الأعشى جـ١ ص١٠١ و جـ٤ ص١٨٩ و جـ٥ ص٤٦٥ و ٤٩٤ – ٤٩٥ ، جـ١١ ص٩٣ ، معيد النعم ص٣٩ وزبدة كشف الممالیك ص٩٨ – ١٠٠ ، النجوم الزاهرة جـ٧ ص٢٣٢ – ٢٣٤ أو ٢٩٣ و ٣٣٣ و ٣٣٨) .

(١٨) مدرا جمع مدير (صبح الأعشى جـ١ ص١٣٩) .

(١٩) من النصائح التى تنصح بها هذه الطائفة : الرفق فى الكتابة وعدم استعمال وحشى الألفاظ فيما يكتبون . (معيد النعم ص٤٠ ، صبح الأعشى جـ١٣ ص٣٥١ – ٣٥٣) .

(٢٠) صبح الأعشى جـ١ ص١٣٨ ، جـ٥ ص٤٦٤ – ٤٦٥ ، جـ٦ ص٢٠١ – ٢١٠ ، جـ١١ ص٣٥١ – ٣٥٢ و ٤٩٠ ، السلوك جـ١ ص٤٨٩ حاشية – ٣ و ص٤٩٠ .

(٢١) من الوثائق التى يتولى كتابتها كتاب الدست : ما يتعلق بالبريد ، والعهود والتقاليد وكبار التواقيع والمراسيم ، وكلها أوامر تعيين .
(صبح الأعشى جـ١ ص١٣٧ – ١٣٩ ، السلوك جـ١ ص٤٨٩ – ٤٩٠) .

(٢٢) صبح الأعشى جـ١ ص١٣٧ ، جـ١١ ص٣٣٣ – ٣٣٥ ، السلوك جـ١ص٤٨٩ – ٤٩٠ ، أنباء الغمر جـ١ ص٨٦ ، ٩٥ ، ٧١١ ، تاريخ ابن الفرات جـ١ ص٢٢٨ وما بعدها .

(٢٣) صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٩٧ .

(٢٤) من أمثلة النواب البارزين فى المنح الإقطاعية ، بمصر والشام ، الأمير قوصون نائب السلطان كجك ابن الناصر محمد خلال عام سنة ٧٤٢هـ (١٣٤١م) والأمير اقتمر الحنبلى نائب على بن شعبان سنة ٧٧٨هـ – (١٣٧٦م) ومن نواب الشام الأمير تنكز نائب السلطان الناصر محمد ، والأمير نوروز نائب المستعين الخليفة السلطان سنة ٨١٥هـ (١٤١٢ م) – بدائع الزهور جـ ١ ص٢٢٨ – ٢١٩ و ٣٥٨ والنجوم الزاهرة ١٠ جـص٢١ ، ٢٣ ، ٨٠ السلوك مخطوط جـ٣ ص٢٣٤ و ٢٩٥ وأنباء الغمر جـ١ ص٣٥ ، تاريخ الملك الأشرف قايتباى مخطوط غير مرقم ، الدرر الكامنة جـ١ ص٤٠٧ – ٤٤٩ و ٥٢٠ – ٥٢٨ تاريخ الذهبى جـ١ ورقة ٦) .

(٢٥) صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٩٠ .

(٢٦) تاريخ ابى الفداء ج٤ ص٧١ – ٧٥ ، صبح الأعشى ج ٤ ص٢٣٦ – ٢٣٧ ، ٨ مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٤٤٥ – ٤٤٦ .

(٢٧) الطومار والطامور والجمع طوامير ، بمعنى صحيفة ، وعرض الطومار الكامل ذراع ، ويعبر عن الطومار كذلك ، بالفرخة ، ورفض عمر بن عبد العزيز أن يكتب فيه كما فعل أسلافه قائلا (فيه ضياع للورق وهو من بيت المال) واستعمل فى مصر فى عصر المماليك منذ عهد الناصر محمد .

(صبح الأعشى ج٣ ص٥٢ – ٥٤ و ١٥٨ و ج٦ ص١٩٠ – ١٩١ و ١٩٤ و ١٩٥ – ج١٣ ص١٥٨ و ١٦٠ و ١٩٠ و ١٩٣ ، التعريف ص٨٤ و ٨٩ مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٩٢ – ٣٩٣ ، تاريخ بيروت ص١٦٢ حاشية – ١ ، خطط ج٢ ص٢١١ ، القاموس المحيط).

(٢٨) الطغرى بالقصر العلامة التى تكتب بالقلم الغليظ فى طرة الأوامر السلطانية وهى كلمة تترية استعملها الروم والفرس ، والجمع طغريات ، والطغرائى صانعها (أقرب الموارد ، انظر صورتها فيما يلى) .

(٢٩) صبح الأعشى ج ٦ ص١٩١ – ١٩٥ و ج١٣ ص١٦٠ .

(٣٠) ٨ مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٩٢ – ٢٩٣ ،خطط ج٢ ص٢٢١ ، صبح الأعشى ج١٣ ص١٩٨ وانظر نسخة المنشور بالملاحق .

(٣١) صبح الأعشى ج٦ ص١٩١ ، ١٩٥ – ١٩٦ و ج١٣ ص١٥٩ – ١٦١ ، ج٧ من النسخة المخطوط ورقة ٨٤ – ٨٨ ، مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٩٣ .

(٣٢) صبح الأعشى ج١٣ ص١٩٨ – ١٩٩ ، أخبار الأعيان ص٢٢٧ – ٢٣٤ ، تاريخ بيروت ص٥٦ و ٦١ ، ٦٧ ، ٨٧ ، ٩٢ – ٩٤ ، انظر مناشير العربان بالملاحق .

(٣٣) القصة بمعنى الملتمس أو الشكوى لأى سبب ، ومثالها بصدد الوثائق الإقطاعية : قصة أمراء الغرب التنوخيين على أثر روك الشام سنة ٧١٣هـ (١٣١٣م) زمن السلطنة الثالثة للناصر محمد بن قلاوون ، إلى نائبه تنكز بالشام ، ينهون فيها إخلاصهم للسلطان ورغبتهم فى أن تظل أملاكهم على النحو الإقطاعى بالعدة المقررة من الفرسان دون نقص ، وطلبوا من تنكز « التصدق بمطالعة إلى الأبواب الشريفة » ، أى تأشيرة توصية وتزكية ، فأجابهم تنكز وأنصفهم الناصر (تاريخ بيروت ص٩١ ، الدر المنتخب ص٢٥٩ – ٢٦٠ ، انظر نص القصة بالملاحق) .

(٣٤) انظر الصور المختلفة لانتقال الإقطاعات بالفصل الثامن .

(٣٥) التعريف ص٨٩ ، صبح الأعشى ج١٣ ص١٥٤ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٩٩ ، مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٩٣ – ٣٩٤ ، خطط ج٣ ص٣٥٢ – ٣٥٣ .

(٣٦) طرة الشئ طرفه وحافته وكذا الجبهة والناصية وجانب الثوب وشفير النهر والوادى ، والمراد هنا به حاشية الكتاب والجمع طرات وطرر وطرار وأطرار ، ثم أطلقوه على ما يكتب

فى أعلا الورقة مجازا ، تسمية للشيء باسم محله . (أقرب الموارد ، القاموس المحيط ، صبح الأعشى جـ ١١ ص ١٢٧) .

(٣٧) القلم الغليظ هو المعروف فى الكتابة بخط الثلث أى ثلث قلم الطومار ، وعرض الكتابة به ٨ شعرات من شعر البرذون ، والفرق بينه وبين الثلث الخفيف دقة القلم أو غلظه (انظر حاشية ٤٠ فيما يلى) .

(٣٨) لعل المقصود بالوصل السطر باعتبارها منفصلة عن بعضها (أقرب الموارد ، القاموس المحيط) .

(٣٩) صبح الأعشى جـ٦ ص١٩٤ — ١٩٥ ، جـ١٣ ص١٥٩ — ١٦٠ ، مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٩٢ — ٣٩٣ ، التعريف ص٨٩ ، ٩١ ، خطط جـ٢ ص١١ ، انظر نسخ المناشير المختلفة بالملاحق .

(٤٠) المراد بخط الطومار نوع من الكتابة وهو الثلث الثقيل المناسب للقلم الذى يكتب به ، وهو قلم من لب الجريد الأخضر أو من القصب أو البوص الأبيض الغليظ الأنابيب ينتقى من جزائر الصيد ، وفى كل سنة يجهز بريدى بطلب هذه الأقلام من ولاة الوجه القبلى ، وتحفظ عند كاتب السر ، ويبرى منها مايحتاج إليه ، ويعتبر قلم الطومار أجل الأقلام ، ومساحة عرضه ٢٤ شعرة من شعر البرذون ، ويستعمله السلطان فى كتابة علاماته على المكاتب والولايات ومناشير الإقطاع (صبح الأعشى جـ٣ ص٥٢ — ٥٤ و جـ٦ ص١٩٠ ، ١٩٤ و جـ١٣ ص١٥٨ ، التعريف ص٨٤ ، مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٩٢ — ٣٩٣ ، تاريخ بيروت ص ١٣٢ حاشية — ١) .

(٤١) من علامات الأيوبيين : الحمد لله وبه توفيقى للعزيز عثمان بن أبى بكر ، « الحمد لله على نعمائه » للملك الناصر يوسف بن العزيز بن غازى بن صلاح الدين صاحب دمشق ، وعلامة هولاكو : « توكلت على الله » وعلامة « ايبك : « حسبى الله » ، وعلامة بيبرس « المستعان بالله » (صبح الأعشى جـ١٣ ص١٦١ — ١٦٢ ، الجوهر الثمين ورقة ١٥٧ ، زبدة كشف بيروت ص٥٣ ، ٥٥ و ٥٧ و ٦١ و ٦٧ و ٧٩ ، مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٩٢) .

(٤٢) خطط جـ٢ ص ٢١١ ، انظر صورة هذه العلامة فيما يلى ص ١٢٦ .

(٤٣) المراجع السابقة ، التعريف ص٨٣ — صبح الأعشى جـ٣ ص٥٨ .

(٤٤) بدائع الزهور جـ١ ص١٢٨ جـ٢ ص٣١٩ جـ٣ ص٧١ .

(٤٥) بدائع الزهور جـ١ ص١٧٧ .

(٤٦) بدائع الزهور جـ٢ ص ٦٤ — ٦٥ .

(٤٧) التعريف ص٨٣ ، القلقشندى جـ١٣ ص١٦٢ — ١٦٣ ، جـ٧ من النسخة المخطوط ورقة ٨٨ — ٨٩ .

(٤٨) هناك طغراوات تكتب إلى ملوك المسيحيين وغيرهم من أصحاب الأديان الأخرى غير

الإسلام ، تختلف عن هذه الطغرى ، وتتميز بعبارات التفخيم وإبراز القوة والمنعة (صبح الأعشى جـ١٣ص١٦٣ ، التعريف ص٨٣ – ٨٤ ، انظر صورة الطغراوتين الشمسية ص١٢٨، والنسخة للطغرى الأخيرة بالملاحق) .

(٤٩) صبح الأعشى جـ١٣ ص١٦٩ – ١٧٩ .

(٥٠) صبح الأعشى جـ١٣ ص١٧٩ – ١٨١ .

(٥١) المصدر السابق ص١٨١ – ١٨٢ .

(٥٢) انظر الملاحق .

(٥٣) سورة النحل آية – ١٨ .

(٥٤) صبح الأعشى جـ١٣ ص١٩٣ – ١٩٤ ، الملاحق .

(٥٥) صبح الأعشى جـ١٣ ص١٨٩ – ١٩٠ ، الملاحق .

(٥٦) صبح الأعشى جـ١٣ ص١٩٩ والملاحق .

(٥٧) تاريخ بيروت ص٥٦ ، ٩٢ – ٩٣ ، أخبار الأعيان ص٢٣٤ ، انظر الملاحق .

(٥٨) راجع الفصل الثانى .

(٥٩) السلوك جـ١ ص٨٤٤ – ٨٤٦ ، ٨٦٥ ، النجوم الزاهرة جـ٨ ص٩٣ – ٩٥ .

(٦٠) بنى السلطان قلاوون دار النيابة بالقلعة سنة ٦٨٧هـ – ١٢٨٨م وكان النواب يجلسون « بشباكها » ، ثم هدمها الناصر سنة ٧٣٧هـ – ١٣٣٦م، إلا أن الأمير قوصون أعادها بعد وفاة الناصر ، لكنه لم يجلس فيها بسبب القبض عليه، وأول من جلس فيها بعد التجديد، الأمير شمس الدين آق سنقر نائب السلطنة فى عهد السلطان إسماعيل بن الناصر سنة ٧٤٢هـ (١٣٤٢م) ، (النجوم الزاهرة جـ١ ص٨٠ وحاشية – ٤) .

(٦١) استغرقت عملية العرض وتوزيع الوثائق من ذى الحجة سنة ٧١٥هـ (١٣١٥م) إلى نهاية المحرم من سنة ٧١٦هـ (١٣١٦م) (السلوك جـ٢ ص١٥٥) .

(٦٢) فخر الدين محمد بن فضل الدين بن خروف القبطى المعروف بالفخر ، أسلم وحسن إسلامه وله مساجد ومدرسة وبيمارستان (ت . سنة ٧٣٢هـ–١٣٣١م) (النجوم الزاهرة جـ٩ ص٢٩٥ – ٢٩٦ ، بدائع الزهور جـ١ ص١٧٥) .

(٦٣) يمضى السلطان فى هذا الحفل ، غير وثائق الإقطاع ، المراسيم والتواقيع ، وجرت العادة أنه بعد العرض ، ينتقل إلى قصر آخر ويجلس فى « الشباك » للنظر فى المحاكمات (زبدة كشف الممالك ص٨٦ ، ٨٨) .

(٦٤) مهمة نقيب الجيش تحلية الجند فى عرضهم وإحضار الأمراء كطلب السلطان أو الحاجب (صبح الأعشى جـ ٤ ص ٢١–٢٢) .

(٦٥) التيسير والاعتبار ورقة ١٦ ، خطط جـ ١ ص ١٤٥ .

(٦٦) البيكار بمعنى الحرب .

(٦٧) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٥٣ ، السلوك ج ٢ ص ١٥٥ .

(٦٨) السلوك ج ٢ ص ١٥٤-١٥٥ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٥٢-٥٣ .

(٦٩) برزت مهابة السلطان وشدة بطشه فى هذا العرض حتى بعد نهاية التوزيع ، فقد حدث أن سخر أحد المرقدارية من صبيان المطبخ السلطانى من جنود السلطان بعد الروك بقوله : رأيت بعض أجناد الروك الناصرى راكباً الإكديش ، وخرجه خلفه ورمحه فوق كتفه ، فأمر السلطان بإلقائه فى الساقية وربطه بالقواديس ، ودارت به حتى مات ، فكان لذلك أثره فى نفوس الأمراء والجند ، إذ حمد كل منهم الله على ما وفقه للسكوت عن الكلام وقت العرض (النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، خطط ج ١ ص ١٤٦ ، التيسير والاعتبار ورقة ١٦) .

(٧٠) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٥٢-٥٤ ، خطط ج ١ ص ١٤٥-١٤٦ .

(٧١) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٩-٢١٠ ، صبح الأعشى ج ٤ ص ١٩٠ ، السلوك ج ٢ ص ١٢٧ ، بدائع الزهور ج ١ ص ١٥٤ ، تاريخ بيروت ص ٩٥-٩٦ .

(٧٢) السلوك ج ١ ص ٨٤٤ ، عيون التواريخ ص ١٦٩ ، خطط ج ١ ص١٤١-١٤٢ .

(٧٣) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٥٢-٥٤ ، خطط ج ١ ص ١٤٥-١٤٦ .

(٧٤) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٢ .

(٧٥) التيسير والاعتبار ورقة ١٧ .

(٧٦) من طرائف ما حدث بصدد الإفراج عن الإقطاع ، أن حضر أحد المقطعين بالبحيرة إلى ابن حشيش ناظر الجيش (ت . ٧٢٩ هـ - ١٣٢٨ م) حتى يعمل على إفراجه بالإقطاع ، واسم هذا المقطع جبرائيل ، فعلم الناظر بإفراجه ، وكان لجبريل أخوان من المقطعين كذلك وهما : ميكائيل وعزرائيل ، فقال جبرائيل لابن حشيش أبعث لك أخى حتى تقضى شغله ، فسأله الناظر أيهما ؟ قال : عزرائيل . قال ابن حشيش : لا .. بالله عليك لا تبعثه ... (تاريخ ابن الجزرى ج ١ ورقة ١٥٩ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٩٣ ، خطط ج ٣ ص ٣٥٢،٣٥٣ ، نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٧،٢٠٩،٢١٠ ، صبح الأعشى ج ٤ ص ١٩٠ ، التعريف ص ٩١) .

الفصل الخامس

أرباب الإقطاع



رجال السيف : السلطان وأبناؤه وإقطاعاتهم – الجيش المملوكى وأقسامه– الحلقة وإقطاعاتها – المماليك السلطانية وجوامكهم والجهات المخصصة لها – نظائر هذه الطائفة فى الإقطاع الغربى – مماليك الأمراء وإقطاعاتهم – العربان وإقطاعاتهم – التركمان والأكراد وإقطاعاتهم – رتب الجيش المملوكى وعبرة إقطاع كل رتبة أو إمرة – نظام الترقية – أرباب الإقطاع من غير رجال السيف – بعض رجال القلم – أرباب الحرف .

كتب القلقشندى : « تجرى الإقطاعات فى الدولة المملوكية على الأمراء والجند ، وعامة إقطاعاتهم بلاد وأرض يستغلها مقعطها ، ويتصرف فيها كيف شاء ، وربما كان فيها نقد يتناوله من جهات ، وهو القليل ، وتختلف باختلاف أربابها »[1] .

ومعنى هذا ، أن غالب الإقطاعات تركزت فى رجال السيف ، وتنصرف كلمة رجال السيف إلى السلطان وأمرائه وأجناده ، أى إلى الجيش المملوكى بأجناسه وفرقه المختلفة ، وكذا أصحاب الوظائف الإدارية من هذا الفريق وهم الولاة والكشاف . بل إن كلمة الإقطاع ترادف « الجندية » ، ولابد للجندى أن يكون صاحب إقطاع ، بدليل توقيع أحد نواب السلطنة على قصة طالب إقطاع « ايش يعمل بالجندية » ؟[2] ومن رجال السيف ، المماليك بأنواعهم والعربان والتركمان والأكراد ومن يستخدمهم السلطان فى الأغراض الحربية ، على أن هناك طائفة قليلة من رجال القلم حازت الإقطاع وهم الخليفة وبعض الفقهاء ، فضلا عن عدد قليل من أصحاب الحرف المختلفة كالصناع وغيرهم .

وأول رجال السيف هو السلطان ، ويعرف إقطاعه باسم « الخاص السلطانى » أو « بلاد الخاص » أو « الخاص الشريف » ، والعادة أن يختار السلطان لنفسه ما شاء من الأراضى الجيدة أو القريبة ، ومن المكوس المربحة والحوالى وغيرها من أبواب الإيراد الوفيرة ، سواء فى ذلك العقار الثابت أو المال المنقول[3] ، والخاص السلطانى غير الأملاك الشريفة السلطانية ، فالخاص هو الإقطاع الذى يحوزه السلطان بوصفه سلطاناً ، ويقدر عادة بأربعة قراريط من خراج البلاد المقدر بأربعة وعشرين قيراطاً ، أى بمقدار السدس ، وإن لم تطرد هذه القاعدة ، على ألا يملك السلطان رقبة هذا الخاص

وإنما يملك حق الانتفاع به واستغلاله لحسابه طالما هو سلطان ، ولذا فهو ينتقل عنه بزوال السلطنة . أما الأملاك الشريفة السلطانية ، فهى التى اشتراها بماله من مالك آخر أو من بيت المال ، فصارت بذلك ملكاً حراً له جميع وسائل التصرف فيه من بيع وهبة وتوريث ووقف ، وربما يرجع أصل بعض هذه الأملاك إلى أيام إمارته قبل السلطنة . فمثلا من أملاك السلطان شعبان بن حسين بالغربية : بطينة وحوض الشقف ومساحتهما ١٦٢٦ فداناً ، عدا الرزق المقدرة بخمسة وعشرين فداناً ، والعبرة ثمانية آلاف دينار ، ومن أملاك الظاهر برقوق ، عطف بهبيت بالجيزة وهكذا . . .

وتوزع الخاص السلطانى فى الأقاليم المختلفة داخل مصر وخارجها[٤] ، فمنه ما هو بنواحى القاهرة مثل منيل الفولاذ وعبرته ٥٠٠ دينار[٥] ، ومنه ما هو بالوجه البحرى مثل فوة بإقليم فوة والمزاحمتين ، وكذلك ما بها من زكاة وعبرتها ١٦ ألف دينار[٦] ، ومنه ما هو بالوجه القبلى مثل الطارمة بالفيوم ومساحتها ١٢٦٢ فداناً وعبرتها ٤٠٠٠ دينارو إدقاق بالبهنساوية ومساحتها ١١٣١ فداناً وعبرتها ٤٠٠٠ دينار وهكذا[٧] وفى خارج مصر كانت غوطة دمشق وما يحيط بها ضمن خاص الناصر محمد[٨] .

واعتبر النظام المملوكى أبناء السلاطين من أرباب السيوف من باب التجوز ، نظراً لأن الكثيرمنهم لم يمارس التزامات الإقطاع ، فمنحوا الإقطاعات من باب التشريف ، وهى إمرة مائة ، وإن لم يزاولوا الإمرة والوظيفة .

ومن الأمثلة على ذلك إنعام الناصر محمد سنة ٧٣٢هـ (١٣٣١ م) على ولده ، آنوك بإقطاع الأمير مغلطاى المتوفى بالعقبة ، كما أنعم على ولده أبى بكرسنة ٧٣٥ هـ (١٣٣٤ م) بإمرة ، ولبس كل منهما شعار الأمراء[٩] ، ولما رزق السلطان حسن بولد ذكر سنة ٧٥٩هـ (١٣٥٧ م) سماه قاسماً

ومنحه إمرة مائة[١٠] ، ثم إن السلطان شعبان بن حسين أنعم فى سنة ٧٧٤هـ (١٣٧٢ م) على ابنه على بتقدمة ألف وعلى ولديه أحمد وأبى بكر بهذه المرتبة كذلك فى سنة ٧٧٩ هـ (١٣٧٧ م)[١١] ، ولما تسلطن المؤيد شيخ سنة ٨١٥هـ (١٤١٢ م) أنعم على ولده إبراهيم بإمرة مائة وتقدمة ألف[١٢] .

وأطلق المعاصرون على أبناء السلاطين لقب « أولاد الناس » ، وهو لقب يشترك معهم فيه أبناء الأمراء ، وكذلك عبر عن هؤلاء جميعاً باسم «المصريين »[١٣] ، ولعل هذه التسمية الأخيرة راجعة إلى أنهم ولدوا بمصر ولم يشتروا بالمال كآبائهم ، والعادة أن يعطى أولاد الناس الجوامك ، إلا أنه يحدث أن يمنحوا الإمرات بإقطاعها ، فمثلا منح الناصر محمد سنة ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) الأمير على بن سلار إمرة عشرة بمصر[١٤] ، كما منح ولدى الأمير سيف الدين أرقطاى المعروف بالحاج ، نائب صفد ، إمرتين سنة ٧١٨ هـ (١٣١٨ م) ، وهما إمرة طبلخاناه للأمير على وإمرة عشرة للأمير إبراهيم[١٥] ، كذلك منح السلطان الكامل شعبان بن الناصر محمد فى سنة ٧٤٦ هـ ــ ١٣٤٥م ابن طشتمر إمرة مائةوتقدمة ألف بمصر، والأمير على بن أصلم إمرة طبلخاناه[١٦] . وأراد السلطان حسن أن يستغنى بأولاد الناس عن الجند الترك ، جزئياً على الأقل ، وقد صرح بقوله « هؤلاء مأمونون (كذا) العاقبة وهم فى طى علمى ، وحيث وجهتهم إليه توجهوا ، ومتى أحببت عزلهم أمكننى ذلك بسهولة ، وفيهم أيضاً رفق بالرعية ومعرفة بالأحكام »[١٧] ولذلك كان منهم فى عهده عشرة أمراء مقدمون ، منهم ولداه قاسم وأحمد ، والثمانية الباقون هم اسنبغا بن الأمير الأبى بكرى ومحمد بن طوغاى ومحمد بن بهادر رأس نوابه ومحمد بن المحسنى وموسى بن أرقطاى وأحمد بن آل ملك وشرف الدين موسى الأزكشى الأستادار وعمر بن أرغون النائب[١٨] ، كذلك كان لديه عدد كبير آخر من أولاد الناس ما بين أمراء طبلخاناه وعشرات

ونواب قلاع ونواب بالبلاد الشامية ، مثل ابن القشتمرى نائب حلب وابن صبيح نائب صفد وأمير على الماردينى نائب الشام[١٩] . وتبع السلطان حسن فى هذا الاتجاه ، السلطان شعبان بن حسين ، إلا أن ذلك لم يستمر بعدهما ، وظل أولاد الناس يخدمون فى الجيش المملوكى وبعض الوظائف على أساس الجامكية .

أما رجال الجيش المملوكى ، فهم عناصر مختلفة ، من ترك وجركس وروم وأكراد وعرب وتركمان ، كذلك منهم المغول والألمان والإيطاليون والروس ، وأكثرهم مشترى بالمال[٢٠] . وأقسام هذا الجيش ثلاثة هى : — أجناد الحلقة[٢١] والمماليك السلطانية ومماليك الأمراء ، والفريق البارز فى هذه الأقسام هو فريق الحلقة من حيث حيازة الإقطاع ؛ فهم قلب الجيش المملوكى والأصل فى التوزيع الإقطاعى . والمماليك السلطانية هم أصحاب الجوامك الراتبة من السلطان ، أما مماليك الأمراء فيتبعون أساتذتهم ويحوزون إقطاعاتهم بحسب مراتبهم من بطن إقطاعات الأمراء .

توزعت هذه الفئات فى أقاليم الدولة المملوكية فمنها ما هو بحضرة السلطان بالقاهرة ومنها ما هو بمختلف النيابات بمثابة الحامية خارج مصر ومنها ما هو فى صحبة الأمير المملوكى التابعة له حيث يكون مقامه فى مصر أو خارجها .

وبلغ أجناد الحلقة على ما استقر (عددهم) فى جرائد ديوان الجيش بأوراق الروك الناصرى . نحو ٢٤ ألف فارس ، إلا أن هذا العدد تراوح بين الزيادة والنقص وإن رجحت كفة النقص عن كفة الزيادة ، فيما بعد عهد الناصر محمد ، حتى إنهم صاروا من القلة فى زمن لم يحدده المقريزى ولعله أواخر القرن الثامن الهجرى وأوائل التاسع الهجرى بحيث لو جمعوا مع المماليك السلطانية « لما بلغ ٥ آلاف فارس لا يصلح منهم لمباشرة القتال سوى ألف أو دونها[٢٢] » .

ويؤخذ من خطاب أورده ابن شاهين عن بعض سلاطين المماليك يذكر

فيه قوات الجيش المملوكى أن عدد أجناد الحلقة بمصر وخارجها هو : —

٢٤ ألفاً بمصر .
١٢ ألفاً بدمشق
٦ آلاف بحلب
٤ آلاف بطرابلس
١ ألف واحد بصفد
١ ألف واحد بغزة بالإضافة إلى مماليك الأمراء بها[٢٣] .

*

اقتضى النظام الإقطاعى تسجيل أجناد الحلقة فى جريدة باسمهم بديوان الجيش ، حيث يضيف الكاتب المختص كل ألف منهم إلى مقدم مشهور من الحلقة من أمراء المائة ، ولكل مائة من هذه الألف رئيس أو « باش » أو « نقيب » يشترط فيه الإلمام بمساكنهم ومظان إقامتهم لجمعهم عند الطلب ، وليس لهذا النقيب — ومن ألقابه مقدم الحلقة — سلطة عليهم إلا فى أثناء الحرب[٢٤] ، وبجانب هذا التنظيم تسجل رتبهم وصفاتهم[٢٥] .

والمناشير الصادرة بإقطاعات هذا الفريق لا تكون إلا من السلطان، كما هو الشأن فى مناشير الأمراء ، وإقطاعات الحلقة وقف عليها دون غيرها من فئات الجيش ، ولم يشذ عن هذه القاعدة سوى السلطان قلاوون ؛ إذ أعطى مملوك والى القاهرة الأمير سنجر الخياط إقطاعاً بالحلقة تقديراً ومكافأة استثنائية له ، لأنه قبض على اثنين من العابثين ، وذلك على حين أن قلاوون نفسه أبى أن يعطى ولدى الأميرين طرنطاى وكتبغا إقطاعات بالحلقة يوم سألاه ذلك ، وقال جملته المشهورة : « والله لو رأيتهما فى مصاف القتال يضربان بالسيف أو كانا معى فى زحف قدامى أستقبح أن أعطى لهما أخبازاً فى الحلقة خشية أن يقال : أعطى الصبيان الأخباز[٢٦] » .

وتتراوح عبرة إقطاعات مقدمى الحلقة[٢٧] بين ١٠٠٠ و ١٥٠٠ دينار فى السنة للواحد منهم ، على أساس سعر الدينار ٩ دراهم ، إلا أن هذا القدر لا يدخل كله لصاحب الإقطاع ، وإنما يخصم منه قيمة كلف ومصاريف تقدر بنحو ٩٠٠ درهم[٢٨] .

أما أجناد الحلقة فمتوسط عبرة إقطاع الجندى منهم ٢٥٠ ديناراً فى السنة ، وهذه أقل عبرة[٢٩] ، وهم منقسمون إلى ست مراتب ذوات عبرات إقطاعية مختلفة كالآتى :

رقم المرتبة	عددالأجناد	عبرة إقطاع الواحد منهم فى السنة	سعر الدينار
١	١٥٠٠	٩٠٠ دينار	١٠ دراهم
٢	١٣٥٦	٧٠٠ «	« «
٣	١٣٠٠	٦٠٠ «	« «
٤	١٣٠٠	٥٠٠ «	« «
٥	١١٠٠	٤٠٠ «	« «
٦	١٠٣٢	٣٠٠ «	« «

وجرت العادة أن يشترك عدة أجناد من الحلقة فى الإقطاع الواحد ، وتقسم العبرة بينهم ، مثال ذلك ، أن مدينة النحريرية بالغربية ، مقطعة لعشرة أجناد منهم[٣٠] ، ومساحة الأرض بهذه المدينة ، أى زمامها ١٢٧٠ فداناً وعبرتها ٣٠٠٠٠ دينار[٣١] مقسمة عليهم تقسيماً يتناسب ومراتبهم .

أما المماليك السلطانية ، سكان الطباق[٣٢] بالقلعة ، فهم أصحاب الجوامك والرواتب مشاهرة على وجه العموم ، ويقسمون إلى ثلاث فرق هى : مماليك مشتريات ينتسبون للسلطان القائم ، ومماليك سلطانية منسوبون إلى السلطان السابق ، ومماليك سيفية منسوبون للأمراء مقدمى الألوف ، إلا أنهم نقلوا إلى الديوان « الشريف » لسبب من أسباب النقل ، كوفاة أستاذهم أو نفيه أو قتله ، ومن هؤلاء جميعاً أصحاب وظائف[٣٣] .

انتسبت كل طائفة منهم إلى سيدها ، فالأشرفية نسبة إلى الأشرف خليل والظاهرية للظاهر برقوق ، والناصرية للناصر فرج ، والمؤيدية للمؤيد شيخ ، والططرية والإينالية والخشقدمية وهكذا ، ومنهم من ينسب إلى أصله كالعثمانية

الذين أسرهم أزبك سنة ٨٩٤هـ (١٤٨٨ م) على أثر انتصاره على العثمانيين فأنزلهم قايتباى فى ديوانه وقدر لهم الجوامك[٣٤] ، ومن أمثلة السيفية، الجكمية نسبة إلى الأمير جكم والنوروزية نسبة إلى الأمير نوروز ، وكلا الأستاذين من أمراء المؤيد شيخ[٣٥] .

واختلف عدد هذا الفريق من الجيش المملوكى كغيره من الفرق من وقت إلى آخر. فبلغ فى عهد بيبرس نحو ١٦ ألف مملوك[٣٦] وتراوح عددهم فى عهد قلاوون ما بين ١٢ ألفاً و ٧ آلاف مملوك[٣٧] ، وبلغت مماليك الأشرف خليل بن قلاوون نحو اثنى عشر ألفاً ، ومماليك الناصر محمد ألفين بعد الروك ، ولم يصل عددهم إلى هذا القدر بعد ذلك حتى زالت أسرة بنى قلاوون والدولة المملوكية الأولى فى سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢ م) ، إذ أخذ برقوق ، وهو أول سلاطين الدولة المملوكية الثانية ، يعمل على القضاء على المماليك الأشرفية ، وهم مماليك الأشرف شعبان وأنشأ برقوق لنفسه طائفة من المماليك الجراكسة بلغت عدتهم ما بين مشترى ومستخدم ، ٤ آلاف وربما زادت قليلا ، غير أن هذا العدد تفرق فى عهد ابنه فرج وهلك كثير منهم بالقتل وغيره[٣٨] ، وفى عهد خشقدم بلغ عدد المماليك السلطانية خمسة آلاف مملوك ، وربما زاد عن هذا العدد قليلا فى عهد السلطان قايتباى ، إذ أربت مشترياته منهم على ألفى مملوك[٣٩] .

ولطائفة المماليك السلطانية بديوان الجيش سجل خاص اسمه « جريدة أرباب النقود والمكيلات » تضم هذه الجريدة أسماءهم ومخصصاتهم الراتبة فى كل سنة بمقتضى مناشيرهم ، ويوضح كاتب الجيش أصحاب الوظائف منهم مثل « الأوشاقية » العاملين بالاصطبلات السلطانية وغيرهم ، على أن يضيف كل فريق من هؤلاء إلى مقدم بارز بينهم ، فيقال : « مقدم الأوشاقية » وبلغ عدد مقدمى المماليك السلطانية أيام الناصر محمد نحو ٤٠ فارساً[٤٠] والرئاسة العليا على سائر طوائف المماليك السلطانية ، لمقدم من الأمراء الطواشية برتبة أمير طبلخاناه وله نائب يساعده برتبة أمير عشرة[٤١] .

وخصص ديوان الجيش إقطاعات معينة للصرف على رواتب المماليك السلطانية وجوامكهم(٤٢) ، بلغ متوسط راتب المقدم نحو ١٢٠٠ دينار فى السنة ، وربما زاد عن هذا المبلغ(٤٣) . أما المماليك السلطانية أنفسهم ، فاختلفت جوامكهم باختلاف رتبهم كما هو الشأن فى إقطاعات أجناد الحلقة فقسموا إلى أربع طبقات فى الروك الناصرى ، على هذا النحو(٤٤) :

رقم المرتبة	عدد المماليك	مقدار جامكية الواحد منهم فى السنة	سعر الدينار
١	٤٠٠	١٥٠٠ دينار	١٠ دراهم
٢	٥٠٠	١٣٠٠ »	» »
٣	٥٠٠	١٢٠٠ »	» »
٤	٦٠٠	١٠٠٠ »	» »

وتشمل الجوامك الشهرية : العليق والحبوب والطعام ، ويقال إن جامكية مماليك السلطان برقوق بلغت فى الشهر الواحد ٩٠٠ر٠٠٠ درهم ومن العليق ١٥ ألف إردب من الشعير ، وهذا غير الخيول والجمال التى تصرف لهم ، على أنه قد تنقص رواتبهم أو تقطع(٤٥) ، وقد يعطون إقطاعات بدلا من الرواتب(٤٦) .

وأشرف « الديوان المفرد »(٤٧) على الإقطاعات الخاصة برواتب وجوامك المماليك السلطانية ، وتتلخص مهمة هذا الديوان فى « تكفيته جميع المماليك السلطانية من جوامك وعليق والآدر الشريفة وجميع لوازمها وجميع البيوتات ولهذا الديوان بلاد كثيرة بلغت نحو ١٦٠ بلداً ، من جملتها فارسكور والمنزلة ، وبلغ خراج كل منهما نحو ٣٠ ألف دينار ، وذلك فضلا عن رسوم أخرى متنوعة تجبى له من الولاة والكشاف وغيرهم بحيث بلغ إيراده عن سنة واحدة

من العين أكثر من ٤٠٠ ألف دينار ، ومن الغلال ٣٠٠ر٠٠٠ إردب من القمح والشعير والفول[٤٨] .

وأشبهت طائفة المماليك السلطانية برواتبها وجوامكها طائفة من الأتباع المحاربين فى النظام الإقطاعى الغربى منذ القرن الحادى عشر الميلادى فصاعداً ، وذلك بفرنسا وألمانيا والأراضى المنخفضة وإنجلترا ، ومنبع الشبه أن إقطاعات هؤلاء لم تكن من الأرض وإنما من الرواتب والجوامك ، ويعبر عنها باسم Rente أو Money Fiefs أو Fiefs de Soudée ، وأول ملك فرنسى منح أغلب هذا النوع من الإقطاع هو لويس السابع عام ١١٥٥ / ١١٥٦م ، وتبعه خلفاؤه من بعده ، وهذا أغلب ما كان للأجانب ، كذلك اهتم ملوك الإنجليز من النورمان بهذه الإقطاعات فى القرن الثانى عشر الميلادى ، وذلك لاجتذاب الأجانب ولاسيما نبلاء فرنسا وألمانيا والأراضى المنخفضة ليكثر أتباعهم ، ويقوى نفوذهم[٤٩] ، وكذلك فى الجيش الصليبى الإقطاعى بمملكة بيت المقدس ، حيث نقل الإقطاع الغربى ، نجد فريق أصحاب الجوامك . وتراوح متوسط راتب الفارس من هذا الفريق بين ٤٠٠ و ٦٠٠ و ١٠٠٠ بيزنطة فى السنة[٥٠] .

ويتوقف تقدير هذه الرواتب على مدى الحاجة إلى الرجال ، ومدى توفر المال ، واعتبر دخل الموانى أكثر ضماناً فى الحصول على رواتب هذه الطائفة من الأراضى الداخلية ، نظراً لأن الموانى كانت أقل تعرضاً لهجوم المسلمين. ولم تقتصر الرواتب على المال بل كانت كذلك من القمح والشعير والعدس والزيت ونحوها[٥١] ، ومن المعروفين من الفرسان أصحاب الجوامك فى الدولة الصليبية أرناط Arnold صاحب الكرك ، إذ خدم بالجامكية أولا عند ريموند صاحب أنطاكية[٥٢] . وكذلك صدر منشور ١١٦٩ م يقضى بمنح راتب قدره ١٢٠٠ بيزنطة فى السنة من دخل عكا لفارسين ، ولما رغب فردريك الثانى عام ١٢٣٩ م مزيداً من الرجال ، منح رواتب متفاوتة ما بين ٤٠٠ و ٦٠٠ بيزنطة ، ومن الفرق المنظمة فى المملكة الصليبية والمعتمدة على

هذا النوع من الإقطاع ، فريق من الوطنيين السوريين الذين خدموا الصليبيين ويعرفون باسم التركبولى Tourkopouloi أو Turcoples ، وهم فرقة من الفرسان المدرعة بالدروع الخفيفة ، وينحدر أعضاؤها عن آباء من الترك وأمهات مسيحيات من اليونان فى الغالب(٥٣) .

والفريق الثالث من الجيش المملوكى ، هو مماليك الأمراء ، وبمعنى آخر ، أجناد الأمراء، وهؤلاء تابعون لأمرائهم الذين يتولون الإنفاق عليهم وتجهيزهم عند الاستعداد لحملة أو قتال ، ولابد من تسجيلهم بديوان الجيش كغيرهم من الفرق الأخرى ، فإذا تسلم أمير من الأمراء إقطاعه ، طلب إليه كاتب الجيش أن يقدم البيانات اللازمة عن مماليكه ، وهذه يعدها موظف مختص بديوان الأمير يسمى « كاتب عدة الأمير » فى سجل خاص ، يشمل أسماءهم وما خصص لهم فى إقطاع أميرهم وما لهم من رواتب وجوامك(٥٤) .

يتسلم كاتب الجيش هذه البيانات ويحدد يوماً لعرض أولئك الأجناد أمام السلطان ليعتمدهم ، وذلك بمشهد من الأمراء ، وهذا الإجراء من الدلائل الكثيرة على مدى ما يتمتع به السلطان المملوكى من سلطة مركزية . يقول النويرى : « فمن جاز ولى الأمر عرضه حلاه (أى وصفه) قبالة اسمه »(٥٥) بما يميزه من أوصاف كعمره ولونه وقامته وحلية وجهه وما به من أثر إن وجد وهكذا ، وإذا رفض السلطان جندياً ، فعلى الأمير أن يقيم بدله ، على أن يعرض الجدد . كما أنه إذا مات جندى أوعزل عن عمله لسبب ما ، أقام الأمير عوضه . وموافقة السلطان واعتماده، أمر يحتم فى كل حالة لتكون الأسماء الواردة بسجل ديوان الجيش منطبقة على الواقع .

أما أعداد أجناد الأمراء فخضعت لأحوال أساتذتهم من السعة والضيق ولم تتقيد بمراتب الأساتذة ، بمعنى أنه ليس من الضرورى أن يقتصر أمير المائة أو غيره من الأمراء على العدد الذى تنص عليه رتبته ، وبقدر ما هناك من « إمرات » أو إمريات ، على قول المصطلح ، يمكن استخراج إحصائية

تقريبية على أنها العدد الرسمى ، إلا أن هذا العدد الرسمى لم يوجد فى وقت ما خلال عصر السلاطين المماليك[٥٦] .

ويستحق مملوك الأمير إقطاعه ومخصصاته من تاريخ العرض والتسجيل بديوان الجيش ، على خلاف سيده الذى يستحق إقطاعه من تاريخ منشوره[٥٧] وجرت العادة أن تقسم عبرة إقطاع الأمير إلى ثلاثة أجزاء متساوية ، يختص مماليكه بجزءين على حين ينفرد هو بالجزء الباقى ، وينص فى منشوره على هذه النسبة غالباً[٥٨] ، وفى مثل هذه الحالة ليس للأمير أن يتعدى على نصيب أجناده ، بل مما يحمد له أن يزيد فى أنصبتهم من نصيبه ، ويعلق النويرى على هذا بقوله : « وهذه القاعدة لاحقة بقواعد الفقه ؛ فإن له التصرف فى ماله دون مال غيره »[٥٩] ، وفى حالة عدم النص على نصيب الأجناد فى المنشور ، فالأمير هنا فى حل من زيادة البعض وإنقاص البعض بحسب ما يراه[٦٠] ، على أن متوسط عبرة إقطاع المملوك يتراوح بين عشرة آلاف وثلاثة آلاف درهم فى السنة[٦١] .

*

واعتبر النظام الإقطاعى المملوكى زعماء العرب والتركمان والأكراد الداخلين فى طاعة الدولة المملوكية ،من رجال السيف المقطعين ، لأن معظم عملهم يتركز فى حماية أطراف الدولة ، سواء فى مصر أم فى خارجها ، ويطلق عليهم أحياناً « أرباب الأدارك » أو « المثاغرون »[٦٢] وعرف الواحد من زعماء العرب باسم (الشيخ)[٦٣] ، أما زعماء التركمان والأكراد فاشتهر الواحد منهم بلقب « المقدم » ، فيقال مقدم التركمان والأكراد ، على أن لفظ المقدم أطلق أحياناً على زعماء عرب بنى تنوخ بلبنان ، فسمى الواحد منهم : « مقدم الجبلية » إشارة لإقامتهم فى المناطق الجبلية .

ويرجع تعميم الإقطاعات لزعماء العربان ، إلى عهد الأيوبيين ؛ إذ أمّر صلاح الدين جماعة منهم[٦٤] ، ولما كانت الدولة المملوكية وريثة الدولة

الأيوبية فى نظمها وتقاليدها . فقد أبقت على تركة أساتذتها واحتفظت بطوائف العربان الموالين لها ، وسجلت زعماءها المقطعين فى « الجريدة الجيشية » ، بديوان الجيش[٦٥] .

وأشهر القبائل التى تزعمها أولئك المشايخ وحازت الإقطاعات ، عرب بنى الغوث بن طى من بنى خزيمة بنواحى دمياط ، عرب الحمارية المنتسبون إلى قريش ، فى الدقهلية والمرتاحية[٦٦] ، وبالشرقية تل محمد من إقطاعات بنى رديني من بنى سويد ، ومساحته ١١٨٤ فداناً[٦٧] ، وشنبارة بنى خصيب ومساحتها ٢٣٧٨ فداناً وعبرتها ٤٥٠٠ دينار كانت إقطاعاً للشواكرة أولاد شاكر بن راشد منذ عهد صلاح الدين[٦٨] . ولبنى خليفة وبنى عبيد جزء من هربيط يعرف بالأحرار[٦٩] ، وانتشرت جماعة من عربان فايد وزنارة وخفاجة وهوارة وغيرهم بأنحاء البلاد المصرية الشمالية بين الإسكندرية والعقبة . وهؤلاء معظم عربان الوجه البحرى ، وقد وصفهم صاحب التعريف[٧٠] بأنهم « على سعة أموالهم واتساع نطاق جماعاتهم ليسوا عند السلطان فى الذروة ولا فى السنام ؛ إذ كانوا أهل حاضرة وزرع وليس فيهم من ينجد ولا يتهم ولا يعرق ولا يشئم ولا يخرجون من جدر الحدران[٧١] » .

ومن قبائل عربان الوجه القبلى : هوارة ولخم ، وبلغت عدة هوارة وحدها فى القرن الثامن الهجرى نحو ٢٤ ألفاً والسلطان برقوق هو الذى أنزلهم فى سنة ٧٨٢ هـ — ١٣٨٠م بالصعيد الأعلى ، وأقطع منهم إسماعيل بن مازن ناحية جرجا ، وكانت خراباً فعمرها[٧٢] ، وانتشر بنو هلال بن عامر بن صعصعة بأسوان وما حولها حتى ثغر عيذاب ، وهم بطن من بنى عامر ، كما سكنت منهم عدة بطون بأخميم مثل بنى رفاعة وبنى حجير وبنى عزيز فضلا عن بعض بطون بلى التى امتدت كذلك إلى الأعمال القوصية والمنفلوطية ، وفى معظم بلاد البهنسا سكنت لواتة ، وأقامت جهينة من قضاعة ببلاد أخميم فى عصر الناصر محمد[٧٣] ، ودخلت الواحات فى إقطاع العربان لموقعها النائى وما يترتب عليه من صعوبة الاستغلال لغير العرب من المقطعين[٧٤] .

أما مشايخ العربان المقطعون خارج مصر ، فأولهم مشايخ عربان برقة ، وعليهم مقابل إقطاعهم مهمة جمع الزكاة أو « العداد » المقرر على الماشية من العربان »[٧٥] ، ثم أقطعت هذه البلاد لأمراء عربان من مصر من بني سليم وأميرهم على عهد الناصر ، فايد بن مقدم السليمي[٧٦] ، ويبدو أن اهتمام سلاطين المماليك ببرقة لم يقتصر على موقعها في طرف من أطراف الدولة ، بل تعداه إلى جودة خيلها . يقول العمرى : « برقة أزكى البلاد أرضاً للدواب وخيل برقة من أقوى الخيل ، ويكفى أن يقال الخيل البرقية ، لكنها لا تبلغ خيل البحرين والحجاز والشام»[٧٧] .

ويمتاز عربان الشام بأن لهم المنزلة الأولى فى نظر المماليك ، وأشهرهم فى ذلك العصر أمراء آل فضل ومنهم بنو نعير آل مراء ، وآل على ، ومن آل على ، عيسى بن مهنا ، ولهؤلاء شأن فى العلاقة مع التتار وفى الجهاد ضد الصليبيين ، ولذلك جرت سياسة سلاطين المماليك على إكرامهم وإقطاعهم الإقطاعات الوافرة ، بل نعتت الوثائق المملوكية المعاصرة ، آل عيسى بأنهم « ملوك البرية » لشدة بطشهم ووفرة عددهم وكثرة أموالهم[٧٨] .

واستعانت الدولة المملوكية ببعض قبائل التركمان ، ووفرت لهم الإقطاعات نظير قيامهم على حماية أطرافها من الأعداء المتاخمين ، وهم الصليبيون والتتار والعثمانيون الذين اشتد خطرهم منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادى ، وهذا فضلا عن مهمة إخضاع القبائل التركمانية الأخرى ، التى كانت كثيرة الإغارة على بلاد السلطنة المملوكية .

استقرت الإمرة على التركمان فى الأطراف الشمالية فى بيت « دلغادر »[٧٩] تارة وبيت « ابن رمضان »[٨٠] تارة أخرى ، وهؤلاء أشهر طوائف التركمان . فمثلا لما قدم على بن رمضان وأمراؤه إلى مصر سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) ، وقدم للسلطان صالح بن الناصر محمد ، وأمرائه ، ألف إكديش ، أنعم عليه السلطان بالإمرة على التركمان عوضاً عن « قراجا دلغادر » ، كما أنعم عليه

بإقطاع ، وعلى عدد من أصحابه بإمريات بين عشرات وطبلخانات[٨١] . كذلك خدم بنو العساف التركمان دولة المماليك[٨٢] .

ومن القوات المملوكية قوة الأكراد وهذه بلغ عددها نحو ٢٠ ألفاً[٨٣] وأشهرها بقايا بنى أيوب وأتباعهم ، منهم الملك الأوحد بن الملك الزاهد بن أسد الدين صاحب حمص ، وقد منحه السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٦٩٤ هـ — ١٢٩٤م ، إمرة طبلخاناه بإقطاعها[٨٤] ومنهم مجير الدين يعقوب من سلالة السلطان العادل الأيوبى ، وهو صاحب إقطاع جيد قرب المزة بظاهر دمشق[٨٥] وأهمهم جميعاً الملك المظفر أبو الفـداء إسماعيل صاحب حماة[٨٦] .

أما رتب الجيش المملوكى الإقطاعى ، فتدرجت من أمير ثلاثة إلى أمير مائة ، وهذه أعلى رتبة . ويلاحظ أن الترقية لمراتب الجيش المختلفة ليست وقفاً على فرقة دون أخرى من فرق الجيش ، وإنما ظل الباب مفتوحاً أمام كل الطوائف من الحلقة والمماليك السلطانية وأتباع الأمراء .

فأمير مائة من له إمرة مائة فارس ، أى رئاسة هذا العدد الذى يشتريه من مال إقطاعه ، وله كذلك « تقدمة » أى قيادة ألف جندى من أجناد الحلقة وغيرهم[٨٧] ، على أن المائة هذه ليست إلا دليلا على أن الحد الأدنى لأتباع صاحب هذه الرتبة هو مائة فارس فضلا عن دلالتها على الرتبة فى سلم الجيش المملوكى ، بمعنى أنه غير مقيد إذا اشترى أكثر منه ، ومصداق ذلك قول المقريزى « وربما زاد بعضهم بالعشرة فوارس والعشرين »[٨٨] بل ربما نص ديوان الجيش فى منشور الإقطاع والإمرة على هذه الزيادة ، مثل الأمير قرالاجين المنصورى ، الأستادار الذى كان إقطاعه بإمرة ١٢٠ فارساً[٨٩] ، وبلغ مماليك قوصون نائب السلطنة وأتابك العساكر على عهد السلطان كجك بن الناصر محمد سنة ٧٤٢ هـ — ١٣٤١م ، ٧٠٠ مملوك ، ولذلك كان يفخر ويتباهى بقوته ويقول : « ايش أبالى بالأمراء وغيرهم وعندى ٧٠٠ مملوك ألقى بهم كل من فى الأرض »[٩٠] . كذلك بلغت مماليك يلبغا الأتابكى أتابك العسكر

أيام السلطان شعبان نحو ٣٠٠ مملوك منهم ، ٤ مقدمو ألوف غير العشرات[٩١] كما بلغت مماليك يشبك الدوادار فى عهد قايتباى ، ٤٠٠ مملوك «كاملين اللابس والحواشن على غالبهم وخيلهم لابسة[٩٢] » .

والمألوف أن يكون عدد الأمراء مقدمى الألوف بمصر ٢٤ أميراً ، وبلغوا ٢٥ فى عهد الناصر محمد حين أمر السلطان الأمير الطنبغا فى سنة ٧٢٧ هـ — ١٣٢٦م[٩٣] ، ووصل عددهم إلى ٢٦ فى عهد الغورى سنة ٩٢٢هـ — ١٥١٦م[٩٤] ولم يتجاوز عددهم هذا القدر طوال عصر السلاطين المماليك ، ومن هؤلاء أكابر النواب وأكابر الموظفين[٩٥] وهم على طبقتين : « خاصكية » مقربون إلى السلطان و « خارجية » دونهم فى المركز[٩٦] .

وتتراوح عبرة إقطاع الواحد من مقدمى الألوف بين ١٠٠ و ٨٠ ألف دينار فى السنة ، وهذا متوسط العبرة أو القاعدة العامة ، وعبرة إقطاع الخاصكى منهم نحو ١٠٠ ألف دينار وربما بلغ إقطاع بعض المقربين للسلطان نحو مائتى ألف دينار جيشية ، بل ربما زادت عن ذلك كثيراً فيقال : إن الناصر عين للألوف الخاصكية ٦٠٠ ألف دينار ، وللخارجية ٨٥ ألف دينار ، بسعر الدينار عشرة دراهم[٩٧] ، ومن المقدمين أصحاب الإقطاعات الثقيلة ، الأمير جاندار عز الدين بن أيبك بن عبد الله الأفرم فى عهد الناصر محمد ، قيل إن إقطاعاته وأملاكه بلغت ثمن الديار المصرية[٩٨] ، وبلغ متحصل إقطاع منكوتمر نائب السلطنة أيام لاجين ما نيف على ١٢٠ ألف إردب من الغلة « خارجاً عن المال والعين والقنود والأعسال والتمر والأغنام والأحطاب »[٩٩] وبلغت إقطاعات الأمير تنكز نائب الشام أيام الناصر محمد من الكثرة ، فى مصر والشام ، ما جعله أغنى أمراء عصره ، كما بلغت إقطاعات الأمير بشتك الناصرى ما يقدر بسبع عشرة إمرة طبلخاناه ، ومتحصلها مائتا ألف دينار فى السنة[١٠٠] .

وترجع هذه الزيادات فى الإقطاعات إلى عوامل كثيرة : أولها ضعف شخصية السلطان ، وثانيها مكانة الأمير من سيده ودرجة إيثاره له ، فضلاً عن

طموح الأمير وظلمه ، كذلك لأحوال الفتن والاحتلال أثر كبير فى اغتصاب الإقطاعات ، فمثلا حدث على أثر مقتل السلطان لاجين ونائبه منكوتمر سنة ٦٩٨ هـ - ١٢٩٨م (١٠١) ، أن طمع الأمير طغجى فى السلطنة فدعا طغجى عبد الرحمن الطويل مستوفى الدولة (١٠٢) ، وكاتب الروك الحسامى وسأله عن إقطاع النيابة ، فلما ذكره له قال طغجى : « هذا كثير ، أنا لا أعطيه لنائب » ، ورسم أن توفر جملة إقطاعات تضاف للخاص السلطانى ، وحين خرج الطويل من حضرة طغجى ، استدعاه كرجى وكان يطمع فى منصب نيابة السلطنة وسأله عن إقطاع النيابة ، فلما عرفه استقله وقال : « هذا ما يكفينى ولا أرضى به » وعين له بلاداً يطلبها زيادة على إقطاع منكوتمر (١٠٣) ومعنى هذا وذاك أنه لم تكن هناك قاعدة تتبع أو تحترم ، بل قوة وتسلط .

ويتلو إمرة مائة فى السلم العسكرى المملوكى. إمرة طبلخاناه وهى إمرة أربعين ، بمعنى أن الإقطاع الذى يمنحه صاحب هذه المرتبة فى الجيش ، يكفى لشراء أربعين مملوكاً (١٠٤) . وتختلف إمرة طبلخاناه عن رئاسة أربعين الموجودة ضمن التنظيم الإدارى والفنى لأجناد الحلقة ، فهذه رتبة فى الجيش ، ومماليكه أتباعه يرتزقون من إقطاعه ، وعليه تجهيزهم . على أن بعض أمراء الطبلخاناه اشترى أكثر من هذا العدد ، نظراً لأنه صاحب إمرة ستين أو إمرة سبعين أو إمرة ثمانين ، لكنه لا يخرج عن رتبة أمير الطبلخاناه ؛ فمثلا شغل الأمير بلبان الرومى إمرة ستين فى عهد السعيد بن بيبرس (١٠٥) وربما أعطيت إمرة ستين تشريفاً لبعض الصغار من أبناء الأمراء كما حدث للأمير محمد بن أبى الفداء صاحب حماة إذ « تصدق » عليه الناصر بإمرية « وستين فارساً لخدمة طبلخاناه » ، وعمره يومئذ ٩ سنوات (١٠٦) ومنحت إمرة سبعين للأمير جاغان بعد الاتفاق على تولية الناصر سلطنته الثانية فى سنة ٦٩٩ هـ - ١٢٩٩م ، فلما جاء هذا الأمير من الشام « تلقاه بريدى وعلى يده منشور بإقطاع سبعين فارساً (١٠٧) وتمتع كل من الأميرين بيبرس المنصورى الدوادار ومغلطاى أمير مجلس (١٠٨) ، بإمرة ثمانين فى عهد الناصر محمد كذلك (١٠٩) .

واختلف عدد أمراء الطبلخاناه من عهد إلى عهد، فبلغوا فى أحد العهود ٤٠ أميراً وفى عهد الناصر محمد ٢٠٠ أمير ما بين خاصكى وخارجى (٥٤ أميراً خاصكياً و ١٤٦ أميراً خارجياً) . وبالإضافة إلى مماليكهم بلغوا ٨٢٠٠ فارس(١١٠) وبلغوا بالإضافة إلى أمراء العشرات ٣٠٠ أمير فى عهد السلطان الغورى ، (١١١) .

وتتراوح عبرة إقطاع الواحد من أمراء الطبلخاناه مابين ٤٠ و ٣٠ و ٢٣ و ٢٠ و ١٥ ألف دينار فى السنة ولا يصل إلى ٤٠ ألفاً إلا الخاصكية ، ولهؤلاء الخاصكية امتياز آخر غير ارتفاع عبرات إقطاعاتهم ، وهو أن سعر الدينار الذى يحاسبون بمقتضاه ، عشرة دراهم ، أما الخارجى فسعر ديناره ٨ دراهم(١١٢) ، وعبرة إقطاع أصحاب الوظائف منهم نحو ٢٠ ألف دينار فى السنة بسعر ٨ دراهم ، وذلك لمتولى الكشوفية فى إقليم من الأقاليم . كما أن عبرة إقطاع الوالى من الطبلخاناه ١٥ ألف دينار بسعر ٨ دراهم كذلك. وقد بلغ عدد أصحاب الوظائف من أمراء الطبلخاناه ١٤ أميراً فى عهد الناصر محمد فى الدولة المملوكية الأولى ما بين كشاف ونواب وولاة ، ونقص هذا العدد إلى عشرة زمن السلطان الغورى ما بين زردكاش كبير ورأس نوبة ثان ودوادار ثان وحاجب ثان وأمير أخور ثان ومحتسب وخازندار ثان . ويلاحظ أن المقر المنصورى محمد بن السلطان الغورى كان من بين أمراء الطبلخاناه ، ويشغل وظيفة شاد الشرابخاناه(١١٣) .

وإمرة عشرة دون إمرة الطبلخاناه فى مدرج الرتب العسكرية الإقطاعية فى جيش المماليك ، وتقضى هذه الإمرة على صاحبها بإقامة عشرة مماليك وربما زاد إلى العشرين ، ويقال له فى هذه الحالة أمير عشرين ، غير أنه يعد فى العشرات من حيث الرتبة (١١٤) ؛ ومثال ذلك الأمير برسباى المؤيدى الإينالى أمير عشرين فى عهد السلطان إينال ، ويشغل وظيفة رأس نوبة (١١٥) ، كذلك تمتع الأمير ناصر الدين الحسين من أمراء بنى تنوخ العرب بإمرة عشرين ، وصدر له منشور بعد روك الشام سنة ٧١٣ هـ — ١٣١٣م ، وهو

ينص على ذلك العدد[116] ويذكر ابن شاهين من هذه الإمرة العشرينية ، عشرين أميراً[117] .

وبلغ عدد أمراء العشرات فى عهد الناصر نحو ٢٠٠ أمير مابين خاصكى وخارجى ، فالخاصكية منهم ٣٠ أميراً والخارجية ١٧٠ أميراً ، والعدد الرسمى لمضافيهم هو ألفا مملوك على أن عدد أمراء العشرات ، كغيرهم لم يكن ثابتاً طوال عصر المماليك ، فلم يزيدوا على مائة وخمسة وثمانين أميراً زمن السلطان قانصوه الغورى[118] .

وتراوحت عبرة إقطاع الواحد منهم بين ١٠ و ٧ آلاف دينار فى السنة إلى ما دونها ، وتمتاز الخاصكية بأعلى عبرة بسعر ١٠ دراهم للدينار ، أما الخارجية فعبرة إقطاع الواحد منهم ٧ آلاف دينار فى السنة بسعر ٧ دراهم للدينار[119] ، والغالب أن يشترك أكثر من مقطع واحد من أولئك العشرات فى جهات الإقطاع الواحد . مثل الأمير علان من ططخ الأشرفى[120] ، أحد أمراء قايتباى ، فقد وقع جزء من إقطاعه بمدينة هارون بالأعمال البهنساوية بالاشتراك مع الديوان المفرد . ومساحة بنى هارون ١٦٢٥ فداناً وعبرتها ثلاثة آلاف دينار ، وبها من الرزق أربعة أفدنة[121] وكذلك كانت زفيتى شطنوف وبهادر كفرها بالقليوبية مقطعة لخمسة أمراء عشرات ، ومساحة هذا الإقطاع ٢٩٢٠ فداناً ، منها ٥٦ فداناً للرزق ، والعبرة عشرة آلاف دينار[122] .

أما أمراء الخمساوات فعددهم حسب تقدير ابن شاهين ٣٠ أميراً ، بخدمة كل منهم خمسة مماليك ، ومنهم من هو صاحب وظيفة كغيرهم من الأمراء. وهناك طائفة من الأجناد فى مستوى أمراء الخمساوات ويقال لها « الأجناد القرانيص » وهم « القديمو الهجرة » ممن بقوا فى إمرتهم دون ترقية للإمرات العالية[123] ، ولذلك يوصفون أحياناً بالعتق ، فيقال « القرانصة العتق » ، كما يقال لهم كذلك « القرانصة » السيفية[124] ومن أمراء الخمساوات العربان :

الأمير عز الدين الحسن والأمير علم الدين الحسين والأمير سيف الدين إبراهيم من بنى تنوخ بلبنان(١٢٥) .

ودون هذه الإمرات جميعاً ، إمرة أربعة وإمرة ثلاثة ، ويبدو أن هذه لم توجد فى مصربل اقتصرت على بعض أمراء العرب ولاسيما أمراء بنى تنوخ . مثل الأمير عبد الله بن حجى ، ومع ذلك فلم يكن إقطاع هذه الإمرة مما يستهان به ، وهذا يدلنا من ناحية أخرى على أن عبرة الإقطاع لم تخضع لرتبة صاحبه ، فمثلا شمل إقطاع هذا الأمير التنوخى : نصف بلدة قدرون ونصف طردلا ونصف رمطون ونصف عين كسور ، وذلك ببلاد الشوف غربى لبنان(١٢٦) ، كذلك شمل إقطاع الأمير موسى بن مسعود التنوخى ، أمير ثلاثة ، زمن السلطان الناصر محمد : نصف أدفول ونصف الفسيقين ونصف شطر ونصف ديرفيل ونصف عين حجية ببلاد الشوف(١٢٧) .

على أن نظام الترقية فى دولة المماليك الإقطاعية لم يخضع لقاعدة معينة ، ويستفاد هذا من استقراء أحداث الترقية لأغلب المماليك ، وقد دلت هذه الأحداث على أن هناك طريقين للترقية ؛ أحدهما بالطريق العادى المألوف وهو التدرجى الطبيعى من رتبة إلى ما فوقها ، والثانى طريق الطفرة ، وعن الطريق الأول ، يبدأ المملوك الذى اشتراه السلطان بأن يضم إلى جيشه من المماليك بطباق القلعة ، فيرتبه الطواشى المقدم عليه عند الفقيه ليربيه « بالآداب والحشمة والحرمة » ، ثم يدرب هذا المملوك على أعمال الفروسية من الرمى بالنشاب واللعب بالرمح وركوب الخيل وغيرها(١٢٨) ، وتكون كسوته فى تلك الفترة من الثياب القطن البعلبكى ومن الكتان الخام المتوسط ، ويدرج المملوك بعد ذلك فى الجامكية من ٣ إلى ٥ إلى ٧ دنانير فى الشهر ، فإذا بلغ مبلغ الرجال ، أعتقه السلطان « وأخرج له خيلا وقماشاً » ، وجعله أمير خمسة بإقطاع مقابل ووظيفة لائقة ، ثم يرتفع هذا المملوك فى رتب الإمرة وربما أصبح سلطاناً(١٢٩) .

ولقد جاء عن هذا الطريق كثير من السلاطين المماليك ، الذين لم يرثوا العرش عن آبائهم ، مثال ذلك : شيخ المحمودى الجركسى ، الذى تسلطن سنة ٨١٥ هـ — ١٤١٢م اشتراه السلطان برقوق من أحد تجار المماليك يومئذ وهو الخواجا محمود شاه ، ودفع للتاجر ألفى دينار ثمناً له ، وأدخله الطباق المملوكية بالقلعة حيث تعين على الجامكية ، ثم أعتقه السلطان برقوق وأخرج له خيلا وقماشاً وأعطاه وظيفة جمدار ثم قربه فصار خصكياً ، فساقياً ثم أمير عشرة وأمير أربعين ، وسافر إلى الحجاز أميراً للحج فى سنة ٨٠١هـ — ١٣٩٨م ، برغم ماعرف عنه من التبذل ، ثم ارتقى إلى إمرة مائة ومقدم ألف زمن السلطان فرج بن برقوق وتولى نيابة طرابلس ثم نيابة الشام وهى أرفع النيابات بعد نيابة السلطنة بمصر ، وبرغم هذه الترقية ، اتفق مع الخليفة المستعين ضد السلطان فرج وانتهى الأمر بقتل السلطان ومبايعة الخليفة المستعين بالسلطنة ، ولكن شيخاً عزل الخليفة بعد ثمانية شهور من سلطنته ، وتسلطن مكانه ، ومن السلاطين الذين سلكوا هذا الطريق ططر وإينال وبرسباى وجقمق وخشقدم وبلباى وتمربغا وقايتباى وغيرهم(١٣٠) .

ومن الأمراء المشهورين خايربك . وهو من مشتريات قايتباى ، أقام بالطباق وانتقل إلى الوظائف الإقطاعية ، فصار جمداراً ثم خاصكياً ثم أمير عشرة فى سنة ٩٠٤هـ = ١٤٩٥م وأمير طبلخاناه فى عهد محمد بن قايتباى ، وبهذه الرتبة أرسله السلطان محمد فى سفارة إلى السلطان العثمانى بايزيد الثانى سنة ٩٠٣ هـ — ١٤٩٧م ثم ترقى إلى مقدم ألف أيام السلطان جانبلاط وشغل وظيفة حاجب الحجاب للسلطان الغورى ثم نائب حلب سنة ٩١٠ هـ — ١٥٠٤م وأمره السلطان سليم على مصر بعد فتحها سنة ٩٢٣هـ — ١٥١٧(١٣١) ، كذلك جان بردى الغزالى من مماليك قايتباى ، اشتراه وأعتقه وأخرج له خيلا وقماشاً . ثم عينه الأمير تغرى بردى الأستادار فى وظيفة « شاد » ، أى مشرف ، فى ضيعة بالغربية يقال لها « ميت غزال » ، فنسب إليها(١٣٢) ، وصار بعد ذلك جمداراً ، وتولى شف الشرقية ، ورقى إلى إمرة عشرة فى أواخر عهد

قايتباى ، وشغل وظيفة محتسب القاهرة فى عهد الغورى ثم حجوبية الحجاب ونائب صفد سنة ٩١٧ هـ = ١٥١١م ، فنائب حماة ، واستنابه السلطان سليم بالشام على أثر فتحها عام ٩٢٢ هـ – ١٥١٦ م(١٣٣) .

أما طريق الطفرة فى السلم المملوكى ، فقد امتلأت به عهود السلاطين الضعفاء وعهود الفتن ؛ إذ يحدث أن يقفز المملوك أو الأمير من الجندية أو إمرة عشرة إلى إمرة مائة ، وليس من الضرورى أن تكون الطفرة لكفاية أو مقدرة أبداها المملوك ، بل قد تكون الوسامة وجمال الصورة سبباً من أسباب الترقية غير العادية ، ومثال ذلك : الأمير طبرق أحد مماليك يوسف أخى السلطان حاجى بن الناصر محمد ، ارتقى إلى تقدمة ألف بمصر دفعة واحدة من الجندية عام ٧٤٧هـ – ١٣٤٦م(١٣٤) ، كذلك ارتقى الأمير طشتمر اللفاف أحد العشرات إلى إمرة مائة سنة ٧٧٨ هـ – ١٣٧٦ م ، وذلك فى عهد السلطان الطفل على بن شعبان دون أن يمر فى رتبة الطبلخاناه (١٣٥) ، ويعتبر السلطان برقوق بن أنس العثمانى من الذين ارتقوا عن هذا الطريق ؛ فقد قفز من الجندية إلى إمرة طبلخاناه ، دون أن يمر بإمرة عشرة ، وكذلك خشداشية بركه(١٣٦) ، ومن باب الطفرة كذلك أن يستولى الأمير على إمرتين ، فتضاعف المرتبة ، من حيث الإقطاع لا من حيث الإمرة ، كأن يكون أمير عشرة وبيده من إقطاعها اثنان بقدر إمرتين ، ومثال ذلك إنعام السلطان برقوق فى سنة ٧٩٥ هـ – ١٣٩٢م على الأمير موسى بن قمارى أمير شكار بإمرة عشرة زيادة على عشرته . ومن الطفرة كذلك ترقيــة الأمير من إمرة عشرة إلى إمرة طبلخاناه وهى إمرة أربعين مع إبقاء الإمرة السابقة معه ، فيصبح ما معه من الإقطاع معادلا لإمرة مائة وتقدمة ألف مع أنه أمير طبلخاناه فقط . حدث ذلك للأمير برسباى المعاصر للسلطان جقمق وابنه عثمان(١٣٧) ، وربما قفز أمير عشرة إلى وظيفة مرتبتها لأمير مائة ومقدم ألف كالدوادارية الكبرى والأمير آخورية الكبرى ، مثل الأمير على باى أمير عشرة . أنعم عليه السلطان أحمد بن المؤيد شيخ سنة ٨٢٤هـ = ١٤٢١ م بوظيفة دوادار كبير ، كما خلع على الأمير تغرى بردى وهو أمير عشرة كذلك ، وعينه أمير خور كبيراً(١٣٨) .

على أن النظام المملوكى سمح بالإقطاع لبعض رجال القلم ، مع أن العادة فى أرزاق هذه الطائفة هى « الرواتب » والمخصصات، وأول شخصية من هذه الطائفة الخليفة العباسى بالقاهرة . إذ تمتع بإقطاع فضلا عما له من مخصصات راتبه(١٣٩) . مثال ذلك إنعام السلطان جقمق فى سنة ٨٥٧ هـ = ١٤٥٣ م على الخليفة القائم بأمر الله حمزة بألف دينار وإقطاع زيادة عما بيده(١٤٠) . واشتملت إقطاعات الخليفة المستنجد يوسف فى عهد السلطان إينال على دهشور بالجيزة ومساحتها ٣٠١١ فداناً ، وحين تسلطن طومان باى الثانى سنة ٩٢٢هـ — ١٥١٦م ، أنعم على الخليفة المتوكل يعقوب بحصة ونصف وثلث فى منشية دهشور(١٤١) .

ومن الفقهاء الذين تمتعوا بإقطاعات ، الشيخ أبو عبدالله القاضى ، كان له إقطاع بالحلقة بدمشق، ولما توفى سنة ٧٢٧ هـ — ١٣٢٦ م ، أعطى السلطان الناصر محمد إقطاعه لولده عثمان(١٤٢) ، والفقيه المالكى الشيخ خليل بن إسحاق المعروف بابن الجندى كان « يرتزق من إقطاع بالحلقة » فى عهد السلطان شعبان(١٤٣) ، كذلك أنعم السلطان ططر « بإقطاع هايل » على الشيخ شمس الدين محمد الحنفى معلم المماليك بطباق القلعة(١٤٤) .

ومنح بعض السلاطين والأمراء كذلك الإقطاعات للمغنين والشعراء بل للنساء ، فمثلا أنعم السلطان حاجى فى سنة ٧٤٧هـ — ١٣٤٦ م ، على أحد المغنين بإقطاع فى الحلقة زيادة عما بيده لأنه درب « أتفاق» جارية السلطان على الغناء(١٤٥) ومن بين أسباب النقمة على السلطان حسن أنه منح الإقطاعات الكثيرة للنساء(١٤٦) ومن الأمراء الذين منحوا الشعراء الإقطاعات الأمير تنكز ، حين قدم عليه الشاعر الطنبغا الجاولى — نسبة إلى مخدومه الأول الأمير سنجر الجاولى نائب غزة — ومدحه بقصيدة فأعطاه إقطاعاً بحلقة دمشق(١٤٧) .

وامتد الإقطاع فى بعض أزمنة الوباء والفتن والفوضى ، إلى فريق من طبقة العامة بمصر ومن أرباب الحرف المختلفة كالصناع وغيرهم ، فركب

هؤلاء « الخيول ولبسوا الكلفتات والقباء » تشبهاً بالأمراء المماليك ، وحدث هذا على أثر الوباء الذى حصل بمصر فى عهد السلطان حسن فى سنة ٧٤٩ هـ – ١٣٤٨م[١٤٨] ، كذلك كانت « المقايضات والنزولات » وبيع الأجناد لإقطاعاتهم فى أزمنة الغلاء ،من عوامل امتداد الإقطاعات إلى هذا الفريق ، وليس من المعروف أن أولئك المقطعين قاموا بمسئوليات إقطاعاتهم من حيث ارتباطها بالخدمة الحربية أو الإدارية فى دولة المماليك[١٤٩] .

بعض اقطاعات ابناء السلاطين

= أولا السلطان شعبان =

الإقليم	الجهة المقطعة	المساحة بالفدان الإقطاعى	ما بها من رزق مستثناة من الإقطاع	العبرة بالدينار الجيشى	ملاحظات
البهنساوية	آبة	١٤٣٤	٣٣	٦٦٠٠	إقطاع قاسم بن السلطان شعبان .
	البسقنون وكفورها	٩٥٥٥	١٥٣	٣٠٠٠٠	إقطاع حسن بن السلطان شعبان .
	شمسطا وكفورها	١٥١٠	٥٥	٢٢٠٠٠	
القوصية	بلينة	٢٤٣٣٩	١٨٠	٢٠٠٠٠	إقطاع محمد بن السلطان شعبان .
	غرب قموله	٦٥٦٣	–	١٧٠٠٠	إقطاع أمير حاج بن السلطان شعبان .
الغربية	الميما والعسكر	١٠٠٥	٥	٥٠٠٠	إقطاع آنوك بن السلطان شعبان . (١٥٠)

بعض اقطاعات مقدمى الألوف

١ – الأمير أزبك بن ططخ أتابك العساكر فى عهد السلطان قايتباى

الإقليم	الجهة المقطعة	المساحة بالفدان الإقطاعى	مابها من الرزق المستثناة من الإقطاع	العبرة بالدينار الجيشى	ملاحظات
القليوبية	سنهوى والكوم الأخضر	٥٢٠٠	١٧٧	١٧٠٠٠	بالاشتراك مع ديوان الذخيرة ، وسنهوا حالياً تبع مركز منيا القمح بمحافظة الشرقية .
	قلقشند وكفورها	٣٢٩٠	١٣٦	—	قلقشندة الآن تعرف باسم قرقشندة .
الشرقية	التاين وكفورها	٢٧٧٧	١٣١ر٥	٥٠٠٠	
	الزمرونية	٨٣٦	٥٧	٣٠٠٠	الزمرونية حالياً تتبع مركز ميت غمر بالدقهلية .
	الصرمون والصافى كفرها	٢٥٦	٩٨	—	هذه الجهة غير موجودة حالياً .
الدقهلية والمرتاحية	منية بنى سلسيل	٢٥٤٢	٥٩	٩٣٠٠	
الغربية	هورين تطاية	٤٣٤	١١٦ر٥	بحق النصف	بالاشتراك مع الأمير تمراز الشمس قريب السلطان قايتباى .
المنوفية	بير سنس	١٩٥٩	٤٨	٦٧٢٠	
	شطانوف وكفورها	—	—	١٤٠٠٠	لم تعين لها مساحة فى الروك الناصرى وبيع منها جزء قبل إقطاعها لأزبك .
	محلة سبك	١٣٤٦	٦٣	٥٠٠٠	

(١) الأمير أزبك بن ططخ تنسب اليه الأزبكية الحالية فهو أول من عمرها وأصلحها منذ سنة ٨٨٠ هـ (١٤٧٥ م) بعدأن كانت خربة ، وبها بعض الأشجار وقد أقطعها له السلطان قايتباى وبدأ عمارتها ببناء مناخ لجماله ثم بنى الدوار والحواصل كما بنى مسجداً وحوله عدة حوانيت ورباع وأفران بطواحين وتوفى سنة ٩٠٤ هـ (١٤٩٨ م) (بدائع الزهور جـ ٢ ص ١٦٤–٣٥٥ ، التحفة السنية ص ١١ و ١٢ و ١٦ و ١٨ و ١٩ و ٥٩ و ٩٩ و ١٠٣ وغيرها من الصفحات ، الدليل الجغرافى) .

بعض اقطاعات مقدمى الألوف

تابع ما قبله : (تابع) أ – الأمير أزبك بن ططخ أتابك العساكر فى عهد السلطان قايتباى

الإقليم	الجهة المقطعة	المساحة بالفدان الإقطاعى	مابها من الرزق المستثناة من الإقطاع	العبرة بالدينار الجيشى	ملاحظات
إبيار وجزيرة بنى نصر	قليب	١٨٤٨	—	٣٥٠٠	قليب مركز كفر الزيات بالغربية فى العصر الحاضر
البحيرة	الشراك	١٦٤٣	١٠٩	٤٨٠٠	لا توجد حالياً
	نقانة	٢٢٦٢	١٦٤	١٤٠٠٠	لا توجد حالياً
فوة والمزاحمتين	منية بنى مرشد	—	—	٤٢٠٠	مناصفة مع أحد الأمراء ولعلها أبو جرج مركز بنى مزار
البهنساوية	أبو جرجا وكفورها	٢٢١٨	٢١	٧٠٠٠	بالمنيا .
	الحافر	٨٦٨	—	٢٥٠٠	الحافر مركز الواسطى ببنى سويف
	سفط رشيد وكفورها	٧٥٢٤	١٢٩	٢٢٠٠٠	لا توجد حاليا .
الأشمونين	ساو	٤١٥٩	١٨٤	٤٢٥٠	ساو مركز ديروط بأسيوط .
	ملوى	٤٨٧٠	٧٥	١٠٠٠٠	ملوى مركز ملوى بأسيوط .
السيوطية	الملاك	٣١٧٠	١٣٣ر٥	١٣٠٠٠	لا توجد حالياً .
	بيشاى	٤٥١٢	٣٥	٦٠٠٠	لا توجد حالياً .
	مشطا وجروفها	٥١٠٤	١٨	٨٥٠٠	تبع مركز طما بجرجا
القوصية	دير كهمس والبلاص	٤٦٤٧	٤٠	٥٥٠٠	البلاص تتبع قنا حالياً أما دير كهمس فغير موجود .
	فاوبعش	١٣٤٠٠	١٥٤	٢٥٠٠٠	الموجود حالياً فاوبحرى التابعة لقنا وفاو قبلى التابعة لجرجا وفاو قبلى التابعة لمركز دشنا بقنا .

بعض اقطاعات أمراء الطبلخاناه فى عهد السلطان شعبان بن حسين

(٧٦٤ – ٧٧٨هـ – ١٣٦٢ – ١٣٧٦م)

الإقليم	الجهة المقطعة	المساحة	الرزق	العبرة	ملاحظـــات
١ – الأمير على بن منجك اليوسفى					
الدقهلية	البرمونين	٢١٤٠	٤٥	٦٠٠٠	انتقل هذا الإقطاع بعد الأمير على إلى الديوان المفرد(١) أما البرمونين فلعها البرامون الحالية التابعة للمنصورة .
٢ – الأمير عبد الله بن بكتمر					
الغربية	ابنهس وكفورها	٣٤٠٠	٢٥	٦٠٠٠	هذه العبرة هى التى استقرت فى الروك الناصرى وكانت قبله ١٦٤٢٥ دينارا ثم انتقل الإقطاع إلى الذخيرة وابنهس حالياً تتبع مركز قويسنا بالمنوفية (٢).
الأشمونين	معصرة الريمون وتعرف بالروضة الجمالية	٢٧٧٨	٧٥	١٥٠٠	كانت العبرة قبل الروك الناصرى ٦٠٠٠ دينار ثم انتقل هذا الإقطاع وصار أملاكا متفرقة (٣).

(١) بدائع الزهور جـ١ ص٢٣٥ التحفة السنية ص٤٦ . الدليل الجغرافى .

(٢) التحفة السنية ص٦٤ ، الدليل الجغرافى .

(٣) بدائع الزهور جـ١ ص٢٣٥ ، التحفة السنية ص١٨ ، الدليل الجغرافى .

بعض اقطاعات أمراء العشرات

١ – الأمير خضر بن بكتمر أمير عشرة فى عهد السلطان شعبان

الإقليم	الجهة المقطعة	المساحة	الرزق	العبرة	ملاحظات
الفيومية	أبهيت والحجر اللاهينى وأقصابها	١١٠٤	–	٢٧٥٠	أبهيت الحجر تابعة الآن لمركز سنورس بالفيوم (١) .
	٢ – الأمير دولات باش الحسنى أمير عشرة فى عهد قايتباى				
القليوبية	الصالحية	٨٣١	١١٧	١٠٠٠	الصالحية تابعة الآن لمركز طوخ قليوبية
الأشمونين	سفط المهلى	١٢٥١	٦٦	١٠٠٠	لا توجد هذه البلدة حاليا (٢) .
	٣ – اشتراك بعض الأمراء العشرات فى الجهات المقطعة لهم بالأقاليم المختلفة				
الشرقية	دماص	٣٢١١	١٥٧	١٦٠٠٠	باسم خمسة أمراء عشرات ودماص حاليا تابعة لمركز ميت غمر دقهلية
الغربية	ابشويه الملق	٤٧٨٥	١٥٧	٢٣٠٠٠	باسم عشرة أمراء عشرات ولعل أبشويه هذه أبشواى الملق التابعة لمركز طنطا غربية .
المنوفية	قورص	٥٢٩	٢٢	٣٠٠٠	باسم خمسة أمراء عشرات ، وقورص حاليا لا تزال تابعة للمنوفية (٣) .

(١) بدائع الزهور جـ١ ص٢٣٥ ، التحفة السنية ص٤٣ ، الدليل الجغرافى .

(٢) بدائع الزهور جـ٢ ص٣٥٠ ، التحفة السنية ص٨ و ١٨٠ و ١٨١ ، الدليل الجغرافى .

(٣) تغيرت عبرة أبشويه فنقصت إلى ١١٢٥٠ ديناراً كما نقصت عبرة أسيوط إلى ١٢٥٠ ديناراً (التحفة السنية ص٣٠ و ٧١ و ١٠٨ ، الدليل الجغرافى) .

بعض الجهات الخاصة بجوامك المماليك السلطانية بالاشتراك مع إقطاعات أجناد الحلقة

الإقليم	الجهة	المساحة	مابها	العبرة	ملاحظـــات
الشرقية	المدينة وهى بلبيس	١٨٥٠	—	١٢٠٠	
	أبو العيال	٤١٣	—	١٣٠٠	استقرت عبرتها فى سنة ٨٠٤ هـ(١٤٠١م) على عهد السلطان فرج بن برقوق بحق النصف واشترك معهم بعد ذلك العربان كما شملت أوقاف أبوالعيال ويتبع مركز منيا القمح ويعرف باسم الحميدية حاليا .
	أبو ردين	٢١٥٠	٥٩	١٤٠٠٠	استقرت العبرة فى سنة ٨٠٩هـ (١٤٠٦م) على عهد السلطان فرج كذلك بحق النصف ، ولعل أبو ردين هذه بردين الحالية التابعة لمركز الزقازيق بالشرقية .
	بو تبيد	٨٤٠	٤٤	٣٠٠٠	بالاشتراك مناصفة مع الأمير تمراز الشمسى دون الحلقة ،
	العزيزية	٢٠٧٠	٦٦	٧٦٠٥	بالاشتراك مناصفة مع الأمير تمراز الشمسى دون الحلقة ، والعزيزية حاليا تابعة لمركز منيا القمح بالشرقية .
	بنى عبد الله سنعاس من حقوق تمى والأمديد	٣٦٥	٢٢ر٥	—	باسم الحلقة والعربان دون المماليك السلطانية ولا يوجد هذا الاسم حاليا .
البحيرة	الحجر المحروق	٢٦٧٦	٦٧ر٥	٥٠٠٠	المماليك السلطانية دون الحلقة وتتبع حاليا مركز الدلنجات بالبحيرة .
البهنساوية	أشمنت	١٣٦٤	٩٢	٤٠٠٠	للمماليك السلطانية دون الحلقة وأشمنت تتبع بنى سويف حاليا

(١) التحفة السنية ص١٤ ، ١٥ ، ٣٢ ، ٢٦٢ ، ٢٩ ، ١٦٠ ، الدليل الجغرافى .

تابع ما قبله

بعض الجهات التابعة للديوان المفرد المخصصة لجوامك المماليك السلطانية

الإقليم	الجهة	المساحة بالفدان	ما بها من رزق	العبرة بالدينار	ملاحظـــــات
الفيومية	أفلول	١١٨٧	—	٢٥٠٠	لا توجد أفلول حالياً .
الأشمونين	منية بنى خصيب(١) وكفورها	—	—	٣٨٨٠٠	لم تمسح فى الروك الناصرى ولا توجد هذه البلدة حالياً .
السيوطية	الخصوص وكفورها	٢٤٥٦٣	—	٧٢٠٠٠	المساحة مفصلة بالنقا والخرس : نقا ٦٧٣٧ فدانا وخرس ١٧٨٢٦ فدانا ولا توجد حالياً .
القوصية	أرمنت	٧٠٩٠	—	١٤٠٠٠	المساحة مفصلة بالنقا والخرس نق ٤٠٩٠ وخرس ٣٠٠٠ فدان وتتبع أرمنت حالياً قنا .
	الدمقرات	٦٥٦٣	٤٩	١٠٠٠٠	المساحة مفصلة بالنقا والخرس : نقا ٦٢٤٢ وخرس ٣٢١ فدانا(٢) .
	غرب قمولة	—	—	١٧٠٠٠	غير موجودة حالياً .

(١) راجع الفصل الأول .

(٢) التحفة السنية ص١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، الدليل الجغرافى .

بعض اقطاعات العربان فى مصر

الإقليم	الجهة	المساحة	ما بها من رزق	العبرة بالدينار	ملاحظات
الشرقية	أبو كبير	١٨٦١	—	٤٥٠٠	
	أتريب	٧٥٨	—	٢٠٠٠	لا يوجد هذا الاسم حالياً وآثارها قرب بنها الحالية ، وتوجد بلدة أخرى بهذا الاسم .
	الجديدة	١٠٠	٣٨		
	الخفوج بالفاقوسية	٣٦٢٥	—	٢٥٠٠	يشتمل الخفوج بالفاقوسية على ١٦ ناحية ولا يوجد هذا الاسم حالياً .
				٢٢٠٠	بالاشتراك مع المماليك السلطانية .
	الديدمون	٨٠٢	٣١	،	بالاشتراك مع مقطعين آخرين وبها أملاك وأوقاف
الدقهلية	أجـا	١٢٢٠	٤٩		ولا يوجد هذا الاسم حاليا .
	القطفة	٢٣٤	—	٣٠٠	
	الحاكمية	٢٠٠	—	٢٥٠	
				٢٠	منية الأشراف تتبع الغربية حاليا .
	الساحل بمنية الأشراف	—	—	٥٠٠٠	الجميزى تتبع الغربية حالياً،أما الحديد فلعلها الحدود التابعة للغربية .
البحيرة	الحديد والجميزى	٥٨٣	٦٧		
الإخميمية	أد جرجا	٨٦٢١	—	١٠٠٠٠	المساحة هنا منفصلة بالنقا والخرس نقا ٤٠٥٥ فدانا وخرس ٤٥٦٦ فدانا (١) .

(١) يلاحظ أنه لا يوجد للعربان بإقليم الإخميمية إقطاعات غير هذه الجهة (انظر التحفة السنية ص ٤٤ ، ١٥ ، ٢٧ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٨٩ ، الدليل الجغرافى) .

(١) صبح الأعشى جـ٤ ص ٥٠ .

(٢) هذا النائب هو الأمير اقوش الأشرفى جمال الدين نائب السلطان الناصر فى الكرك، وقد رفض بهذه التأشيرة الموافقة على إقطاع ذلك الطالب (الدرر الكامنة جـ١ ص٣٩٦) .

(٣) التحفة السنية ص٧٣ ، ٨٧ ، ٩٩ ، ١٢٠ ، ١٤٥ ، ١٥٤ .

(٤) وقع أغلب الخاص السلطانى فى عهد الأيوبيين فى بلاد الفيوم مثل سنورس وغيرها (الصفدى تاريخ الفيوم ص ١٠٧ وما بعدها) .

(٥) التحفة السنية ص ٧ .

(٦) التحفة السنية ص ١٣٧ .

(٧) التحفة السنية ص ١٥٤ .

(٨) انظر الفصل السابع .

(٩) النجوم الزاهرة جـ٩ ٩٩ — ١٠٠ ١١٠ .

(١٠) السلوك مخطوط جـ ٣ ص. ٨٢ .

(١١) بدائع الزهور جـ١ ص٢٢٧ ، السلوك مخطوط جـ٣ ص٣٠٨ .

(١٢) بدائع الزهور جـ٢ ص٣ ، انظر الجدول الخاص ببعض إقطاعات أبناء السلاطين .

(١٣) السلوك مخطوط جـ٣ ص١٢ و ١٠١ و ١١٠ و ١٢٩ ، النجوم الزاهرة جـ١٠ ص٣٠٩ وحاشية — ١ و ٣١٠ ، دول الإسلام جـ١ ص٢٩ ، أعيان العصر جـ٤ (غير مرقم) .

(١٤) النجوم الزاهرة جـ ٩ ص ١١ .

(١٥) أعيان العصر جـ ٤ (غير مرقم) .

(١٦) النجوم الزاهرة جـ ١٠ ص ١١٩ .

(١٧) النجوم الزاهرة جـ١٠ ص ٣٠٩ — ٣١٠ .

(١٨) النجوم الزاهرة جـ١٠ ص٣١٧ ، السلوك (مخطوط) جـ ٣ ص١٢ .

(١٩) النجوم الزاهرة جـ١٠ ص ٣٠٩ — ٣١٧ .

(٢٠) الأمثلة لكل جنس من هذه الأجناس واضحة ، فأغلب سلاطين الدولة المملوكية من الترك ، مثل بيبرس وقلاوون وأغلب سلاطين الدولة الثانية من الجراكسة مثل برقوق وبرسباى، وهناك المغول مثل كتبغا فى الدولة الأولى ، والألمان مثل لاجين فى الدولة الأولى، ومن الروم أو اليونان ، خشقدم وتمربغا فى الدولة الثانية . والقول بأنهم اشتروا من أسواق الرقيق المختلفة وأشهرها القسطنطينية وكافا فى القرم ، دليل واضح على تنوع أجناسهم ، والملاحظ أن الطاعون

الأسود الكبير الذى اجتاح أوربا عام ١٣٤٨ قد أدى إلى بيع نحو ٢ مليون من مختلف أنحاء أوربا رقيقا فى مصر ، كما أنه عند نهاية القرن الخامس عشر الميلادى ، جد بين مماليك مصر كثير من صقلية وأرجونة وقطالونيا وعدد كبير من المجريين الذين أسرهم العثمانيون وهكذا . .

(٢١) اختلف فى تفسير كلمة الحلقة فيقال إنها سميت كذلك لأنها تتكون من فرقة تحيط بالسلطان ، كحرسه الخاص ، وربما أخذت التسمية من التكتيك الخاص الذى كانت الفرق المملوكية تستعمله فى الهجوم ، وهو الإحاطة بالعدو ، وربما لهذا صلة « بحلقة الناورد » وهى مكان المبارزة بالرماح فى الميدان أو إلى الدرع الذى يلبسه المحارب من هذا الفريق ، ومن معانى الدرع الحلقة . (الرماح : الفروسية – مخطوط ص٥٩ – مكتبة الحرم المكى الشريف رقم ٥٠ ، القاموس المحيط) .

(٢٢) أجناد الحلقة أنواع ، أولها البحرية ومهمتهم حراسة السلطان بالقلعة ، أو حيثما يكون ، وثانيها مماليك المهمات الشريفة ، وهم الذين يرسلهم السلطان فى سفاراته ، وثالثها مماليك الغيبة الذين يعينهم السلطان ، بالمراكز التى يحددها لهم بمصر والقاهرة خلال غيبته ، والنوع الرابع وهو الأخير فئة تخدم فى بيوت الأمراء – (زبدة كشف الممالك ص١١٦ ، أنباء الغمر ج٢ ص ٢٢٦ ، السلوك ج١ ص٦٧٣ ، خطط ج ١ ص ١٥٣ ، ص ١٥٨ انظر الجدول فيما يلى)

(٢٣) زبدة كشف الممالك ص ١٠٤ – ١٠٥ .

(٢٤) مسالك الأبصار ج٢ ص٣٨٣ ، خطط ج٣ ص٣٥٠ ، حسن المحاضرة ج٢ ص٩٣ ، انظر رتب الجيش المملوكى فيما يلى .

(٢٥) زبدة كشف الممالك ص ١١٦ ، نهاية الأرب ج٨ ص٢٠٣ ، ٢٠٤ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٨٤ .

(٢٦) السلوك ج١ ص٦٧٣ وحاشية – ٨ و ٦٧٤ ، انظر ما يلى .

(٢٧) بلغ عدد مقدمى الحلقة فى عهد الناصر محمد ١٨٠ مقدما .

(٢٨) خطط ج٣ ص ٣٥٤ – ٣٥٥ .

(٢٩) صبح الأعشى ج ٤ ص٥٠ ، مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٨٣ ، حسن المحاضرة ج٢ ص ٩٣ .

(٣٠) خطط ج ٣ ص ٣٥٤ – ٣٥٥ ، التيسير والاعتبار ورقة ١٦ – ١٧ .

(٣١) التحفة السنية ص ٧٠ .

(٣٢) طباق المماليك السلطانية ١٢ طبقة ، كل طبقة منها قدر حارة ، وتشتمل على عدة مساكن يسع كل مسكن ألف مملوك ، وتسمى كل طبقة بأسماء الجهات التى ينتسب إليها سكانها من

المماليك ، فمثلا طبقة الغور نسبة إلى بلاد الغور ومنها قانصوه الغورى (٩٢٢ هـ - ١٥١٦م) ويقال إن الناصر محمد عمر هذه الطباق ، ويتعلم المماليك فى هذه الطباق قراءة القرآن ومبادئ الدين . (زبدة كشف المماليك جـ٢٧ ، خطط جـ٢ ص٢١٣) .

(٣٣) من أمثلة أصحاب الوظائف من المماليك السلطانية : السقاة والسلاح دارية والطبر دارية والبريدية ، الجاشنكيرية والجمدارية والجمقدارية والبشمق دارية وغيرهم ، فأما السقاة فيتولون السماط وتقطيع اللحم وسقى المشروب بعد رفع السماط ، والجمقدارية حاملو الملابس والجمدارية يلبسون السلطان أو الأمير ملابسه والبشمقدارية يحملون نعل السلطان أو الأمير ، من بشمق بمعنى نعل فى التركية . (زبدة كشف الممالك ص١١٦ ، صبح الأعشى جـ٤ ص١٢) .

(٣٤) بدائع الزهور جـ ٢ ص٥٧ و ٨١ ، خطط جـ١ ص١٥٣ .

(٣٥) المصادر السابقة .

(٣٦) زبدة كشف الممالك ص ١١٦ .

(٣٧) اهتم قلاوون بمماليكه اهتماماً بالغاً فى ملابسهم وتدريبهم (الجوهر الثمين جـ ٢ ورقة ١٢٠ - ١٢١ ، انظر الملابس بفصل المجتمع) .

(٣٨) نزهة الأنام ورقة : ٢٨ ، خطط جـ١ ص ١٥٣ .

(٣٩) بدائع الزهور : جـ٢ ص٨١ ، تاريخ الملك الأشرف (مخطوط غير مرقم) .

(٤٠) خطط جـ٣ ص٣٥٤ - ٣٥٥ ، نهاية الأرب جـ٨ ص٢٠٣ و ٢٠٥ .

(٤١) نهاية الأرب جـ٨ ص٢٠٤ - ٢٠٦ ، صبح الأعشى جـ ٤ ص٢١ ، انظر رتب الجيش فيما يلى .

(٤٢) انظر الجداول الملحقة .

(٤٣) « « «

(٤٤) التيسير والاعتبار ورقة ١٦ - ١٧١ ، خطط جـ ٣ ص٣٥٤ .

(٤٥) نزهة الأنام ورقة - ٢٨ .

(٤٦) النجوم الزاهرة جـ ٩ ص٧٣ .

(٤٧) أنشأ السلطان برقوق هذا الديوان حين ضعف شأن الوزارة ، بأن أفرد لإقطاعه الذى كان بيده قبل السلطة ديوانا أسماه « الديوان المفرد » وجعل رئاسته للاستادار ، كما جعل صرف متحصله إلى المماليك الذين اشتراهم ، وتطور هذا الديوان واتسعت سلطته فى أواخر عهد المماليك وأوائل العهد العثمانى ، حتى صار يشرف على الإقطاعات والأوقاف والرزق (بدائع الزهور جـ٣ ص١٤٤ و ١٨٩ زبدة كشف الممالك ص ١٠٧ ، تاريخ مصر فى مجلد مخطوط ورقة٣) .

(٤٨) زبدة كشف الممالك ص ١٠٧ ، انظر بعض الجهات التابعة للديوان المفرد بالجداول

(٤٩)

(٥٠) البيزنطية عملة ذهبية ضربت أولا فى بيزنطة .

(٥١)

(٥٢) حضر الكونت أرناط أولا مع لويس السابع واشترك فى حصار عسقلان سنة ١١٥٣م ثم ذهب بعد رحيل لويس ، إلى أنطاكية حيث أعطاه ريموند أميرها جامكية راتبه ، وبعد مقتل ريموند ، تزوج أرناط من أرملته ، فاتسع نفوذه حتى غدا من كبار الإقطاعيين ، واستقل بالكرك .

(٥٣) نشأت هذه الفرقة أولا عند البيزنطيين على أثر هزيمتهم أمام السلاجقة فى ملاذ كرد عام ١١٧٠ ، وتستخدم هذه الفرقة طريقة الترك فى الحرب ، وقد أخذ الصليبيون هذا النظام من البيزنطيين . (انظر مفرج الكروب – نشر الشيال – ج٢ ص١٤٩ حاشية١) .

(٥٤) نهاية الأرب ج٨ ص٢٠٦ – ٢٠٧ .

(٥٥) المصدر السابق .

(٥٦) أورد ابن شاهين فيما أورد عن عدد الجيش المملوكى وفرقه ، عدة أجناد الأمراء بمصر وخارجها فذكر : ٧ آلاف مملوك لأمراء مصر وثلاثة آلاف لنائب دمشق وأمرائها و ألفا لنائب حلب وأمرائها وألفا لنائب طرابلس وأمرائها وألفا لنائب صفد وأمرائها وألفا لنائب غزة وأمرائها ، بالإضافة إلى مابها من جند الحلقة (زبدة كشف الممالك ص١٠٤ – ١٠٥) .

(٥٧) نهاية الأرب ج٨ ص٢٠٧ .

(٥٨) مسالك الأبصار ج٢ ورقة٣٨٣ – ٣٨٤ ، النجوم الزاهرة ج٩ ص٤٤ .

(٥٩) نهاية الأرب ج٨ ص ٢٠٧ .

(٦٠) صبح الأعشى ج٤ ص٦٢ ، خطط ج ٣ ص٢٥٠ .

(٦١) ٨ مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٨٣ – ٣٨٤ ، النجوم الزاهرة ج٩ ص٤٤ .

(٦٢) انظر الفصل الخامس هذا القسم .

(٦٣) من أمثلة « مشيخات» العربان بمصر ، مشيخة عربان الشرقية التى استقرت فى بيت عبد الدائم بن بقر فى أواخر عصر المماليك ، وفى الغربية فى بيت حسن بن مرعى وأخيه شكرى وفى الصعيد فى بيت على بن عمر (بدائع الزهور ج٣ ص١٧٧ – ١٧٨ و١٨٧ ، ١٩١ ، الضوء اللامع ج٣ ص١٧) .

(٦٤) المقريزى ، البيان والإعراب ص ٣٣ – ٣٥ ، صبح الأعشى ج٤ ص٤٩٣ ، زبدة كشف الممالك ص ١٠٤ – ١٠٥ .

(٦٥) نهاية الأرب ج ٨ ص٢٠١ .

(٦٦) الإعراب ورقة ٩٨

(٦٧) الإعراب ص ٣٥ ، التحفة السنية ص٢٨ .

(٦٨) الإعراب ص ٣٥ ، التحفة السنة ص٣٤ .

(٦٩) ٨ مساحة هربيط الإجمالية ٤٨٤٠ فدانا وعبرتها ٧٥٠٠ دينارا (التحفة السنية ص٤٥ الإعراب ص٣٥) .

(٧٠) الإعراب ورقة ١٠٠ .

(٧١) التعريف ص ٧٦ ، صبح الأعشى ج٤ ص٦٩ — ٧٢ .

(٧٢) قام إسماعيل بن مازن بإقطاعه حتّى قتله منافسوه ، فولى المشيخة من بعده عمر بن عبد العزيز الهوارى إلى أن مات وخلفه ابنه محمد المعروف بأبي الشون وقد عظم أمره وكثرت أمواله – (الإعراب ورقة ٩٧)

(٧٣) الإعراب ورقة ٣٥ — ٣٨ و٤٦ و٥٣ و٦٠ ، مسالك الأبصار ج٣ ورقة ٤٦ ، ٥٦ صبح الأعشى ج٤ ص٦٧ — ٦٩ .

(٧٤) التعريف ص ١٧٥ .

(٧٥) السلوك ج١ ص٤٨١ حاشية٦ .

(٧٦) مسالك الأبصار ج٣ ورقة ٤٢٦ — ٤٢٧

(٧٧) المصدر السابق .

(٧٨) يدعى آل فضل وآل مراء وآل على أنهم من ولد جعفر بن يحيى البرمكى من العباسة بنت المهدى ، وأتباعهم من أشتات العرب ، ودونهم عربان بنى مهدى بالبلقاء وزبيد بحوران وبنو خالد بحمص (التعريف ص ٧٩ ، زبدة كشف الممالبك ص١٠٥ ، صبح الأعشى ج٤ ص٧٢ وما بعدها ، مسالك الأبصار ج٣ ورقة ٢٣ ، ٣٤) .

(٧٩) أسس آل دلغادر دولة وانتشروا حول مرعش وكثروا حتّى ملكوا ملطية وغيرها، وأول من برز فيهم قراجا بن دلغادر المتوفى سنة ٧٥٤هـ (١٣٥٣م) وتوقفت الإمرة فيهم على من عداهم من التركمان ، على مدى علاقتهم وولائهم للمماليك ، فثلا حاربهم السلطان صالح ، وأقرهم برقوق والمؤيد ، وظلوا كذلك حتّى قضى عليهم العثمانيون سنة ٩٢٨ هـ — ١٥٢١م ، (القرمانى : أخبار الدول ص٣٢٩ — ٣٤٠ ، الدرر الكامنة ج٣ ص ٤٥) .

(٨٠) ابن رمضان أو الدولة الرمضانية تغلبت على بعض البلاد وأول من ظهر فيهم أحمد ابن رمضان الذى ناوش المماليك أكثر من مرة ثم خضعت دولته لهم وللعثمانيين من بعدهم (أخبار الدول ص ٣٤٠ — ٣٤٠م) .

(٨١) السلوك مخطوط ج٣ ص٤٢ — ٤٣ .

(٨٢) هناك طوائف متفرقة من التركمان الخاضعين للمماليك ،جاء ذكرهم بالإحصائية التى أوردها ابن‌شاهين عن‌عدد القوات المملوكية أواسط القرن التاسع الهجرى والخامس عشر الميلادى ، منها : ابن كبك والبازاتية وابن‌شعاسير والأوزارية — بوز جالولا — المرعشكولار — الأراكية —

بكدتو – اوج اغلو – الإينالية – الخربتلية – الكندولية – القبجولية . . . وهؤلاء بدورهم ينقسمون إلى فروع كثيرة . (زبدة كشف الممالیك ص ١٠٤ – ١٠٥ ، أخبار الأعيان ص٣٤٦).

(٨٣) زبدة كشف الممالیك ص ١٠٥ .

(٨٤) عيون التواريخ ج ٢ ص١٢٠ .

(٨٥) عرف مجير الدين هذا بكثرة الأولاد والأتباع والكلفة والديون ، توفى سنة ٧٢٦هـ (١٣٢٥م) (ابن الجزرى : تاريخ جليل ورقة ٩٣) .

(٨٦) درة الأسلاك جـ١ ص ٧٦ و ١٤٢ .

(٨٧) عرف التنظيم العشرى عند الجرمان القدماء ، وكذلك عند المغول ، كما وضح فى كتاب « ياسه » لجنكيز خان (ت ٦٢٤هـ – ١٢٢٧م) ، وعرفت هذه الرتب كذلك فى العصر العباسى حيث كان على كل عشرة رجال عريف ،وعلى كل عشرة عرفاء بجنودهم (أى ١٠٠ رجل) نقيب ، وعلى كل عشرة نقباء بجنودهم (أى ١٠٠٠ رجل) قائد ، وعلى كل عشرة قواد بجنودهم (أى ١٠,٠٠٠ رجل) أمير ، وربما كان الطراز الذى تطرز به ملابسهم مبيناً به رتبة لابسه على نحو ما هو حاصل فى أيامنا ، (انظر : خطط جـ٢ ص٢٢١ ، تاكتيوس والشعوب الجرمانية – ترجمة المؤلف – ص ٥٢ – ٥٣) .

(٨٨) زبدة كشف الممالیك ص١١٣ ، حسن المحاضرة جـ٢ ص٨٣ ، مسالك الأبصار جـ ٢ ورقة ١٣٨٣ .

(٨٩) توفى هذا الأمير سنة ٧١٥هـ – ١٣١٥م ، انظر منشور إقطاعه بالملاحق .

(٩٠) النجوم الزاهرة جـ ١٠ ص ٤٠ .

(٩١) بدائع الزهور جـ ١ ص٢١٧ – ٢١٩ ، السلوك مخطوط جـ٣ ص١٦٨ .

(٩٢) تاريخ يشبك مصور ورقة ١٤ – ١٥ .

(٩٣) السلوك جـ ٢ ص ٢٨٠ .

(٩٤) بدائع الزهور جـ ٣ ص ٣٠٢ .

(٩٥) لهؤلاء الأمراء الكبار تنظيم خاص بديوان الجيش يتعلق بمراكزهم فى الجيش إذا خرج لقتال ، فيسجل كاتب الجيش أمراء الميمنة والميسرة والجالس أمام قلب الجيش وهو المقدم ، وهذا تسجيل مختصر ، إذ لايذكر فيه أتباع كل أمير (نهاية الأرب جـ٨ ص٢٠٤ و٢٠٦ ، مسالك الأبصار جـ ٢ ورقة ٣٨٤) .

(٩٦) الخاصكية هم الملازمون للسلطان فى خلواته ويسوقون المحمل الشريف ، ويرسلون فى المهمات الشريفة ، منهم النائب والوزير وأتابن العسكر ، أما الخارجية فهم عامة الأمراء ودونهم فى المركز الأدبى والمادى ، على أن هذا التقسيم ، إلى خاصكى وخارجى ، ليس مقصوراً على طبقة الأمراء المقدمين ، بل شمل كل مراتب الجيش حتى إمرة عشرة ، ويختلف عددهم

من عهد إلى عهد ، وهذا راجع إلى مدى ما يراه ولى الأمر من تقريب البعض ، كثر أو قل ، فبلغوا مثلا فى عهد الناصر ٤٠ خاصكيا ، ووصلوا فى عهد برسباى إلى ألف خاصكى (زبدة كشف المماليك ص١١٥ – ١١٦) .

(٩٧) التيسير والاعتبار ورقة ١٥ ، صبح الأعشى جـ٤ ص٥٠ ، خطط جـ٣ ص٣٥٣ – ٣٥٤ ، مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٨٣ – ٣٨٤ .

(٩٨) النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٨٠ – ٨١ وحاشية – ١ و – ٢ .

(٩٩) السلوك جـ١ ص٨٤٤ ، فتوح النصر جـ٢ ورقة ١٨٨ ، تاريخ بيبرس ورقة ٧٥.

(١٠٠) النجوم الزاهرة جـ٩ ص١٥١ – ١٥٩ وجـ١٠ ص٧٤ – ٧٥ ، السلوك جـ٢ ص٥٠٦ – ٥١٠ .

(١٠١) ساعد الأمير كرجى الأمير لاجين فى الوصول إلى السلطنة ، وحاول منكوتمر إبعاده عن مصر بأن اقترح على السلطان سنة ٦٩٧هـ – ١٢٩٧م تعيينه نائبا ببلاد سيس بأطراف المملكة الشمالية ، ووافق السلطان ، لكن كرجى لم يقبل ودخل على السلطان لاجين متوسلا « ورمى سيفه وسأله الإعفاء من التوجه وأن يكون فى الخدمة بالباب بغير إقطاع » . أما طغجى فهو مقدم البرجية فى عهد لاجين ، واتفق كلاهما على قتل السلطان ونائبه (النهج السديد ص٦١٠ ، النجوم الزاهرة جـ٨ ص١٠٢ – ١٠٥ و ١٨٣ و ١٨٨) .

(١٠٢) مستوفى الدولة من كتاب الأموال بالدواوين ومهمته ضبط الديوان التابع له والتنبيه على ما فيه مصلحته (صبح الأعشى جـ٤ ص ٢٩ ، جـ٥ ص٤٦٦) .

(١٠٣) السلوك جـ ١ ص ٨٦٥ – ٨٦٦ .

(١٠٤) خطط جـ٣ ص٣٥٠ – ٣٥١ ، حسن المحاضرة جـ٢ ص٩٣ ، صبح الأعشى جـ٤ ص٥٠ ، مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٨٣ .

(١٠٥) النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٥٠ .

(١٠٦) أرسل الناصر لهذا الصبى تشريفاً فاخراً من الثياب المرصعة باللؤلؤ (تاريخ أبى الفداء جـ ٤ ص ٩٢) .

(١٠٧) عيون التواريخ ص١٩٠ والنجوم الزاهرة جـ٨ ص٦٥ – ٦٧ .

(١٠٨) يختص أمير مجلس بالإشراف على الأطباء الكحالين وغيرهم ممن يخدمون السلطان (صبح الأعشى جـ ٤ ص١٨) .

(١٠٩) بيبرس الدودار المؤرخ من مشتريات السلطان قلاوون رباه وولاه نيابة الكرك ، وتاريخه المهم « زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة » فى أحد عشر مجلداً . توفى سنة ٧٢٥هـ (١٣٢٤م) (النجوم الزاهرة جـ ٩ ص ٤ و ٥ و ١١ و ٢٦٣ – ٢٦٤ ، السلوك جـ ٢ ص ١٨٥) .

(١١٠) التيسير والاعتبار ورقة ١٥ .

(١١١) بدائع الزهور جـ٣ ص٤٥ ، جـ٤ (نشر الدكتور محمد مصطفى) ص ٣١ – ٣٢ .

(١١٢) خطط جـ٣ ص٣٥٣ — ٣٥٤ ، صبح الأعشى جـ٤ ص٥٠ ، مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٨٣ ، التيسير والاعتبار ورقة ١٥ .

(١١٣) بدائع الزهور جـ٤ ص٣١ ، التيسير والاعتبار ورقة ١٥ ، نهاية الأرب جـ٨ ص٢٠٣ — ٢٠٤ زبدة كشف الممالك ص١١٣ ، حسن المحاضرة جـ٢ ص٩٣، مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٨٣) .

(١١٤) مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٨٣ .

(١١٥) حوادث الدهور جـ٢ ورقة ٢٦١ .

(١١٦) تاريخ بيروت ص ٩٢ — ٩٣ ، انظر المنشور بالملاحق .

(١١٧) زبدة كشف الممالك ص١١٣ .

(١١٨) بدائع الزهور جـ٤ ص٣٢ .

(١١٩) التيسير والاعتبار ورقة ١٥ خطط جـ٣ ص٣٥١ ، ٣٥٤ ، زبدة كشف الممالك ص١٣٣ ، صبح الأعشى جـ٤ ص٥٠ ، حسن المحاضرة جـ٢ ص٩٣ ، انظر الجدول الملحق لوظائف أمراء العشرات .

(١٢٠) توفى هذا الأمير سنة ٨٨٦هـ — ١٤٨٢م (انظر الضوء اللامع جـ٥ ص١٥٠) .

(١٢١) التحفة السنية ص ١٦٤ — ١٦٥ .

(١٢٢) التحفة السنية ص ٣٠ .

(١٢٣) زبدة كشف الممالك ص ١١٣ .

(١٢٤) زبدة كشف الممالك ص١١٥ .

(١٢٥) تاريخ بيروت ص ٩٤ .

(١٢٦) تاريخ بيروت ص ٩٣ — ٩٤ .

(١٢٧) أخبار الأعيان ص ٢٣٣ — ٢٣٤ ، تاريخ بيروت ص٩٤ .

(١٢٨) المبارزة بالرمح والمطاردة وغيرها من التدريب الفنى الدقيق وأصول الفروسية، بكتاب ، هو بحق « دستور الفروسية » (الرماح : الفروسية والمناصب الحربية— مخطوط بمكتبة الحرم الشريف المكى صفحات ٨٤ و ٩١ و ٩٥ وغيرها) .

(١٢٩) السلوك جـ ٢ ص ٥٢٤ — ٥٢٥ .

(١٣٠) بدائع الزهور جـ١ ص٣٥٥ ، جـ٢ ص٣ ، ٨ ، ١٣ ، ٣٩ — ٤٠ ، طرخان مصر فى عصر المماليك الجراكة ص٢٩ — ٣١ .

(١٣١) بدائع الزهور جـ ٣ ص٣١٤ — ٣١٥ .

(١٣٢) ذكر ابن إياس أن هذه القرية بالشرقية والواقع أنها بالغربية ولم تزل كذلك باسم

ميت غزال ، وتتبع مركز السنطة ، وذكرها صاحب التحفة ضمن إقليم الغربية (التحفة السنية ص٤٦٧ ، بدائع الزهور جـ٣ ص٢٤٩ ، الدليل الجغرافى) .

(١٣٣) بدائع الزهور جـ ٣ ص ٢٤٩ .

(١٣٤) النجوم الزاهرة جـ ١٠ ص ١٥٤ .

(١٣٥) السلوك – خطوط – جـ ٣ ص ٢٩١ – ٢٩١ .

(١٣٦) السلوك – مخطوط جـ ٣ ص ٢٩٠ – ٢٩١ ، ٣٠٨ .

(١٣٧) السلوك مخطوط جـ ٣ ص٧٠٢ .

(١٣٨) التبر المسبوك ص ٤٢٤ – ٤٢٥ .

(١٣٩) زبدة كشف الممالك ص١١٤ ، بدائع الزهور جـ٢ ص١١ .

(١٤٠) أصدر السلطان الناصر محمد سنة ٧٤٠هـ – ١٣٣٩م مرسوما للخليفة إبراهيم الملقب بالواثق، بحيازة مالسلفه أبى سليمان الربيع من الرواتب والجوامك وهو فى الشهر ٣٥٦٠٠ درهم ، ١٩ إردب قمح وعشرة أرادب ونصف من الشعير ، وترتيب هذه المقادير على بلاد معينة ، منها قوص بالصعيد الأعلى، وهذا فضلاعما للخلفاء بحكم مناصبهم من إشراف على مشهد السيدة نفيسة ، وحصلوا من هذا المورد على كيات كبيرة من الشموع والزيت والنذور ، ثم ألغى هذا كله عند دخول العثمانيين وسفر الخليفة المتوكل على الله إلى استانبول سنة ٩٢٣هـ – ١٥١٧م (تاريخ سلاطين المماليك ص٢٠٧ ، بدائع الزهور جـ٣ ص١٢٥) .

(١٤١) حوادث الدهور جـ ٢ ورقة ٢٣٥ .

(١٤٢) التحفة السنية ص ١٤٤ ، بدائع الزهور جـ ٣ ص ٢٧٤ ، حوادث الدهور جـ ٢ ورقة ٩٤ .

(١٤٣) يعتبر الشيخ خليل من أعلام فقهاء المالكية فى عصره ، وهو صاحب المختصر فى الفقه ، درس بالمدرسة الصالحية بين القصرين ، وقرره الأمير شيخو فى تدريس مذهب المالكية بخانقاه . وتوفى سنة ٧٦٧هـ – ١٣٦٥م (السلوك مخطوط جـ١ ص١٥٠) .

(١٤٤) اشتغل شمس الدين هذا فترة فى تعليم المماليك بالقلعة ثم فتح حانوتاً لبيع الكتب ثم انقطع عن الناس ،ولما كان صديقا للأمير ططر قبل سلطنته ، فإنه أنعم عليه بهذا الإقطاع على أثر جلوسه على العرش ، وتوفى هذا الفقيه سنة ٨٤٧هـ – ١٤٤٣م (حوادث الدهور جـ٢ ورقة ٢٧) .

(١٤٥) نشأت الجارية اتفاق عند ضامنة المغانى ببلبيس ،ثم باعتها إلى ضامنة المغانى بمصر بأقل من ٤٠٠ درهم ، فعلمتها ضرب العود وقدمتها لبيت الناصر محمد ،فحظيت عند الأمير

إسماعيل بن السلطان الناصر ، وهى سوداء حالكة السواد ، وتزوجها إسماعيل ، فولدت له ولداً، ثم حظيت عند السلطان الكامل شعبان (النجوم الزاهرة ج١٠ ص٩٦ - ٩٧ ، ١٤٩ - ١٥٠) .

(١٤٦) النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣١١ .

(١٤٧) الدرر الكامنة ج١ ص٤٠٧ - ٤٠٨ و ٥٢٠ - ٥٢٨ ، تاريخ الذهبى ج١ ورقة ٦ .

(١٤٨) النجوم الزاهرة ج ١٠ ص٢٠٨ - ٢١٠ .

(١٤٩) انظر فصل المناقلات الإقطاعية فيما يلى .

(١٥٠) انتقلت هذه الإقطاعات بعد هؤلاء المقطعين إلى مقطعين آخرين وتغيرت أحوالها من حيث أن بعضها صار ملكاً والبعض صار وقفاً ، كما تغيرت عبرتها من حيث النقص والزيادة ، أما هذه البلاد المذكورة فلا يوجد لها مقابل فى العصر الحالى ما عدا البلينا التابعة لمركز جرجا . (التحفة السنية ص٦ و ٧ و ١٤ و ٤٦ و ٧٢ و ٩٨ و ١١٣ و ١٢٤ وغيرها من الصفحات الدليل الجغرافى) .

الفصل السادس

الواجبات والحقوق الإقطاعية

دراسة الواجبات والحقوق من الجانبين الأدبى والمادى — يمين الولاء للسلطان القائم والزيادات المناسبة فيه — الوصايا — مدى الوفاء وحوادث الحنث ونظائرها فى الغرب الإقطاعى — الخدمة الحربية ونظام البدل — أشباهه فى الغرب — أعمال الدرك ومهمة العربان والتركمان — خيول البريد — الالتزام المالى — مساهمة المقطعين فى الأعمال العامة — التقادم العامة والطارئة — حقوق صاحب الإقطاع — الألقاب والمكاتبات التكريمية وشارات التشريف والطبول التى تدق بباب كل أمير بحسب مرتبته — الوظائف التى تؤهل لها إمرات أصحاب الإقطاع — الإطلاقات والمخصصات — نفقات سلطانية أخرى لحائزى الإقطاعات — المسامحات .

يمكن دراسة الواجبات والحقوق من جانبين : أحدهما أدبى والآخر مادى ؛ فمن حيث الجانب الأدبى للالتزامات ، يقوم المقطع بأداء يمين الولاء لسيده ، وهو ولى الأمر القائم بوصفه سلطاناً ، لا بوصفه بيبرس أو قلاوون أو برسباى أو قايتباى ، ويستطيع السلطان أن يأخذ هذه اليمين لا لنفسه فحسب بل لولى عهده كذلك . أما الجانب المادى فأهمه أداء الخدمة الحربية ، وهى الأساس فى حيازة الإقطاع ، حتى إذا عجز الأمير عن أداء هذه الخدمة أقام « بديلا » عنه ، بل عليه أن يدفع قدراً من المال إذا لم يستطع إقامة البديل ، مما يؤكد لنا خطورة الالتزام الحربى ، وعلى الأمير أن يقوم كذلك بأعمال حفظ الأمن وما يتعلق بها فى الداخل والخارج . وأن يسهم فى تسهيل وسائل الاتصال بين أطراف المملكة بتقديم خيول البريد ، وأن يؤدى الالتزامات المالية المتعلقة بإقطاعه ، ثم إن المقطعين على اختلافهم مكافون بنصيب فى الأعمال العامة ، وعليهم بحكم العرف أداء « التقادم » بانتظام .

وفى نظير قيامه بهذه الالتزامات ومدى إيفائه بها ، يتمتع الأمير بكافة الحقوق الأدبية والمادية التى يخولها له إقطاعه ومرتبته ، كأن يخاطب فى المكاتبات بأسلوب معين وألقاب خاصة ، وأن يسمح له بعدد معلوم من « الطبول » تدق على بابه ، وأن يلى من الوظائف ما تؤهله له درجة إقطاعه الذى يرتفق به أو يمتلكه ، وهناك من المخصصات والمنح ما يرسله السلطان بحكم العادة إلى الأمير المملوكى كالخيل والقماش والطعام ، وهذه هى « الإطلاقات » ؛ فضلا عن مقادير من المال عند ولاية كل سلطان جديد ، وهذه هى « نفقة البيعة » وعند الاستعداد لحرب أو غزو ، وتعرف هذه باسم « نفقة التجريدة » ، ثم هنالك ما يصل إلى الأمير من الخلع فى الحفلات السلطانية من زواج أو ختان

مقابل تقدمته فى هذه المناسبات ، وربما أعفى السلطان أميراً من الأمراء من التقادم فى بعض السنين أو سامحه بما عليه من ديون للديوان السلطانى ، وهذه هى « المسامحات » .

والعادة أن يقام يمين الولاء حفل بالقلعة أو أى مكان آخر يكون السلطان مقيماً به فى مصر أو الشام ، فيجتمع الأمراء ومعهم كتاب ديوان الإنشاء ، ويتولى كل كاتب تحليف جماعة من الأمراء ، فتحلف كل طائفة بألفاظ اليمين الخاصة بها ، ومهمة كتاب الإنشاء تسجيل الأسماء ، وتاريخ القسم فى أوراق خاصة ، تحمل إلى ديوان الإنشاء لتحفظ فيه أو تخلد فيه على قول المصطلح [1] .

وإذا اقتضى الأمر تحليف بعض الأمراء خارج مصر ، ففى هذه الحالة تكتب نسخة اليمين من ديوان الإنشاء بمصر ، وترسل إلى الجهة التى يراد التحليف بها[2] ، ومثال ذلك تحليف الأمراء أمام السلطان بيبرس بعد فتح الكرك سنة ٦٦١ هـ — ١٢٦٢م ، وإقطاع بلاده لأمرائه وجنده[3] .

ولليمين الإقطاعية صيغة عامة يشترك فيها جميع أهل الدولة[4] وهى بعد المقدمة :

« إننى من وقتى هذا ومن ساعتى هذه وما مد الله فى عمرى قد أخلصت نيتى ولا أزال مجتهداً فى إخلاصها ، وأصفيت طويتى ولا أزال مجتهداً فى إصفائها ، فى طاعة مولانا السلطان . . . » .

وصورة ما يكتب فى هذه اليمين العامة :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« أقول وأنا (فلان) »

« والله والله »

« وهذه اليمين يمينى وأنا . . (فلان) »

« والنية فى هذه اليمين بأسرها » (٥)

غير أن هناك زيادات تضاف إلى هذه الصيغة ، لكل صاحب وظيفة[٦] منهم ، فيزاد فى تحليف نواب السلطنة مثلا « ألا يسعى فى تفريق كلمة أحد عن طاعة السلطان وحفظ المملكة التى استنابه فيها » وهكذا[٧] ، ويختص « الدوادار » بألا يؤدى عن مولاه السلطان رسالة فى إطلاق مال ولا استخدام مستخدم ولا إقطاع إقطاع . . إلا بعد عرضه على مولانا السلطان ومراجعته[٨] أما نواب القلاع ، فيزاد فى أيمانهم العمل على حفظ القلعة وحواصلها وذخائرها وألا يفتح أبوابها أو يغلقها إلا فى الأوقات المعينة لذلك . . . »[٩] .

وإذا جدت أمور تغيرت صيغة القسم بحسبها ، وجددت اليمين كما هو الشأن عند بيعة كل سلطان جديد ؛ فمثلا على أثر خلع السعيد بن بيبرس وتولية أخيه سلامش سنة ٦٧٨ هـ — ١٢٧٩ ، أرسلت الأيمان إلى الأمراء والجند بالشام للحلف[١٠] ، وحين أفرج الناصر محمد فى سنة ٦٩٣هـ ـ ١٢٩٣م ، بعد ولايته العرش لأول مرة عن الأمراء المعتقلين أعادهم إلى إقطاعاتهم ، فجددوا القسم للسلطان ونائبه كتبغا[١١] ، ولما تولى ابنه أبو بكر العرش فى سنة ٧٤٢ هـ ١٣٤١ م ، « رسم بتجهيز التشاريف والخلع ، ورسم بتحليف الأمراء والنواب بالبلاد الشامية على العادة[١٢] » ، وكذلك جددت الأيمان لولى عهد برقوق وهو ابنه إبراهيم[١٣] وهكذا حتى عند زوال دولة المماليك جددت الأيمان لولى الأمر الجديد وهو السلطان العثمانى[١٤] .

واشتملت صيغ اليمين ، بأنواعها المختلفة على وصايا إلى كل أمير وصاحب وظيفة من باب التأكيد ودقة التحديد للالتزامات ، فضلا عن التفصيل فى بيان اختصاص صاحب الوظيفة والعمل على مراعاتها ، فيوصى نائب السلطة فى تقليد نيابته « بتقوى الله وتنفيذ الأحكام الشرعية والجهاد وتفقد العسكر[١٥] » ويوصى مقدم المماليك السلطانية بالحسنى إليهم ومراقبة كل طبقة عند تقسيم الجوامك بينهم وترتيب خدماتهم بحسب مكانتهم من السلطان « ولا يركب أحد منهم إلا بدستور[١٦] ، وتنصيب وصية أمير آخور على الاستعداد دائماً لتلبية طلبات السلطان فى أى وقت والعناية بأمر الاصطبلات « والحشارات »

وخيل البريد وما خصص منها للمنح أو هيئ للسباق والمواكب ، وكذلك غلمان الاصطبلات ومنع مخالطة العامة لهم وتثمين الخيول المشتراة والتقادم[١٧] .
أما أمير العرب فيوصى بالتقوى والكرم واليقظة لحركات الأعداء بين أتباعه ، وأن يعنى بخيل البريد التى يقدمها[١٨] ، ويوصى مقدم الأكراد بجمع شتات عشيرته على الإخلاص وعدم الانحياز إلى العدو ، وتوضيح أفضلية إقطاع السلطان لهم على إقطاع الأعداء لأفراد عشيرته ، والأهبة للجهاد وقت الحاجة على أن يكون اعتماد المقدم على المقطعين أصحاب الخدمة الدائمة المخبزة ، على قول العمرى ، بحيث إذا مات أحدهم قام المقدم بتعيين بدله ، وأنهى أمر البدل إلى أحد النواب المقربين منه ، كما أن عليه العمل على جباية ما على أصحاب الماشية من حقوق[١٩] ، ويوصى مقدم التركمان بمثل ذلك من الواجبات اللازمة لحفظ الأطراف المملوكية[٢٠] .

وعلى الرغم من تجديد اليمين الإقطاعية وما بها من تعهدات ، وبرغم الوصايا وما فيها من توضيح شامل وتأكيد ونحوه ، لم يتقيد الحالفون بما حلفوا دائماً ، ومثال ذلك نفاق الأمير عيسى بن مهنا وانحيازه إلى التتر فى سنة ٧١٢ هـ ــ ١٣١٢م ، نظير حصوله على إقطاع منهم ، وقد حصل عليه فعلا فى العراق حيث صارت الحلة وغيرها إقطاعاً له من سلطان التتر يومئذ وهو خرابند .
هذا مع وجود إقطاعه الكبير من السلطان الناصر محمد ، وبلغ من نفاقه والتوائه ، أن جعل ابنه سليمان منقطعاً لخدمة التتر على حين خصص الابن الثانى موسى لخدمة الناصر محمد ، واستمر هو يستغل الإقطاعين بالشام والعراق ، وتصل إليه رسائل « أيلخانات » التتر بفارس وسلاطين المماليك وخلعهما وإنعاماتهما ويقيم « بالبرية » بعيداً عن الفريقين »[٢١] .

وعلى الرغم من العهود والمواثيق ، خرج يلبغا الخاصكى على أستاذه الناصر محمد وخلعه وقتله سنة ٧٦٢ هـ ــ ١٣٦٠م [٢٢] ، كما خرج منطاش وهو تمربغا الأفضلى بالشام على برقوق سنة ٧٩٢هـ = ١٣٨٩م[٢٣] ، وكل حوادث الخلع والفتن ، ما هى إلا حنث بأيمان أقسمها الأمراء ، ولذا عمد

بعض السلاطين إلى تحليف أمرائه أكثر من مرة ، لعل هذا يحول دون الخروج عليه ، كما فعل محمد بن قايتباى فى سنة ٩٠٢هـ - ١٤٩٦م ، حين أحضر المصحف الشريف العثمانى ، وحلف عليه سائر العسكر والأمراء ، ثم حلفهم فى سنة ٩٠٣ هـ - ١٤٩٧م ، على « ألا يخونوه ولا يغدروا به . . . » وكانت هذه رابع يمين يحلفها الأمراء للسلطان(٢٤) ، وفى بعض الأحوال طلب الأمراء تحليف السلطان محمد بن قايتباى بعد حلفهم له سنة ٩٠٤هـ - ١٤٩٨م وقالوا : « مثل ما حلفنا السلطان يحلف لنا هو أيضاً أنه لا يمسك منا أحداً بغير سبب » ، ولكن السلطان توقف ولم يحلف(٢٥) ، وحاول السلطان جان بلاط بن يشبك سنة ٩٠٦هـ - ١٥٠٠م تغيير صيغة القسم إلى أيمان أغلظ لعلها تجدى ، فألف القاضى الشافعى عبد القادر النقيب صورة يمين « بالله وبالحج وبالعتق وبالطلاق ثلاثاً » وغير ذلك من التأكيد ، وكتبه فى سجل لتحليف الأمراء(٢٦) .

ويمين الولاء والتبعية فى الإقطاع الغربى طقوس وأهميات تفوق شبيهاتها فى مصر على عصر المماليك ، فيؤدى التابع يمين الولاء والطاعة (Oath of Fealty) لسيده الإقطاعى سواء أكان ملكاً أم أميراً ، وذلك على آثار مقدسة أو الإنجيل ، ومراسيم التبعية أن يأتى التابع ويركع أمام سيده حاسراً رأسه أعزل من سلاحه ويضع يديه الاثنتين بين يدى سيده متلفظاً بألفاظ اليمين : « أقسم أن أكون مخلصاً لك مرتبطاً بك كما ينبغى أن يكون عليه رجل لسيده » ويضيف أحياناً « وسأظل على ذلك طالما كنت رجلك وطالما كانت أرضك معى » ، حينئذ يرفعه السيد ويقبله ويعطيه « العلم والعكاز والبراءة » ، وهذا ما يعرف باسم « التقليد Investiture » أو التنصيب أو التلبيس من جانب السيد وبهذا يصبح الطرفان مرتبطين(٢٧) .

ومن أمثلة الأيمان المشهورة فى العصور الوسطى « قسم سالسبورى » أو « اجتماع سالسبورى » فى إنجلترا سنة ١٠٨٦ هـ ، إذ دعا وليام الفاتح جميع الزراع الأحرار Free Tenants ، سواء أكانوا من طبقة الفرسان أم من غيرها ، وجعلهم يقسمون له أن يكونوا أتباعه المخلصين . وهذا القسم العام

الشامل لجميع طبقات المقطعين هو الذى ميز الملكية الإقطاعية الأنجلو نورمانية عن الإقطاعية الفرنسية المعاصرة(٢٨) .

وتضم صيغة القسم والوصايا فى الإقطاع فى الدولة المملوكية ، ما يتضمنه العقد الإقطاعى فى الغرب ، من ناحية الولاء لولى الأمر ؛ فمثلا ينص العقد الإقطاعى على : ألا يعتدى على سيده أو يفشى له سراً أو يخل بأمن قصوره أو يسىء الظن به ، وألا يلحق أى ضرر بسمعته أو أملاكه أو يضع العراقيل فى طريقه ، ونحو ذلك(٢٩) .

ومن حيث الالتزام الحربى ، المعروف أن الأرض أو المكس يقطع نظير خدمة ، يؤديها المقطع فى الدولة الإقطاعية ، وأجل هذه الخدمات هى الخدمة الحربية ، بل إن الإقطاع فى الشرق الأوسط حين تطور ، صار حربياً(٣٠) ، ولذلك تقدمت رتبة أرباب السيوف على رتبة أرباب الأقلام ، «والتواقيع والتفاويض لأرباب السيوف لميزة السيوف على الأقلام»(٣١) ثم إن الخدمة الحربية هى الأساس الأول لحيازة الإقطاع لا فى الدولة المملوكية فحسب ، بل فى جميع الدول المعاصرة التى أخذت بالنظام الإقطاعى شرقاً وغرباً على اختلاف فى التفاصيل .

ففى النظام المملوكى ، يلبى الأمير المقطع نداء ولى الأمر فى وقت الحرب مع أتباعه من الفرسان المجهزين لا لمدة معينة كما هو الشأن فى الإقطاع الأوربى ، بل فى أى وقت ولأى فترة ، وأقرب الخدمات الحربية الإقطاعية الأوربية لذلك خدمات الفرسان الصليبيين ، (فى الدول الصليبية بالشام بسبب الحرب المستمرة ضد المسلمين ، أى أن الصليبيين(٣٢) ، وهم إقطاعيون غربيون ، غيروا ما ألفوه من نظم إقطاعية نزولا على الوضع الراهن بالشرق إبانئذ .

والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى ، منها تكليف بيبرس سنة ٦٦٣هـ — ١٢٦٤م وقلاوون سنة ٦٨٠ هـ — ١٢٨١م عرب آل فضل بالشام ورأسهم عيسى بن مهنا بن مانع بطرد التتار عن البيرة وغيرها(٣٣) ، ثم إن السلطان لاجين توعد الجيش الذى أرسله سنة ٦٩٧هـ — ١٢٩٧م ، لطرد التتار عن

صيس وتل حمدون بأن « العساكر لا ترجع إلا بعد فتح تل حمدون وإن عادت من غير فتحها فلا إقطاع لهم بالديار المصرية[٣٤] .

والمعروف أن السلطان برقوق قطع إقطاعات الأمراء الذين أخفقوا فى إخماد فتنة يلبغا نائب حلب الخارج على السلطان[٣٥] ، والسلطان برقوق نفسه أنعم على طائفة من الأمراء بعد ذلك بعامين بإمريات فى الشام زيادة على إقطاعاتهم الجارية ، ليخلصوا فى قمع فتنة ثائر آخر بالشام هو منطاش[٣٦] ، ويعرف عن برقوق أنه كان توخى الدقة فى حملاته الحربية فلم يكلف بالسفر فى تجريدة إلا من بلغت عبرة إقطاعه ما يكفى لجميع ما تستلزمه النفقات والاستعدادات المنتظرة ، من ذلك أنه أمر بعرض أجناد الحلقة سنة ٧٩٦ هـ — ١٣٩٣م ، استعداداً لحرب تيمورلنك ، وأوصى نائب السلطنة سودون والدوادار قلمطاوى ، بحضور ناظر الجيوش قاضى القضاة القيصرى ، بألا يلزم غير القادرين بالسفر[٣٧] .

وقامت عشائر العرب والتركمان والأكراد بالتزام الخدمة الحربية الفعلية فى ميادين الحرب ، فاشترك الأمير نعير أمير آل فضل بخمسمائة فارس وجميع العربان فى حروب السلطان فرج ضد تيمورلنك بالشام سنة ٨٠٣ هـ — ١٤٠٠م واشترك فى هذه الحملة ستة آلاف فارس من عربان البحيرة وألفان وخمسمائة فارس من عربان الشرقية فى صحبة شيخهم ابن بقر ، وخمسمائة فارس من عربان بنى وائل بالغربية[٣٨] ، وجرى المصطلح على تسمية هذه الجماعات من فرسان العرب باسم « العشير » ، والمماليك فى هذا مقلدون لأساتذتهم من الأيوبيين[٣٩] ، غير أن العرب لم يخلصوا للمماليك إخلاصاً تاماً ودليل ذلك أن طومان باى أمر الكشاف ومشايخ العربان فى سنة ٩٢٢هـ — ١٥١٦م أن يشرعوا فى تحصيل عشرين ألف خيال من العشير من فرسان العرب ، ثم أمر برجوعهم إلى بلادهم برغم شدة حاجته إلى أى جندى ، وذلك بعد إشارة بعض الأمراء بأن العربان ليس لهم فائدة فى خروجهم[٤٠] ، والواقع أن طومان باى كان يدرك عدم سلامة نواياهم فضلا عن الكراهة العنصرية التى

الشامل لجميع طبقات المقطعين هو الذى ميز الملكية الإقطاعية الأنجلو نورمانية عن الإقطاعية الفرنسية المعاصرة[٢٨] .

وتضم صيغة القسم والوصايا فى الإقطاع فى الدولة المملوكية ، ما يتضمنه العقد الإقطاعى فى الغرب ، من ناحية الولاء لولى الأمر ؛ فمثلا ينص العقد الإقطاعى على : ألا يعتدى على سيده أو يفشى له سراً أو يخل بأمن قصوره أو يسىء الظن به ، وألا يلحق أى ضرر بسمعته أو أملاكه أو يضع العراقيل فى طريقه ، ونحو ذلك[٢٩] .

ومن حيث الالتزام الحربى ، المعروف أن الأرض أو المكس يقطع نظير خدمة ، يؤديها المقطع فى الدولة الإقطاعية ، وأجل هذه الخدمات هى الخدمة الحربية ، بل إن الإقطاع فى الشرق الأوسط حين تطور ، صار حربياً[٣٠] ، ولذلك تقدمت رتبة أرباب السيوف على رتبة أرباب الأقلام ، «والتواقيع والتفاويض لأرباب السيوف لميزة السيوف على الأقلام»[٣١] ثم إن الخدمة الحربية هى الأساس الأول لحيازة الإقطاع لا فى الدولة المملوكية فحسب ، بل فى جميع الدول المعاصرة التى أخذت بالنظام الإقطاعى شرقاً وغرباً على اختلاف فى التفاصيل .

ففى النظام المملوكى ، يلبى الأمير المقطع نداء ولى الأمر فى وقت الحرب مع أتباعه من الفرسان المجهزين لا لمدة معينة كما هو الشأن فى الإقطاع الأوربى ، بل فى أى وقت ولأى فترة ، وأقرب الخدمات الحربية الإقطاعية الأوربية لذلك خدمات الفرسان الصليبيين ، (فى الدول الصليبية بالشام بسبب الحرب المستمرة ضد المسلمين ، أى أن الصليبيين[٣٢] ، وهم إقطاعيون غربيون ، غيروا ما ألفوه من نظم إقطاعية نزولا على الوضع الراهن بالشرق إبانئذ .

والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى ، منها تكليف بيبرس سنة ٦٦٣هـ — ١٢٦٤م وقلاوون سنة ٦٨٠ هـ — ١٢٨١م عرب آل فضل بالشام ورأسهم عيسى بن مهنا بن مانع بطرد التتار عن البيرة وغيرها[٣٣] ، ثم إن السلطان لاجين توعد الجيش الذى أرسله سنة ٦٩٧هـ — ١٢٩٧م ، لطرد التتار عن

سيس وتل حمدون بأن « العساكر لا ترجع إلا بعد فتح تل حمدون وإن عادت من غير فتحها فلا إقطاع لهم بالديار المصرية[٣٤] .

والمعروف أن السلطان برقوق قطع إقطاعات الأمراء الذين أخفقوا فى إخماد فتنة يلبغا نائب حلب الخارج على السلطان[٣٥] ، والسلطان برقوق نفسه أنعم على طائفة من الأمراء بعد ذلك بعامين بإمريات فى الشام زيادة على إقطاعاتهم الجارية ، ليخلصوا فى قمع فتنة ثائر آخر بالشام هو منطاش[٣٦] ، ويعرف عن برقوق أنه كان توخى الدقة فى حملاته الحربية فلم يكلف بالسفر فى تجريدة إلا من بلغت عبرة إقطاعه ما يكفى لجميع ما تستلزمه النفقات والاستعدادات المنتظرة ، من ذلك أنه أمر بعرض أجناد الحلقة سنة ٧٩٦ هـ — ١٣٩٣م ، استعداداً لحرب تيمورلنك ، وأوصى نائب السلطنة سودون والدوادار قلمطاوى ، بحضور ناظر الجيوش قاضى القضاة القيصرى ، بألا يلزم غير القادرين بالسفر[٣٧] .

وقامت عشائر العرب والتركمان والأكراد بالتزام الخدمة الحربية الفعلية فى ميادين الحرب ، فاشترك الأمير نعير أمير آل فضل بخمسمائة فارس وجميع العربان فى حروب السلطان فرج ضد تيمورلنك بالشام سنة ٨٠٣ هـ — ١٤٠٠م واشترك فى هذه الحملة ستة آلاف فارس من عربان البحيرة وألفان وخمسمائة فارس من عربان الشرقية فى صحبة شيخهم ابن بقر ، وخمسمائة فارس من عربان بنى وائل بالغربية[٣٨] ، وجرى المصطلح على تسمية هذه الجماعات من فرسان العرب باسم « العشير » ، والمماليك فى هذا مقلدون لأساتذتهم من الأيوبيين[٣٩] ، غير أن العرب لم يخلصوا للماليك إخلاصاً تاماً ودليل ذلك أن طومان باى أمر الكشاف ومشايخ العربان فى سنة ٩٢٢هـ — ١٥١٦م أن يشرعوا فى تحصيل عشرين ألف خيال من العشير من فرسان العرب ، ثم أمر برجوعهم إلى بلادهم برغم شدة حاجته إلى أى جندى ، وذلك بعد إشارة بعض الأمراء بأن العربان ليس لهم فائدة فى خروجهم[٤٠] ، والواقع أن طومان باى كان يدرك عدم سلامة نواياهم فضلا عن الكراهة العنصرية التى

حفظها العرب للمماليك ، وربما ترجع خيانة ابن مرعى للسلطان طومان باى إلى إبعاده العرب على هذا النحو المتقدم(٤١) ، بجانب الكراهية المزمنة .

ولم يكن هناك من بأس لدى سلاطين المماليك ، أن يقطعوا عـدواً أخلص النية وأصفى الطوية ، فهذا السلطان بيبرس ، يقطع عدداً من الفرنجة الصليبيين ، وردوا عليه من مدينة قيسارية سنة ٦٦٣ هـ – ١٢٦٤م ، وذلك نظير عدم اشتراكهم ضده فى القتال(٤٢) ، كما لم يكن هناك من بأس أيضاً من بذل الإقطاع لقاء أى عمل يتصل بالحرب ، كالإرشاد إلى طريق أسهل أو أقرب إلى العدو ، ومثال ذلك ما فعله السلطان الناصر محمد سنة ٧١٩ هـ – ١٣١٩م ، إبان حملة أرسلها لقمع بعض الفتن ببرقة ، إذ تطوع بعض العرب لإرشاد الجيش إلى طريق لا يستغرق أكثر من ١٣ يوماً على حين أن الطريق المألوف من الإسكندرية إلى برقة يستغرق نحو شهرين ، وطلب الدلال من قائد الحملة ، وهو الأمير أيتمش مائة دينار وإقطاعاً من السلطان بعد عودة العسكر ، فعجل له أيتمش بالمال والتزم بالإقطاع من السلطان وانتصر العسكر وعاد غانماً (٤٣) .

وإذا عجز المقطع عن أداء الخدمة الحربية أقام بديلا عنه كاملا باللبس والسلاح والخيول و جميع ما يلزم ، أو يدفع مبلغاً من المال ليستطيع السلطان بهذا المال تدبير القوة اللازمة ، كما جرت العادة على اختيار أرباب الجوامك من المماليك السلطانية وأولاد الناس فى أعمال الفروسية من الرمى بالسهم والنشاب والمبارزة بالرمح ونحوه ، ومن لم ينجح فى هذا الاختبار ، قطع السلطان جامكيته فضلا عن التقريع والتأنيب .

وألح السلطان قايتباى فى البديل أو المال فى سنة ٨٧٢هـ – ١٤٦٧م ، من العاجزين عن السفر فى التجريدة لحرب شاه سوار التركمانى ، وقدر العوض المالى بمائة دينار ، وتكرر هذا العمل فى السنة التالية بصدد الخطر نفسه كما تكرر عام ٨٩٠هـ – ١٤٨٥م ، بصدد الخطر العثمانى . فصار(٤٤) يحصل المائة دينار عوضاً عن البديل ممن لهجامكية وإقطاع ، وخمسة وعشرين ديناراً ممن له

جامكية ألف دينار وليس له إقطاع(٤٥) ، ثم إن السلطان قايتباى اختبر أرباب الجوامك فى السنة نفسها وهى ٨٧٣هـ — ١٤٦٨م ، بأن جهز ثلاثة أقواس متدرجة القوة والصلابة وكتب الناجحين فى الاختبار فى التجريدة كما قبل البدل ممن طلب ذلك ومقداره مائة دينار ، أما الفاشلون فى الاختبار فقطع جوامكهم ووبخهم(٤٦) .

ولم تكن فئات البدل المادى ثابتة بل تعرضت للزيادة والنقصان بحسب ما تقتضيه الأحوال الحربية المتوقعة ، ولما كان الخطر العثمانى قائماً ، صار البدل عن صاحب الجامكية التى تبلغ ألفى دينار مبلغ ٤٠ ديناراً ، وصاحب الجامكية التى تبلغ ألف دينار عشرين ديناراً ، ومن لم يدفع هذا المبلغ لأى سبب من الأسباب قطع السلطان جامكيته ستة أشهر « حتى يغلق ما فرض عليه »(٤٧) .

ولنظام البدل المالى قرين فى الإقطاع الغربى يعرف باسم Scutagium وهو ما سمحت به الملكية النورمانية الإقطاعية بإنجلترا ، كذلك وجد فى ألمانيا الإقطاعية ، وهناك بديل من نوع آخر عرف فى شمالى غربى فرنسا بصفة خاصة ، وهو تقديم خيول أو ثمنها Servicium de Equo أو بعض آلاتها من سروج وحدوات أو أسلحة حربية من سيوف ونحوها(٤٨) ، وعرف البديل كذلك فى الدول الصليبية بالشام ، لكنه لم يطلب إلا ممن بلغ سن التقاعد وهو ٦٠ سنة ، ففى هذه الحالة لا يكلف المقطع بخدمة حربية بشخصه وإنما يرسل فرساناً من قبله نظير إقطاعه(٤٩) .

ويدخل فى نطاق الخدمة الحربية أعمال حفظ الأمن فى الداخل والخارج ، واصطلح على تسمية هذه الأعمال بالأطراف بأعمال « الدرك » ، فبعض المقطعين ملتزم بحفظ الدرك بالجهات المتاخمة للأعداء ويعطى الإقطاع قريباً من تلك الجهات ، كما فعل السلطان بيبرس حين أقطع بلاد صفد سنة ٦٦٤ هـ — ١٢٦٥م ، لمن رتبه لحفظها من الأجناد(٥٠) ، وحين أقطع السلطان الناصر سنة ٧٠٥ هـ — ١٣٠٥م ، جماعة من دمشق مثل الأمير ابن معبد البعلبكى

وخطاب العراق وغيرهما ، أمرهم وكلفهم بحفظ مينا البحر من جهة بيروت(٥١) ولما علم الناصر بفساد العرب فى ثغر عيذاب ، أرسل سنة ٧١٩ هـ — ١٣١٩م الأمير أفوش المنصورى على رأس قوة وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه ، وأقطعه ثغر عيذاب ليقيم به(٥٢) ، كذلك أمر يلبغا الأتابكى فى عهد السلطان شعبان سنة ٧٤٦هـ — ١٣٤٥م جماعة من الأمراء بالسكنى فى بيروت مع العساكر الشامية للمحافظة عليها من الفرنج(٥٣) .

ويكاد التركمان والأكراد والعرب يختصون بأعمال الدرك ، فبنو عساف التركمان مكلفون بالدرك من حدود أنطلياس على نهر الكلب إلى مغارة الأسد بالشام ، فلم يسمحوا بعبور نهر الكلب إلا لمن يحمل « ورقة الجواز » من الوالى فى تلك الجهات أو من أمراء الغرب من بنى تنوخ ، ونظم بنوعساف عملهم تنظيماً دقيقاً ؛ إذ قسموا أنفسهم إلى ثلاث فرق أو ثلاثة « أبدال » فى المصطلح ، كل فرقة أو كل بدل ، مكون من ألف فارس وعليه أن يقيم شهراً فى الدرك بأنطلياس(٥٤) ، وتولى درك الأطراف خليل بن الطرفى التركمانى ، بالإبلستين ثم بيت دلغادر(٥٥) .

وقام العربان بأعمال الدرك فى جهاتهم ، بجانب ما عليهم من التزامات أخرى. فمثلا حدد بيبرس فى سنة ٦٥٩ هـ — ١٢٦٠م مهمة عربان بنى مهنا وأميرهم يومئذ شرف الدين عيسى بن مهنا إذ « سلمهم درك البلاد وألزمهم حفظ الدروب إلى حدود العراق »(٥٦) .

كما التزم أمراء الغرب من بنى تنوخ الدرك بلبنان فضلا عن التجسس على أخبار العدو والمثاغرة على صيدا وبيروت ، ونظم بنو تنوخ دركهم على ثغر بيروت كذلك ثلاثة أبدال كما هو الشأن عند بنى العساف التركمان(٥٧) .

أما الالتزام بتسهيل سبل النقل ووسائطه بين أجزاء الدولة ، فأهمه القيام بتقديم خيل البريد والجمال والقيام بحمل الغلال والمحاصيل المختلفة ، وأكثر ما عرف هذا الالتزام عن المقطعين العرب والتركمان خلال عصر المماليك ونصت « الجريدة الجيشية » ، أمام اسم التركمانى أو البدوى على ما يقدمه

إلى الاصطبلات السلطانية والمناخات من الخيل والجمال ، وأمام أسماء العربان بمصر ، على المقرر عليهم من التقادم وإقامة خيل البريد وغير ذلك من نقل الغلال ، ووضح التأكيد كذلك على هذا الالتزام بالوصايا الموجهة إليهم (٥٨).

والواضح من هذا كله أن خيل البريد أهم ما قدمته عشائر العربان والتركمان ، وكانت مدينة بلبيس زمن سلاطين المماليك مركزاً لتجمع هذه الخيول ، وعليها أن تعمل فى خدمة البريد من بلبيس(٥٩) إلى العريش ، فتحضر خيول العربان فى هلال كل شهر إلى مراكزها المعينة لها فيما بين بلبيس والعريش ولذلك أطلق عليها اسم « خيل الشهارة » ، وعلى الشهارة وال من قبل السلطان ، وهو الذى يستعرضها فى أول كل شهر « ويدوغها بالداغ السلطانى » ، وفيما يلى العريش إلى طرابلس ، تعمل خيول السلطان فى البريد ، ومن طرابلس حتى أطراف المملكة تتولى خيول المقطعين فى تلك الجهات أمر نقل البريد(٦٠).

ولذلك نجد أن أغلب إقطاعات العربان فى أطراف المملكة ، ويقع أكثرها فى مصر بالشرقية ، ومما قرره بيبرس على أمراء عربان العابد وجرهم وثعلبة بغزة ، حين ضمنهم البلاد سنة ٦٦١هـ — ١٢٦٦م ، « خدمة البريد وإحضار الخيل برسمه(٦١) » ، ولما اختلت مراكز البريد بطريق الشام سنة ٧٤٨هـ–١٣٤٧م ، اضطر السلطان حاجى لفرض خيول البريد على المقطعين عامة ، فألزم كل أمير مقدم بتقديم أربعة أفراس وأمير الطبلخاناه بتقديم فرسين وأمير العشرة بتقديم فرس واحد ، كما أخرج عن عيسى بن حسن العائذى الهجان أحد المقطعين العرب بلداً تغل فى السنة ٢٠ ألف درهم أو ٣٠٠٠ إردب من الغلة وأرصدها لمراكز البريد(٦٢) .

ومن الناحية المالية : المقطع ملزم بدفع الخراج(٦٣) المقرر على الإقطاعات وهو من أهم مصادر بيت المال ؛ إذ أن الإقطاعات كما يقول القلقشندى هى جل البلاد فى الوجهين البحرى والقبلى(٦٤) ، ويجبى الخراج عيناً أو غلة ، وأغلب خراج الوجه القبلى غلة ، ومتوسط خراج الفدان من ٢ إلى ٣ أرادب ، وربما زاد أو نقص بحسب الظروف ، ويحصل على كل

إردب من ٢ ـ ٣ دراهم أو نحوها ، أما الوجه البحرى فأغلب خراجه تحصل نقداً إلا القليل(٦٥) .

وهناك ما يعرف باسم « قاعدة البدل » فى دفع الخراج ، ومؤداها إذا كان الخراج المقرر فى بلد ما غلالا وأعوز صنف من الأصناف استبدل بصنف آخر(٦٦) .

وتنظم الأموال الديوانية عامة فى المحاسبات التى يعدها « كاتب الخراج » فيدون ما عرف باسم « الارتفاع » أو « العمل » بمعنى القائمة(٦٧) وصورتها : « عمل بما اشتمل عليه ارتفاع المعاملة الفلانية لمدة سنة كاملة أولها المحرم سنة كذا وآخرها سلخ ذى الحجة منها . . . »(٦٨) .

هذه هى الأموال العادية الغالبة ، على أن هناك التزامات مالية أخرى طارئة ، يختلف نوعها باختلاف الظرف الطارىء وبحسب ما يراه ولى الأمر القائم ، فإذا كانت هناك حالة حرب وأعوز المال . فرضت غرامات ، وفى أوقات انتشار الأوبئة أو الأعلية والفتن والاضطرابات ، إما أن تفرض غرامات مالية أو يلزم الأمراء بنوع من المبرات(٦٩) ، أو يتحملون نفقات عدد معين من المماليك .

فمثلا رسم السلطان الناصر محمد فى سنة ٧٠٠هـ = ١٣٠٠م ، بتحصيل مبالغ من المال من غوطة دمشق لمقابلة خطر التتار ، عن كل مد(٧٠) سبعة دراهم ، كما أخذ من القرى المزروعة حبوباً على أساس نسبة محصول سنة ٦٩٨ هـ ١٢٩٨ م ، إذ كان المحصول فى تلك السنة وافراً(٧١)، ولما اجتاح تيمورلنك بلاد الشام هجم على سيواس ثم خرب دمشق سنة ٨٠٣هـ = ١٤٠٠م قرر السلطان فرج فرض غرامات على جميع أموال الناس(٧٢) وفرض على الإقطاعات بنسبة العبرة القديمة على هذا النحو : من كانت عبرته إقطاعه ١٠٠ ألف يدفع ٥٠٠ درهم ثمن فرس أو يقدم فرساً(٧٣) . وهناك ما عرف باسم « الخمس » جباه قايتباى فى سنة ٨٩٣ هـ ١٤٨٧ م ، بصدد الخطر العثمانى من خراج المقطعين ليستعين به على تجهيز خيالة تكون مدداً للعسكر ، ويعلق

ابن إياس « وقد حصل للمقطعين غاية الضرر من كبس البلاد وقبض على الفلاحين » ، ويقال إنه جبى الخمس مرتين من خراج المقطعين سنتين متواليتين وتكرر هذا العمل فى سنة ٨٩٥ هـ ـ ١٤٨٩ م(٧٤) .

وفرق بين هـذه المركزية فى السلطة وجباية ما يراه ولى الأمر وما هو معروف فى الغرب الإقطاعى ، إذ كان للسيد أن يطلب ما عرف باسم (العون) Auxilium. وهو وإن تقرر بحكم العادة ، إلا أن المميز البارز للإقطاع الغربى هو « المحلية » وليست المركزية .

وهذا العون يطلبه السيد كمنحة اختيارية من أتباعه(٧٥) ، على أن هناك ضرائب دائمة قررت فى الدولة الصليبية بالشام على عهد صلاح الدين عرفت باسم « الصلاحية » وذلك حين اشتد خطر الحرب بين المسلمين والصليبيين ونسبت هذه الضريبة إلى اسم « صلاح الدين الأيوبى » لشدة وطأته عليهم . وقد قررت فى مجلس عقد فى أورشليم سنة ١١٨٢ م وتقدر بنسبة ٢٠٪ من دخل كل تابع(٧٦) ، ومثلها قرر فى فرنسا الإقطاعية عام ١١٨٨ م فى مجمع باريس برئاسة البابا كليمنت الثالث ، وذلك بعد وقعة حطين وعرفت بنفس الاسم .

أما المساهمة فى الأعمال العامة ، فالقائمون بها هم المقطعون سواء أكانوا من أصحاب الوظائف أم لا ، وسواء أكانت هذه الأعمال خاصة بالسلطان أو ذات نفع عام ، فمن الأعمال العامة : القيام بجمع المحصول وحفر الخلجان وعمارة الجسور ونحوها(٧٧) ، ومن الأعمال الخـاصة ما فعله الناصر سنة ٧٣٨هـ =١٣٣٧م، حين قرر إنشاء حوض للضأن فى موضع بقلعة الجبل مساحته ٤ أفدنة ، فرتب على كل أمير من المقدمين مائة رجل ومائة دابة لنقل التراب ، وعلى كل طبلخاناه بحسب حالته ، ونزل استادار كل أمير وجنده ومعه دوابه ورجاله للعمل(٧٨) .

*

وهناك التزامات بحكم العرف جرت مجرى القانون وهى « التقادم » . والعرف قانون أو « محكمة » فى نظر الشرع ، وهذه مقررة سنوياً على أرباب الإقطاعات عامة بحيث لو تعطلت غضب السلطان ، بل يطلبها السلطان وتسجل فى ديوان الجيش ، بل إن من وصايا أمير آخور تثمين خيول التقادم[٧٩] ، وكثيراً ما أدت جبايتها إلى فتن وامتعاض عام بين المقطعين ، ومن التقادم ما هو سنوى ومنها ما هو طارىء بحكم الظروف والمناسبات المختلفة ، كحج السلطان أو زواجه أو نحو ذلك من الحفلات ، وكذلك إذا خرج السلطان فى رحلة صيد أو زار أميراً فى إقطاعه ، فإن الأمير مكلف فى هذه الحالة بتدبير أمر الضيافة فضلا عما يقدمه من « التقادم » أو الهدايا لسيده ، والغالب أن يخلع السلطان على الأمير نظير تقدمته .

ويحتوى التقادم على خيول وقماش وأثواب مختلفة الألوان والأنواع وكذلك الأسلحة و أنواع الحيوانات والطيور[٨٠] المختلفة ، العادى منها والغريب ، والتحف المختلفة ، ومن التقادم ما يرى الأمير تخصيصه للسلطان ومنه ما يرى تخصيصه لحريمه أو أولاده .

فمثلا قدم أبو الفداء إسماعيل فى سنة ٧١٦هـ — ١٣١٦م بتقدمته على السلطان الناصر محمد ، يقول فى تاريخه « فى هذه السنة كانت تقدمتى على جارى العادة من الخيول والقماش والمصاغ »[٨١] ، وقد كتب الناصر فى سنة ٧٢٢هـ — ١٣٢٢م إلى سائر الأمراء ، يحمل تقادمهم إليه وأن من أحضر تقدمته ، يخلع عليه من الخزانة السلطانية ، فحملت إليه تقادم جليلة منها ، ٤٠ سلسلة ما بين ذهب وفضة ، وقدم موسى بن مهنا « بالقود » على العادة فى سنة ٧٢٣هـ — ١٣٢٣م ويتكون من خيول ونحوها ، فأكرمه السلطان[٨٢] ، ووصل الأمير تنكز تقدمته العاشرة فى سنة ٧٣٥ هـ — ١٣٣٤[٨٣] ، وضمت تقدمة الأمير منجك نائب الشام فى سنة ٧٧٤هـ = ١٣٧٢م ، إلى السلطان شعبان : أسدين وضبعاً و ٤٨ كلباً سلوقياً و ٤٠ فرساً و ٥٠ بقجة قماش ، وقطارين بخاتى[٨٤] بقماشها الفاخر و ٤ قطر بخاتى بقماش آخر و ٥ جمال بخاتى ، لكل منها

ســناماں وقماشها من حرير ، وســتة قطر جمــل عراب [٨٥] بقماشها و ٤٤هجيناً وثلاثة قباقيب نسوية ذهب فيها اثنان مرصعان بالجوهر قيمتها ٢٥٠ ألف درهم وثمنها نحو ٨ آلاف مثقال ذهب ، وعدة قناوير من حرير مزركش بتراكيب مرصعة بالجواهر ، وملابس نساء وكنابيش زركش بتراكيب مرصعة بالجوهر وملابس برسم الخيل وعدة عبى حرير وأحمال من الحلاويات وفواكه وأشربة ومخللا [٨٦] ، ووصلت هــدية بيدمر نائب الشام بعد منجك إلى السلطان شعبان فى سنة٧٧٧هـ ـــ ١٣٧٥ م منها للأمراء والأعيان ٢٥٠ فرساً [٨٧]،وفى أيام برقوق وصلت إليه تقدمة الأمير بيدو نائب الشام سنة ٧٨٦ هـ ١٣٨٤ م ، ومنها : ٢٠ مملوكاً منتخبة ، ٣٣ جملا عليها أنواع الثياب من الحرير والصوف بأنواعه ، ١٣ كلباً سلوقياً ، ١٨ فرساً محملة بأثواب الحرير ، ٥٠ فحلا ، ١٠٠ أكديش و ٧ قطرهجين بقماش ذهب ، وباسم ولد السلطان ٢٠ فرساً و ٢٥ جملا محملة بأنواع أخرى من الثياب وغير ذلك[٨٨] ، وجاءت تقدمة الأمير جاباں نائب الشام فى سنة ٨٤٧هـ ـــ١٤٤٣م إلى السلطان جقمق ، ومنها ملابس سمور[٨٩] خمسة أبدان[٩٠] ، وشق بدنين[٩١] وقاقم خمسة أبدان ونجاب ٥٠ بدناً ، ٥٠ قرضية و ١٠٠ ثوب صوف ملون و ٥٠٠ ثوب بعلبكى و ٥٠٠ ثوب بطاطين ، ٣٠٠ قوس من قسى الحلقة : منها ٥٠ خاص و ١٠ طبول مذهبة و ٥٠ سيفاً ، ٢٠٠ من الخيول، منها واحد بسرج ذهب وكنبوش وعشرين ألف دينار [٩٢].

هذه بعض أمثلة التقادم السنوية ، أما تقادم المناسبات كالحج ونحوه فهذه كسابقتها من التقادم ، يطلبها السلطان . فمثلا فى سنة٧١٩هـ ـــ ١٣١٩م ، كتب الناصر إلى نائب الشام بتجهيز ما يلزم لاعتزامه الحج فى ذلك العام ، فتوالت تقادم الأمراء والنواب فى سائر البلاد الشامية . منها تقدمة تنكز نائب الشام ، وتقدمة الملك المؤيد إسماعيل أبى الفداء صاحب حماة[٩٣] ، ولما أراد الكامل شعبان الحج فى سنة ٧٤٧هـ ـــ١٢٤٦م اشتدت المطالبة على أهل النواحى عامة بالجمال والشعير والأعدال [٩٤] والأخراج بسبب سفر السلطان

إلى الحجاز ، بل كثرت مغارم الولاة ، ولذلك شكا أرباب الإقطاعات تضررهم مما أصابهم من مغارم إلى السلطان فلم يلتفت إليهم ، وكان هذا الأمر من أسباب الفتنة التى أدت إلى خلع السلطان نفسه أواخر سنة ٧٤٧هـ = ١٣٤٦م ومنعه من الحج)(٩٥) ، وحين خرجت خوند فاطمة زوجة قايتباى للحج سنة ٨٧٩هـ — ١٤٧٤م ، عمل موكب فخم حافل فى الذهاب والإياب ، وفى حفل العودة أقيمت المغانى ومدت الأسمطة وأحضرت التقادم من أرباب الدولة وأعيان الناس(٩٦) .

وإذا أراد الأمير زيارة السلطان ، استأذن ، فيؤذن له ، فإذا ماقدم ، حمل معه تقدمة أو هدية ، كما حدث فى سنة ٧٦٨هـ — ١٣٦٦م حين استأذن المقر السيفى منكلى بغا نائب الشام السلطان شعبان فى الحضور إلى مصر زائراً « ليرى وجه السلطان » ، فحضر ومعه تقادم كثيرة للسلطان والأمراء وللأتابكى يلبغا ، فأكرمه السلطان ، واستقر به نائب حلب بعد أن جعلها أكبر من الشام ودمشق(٩٧) .

وإذا مر السلطان فى سرحاته للصيد بإقطاع أحد الأمراء قدم له الأمير ما تسمو إليه همته من الأوز والدجاج وقصب السكر والشعير ، فيقبله السلطان ثم ينعم عليه بخلعة كاملة ، وربما أمر له بشىء من المال(٩٨) ، فمثلا خرج السلطان شعبان فى سنة ٧٧٢هـ — ١٣٧٠م ، للصيد ، ولما توجه للوجه القبلى قدم له أرباب الأدراك تقادم جليلة(٩٩) ، ولما كان برقوق سنة ٨٠٠هـ / ١٣٩٧ م فى السرحة ، جاء له تغرى بردى نائب حلب بتقدمة تضمنت : ١٣٠ فرساً، ٧٠ جملا ، ١٠٠ حمل قماش(١٠٠) ، وحين توجه قايتباى إلى الفيوم فى سنة ٨٧٥هـ — ١٤٧٠م ، زينت له ودخل عليه جملة تقادم من الكاشف ومشايخ العربان(١٠١) ، وقصد إلى الشام سنة ٨٨٠هـ / ١٤٧٥م وفى طريقه مر بمدينة القرين (بالشرقية) حيث أمر ببناء مسجد وسبيل فقدمت إليه التقادم من الأعيان(١٠٢) ، وفى رحلته التى بدأت فى سنة ٨٨٢هـ — ١٤٧٧ م بالشام مر بصفد حيث أحضر له نائبها الأمير بردبك الميرة وما يتعين عليه ، ونزل فى عودته فى مخيم أزبك وأكل سماطه(١٠٣) .

كذلك فى مناسبات ختان أبناء السلاطين ، جرت العادة أن يحضر الأمراء والخواص بتقادم وهدايا للسلطان ، فمثلا حين احتفل قايتباى بختان ابنه محمد فى سنة ٨٩٥هـ ــ ١٤٨٩م وكان عمره ٧ سنوات وأشهر ، يقال إنه دخل على السلطان تقادم من مال وخيول وسكر وقماش وأغنام وأبقار ما يزيد على ٥٠ ألف دينار ، ومن جملة الهدايا ما أهداه الشهابى أحمد بن العينى ، وهو طشت وإبريق ذهب زنته ٦٠٠ مثقال ، برسم الختان[١٠٤] .

هذه هى أهم الالتزامات المفروضة على المقطعين ، أما الحقوق التى يتمتعون بها نظير تأديتهم لتلك الالتزامات فمنها ما هو أدبى ومنها ما هو مادى ، ويشمل الجانب الأدبى فيها : الألقاب التى يدعى بها المقطع والنعوت التى تخلع عليه ، وتنسب إلى الجهاد الدينى لاشتعال الحماس الدينى وقتئذ كسيف الدين وعز الدين وعلاء الدين وحسام الدين وبهاء الدين وعلى الدين وناصر الدين وركن الدين وهكذا[١٠٥] ، ويرجح أن العلة فى غلبة هذه الألقاب على أمراء ذلك العصر ، أن هذه الألقاب تنسب إلى الجهاد الدينى الذى ساد فى تلك الفترة ، وأهمية هذا الجهاد ضد الصليبيين بصفة خاصة ، ويدل على أهمية الجهاد كتابة مناشير إقطاعية كنماذج صالحة لمن لقبه سيف الدين ، أو صلاح الدين .

كذلك يتمتع الأمير بصيغ خاصة وأسلوب معين فى المكاتبات تعظيماً واحتراماً ، وتتدرج هذه الصيغ بحسب مراتبهم ، وأرفع الأساليب ما افتتحت المكاتبة للأمير بلقب « المقر » ويضاف إليه أحياناً الأشرف أو الشريف العالى أو الكريم ، فيقال : المقر الأشرف ، المقر الشريف العالى ، المقر الكريم العالى ، المقر العالى .

ويختص هذا اللقب بكبار الأمراء وأعيان الوزراء وكتاب السر ومن فى مستواهم كناظر الخاص وناظر الجيش وناظر الدولة وكتاب الدست ، أى أنه يمنح لرجال السيف ورجال القلم ، بل قد يكتب هذا اللقب فى عهود السلاطين عند توليتهم كما جاء فى العهد المكتتب بالسلطنة للمنصور قلاوون[١٠٦]

ومن كبار الأمراء الذين كوتبوا بهذا اللقب : تنكز نائب الشام فى عهد الناصر محمد ، فقد جاء فى تقليده بالتفويض فى أمور الشام سنة ٧٣٩ هـ — ١٣٠٨م ، أن أمر السلطان جميع نواب الشام أن يكاتبوا تنكز بهذه الصيغة « أعز الله أنصار المقر الشريف » ، وذلك بعد أن كانت المكاتبة سابقاً « أعز الله أنصار الجناب »(١٠٧) ، ويلى رتبة « المقر » رتبة « الجناب » ويكتب لأرباب السيوف والأقلام ويقال فيه « الجناب الشريف العالى أو الجناب الكريم العالى أو الجناب العالى »(١٠٨) .

وقد ورد هذا اللقب فى منشور قلاوون بإقطاع ابنه الناصر محمد : « . . . اقتضى حسن البر الوصول . . أن خرج الأمر العالى . . أن يجرى فى ديوان الجناب العالى المولوى الناصرى . . . »(١٠٩) ، ثم رتبة « المجلس » والمعروف أن هذا اللقب كان مقصوراً فى عصر الأيوبيين على الملوك ومن فى مستواهم ، ولكنه صار أدنى الرتب فى عصر المماليك ويقال فيه « المجلس العالى أو المجلس السامى »(١١٠) ، وورد هذا اللقب فى مناشير أمراء الغرب التنوخيين التى صدرت إليهم بعد روك الشام فى سنة ٧١٣ هـ — ١٣١٣م مثل « المجلس السامى الأمير ناصر الدين الحسين بن سعد الدين أمير الغرب»(١١١) ثم « مجلس » وهى أدنى الرتب من غير تعريف ، ويلقب بها كثير من الفئات الحربية وغير الحربية(١١٢) مثل « مجلس الأمير عز الدين حسين بن مشرف الدين على » ، « مجلس الأمير سيف الدين مفرج بن بدر الدين يوسف بن زين الدين صالح »(١١٣) .

ومن علامات التشريف الرمزية لكل صاحب إمرة : البوق والعلم ، سواء فى ذلك أكان الأمير من العربان أم من غيرهم من رجال الجيش(١١٤) وقد يرى ولى الأمر المبالغة فى تكريم أحد أتباعه ، فيمنحه على سبيل الاستثناء شارة تشبه شارة السلطنة نفسها وهذه هى « السنجق والعصائب » التى تحمل على رأس السلطان فى المواكب ويختص بها السلاطين ولا يسوغ لأحد غير السلطان حملها ولكن الناصر « تصدق » بها على أبى الفداء نائب حماة فى سنة ٧١٣ هـ — ١٣١٧ م(١١٥) .

كذلك لكل أمير عدد معين من الطبول يدق على بابه ، ويختلف هذا العدد بحسب مرتبة الأمير ، ولما كان السلطان رأس المدرج فى النظام الإقطاعى المملوكى ، كان عدد الطبول التى تدق على بابه أكثرها ، ويقدر هذا العدد بأربعين حملا طبلخاناه وأربعة طبول دهول[116] وأربعة زمور وعشرين نفيراً[117] ويلى السلطان الأمراء مقدمو الألوف ، وهؤلاء من حقهم أن يدق على باب الواحد منهم ٨ أحمال طبلخاناه ، طبلان دهل ، زمران ، أربعة أنفرة ، على أنه قد لا يتوفر هذا العدد بكامله فيقل إلى ما دونه ، مثال الأمير سيف الدين بهادر المنصورى المتوفى فى سنة ٧٣٠ هـ — ١٣٢٩م ، وهو أحد الألوف بدمشق أيام الناصر ، كان يدق على بابه ثلاثة طبلخاناه[118] ، وإذا كان مقدم الألف أتابكا للعساكر ضوعف العدد الأصلى[119] .

أما أمراء الطبلخاناه فيدق على باب أحدهم ثلاثة أحمال طبلخاناه ونفيران وقد قل هذا العدد الأخير فصار طبلين وزمرين[120] ، ويلاحظ أن هذه عادة فى دق الطبول على أبواب الأمراء قد بطلت منذ دخول سليم الأول مصر[121] .

ومن حق الأمراء أن يتولوا وظائف معينة بحسب مراتبهم فى الإمرة ، علماً بأن هناك من الوظائف ما لا يشترط فى شاغلها إمرة معينة بل يليها صاحب إمرة أو من هو بغير إمرة على السواء[122] ، كما أن هناك من الوظائف ما هو لغير أصحاب الإمرة ، منها : عشرون حاجباً وأمير طبر[123] وأمير علم وكاشف الطير .

ومن الحقوق المادية التى ينالها المقطع غير التمتع بغلة إقطاعه ما عرف باسم « الإطلاقات » ، وهى التى يحوزها من ولى الأمر ، وهناك المنح والمخصصات التى تعطى له بحكم العرف والعادة فى المناسبات المختلفة ، وتشمل هذه المنح : الخلع والملابس والخيول والعقارات ، فضلا عن المال والطعام ، ومن السلاطين من احتجز لنفسه ضمن خاصة من الإقطاعات « قيراطاً » زيادة عن نصيبه ، لهذه الإطلاقات ونحوها ، وجرت العادة بأن يكون منح

الخلع تارة فى ابتداء سلطنة ولى الأمر ، وفى هذه الحالة تشمل سائر الجند وأرباب القلم ، وتارة فى المناسبات الطارئة كالتهنئة برأس السنة الهجرية ، وفى الأعياد وشهر رمضان وفى الحفلات المختلفة وعند اللعب والصيد وعند دوران المحمل .

فمن حيث الخلع[١٢٤] نجد خلع أرباب السيوف من أكابر المئين ، وتتكون من الأطلس الأحمر الرومى وتحته الأطلس الأصفر الرومى وعلى الفوقانى طرز زركش ذهب وتحته سنجاب وله سجف من ظاهره وكلوته زركش ذهب وكلاليب ذهب وشاش لانسى رفيع موصول به فى طرفيه حرير أبيض مرقوم بألقاب السلطان مع نقوش باهرة من الحرير الملون أو حوائص ذهب تختلف بحسب رتب الأمراء[١٢٥] . فحوائص كبار الأمراء قيمتها ٣٠٠٠ دينار ، وحوائص الطبلخاناه ٣٠٠ دينار ولمقدمى الحلقة حوائص مابين ١٥٠–١٧٠ دينارا ، أما حوائص الجندفقيمتها ٤٠٠ درهم[١٢٦] .

فمثلا عرض السلطان فرج فى سنة ٨٠٤ هـ (١٤٠١ م) المماليك السلطانية ثم فرق عليهم خيولا ولبوساً[١٢٧] ، ووزع السلطان جقمق فى سنة ٨٥٧هـ = ١٤٥٣ م خلعاً على مشايخ العربان باستمرارهم على ما كانوا عليه ، منهم عيسى ابن عمر الهوارى أمير عربان الوجه القبلى[١٢٨] ، وأرسل قايتباى فى سنة ٨٧٦هـ–١٤٧١م لنواب الشام كوامل للشتاء وعدة خلع للأمير يشبك الدوادار برسم من يرد عليه من التركمان كما أرسل نحو ٤٠ ألف دينار برسم توسعة على العسكر[١٢٩] . ويختص أمراء الشام بصفة خاصة بأكثر من قباء واحد للشتاء إلا من توجه إلى السلطان فى أمر ما ، فإنه ينعم عليه بما يقتضيه الحال[١٣٠] .

أما الطعام فهو مقرر لجميع الأمراء بحكم العادة على اختلاف مراتبهم : الرواتب الجارية فى كل يوم من اللحم وتوابله ، والخبز والشعير لعليق الخيل[١٣١] والزيت ، ولبعضهم الشمع والسكر وكذلك لجميع مماليك السلطان وذوى الوظائف من الجند[١٣٢] ، وتقدر الطيور المطبوخة والتى توزع على الأمراء

كل يوم بنحو ٧٠٠ طائر ، وتقدم فى أوان خاصة تسمى « مخافى » وهو طبق واسع كبير العمق يشبه ما كان يعرف فى العصور الوسطى باسم « طيفور » Plat-Creux . ويلاحظ أن المشرف على هذه الإنعامات من المواد الغذائية ديوان يعرف باسم « ديوان الدولة »[١٣٣] كما يختص مباشر الأهراء (مخازن الحبوب) ضمن أعماله ، بضبط ما يصرف لصاحب جراية أو صلة أو إنعام[١٣٤] .

ويوضح الجدولان الآتيان (ا،ب) رتبة الإمرة والوظيفة التى تؤهل لها هذه الإمرة واختصاص الوظائف .

جدول (١)

الوظائف التى تؤهل لها رتب الإمرات العسكرية

الرقم	رتبة الإمرة	الوظائف التى يتأهل لها صاحبها
١	مقدمو الألوف	أمير كبير — أمير سلاح — أمير مجلس — أمير دوادار كبير — أمير آخور كبير — أمير رأس نوبة النواب — أمير حاجب الحجاب — أمير خازندار كبير — أمير الحاج الشريف(١٣٥) . ومن أمثلة أصحاب هذه الوظائف فى عهد قايتباى سنة ٨٩١ هـ (١٤٨٦ م) : الأمير أزبك بن ططخ أمير كبير ، الأمير تمراز الشمسى أمير سلاح ، أقبردى بن على باى أمير دوادار كبير ، قانصوه بن طراباى المعروف بخمسمائة أمير آخور كبير . تغرى بردى ططر حاجب الحجاب. إمرية مجلس شاغرة لنقل صاحبها أزدمر قريب السلطان إلى نيابة حلب ، ويلاحظ أن أزدمر كان فى إمرية المجلس من غير إقطاع ولكن براتب قدره ١٥٠٠ دينار فى الشهر مرتبة على الذخيرة ، وكان بها قبل أزدمر لاجين الظاهرى الذى استعفى منهـا قرا المحمدى الظاهرى رأس نوبة النواب(١٣٦) : والملاحظ كذلك أن هناك من مقدمى الألوف

الرقم	رتبة الإمرة	الوظائف التى يتأهل لها صاحبها
		من هم من غير وظائف مثل أزبك اليوسفى المعروف بالخازندار وتانى بك الحمالى وتانى بك الإينالى وأزدمر تمساح ويشبك الحمالى
٢	أمراء الطبلخاناه	شاد الشرانجاناه ـ خازندار الثانى ـ الدوادار الثانى ـ أمير آخور الثانى رأس نوبة الثانى ـ الحاجب الثانى ـ نائب القلعة المنصورة ـ الزردكاش ـ أمير شكار وأمير جاندار(١٣٧) . ومن أمثلة أصحاب هذه الوظائف فى عهد برقوق الأمير جمال الدين المعروف بابن الحاجب كان أمير شكار فى سنة ٦٨٧ هـ ١٣٦٦ م(١٣٨) .
٣	العشرينات والعشرات	الدوادار الثالث وأمير آخور الثالث ورأس نوبة الثالث والحاجب الثالث ـ استادار الصحبة وسبعة حجاب وعشرة رءوس نوب(١٣٩) ، وقد ينتقل أمير عشرة ورأس نوبة إلى ولاية القاهرة التى يصح أن يشغلها من هو بإمرة ومن هو بغير إمرة مثل الأمير جانع بك اليشبكى أمير عشرة ورأس نوبة ولاة جقمق فى سنة ٨٥٠ هـ ـ ١٤٤٦م ولاية القاهرة (١٤٠) . كما قد يتولى أمير عشرة نظر مكة . مثل الأمير سودون عبد الله وهو نائب قلعة دمشق . خلع عليه جقمق بإمرة عشرة وولاه نظر مكة(١٤١) .

جـــدول (ب)

اختصاص أصحاب هـــذه الوظائف

اسم الوظيفة	اختصاصهـــا
أمير كبير	هو أتابك العساكر وأول من لقب به فى عصر المماليك الأمير شيخو فى عهد السلطان حسن .
أمير مجلس	من يتولى أمر مجلس السلطان أو الأمير فى الترتيب ويرى القلقشندى أن الأفضل أنّ يقال أمير المجلس .
أمير دوادار	الدوادار ماسك الدواة وأول من أحدثها السلاجقة كان يليها أمير عشرة أيام بيبرس ثم صار يعينه فيها من الطبلخاناه والألوف وهى درجات ، ومهمته تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغ عامة الأمور .
أمير آخور كبير	كبير المشرفين على إصطبل السلطان أو الأمير ، وآخور كلمة فارسية معناها المعلف .
أمير رأس نوبة	كبير المشرفين على مماليك السلطان أو الأمير ، وتنفيذ أمره فيهم ، والنوبة هى المرة بعد الأخرى والمقصود بها تنظيم الحراسة .
أمير حاجب	كبير الحجاب وهو من يبلغ أخبار الرعية للسلطان وهى وظيفة قديمة عرفت فى عصر الفاطميين باسم « صاحب الباب » وكان فى عصر المماليك يقف بين يدى السلطان فى المواكب .
أمير خازندار	كبير المشرفين على الخزانة وتطورت رتبة الحاجب فى عصر المماليك حتى صارت من الوظائف الكبرى الهامة .

اسم الوظيفة	اختصاصاتها
أمير الحجاج	يتولى رئاسة بعثة الحج والمحمل .
أمير سلاح	كان يطلق حتى أيام برقوق على من يحمل سلاح السلطان ويناوله إياه فى الحرب وفى عيد النحر ، وهو المتولى أمر الأسلحة السلطانية عامة ؛
شاد الشرابخاناه	المشرف على مخزن الأشربة من السكر والحلوى والعقاقير والفواكه ولهذا المخزن مهتار وعدة شربدارية وهم القائمون بالعمل فيه .
أمير شكار	المتحدث على جوارح الطير وسائر أمور الصيد ، وشكار كلمة فارسية بمعنى الصيد ، وللطيور ديوان يسمى الشكارخاناه، ولها جماعة الحوندارية وهم خدام طيور ونحوها ويحملونها إلى موضع تعليمها ، وأصله من كلمة « حيوان دار » وأطلق الحيوان فى عرفهم على هذا النوع من الطير .
أمير جاندار	الذى يستأذن للأمراء وغيرهم فى أيام المواكب عند الجلوس بدار العدل ، وجان كلمة فارسية وتركية معناها الروح فيكون معناها الأمير الممسك للروح وربما المراد أنه الحافظ للسلطان فلا يأذن عليه إلا لمن يأمن عاقبته (١٤١).
أستادار الصحبة	الأستادار من يتولى قبض مال السلطان أو الأمير وصرفه ويمتثل لأوامره ولعل استادار الصحبة هو الملازم للسلطان فى رحلاته ومتول أمر ماينفقه خلال الرحلة(١٤٢) ؛

وفى شهر رمضان ، لكل أمير من خواص السلطان مرتب من السكر والحلاوى ولسائرهم الأضحية فى عيد الأضحى(١٤٣) ، وإذا رزق أحد الأمراء بولد ، جرت العادة بأن يطلق له السلطان دنانير وخبزاً ولحماً وعليقاً ، حتى يتأهل للإقطاع فى جملة الحلقة(١٤٤).

ومن حيث العقارات ، نجد أنها مقصورة على الخواص دون العموم ، ومن هذه العقارات ما أنفق عليه نحو المائة ألف دينار ، وكثرت هذه المنح بصفة خاصة فى عهد الناصر محمد ، فحدث مثلا ، أن أمر الناصر فى سنة٧٣٨هـ ـ ١٣٣٧م ببناء قصرين وإصطبلين قريباً من الرميلة تحت القلعة ، وأقام الأمير أقبغا عبدالواحد أستادارا أومشرفاً لعمارة القصرين والإصطبلين ، ثم أهداهما لمملوكيه : يلبغا اليحياوى والطنبغا الماردينى(١٤٥) .

وفى الحفلات المختلفة التى يقيمها ولى الأمر كحفلات الختان لأبنائه ، يوزع على الأمراء هدايا ، قد تكون مالية ؛ ففى ختان السلطان خليل لأخيه الناصر محمد سنة٦٩٢هـ ـ ١٢٩٢م ، عمل مهما عظيماً ومنح الأمراء مقادير من المال كلا بحسب مرتبته ، فأخذ أمير المائة مائة دينار ذهب ، وأمير الخمسين خمسين والأربعين أربعين ، « كل واحد على مقداره »(١٤٦) .

أما منح الخيول وهى من أهم المنح فى دولة حربية إقطاعية ، فقد جرت عادة ولاة الأمر فى عصر المماليك بمنحها فى السنة مرتين : إحداهما عند خروج السلطان إلى مرابط خيوله فى أواخر ربيعها ، فى هذه المناسبة قد تصل المنحة إلى مائة فرس فى كل سنة فينعم على أمراء المئين ، بخيول مسرجة وملجمة وعلى من عداهم بخيول عرى ، كأمراء الطبلخاناه ، أما العشرات فليس لهم « حظ إلا ما ينقدهم على سبيل الإنعام » ومن مات له فرس من مماليكه أعطاه عوضه وذلك بعد إحضار جزء من لحمه وشهادة بأنه نفق(١٤٧) ولهذا التعويض نظير فى مملكة بيت المقدس الصليبية عرف باسم Restor منحه الملوك لأتباعهم حتى لا تفتر عزائمهم وهو من المظاهر الهامة فى نظام الخدمة الحربية الصليبية(١٤٨) .

والمرة الأخرى عند خروجه للصيد أو عند لعبه الكرة فى الميدان ، فقد

يوزع السلطان على بعض الأمراء المقدمين، فضلا عن الخيول ، حوائص من ذهب ، لكن توزيع هذه الحوائص يرتب على أساس أميرين فى كل موكب ميدان ، حتى يأتى على آخرهم فى ثلاث أو أربع سنين(١٤٩) .

كذلك لخيول الأمراء فى كل سنة إطلاقات أراض بالأعمال الجيزية لزرع القرط ، وهو البرسيم ، لخيولهم من غير خراج ، كما أنه للمماليك السلطانية البرسيم المزروع على قدر مراتبهم ، أو ما يدفع لهم من القرط بدلا من عليق الشعير المرتب لهم فى غير زمن الربيع عوضاً عن كل عليقة نصف فدان من القرط القائم على أصله فى مدة ثلاثة أشهر(١٥٠) ، وتنظم هذه الإطلاقات من العليق فى قوائم تعرف باسم : سياقة العلوفات »(١٥١) .

أما نفقة البيعة ، ويعتبرها الأمراء حقاً لهم بحكم العادة ، فقد جرت عادة السلاطين عند ولايتهم للسلطنة أن ينفقوا أموالا فى سائر العسكر والأمراء حتى إذا حاول أحدهم الخروج على هذا التقليد رفض الجند وثاروا فى وجهه .

فمثلا لما تسلطن برقوق فى سنة ٧٨٤هـ – ١٣٨٣م ، أنفق على الأمراء والجند نفقة السلطنة فاستقامت أموره(١٥٢) ، وكذلك فعل السلطان إينال فى سنة ٨٥٧هـ – ١٤٥٣م ، حيث ابتدأ بتفرقة نفقة البيعة على الجند وميز بعضهم على بعض بحيث تفاوتت المقادير الممنوحة لهم بين ١٠٠ و ٥٠ و ٢٥ ديناراً إلى عشرة دنانير ، ولذلك يعتبر أول من « شح فى نفقة البيعة » على حد تعبير ابن إياس(١٥٣) ، كذلك لما تسلطن ابنه أحمد فى سنة ٨٦٥هـ – ١٤٦٠م نادى فى الحوش للعسكر بأن نفقة البيعة يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الأولى ، لكل مملوك ٢٠ ديناراً ، فسر الجند بذلك ، ولكل أمير من الكبار : الأتابكى خشقدم ٤٠٠٠ دينار وأرباب الوظائف الأمراء والمقدمين لكل واحد منهم ٢٥٠٠ دينار وبقية المقدمين كل واحد ٢٠٠٠ دينار ولكل أمير طبلخاناه ٥٠٠ دينار وللعشرات كل واحد ٢٠٠ دينار ، ثم أنفق على الجند على العادة القديمة من ١٠٠ إلى ما دونها حتى ١٠ دنانير(١٥٤) .

ولما حاول قايتباى إلغاء نفقة البيعة ، رفض الجند ، إذ أنه اشترط عند

ولايته السلطنة فى سنة٨٧٢ هـ — ١٤٦٧م ألا ينفق على العسكر نفقة البيعة فرفضوا لأنه شرط غريب لم يألفوه سابقاً ، وأصر قايتباى ، واعتقل الكثير من المتذمرين . وأنفق محمد بن قايتباى نفقة البيعة على جنده فى السنة التالية لسلطنته وهى سنة ٩٠٢هـ — ١٤٩٦ م[١٥٥] وهكذا .

وهناك نفقة أخرى تعرف باسم « نفقة التجريدة » ربما أشبهت ما يعرف فى عصرنا الحاضر باسم « بدل ميدان أو مرتب ميدان » ، وهذه ينفقها السلطان على « المجردين فى المهمات الحربية » ، زيادة عما بأيديهم من إقطاعات وعرف شبيهها كذلك فى مملكة بيت المقدس الصليبية ، وتمنح مقدماً ، كما هو الشأن عند المماليك .

ومن الأمثلة على ذلك ماأنفقه الناصر محمد سنة٦٩٩هـ —١٢٩٩م فى جنده قبيل خروجه لحرب التتر إذ جعل أجناد الحلقة ثلاث طبقات ، نصيب الفرد من الطبقة الأولى ٨٠ ديناراً ومن الطبقة الثانية ٧٥ ديناراً ومن الأخيرة ٦٥ ديناراً،ووزع على أجناد الشام لكل جندى١٥ إردباً من كل من القمح والشعير والفول ،وعلى أجناد الأمراء لكل واحد ٥٠ ديناراً ، وظلت هذه قاعدته التى سار عليها عند خروجه فى كل تجريدة[١٥٦] . ولما غضب على نائبه تنكز سنة ٧٤٠هـ — ١٣٣٩م وأعد حملة لمحاربته ، أنفق على كل مقدم ألف دينار وعلى أمير الطبلخاناه ٤٠٠ دينار ومقدم الحلقة ألف درهم ، وكل مملوك من المماليك السلطانية ٥٠٠ درهم وفرساً وفرقلا وخوذة[١٥٧] .

وامتنع جند برقوق عن استلام نفقة التجريدة حين استعد لحرب تيمورلنك سنة ٧٩٦هـ — ١٣٩٣م لقلتها ، فقد أعطاهم دون المائة دينار ، واضطر هو لتوزيعها بنفسه عليهم ، فأخذوها كارهين[١٥٨] ، وبلغت نفقة قايتباى على حملته ضد العثمانيين فى سنة ٨٩٥هـ = ١٤٨٩م نحو ٥٠٠ ألف دينار[١٥٩] ويقال إن نفقات الدولة بلغت فى عهده مما صرفه على التجريدات الحربية وثمن المماليك والخيول والسلاح نحو ٣٫٧٧٠٫٠٠٠ دينار خارجاً

عما أنفقه بيده وعما تصرفه دواوينه يومياً وشهرياً من ثمن اللحم والدقيق والحوامك(١٦٠) .

ومن الحقوق السلبية إعفاء بعض الأمراء من بعض الالتزامات كالتقدمة سواء فيها السنوية العادية أم الطارئة لسبب ما ، كجدب الأرض وقلة المحصول أو لمجرد عفو السلطان والتخفيف عن تابعه أو مكافأة له على عمل أجاده ، فمثلا حين أجدبت أرض الشام فى سنة ٧٢٢هـ — ١٣٢٢م وانحبس المطر ، رسم الناصر لأبى الفداء ألا يرسل قوده على العادة ، عطفاً عليه ، ومع ذلك أرسل أبو الفداء عدة خيول ، فرد عليه السلطان بتشريف ومقدار من المال ومقدار من الحنطة يقدر بألف مكوك(١٦١) ، ولما قبض الأمير أرغون النائب بحلب ، على صاحب دلغادر الثائر على السلطان ، أرسل له السلطان صالح ليحمله إلى مصر وأنعم عليه بخمسمائة ألف درهم ، كما أعفاه من تسيير القود الذى جرت عليه عادة نواب حلب بحمله إلى السلطان من الخيل والجمال والبخاتى والهجن والبغال والقماش والجوارى والمماليك وقيمة ذلك ٥٠٠ر٠٠٠ درهم(١٦٢) ، ويدلنا هذا التثمين الأخير للقود الخاص بحلب أن التقادم كانت محددة بقدر معلوم من المال بحسب مرتبة الأمير ونيابته ، وأن هذا القدر هو الحد الأدنى لما ينبغى على الأمير تقديمه ، كذلك وقع الإعفاء من تقادم وهدايا المناسبات كما فعل بيبرس فى سنة ٦٦٢هـ — ١٢٦٣م بمناسبة ختان ابنه السعيد ؛ فقد أمر بمنع التقدمة التى كان يقدمها الأمراء والخواص « التى جرت العادة بها للملوك فى مثل هذا المهم . فلم يقدم أحد منهم شيئاً(١٦٣) » .

بل ربما سامح السلطان بعض المقطعين بما عليهم من أموال مثل «المسموح» الذى ناله الأمير بكتاش الفخرى سنة ٧٠٥هـ — ١٣٠٥م(١٦٤) من السلطان الناصر محمد بعد أن كبرت سنه ونيفت على الثمانين ، فخشى أستاداره وهو المشرف على إقطاعه ، أن يطالبه السلطان بعد موت بكتاش بما عليه من ديون للدولة من « تقاوى سلطانية وتفاوت الإقطاعات » فى مدة إمرته ، وأوعز إلى ابن الأمير المقطع بأنه إن لم يسأل السلطات فى ذلك ، سوف لا يبقى

لهم « موجود » بعد وفاة أبيه ، واتفقا معاً على أن يتنازل أبوه عن الإقطاع لعجزه دون أخذ رأيه ، وتم الأمر بموافقة السلطان على ذلك وأعطاه « مسموحاً » بما عليه من ديون[١٦٥]، وحدث كذلك في الروك الناصري سنة ٨١٥هـ — ١٣١٥م؛ إذ سامح الناصر « بالبواقي الديوانية والإقطاعية »، من سائر النواحي إلى آخر شعبان سنة ٧١٤هـ — ١٣١٤م ورسم في سنة ٧٣٨ هـ — ١٣٣٧م بمسامحة ضمان دمشق بما عليهم من البواقي للديوان ومبلغه ٢٨٠ ألف درهم ، وهذه هي « المسامحات »[١٦٦] .

(١) صبح الأعشى ج١٣ ص٣١٩ .

(٢) المصدر السابق ص٣٢٠ .

(٣) السلوك ج١ ص٤٩١ – ٤٩٢ .

(٤) التعريف ص١٥٧ – ١٦٠ ، صبح الأعشى ج١٣ ص٣٠٧ .

(٥) تكتب صيغة القسم فى القطع الصغير أوقطع العادة من الورق ، وعرضه سدس ذراع (التعريف ص ٣٠٧ – ٣١٨ ، ٣٢٠ ، صبح الأعشى ج١٣ ص ٣١١ ، انظر نسخة اليمين بالملاحق) .

(٦) انظر أصحاب الوظائف من المقطعين فيما يلى .

(٧) صبح الأعشى ج١٣ ص٣١٠ .

(٨) التعريف ص١٥٠ ، صبح الأعشى ج١٣ ص٣١٠ .

(٩) هناك زيادات كثيرة أخرى لغير هؤلاء (التعريف ص١٤٨ – ١٥٠ صبح الأعشى ج١٣ ص١٠٩ ، ١١٠ ، ٣٠٨ – ٣٠٩ ، انظر الملاحق) .

(١٠) النجوم الزاهرة ج٧ ص٢٨٧ .

(١١) السلوك ج١ ص٨٠٢ .

(١٢) النجوم الزاهرة ج١٠ ص٣ .

(١٣) أنباء الغمر ج١ ص٤٦٥ .

(١٤) لما تولى خايربك نيابة مصر عن السلطان سليم فى سنة ٩٢٤هـ – ١٥١٨م ، أحضر مصحفا شريفا وحلف الأمراء العثمانيين بمصر بألا يخونوا ولا يغدروا ، كما حلف من خدم العثمانيين من المماليك كالأمير قايتباى الدوادار . (بدائع الزهور ج٣ ص١٦٠) .

(١٥) التعريف ص٨٤ و٩٢ – ٩٣ ، انظر الملاحق .

(١٦) المصدر السابق ص٩٨ – ٩٩ ، انظر الملاحق .

(١٧) المصدر السابق ص٩٩ – ١٠٠ ، انظر الملاحق .

(١٨) المصدر السابق ص١٠٩ ، ١١٠ ، انظر الملاحق .

(١٩) المصدر السابق ص١١١ – ١١٢ ، ملاحق .

(٢٠) هناك وصايا أخرى للأستادار المشرف على بيوت السلطان ، ولأتابك المجاهدين ، وهو رئيس طائفة الإسماعيلية وغيرهما ، وكذا لجميع الطوائف من أصحاب الحرف . (التعريف ص٩٦ – ٩٨ و١٢٤ ، انظر الملاحق وفصل المجتمع) .

(٢١) تاريخ أبي الفداء جـ٤ ص٧٣ .

(٢٢) النجوم الزاهرة جـ١٠ ص٣١٢ – ٣١٣ .

(٢٣) بدائع الزهور جـ١ ص٢٩٢ ، مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ص١٥ – ٢١

(٢٤) بدائع الزهور جـ٢ ص٣٠٦ ٣٣١ .

(٢٥) المصدر السابق ص٣٤٦ .

(٢٦) المصدر السابق ٣٨٠ .

(٢٧) فينو جرادوف وكوبلاند (ترجمة زيادة) ص ٦٤ ، Ganshoff, pp. 65 - 69, 111 - 112, Stephenson, pp. /18-22

(٢٨) Dutaillis, p. 62

(٢٩) كوبلاند وفينو جرادوف – ترجمة زيادة – ص ٦٤ – ٦٥

(٣٠) خطط جـ٢ ص١٥٣ – ١٥٤ ، دولة آل سلجوق ص٥٥ ، راجع الفصل الأول .

(٣١) التعريف ص٨٥ .

(٣٢) حدد الإقطاع الغربي من الوجهة النظرية على الأقل مدة ٤٠ يوما للخدمة الحربية الواجبة على الأتباع ، لكن هذه المدة كانت الحد الأدنى ، ووجد كثير من الشواذ ، كما اختلفت المدة فى كثير من جهات أوربا الإقطاعية ، فمثلا كانت الخدمة فى مقاطعات أنجو ونورمانديا بفرنسا لمدة أربعين يوما على حساب التابع وما زاد عن ذلك على حساب السيد ، وامتدت الخدمة الحربية فى صقلية النورمانية الإقطاعية إلى سنة ، وفى بعض الولايات الألمانية قدرت بستة أسابيع يستطيع التابع بعدها أن يعود إلى محل إقامته ليستريح مدة أربعين يوما ، وفى البعض الآخر لم تحدد بوقت معلوم ، كما هو الشأن فى إقطاع أسقف لييج « Liege » وكذلك كان الشأن فى إنجلترا الإقطاعية النورمانية . (La Monte, pp. 141 - 143, Ganshoff pp. 78 - 79

Stenton, pp. 12 - 13 , Ba rker, p 48, Stephenson, pp, 236 - 238.

(٣٣) درة الأسلاك جـ١ ورقة ٣٥ .

(٣٤) السلوك جـ١ ص٨٣٧ – ٨٣٩ وحاشية ٢ .

(٣٥) الجوهر الثمين جـ٢ ورقة ١٨٥ ، نزهة الأنام ورقة ١١ .

(٣٦) السلوك مخطوط جـ ٣ ص٦٢٤ .

(٣٧) تاريخ ابن الفرات جـ ٢ ص٣٦٢ – ٣٦٤ ، بدائع الزهور جـ١ ص٣٠١ - ٣٠٢ .

(٣٨) بدائع الزهور جـ ١ ص ٣٢٩ و ٣٣١ .

(٣٩) من أمثلة العشير المقرر على العربان فى العصر الأيوبي ، ما كان مقرراً على عربان الفيوم وقدره ٤٠٠ فارس ، النصف على عرب بنى عجلان والنصف الآخر على عرب بنى سمالوس ، ومفردات هذا العدد مفصلة بالنسبة للقبائل المنضوية تحت لواء الطائفتين الكبيرتين (تاريخ الفيوم ص ١٧٧ – ١٧٨) .

(٤٠) بدائع الزهور جـ ٢ ص١٠٨ ، ١٢٤ ، جـ٣ ص١٥ و ٩٠ .

(٤١) انظر فصل المجتمع .

(٤٢) السلوك١ ص٥٢٨ .

(٤٣) السلوك جـ ٢ ص١٩١ – ١٩٢ .

(٤٤) بدائع الزهور جـ ٢ ص ٢٣٠ .

(٤٥) عمل السلطان قايتباى فى سنة ٨٧٤هـ – ١٤٦٩م ، على إعادة ما أخذه من المال عوضاً عن الأبدال ، ونودى من قبله بأن من دفع مالا فليصعد إلى القلعة ليأخذه . ولكنه رد إليهم نصف ما أخذه منهم ، وهناك أمثلة كثيرة عن الأبدال والعوض المادى . (بدائع الزهور جـ١ ص٣٣١ و جـ٢ ص٩٣ ، ١١٦ ، ٢٣٠ ، السلوك مخطوط جـ٣ ص ٣٧٢) .

(٤٦) الأمثلة كثيرة على الاختبار وقطع الجامكية و «كسر الخاطر» ، للفاشلين ونزولهم من القلعة « وهم فى غاية الفكر » على قول ابن إياس (بدائع الزهور جـ٢ ص١٠١ ، ٢٣٠ ، ٢٥٨) .

(٤٧) بدائع الزهور جـ ٢ ص٢٥٨ جـ٣ ص ٨٥ .

(٤٨) Ganshoff, pp. 82-83

(٤٩) La Monte, p. 266

(٥٠) النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ١٣٨ – ١٣٩ .

(٥١) عيون التواريخ ص ٢٢٠ .

(٥٢) السلوك جـ ٢ ص ١٩٤ .

(٥٣) أخبار الأعيان ص ٣٤٦ .

(٥٤) أخبار الأعيان ص ٢٣٧ – ٢٤٣ و ٣٤٦ .

(٥٥) السلوك جـ ٢ ص٤٣٠ – ٤٣١ وحاشية – ٥ .

(٥٦) السلوك جـ ١ ص ٤٦٤ – ٤٦٥ .

(٥٧) تاريخ بيروت ص ٤٣ ، ٧٩ – ٨٠ ، ٩٠ وما بعدها ، أخبار الأعيان ص٢٢٣ – ٢٣٨ .

(٥٨) نهاية الأرب جـ ٨ ص٢٠٠ – ٢٠١ .

(٥٩) يقوم بخدمة البريد داخل مصر خيول العرب وخيول السلطان على ألا تتعدى خيول السلطان مدينة بلبيس .

(٦٠) التعريف ص ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٦ .

(٦١) السلوك جـ ١ ص ٤٨١ .

(٦٢) كان عيسى هذا أحد خدام الناصر محمد وهو بالكرك ، فلما عاد إلى السلطنة سلمه الهجن ، وربما جاءت تسميته بالهجان نسبة إلى هذا العمل الذى وكل إليه به ، فعظمت مرتبته وكثرت أمواله ، وقبض عليه الناصر حسن سنة ٧٥٤هـ - ١٣٥٣م (النجوم الزاهرة جـ١٠ ص١٥٧) .

(٦٣) يقسم القلقشندى الأموال الديوانية إلى قسمين كبيرين : أموال شرعية وتشمل خراج الأراضى والمعادن والزكاة والجوالى والمواريث الحشرية ، وغير شرعية وتشمل المكوس، سواء ما كان تابعاً منها للسلطان أو مفرقاً فى الإقطاعات ، وإذا جبيت الأموال مسانهة ، عرفت بالخراجى أو المال الخراجى ، وإذا جبيت مشاهرة عرفت بالهلالى ، مثل أجرة الأملاك المسقفة من « الآدر . والحوانيت والأفران وأرحية الطواحين » ، ومن الهلالى جهات عرفت بالمعاملات مثل : الزكاة والمواريث الحشرية والمتجر ، الشب ودار الضرب ودار العيار ومقرر الجسور ومقرر البريد ، وغيرها من جهات المكوس .

ومن الخراجى ما يؤخذ هدية من الفلاحين من طرف الريف ، وهناك مال بين الخراجى والهلالى وهو « الجوالى » فهى تورد بعد الهلالى والخراجى ، وذلك مسانهة ، وكانوا يرون وجوبها مشاهرة ، وفائدة ذلك فيمن أسلم أو مات فى أثناء الحول ، فإنهم كانوا يلزمونه بقدر ما مضى من السنة قبل إسلامه أو وفاته ، كذلك عند انتقال الإقطاع من شخص إلى آخر فإن الجزية تجرى مجرى المال الهلالى لأنها تستخرج على حكم الشهور الهلالية . (صبح الأعشى جـ٣ ص٤٥٤ ، ٤٧١ ، نهاية الأرب جـ٨ ص٢٢٨ ، ٢٧١ ، خطط جـ١ ص١٦٧ و ١٧٢ ، ١٧٣ ، زبدة كشف الممالك ص٩٧ ، ٩٨) .

(٦٤) صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٥٨ .

(٦٥) صبح الأعشى جـ٣ ٤٥٤ انظر الفصل السادس .

(٦٦) يذكر ابن مماتى أن قاعدة البدل فى عهد الأيوبيين : أردب من القمح يستبدل به إردب ونصف إردب من الشعير أو من الحمص أو من الجلبان وهكذا (قوانين الدواوين ٣٥٩) .

(٦٧) « العمل » هو نوع من القوائم يعمله الكاتب فى الدواوين ويشمل هذا العمل متحصل الغلال والتقاوى بالناحية الغلانية لمغل سنة كذا أو كذا الهلالية (نهاية الأرب جـ٨ ص٢٦٠ و٢٧٨ ، انظر قاموس الألفاظ الاصطلاحية) .

(٦٨) نهاية الأرب جـ٨ ص٢٦٠ ، ٢٧٨ .

(٦٩) انظر فصل المجتمع .

(٧٠) المدى : ٤٠ ذراعا مربعا .

(٧١) عيون التاريخ ص٢٠٤ .

(٧٢) فرض فى هذه المناسبة على أملاك القاهرة وضواحيها أجرة شهر واحد وعلى الرزق على كل فدان عشرة دراهم ، وعن كل فدان من البساتين مائة درهم . (بدائع الزهور جـ١ ص٣٣٠) .

(٧٣) أنباء الغمر جـ١ ص٥٣٥ ، ٥٣٦ ، الأعلام بتاريخ أهــل الإسلام جـ٢ ورقة ١٨٠ ، ١٨١ ، بدائع الزهور جـ١ ص٣٣٠ .

(٧٤) كان المتولى لجباية هذا الخمس ، الأمير شرف الدين بن البدرى حسن ، فتوعد المماليك الجلبان بالقتل ونهبوا بيته فيما بعد (بدائع الزهور جـ٢ ص٢٥٢ ، ٣٠٢) .

(٧٥) كوبلاندوفينو جرادون (ترجمة زيادة جـ ص٩٠ – ٩١) Stephnson p. 238

(٧٦) تشبه هــذه الضريبة ما عرف الأنجلو سكسون باسم Danegeld نسبة إلى خطر الدانيين وقد أبقاها وليام الفاتح على أثر دخوله إنجلترا .
(Bréhier p. 64 ; Stephenson p. 261) .

(٧٧) النجوم الزاهرة جـ٩ ص٣٨ ، ٤٠ و ٨١ ، ٨٢ و ٩٠ ، ٩١ .

(٧٨) النجوم الزاهرة جـ٩ ص١١٩ ، ١٢٠ .

(٧٩) نهاية الأرب جـ٨ ص٢٠٠ ، ٢٠١ ، التعريف ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(٨٠) يلاحظ : أن على الأمير التزاما بحكم العادة وهو « مقرر الطيور » غير ما قد يكون ضمن تقدمته من طيور إذ كان لكل أمير من كبارهم حوش للصيد به عدة شباك وصيادون طول الشبكة ١٢ ذراعا يجذبها ١٦ نفرا ، ويتولى ديوان الأمير حمل ما على الأمير من الطيور للسلطان (الزبدة ص١٢٨) .

(٨١) أبو الفداء جـ ٤ ص ٩٤ ، ٩٥ .

(٨٢) السلوك جـ ٢ ص ٢٣٧ ، ٢٤٦ .

(٨٣) سلاطين المماليك ص١٨٦ ، ١٨٩ .

(٨٤) الجمال البخاتى : البخت الأبل الخرسانية (القاموس المحيط) .

(٨٥) جمال عراب مفردها (عربى) كريم سالم من الهجنة (أقرب الموارد) .

(٨٦) السلوك مخطوط جـ ٣ ص٢١٤ .

(٨٧) السلوك مخطوط جـ ١ جـ٣ ص٣٦١ .

(٨٨) السلوك مخطوط جـ ٣ ص ٤٣٧.

(٨٩) سمور : كتور دابة أو حيوان برى يشبه السنور يتخذ من جلدها فراء مثمنة وربما أطلق السمور على جلده ويجمع سماير . (القاموس المحيط) .

(٩٠) البدنة قميص من غير أكام تلبسه النساء ، والبدن الدروع القصيرة (أقرب الموارد) .

(٩١) الشق : النصف ، وشق كل شىء جانبه والشقق الحرير بقج مملوءة من الحرير ، وعموما الشقق من الحرير وقطع الأبسطة (راجع النجوم الزاهرة جـ١٢ ص٣ ، ٤ ، ٧٧ القاموس المحيط ، أقرب الموارد) .

(٩٢) حوادث الدهور ورقة ٢٦ ، ٢٧ .

(٩٣) كانت هذه هى الحجة الثانية للناصر ، وقد أبطل فيها سائر المكوس التى كانت

مفروضة على الحجاج ، وعوض أميرى مكة والمدينة بإقطاعات بمصر والشام . (النجوم الزاهرة جـ٩ ص٥٨ و ٥٩ ، السلوك جـ٢ ص١٩٥ ، ١٩٦) .

(٩٤) الأعدال جمع عدل وهو نصف الحمل (أقرب الموارد) .

(٩٥) النجوم الزاهرة جـ ١٠ ص ١٣٢ .

(٩٦) ركبت خوند فاطمة فى محفة زركش ومعها ٥٠ جملا محملة بالحرير المخمل الملون وخرج معها أرباب الدولة والوظائف ومقدم المماليك وأعيان الخدم وبأيديهم العصى، وذلك فى سفرها إلى الحجاز (بدائع الزهور جـ٢ ص١٥٦ ، ١٩٣) .

(٩٧) بدائع الزهور جـ١ ص٢١٦ ، ٢١٧ .

(٩٨) صبح الأعشى جـ ٤ ص ٦٣ .

(٩٩) السلوك مخطوط جـ ٣ ص٢٠٤ .

(١٠٠) أنباء الغمر جـ١ ص٤٣١ .

(١٠١) بدائع الزهور جـ ٢ ص٤ ١٢ .

(١٠٢) بدائع الزهور جـ ٢ ص ١٦١ .

(١٠٣) أمثلة الضيافات والولائم التى تقام للسلطان كثيرة ، منها وليمة المقر الأتابكى قانم للسلطان خشقدم فى سنة ٨٧٠هـ - ١٤٦٤م ، فنزل السلطان مع عسكره ومد لهم الأمير سماطا عظيما كان مصروفه ألف دينار ، وجاء أرباب الملاعيب من المشعوذين ، ووليمة محمد بن برقع من عربان الفيوم للسلطان قايتباى فى سنة ٨٧٦هـ - ١٤٧١م ، فمدت الأسمطة وبات السلطان عنده ، ولما وصل قايتباى إلى العباسية أضافه شخص يسمى بيبرس بن شعبان، من شيوخ العرب، ولما سافر إلى نوى فى سنة ٨٧٨هـ - ١٤٧٣م) أضافه ابن طفيس وهكذا .
بدائع الزهور جـ٢ ص٧٩ ، ١٣٣ ، ١٤٦ ، القول المستطرف ص٤٢ ، ٥٠ .

(١٠٤) بدائع الزهور جـ ٢ ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(١٠٥) ورث المماليك هذه الألقاب عن أساتذتهم الأيوبيين، وهؤلاء ورثوها عن أساتذتهم من آل زنكى كصلاح الدين يوسف، وسيف الدين أبو بكر والصالح نجم الدين وهكذا (صبح الأعشى جـ٥ص٤٨٨) .

(١٠٦) صبح الأعشى جـ ٥ ص٤٩٤ ، ٤٩٥ .

(١٠٧) النجوم الزاهرة جـ ٩ ص ١٣٠ .

(١٠٨) صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٩٥ .

(١٠٩) صبح الأعشى جـ ١٣ ص ١٦٦ .

(١١٠) صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٩٦ .

(١١١) تاريخ بيروت ص٩٢ ، ٩٣ ، تاريخ الأعيان ص ٢٣٤ .

(١١٢) يشمل هذا اللقب رجال القلم وغيرهم من العرب والترك مثل مجلس القاضى ومجلس

الشيخ للصوفية وأهل الصلاح، ومجلس الصدر للتجار وأرباب الصنائع، وربما كتبت فى أيام الناصر لكتاب الدرج ومن فى معناهم (صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٩٧) .

(١١٣) هؤلاء من أمراء الغرب التنوخيين بلبنان (تاريخ بيروت ص٩٣ ، ٩٤ وتاريخ الأعيان ص٢٣٤) .

(١١٤) الإعراب ورقة ٩٠ .

(١١٥) السنجق بالتركية الرمح والعصابة راية من حرير أصفر مطرزة بالذهب (تاريخ أبى الفداء ج٤ ص٦٢ ، ٦٤ و ٧٥ ، صبح الأعشى ج٥ ص٤٥٨ ، السلوك ج١ ص١٢٤ انظر قاموس الألفاظ الاصطلاحية) .

(١١٦) الدهل : الساعة والشئ اليسير ولعل المراد هنا بالطبول الدهل أنها طبول صغيرة (القاموس المحيط) .

(١١٧) زبدة كشف الممالك ص١٢٥ .

(١١٨) النجوم الزاهرة ج٩ ص٢٨٢ .

(١١٩) زبدة كشف الممالك ص١١٣ .

(١٢٠) زبدة كشف الممالك ص١١٣ .

(١٢١) بدائع الزهور ج٣ ص ١٧٨ .

(١٢٢) مثل هذه الوظائف : مقدم البريد المهمندار، دلال المماليك ، متولى القاهرة نقيب الجيش . ويتولى نقيب الجيش إحضار من يطلبه السلطان من الأمراء وأجناد الحلقة ، أما المهمندار فهمته تلقى الرسل والعربان الواردين على السلطان وإنزالهم دار الضيافة والعناية بأمرهم . (صبح الأعشى ج٥ ص٤٥٦ ، ٤٥٩) .

(١٢٣) أمير طبر يتحدث على الطبر دارية الذين يحملون الأطبار ، وهى الفئوس ، حول السلطان فى المواكب ، وأمير علم يتولى أمر الاعلام السلطانية والطبلخاناه (صبح الأعشى ج ٥ ص٤٥٦ و ٤٥٨ و ٤٦٢ ، الزبدة ص١١٥) .

(١٢٤) الخلع على أنواع ، وهى لأرباب السيوف وأرباب الأقلام عامة من الموظفين والعلماء ، وهى محفوظةبالخزانة الكبرى ، بالقامة ، لكن بعد أن حولها الأمير منطاش تجنبا لمماليك برقوق فى سنة ٧٩٠ هـ (١٣٨٨م) ، صارت الخلع عند ناظر الخاص ، لذلك نجدمن مهمات الخاص السلطانى فوق إدارته وإشرافه على بلاد الخاص أو الإقطاع السلطانى، عمل برك التجاريد الشريفة ومهام عيد الأضحى وتفرقة الضحايا للخاص والعام ومهام عيد الفطر والبائكة ، ومهم كساوى الادر الشريفة من الأقمشة المذهبة المنوعة وكساوى المماليك السلطانية وتفرقة الملبوس لأركان الدولة والسادة القضاة الموالى والأمراء وكفالالممالك ، لكل منهم ما يليق ، وتكفيه المطلوب والصرر المقررة لأرباب الأدراك وحمل الحلاوى والفواكه للخاص الشريف والادر الشريفة وتكفيه الهدايا برسم الملوك، وتكفيه التشاريف لأرباب الوظائف فى عيد الفطر ، وكذلك لكل من

يستقر فى وظيفة ، وللقصاد والمترددين (زبدة كشف الممالك ص ١٠٧ ، ١٠٩) .

(١٢٥) خطط جـ١ ص٢٢٧ ، ٢٢٨ بولاق ، صبح الأعشى جـ٦ ص٥٢ ، ٥٣ .

(١٢٦) خطط جـ٢ ص٩٧ ، ٩٩ .

(١٢٧) بدائع الزهور جـ ١ ص ٣٤٥ .

(١٢٨) التبر المسبوك ص٤٢٦ .

(١٢٩) بدائع الزهور جـ٣ ص ١٣٢ .

(١٣٠) صبح الأعشى جـ٥ ص٥٥ ، مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٨٥ .

(١٣١) انظر ما يلى .

(١٣٢) مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٨٤

(١٣٣) السلوك جـ١ ص ٤٦٨

(١٣٤) نهاية الأرب جـ٨ ص٢٢١ .

(١٣٥) زبدة كشف الممالك ص١٤ .

(١٣٦) بدائع الزهور جـ٢ ص ٢٠٩ .

(١٣٧) زبدة كشف الممالك ص ١١٤ .

(١٣٨) ابن قاضى شهبة جـ١ ص ٦ .

(١٣٩) زبدة كشف الممالك ص ١١٤ — ١١٥ .

(١٤٠) حوادث الدهور ورقة ٤٨ .

(١٤١) حوادث الدهور ورقة ٥٢ .

(١٤٢) السبكى ص٣٤ — ٣٥ ، النجوم الزاهرة جـ٧ ص١٨٥ ، مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٩٩ ، صبح الأعشى جـ٥ ص٤٤٩ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٦١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ و جـ١٣ ص٣١٠ ، زبدة كشف الممالك ص١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، إخوان الصفا ورقة ١٣٠ .

(١٤٣) خطط جـ٣ ص٣٥١ ، ٣٥٢ .

(١٤٤) مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٨٤ ، خطط جـ٣ ص٣٥١ .

(١٤٥) خطط جـ٣ ص٣٥٢ ، النجوم الزاهرة جـ٩ ص١٢١ ، ٢٢٣

(١٤٦) عيون التواريخ ص٨٤ ، ٨٥

(١٤٧) مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٨٤ – ٣٨٥ .

(١٤٨) La Monte, P. 152, Barker. p. 40

(١٤٩) مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٨٥ ، صبح الأعشى ج٦ ص٥٤ ، ٥٥ .

(١٥٠) صبح الأعشى ج٦ ص ٥٤ ، ٥٥

(١٥١) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٨٤ .

(١٥٢) بدائع الزهور ج١ ص٢٦٠ .

(١٥٣) بدائع الزهور ج ٣ ص ٤٠ – ٤٢

(١٥٤) بدائع الزهور ج٢ ص٦٦ ، ٦٧ .

(١٥٥) بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٠٦ .

(١٥٦) الجوهر الثمين ج٢ ورقة ١٢٩ ، دول الإسلام ورقة ٤٢

(١٥٧) الفرقل نوع من الدروع .

(١٥٨) بدائع الزهور ج١ ص ٣٠١ – ٣٠٢ .

(١٥٩) بدائع الزهور ج٢ ص١٠٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(١٦٠) تاريخ الملك الأشرف غير مرقم .

(١٦١) المكوك مكيال ، انظر المكاييل .

(١٦٢) السلوك مخطوط ج٣ ص١٢ .

(١٦٣) اختتن مع السعيد عدد من أبناء الأمراء

(١٦٤) السلوك ج ٢ ص ١٨ – ٢٠ ، انظر نسخة المسموح بالملاحق .

(١٦٥) النجوم الزاهرة ج٩ ص٤٩ – ٥٠ .

(١٦٦) السلوك ج٢ ص٤٣٦ ، أنظر الملاحق .

الفصل السابع

الإدارة المحلية للإقطاعات

خصائص الإدارة المحلية وما يميزها عن قرينتها فى الإقطاع الغربى – إجراءات التسليم للإقطاع – محضر التسليم ومحتوياته – فحص أراضى الإقطاعات – توزيع البذور على الفلاحين – قوانين الفلاحة – المقاسمة والإيجار – البحوث الفقهية حولها – اختلاف قيمة الإيجار – الأراضى المضمنة والمفصولة فى الإقطاع بين الشرق والغرب – طرق الزراعة ونظام الحقلين – الرى وتنظيمه والجسور السلطانية والبلدية والترع – ربط الخراج ونوعه – أنصبة الفلاحين – نظام استغلال الفلاحين للمراعى المقطعة – تخزين المحاصـــيل فى الشون والأهراء – الفلاح والقن فى الشرق والغرب .

يبدو من دراسة الإدارة المحلية للإقطاعات واستغلالها أن هنالك أربع حقائق كبرى مميزة لهذا الاستغلال المحلى البحت :

أولى هذه الحقائق ، بروز جانب التقنين والتشريع والجدل الفقهى فى كيفية تسليم الأرض إلى الفلاحين : مقاسمة أم إيجاراً أو نحو ذلك من قوانين الفلاحة ، ثم فى قسمة المحصول وصدور بعض فتاوى فى هذه الصدد . وثانيها أن هذا الاستغلال لم يختلف فى تفاصيله فى إقطاع السلطان عنه فى إقطاع الأمير والفارق فى المسميات لا فى الأعيان ، فهذا الخاص السلطانى ويشرف عليه ديوان الخاص أو ديوان الخواص الشريفة ، ويلقب رئيسه بالناظر[1] ، وذاك إقطاع الأمير ، والمشرف عليه ديوانه ورئيسه : الناظر أو الصاحب أو المباشر أو الكاتب[2] . والحقيقة الثالثة : لم يعن الأمير المقطع بالإقامة فى إقطاعه ليرعى شئونه كما هو الشأن فى الإقطاع الغربى ، بل أقام فى القاهرة فى قصوره ، أو حيث تكون وظيفته فى ولاية أو كشوفية أو نيابة ، وربما قيل إن بعثرة إقطاع الأمير المملوكى هى التى جعلت الأمير لا يفكر فى الإقامة بإقطاعه ، غير أن هذا التعليل خاطىء بدليل قلة اهتمام الأمير بالسفر للتفتيش والإشراف على شئون إقطاعه إلا أحياناً متقطعة وبإذن من السلطان أو « بدستور » فى المصطلح ، وأكثر ما اقتصر هذا الإذن على مواسم الربيع ، ومثال ذلك : إصدار السلطان خليل بن قلاوون إلى أمرائه الأمر سنة ٦٩٠ هـ — ١٢٩١م ، للتوجه إلى إقطاعاتهم وتربيع خيولهم[3] ، وإعطاء الناصر محمد سنة ٧٠١ هـ — ١٣٠١م « دستوراً لمن أراد السفر إلى إقطاعه لعمل مصالح بلاده[4] » ، بل لعل من أبرز خصائص النظام الإقطاعى فى دولة المماليك ، هو عدم إقامة المقطع فى إقطاعه ، لأن الإقطاع نفسه غير ثابت وغير مضمون البقاء فى يد صاحبه

فى أى وقت ، هذا وأصحاب الإقطاعات فى دولة المماليك الإقطاعية الحربية ، هم أولو الأمر وهم الحكام .

وأحياناً يرى السلطان أن يأذن لأصحاب الإقطاعات أن يتوجهوا إلى إقطاعاتهم وهو فى رحلة للصيد أو الحج أو فى حرب أو نحوه ، ومن أمثلة ذلك أن السلطان خليل خرج إلى البحيرة للصيد فى سنة ٦٩٣هـ — ١٢٩٣م ، فلما وصل إلى تروجة أعطى « الأمراء دستوراً ليتوجهوا إلى إقطاعاتهم ويتفرقوا فى بلادهم[٥] » ، وحين سافر السلطان الناصر محمد للحج سنة ٧١٩هـ — ١٣١٩م رسم لمن لم يسافر معه من الأمراء بالرحيل إلى إقطاعاتهم ، بل حتم عليهم فى هذا الأمر ألا يجتمع أحد بصاحبه خلال غيبته[٦] ، ومن هذا كله يتضح أن غيبة الأمراء عن إقطاعاتهم لم يكن منشؤها قلة اهتمامهم بشئون إقطاعاتهم فحسب بل لأن السلاطين حرصوا على أن يظل الأمراء بعيدين عن إقطاعاتهم حتى لا تتكون لهم عصبيات انفصالية خطيرة على السلطنة .

أما أجناد الأمراء ، فعاش أغلبهم فى إقطاعاتهم لأنهم فوق وظيفتهم الحربية التى يؤدونها عند الطلب للنفير العام، يتولون شئون الإدارة الإقطاعية اليومية، ومن أدلة ذلك أن السلطان بيبرس أنفذ النقباء إلى أعمال مصر لإحضار الجند من إقطاعاتهم استعداداً لحرب الصليبيين سنة ١٢٦٥م ، وعاقب بيبرس الولاة الذين أبطأوا فى تنفيذ أوامره[٧] ، وربما اضطر الأجناد للعمل بأيديهم فى الإقطاعات إذا عزت الأيدى العاملة بسبب الأوبئة والطواعين التى أفنت الفلاحين بصفة خاصة ؛ ففى أيام السلطان حسن وقع وباء سنة ٧٤٩ هـ —١٣٤٨م، فى أوان التخضير « أى فى أول ظهور الزرع » ، فلما حان وقت الحصاد لم يوجد من الفلاحين إلا القليل ، فخرج الأجناد بغلمانهم للحصاد ونادوا « من يحصد يأخذ نصف ما حصد »،ومع ذلك لم يجدوا مجيباً لكثرة ما وقع من الفناء بين الفلاحين ، فاضطروا لدراسة غلالهم على خيولهم وذروها بأيديهم ، لكنهم عجزوا عن غالب الزرع ، فتركوه[٨] .

أما الحقيقة الرابعة ، فهى خضوع الاستغلال المحلى لتدخل السلطان

فى جميع المراحل من قبل أن تهيأ الأرض للزرع حتى ينتهى موسم الحصاد ، فيتدخل مندوبوه فى الفحص الأول عند تسلم الأمير لإقطاعه للتأكد من مساحة الأرض ومعرفة مدى ما يصيبها من ماء الرى ونوع المعاملة التى يقبلها الفلاحون فى الزراعة وقيد أسماء الفلاحين ، ثم يصرف التقاوى من قبله ، وإذا نما الزرع أرسل مندوبيه ليشتركوا مع مندوبى الأمير المقطع فى مسح الأرض مرة أخرى والزرع قائم وهكذا ، حتى وقت الحصاد ، فيأخذ خراجه وعشوره وتقاويه وقروضه .

ويبدو أن حرص السلطان على هذا التدخل المستمر لم ينشأ عن رغبة فى رعاية مصالح الفلاحين وإنصافهم من المقطعين إذا جاروا عليهم وإن كان لهم حق التظلم إليه فى أى وقت[٩] ، وإنما نشأ عن شدة حرصه على حصوله هو على حقوقه من المقطعين ، وهذا أمر طبيعى فى دولة إقطاعية منح الإقطاع فيها كما تمنح الوظائف ، وهذا المظهر من أكبر ما يميز الإقطاع فى الدولة المملوكية عن الإقطاع الأوربى ، حيث يتصرف السيد فى دوائره Manors تصرفاً مطلقاً دون تدخل الملك صاحب السلطة العليا الإسمية ، أما أن يتدخل لرفع غبن أو ظلم حاق بالفلاح من أى وجه ، كزيادة فى الإيجار أو قسوة فى جباية الأموال المفروضة عليه فلم يكن ذا بال لديه ، بل إن كلمة « شرع الديوان » اصطلاح استترت وراءه كل مظالم الدولة الإقطاعية فى استرقاق الفلاحين ، ولا أدل على ذلك من أن جباية الخراج والإيرادات أو « جمع المغل » كما اصطلح على ذلك ، كان يتم فى أكثر الأحيان بحملات حربية .

يتسلم الأمير إقطاعه ويشهد على نفسه بحضرة الموقعين من ديوان الإنشاء ويوضح فى محضر التسليم مساحة الإقطاع ، وحدوده وما عليه من خراج للديوان ومقدار التقاوى وعدد الفلاحين المقيمين به ، وما به من « جسور سلطانية ، وبلدية » ، وبمقتضى هذا المحضر لا يستطيع الأمير أن يتعدى أطواره ولا أن يأخذ من إقطاعه « إلا ما جرت به العادة »[١٠] ، ولو أن أحداث الواقع قد ناقضت هذا القول .

والزراعة فى مصر يقوم أغلبها على النيل وما يشتق منه من ترع ، والقليل يروى بماء المطر كبعض أطراف البحيرة[11] ، ولذا غدا قانون الأراضى فى مصر مبنياً ، على قول المقريزى ، « على ما يشمله الرى من أراضيها ويعلوه النيل وينتفع بحفر الترع وضبط الجسور وتصريف المياه عن الأراضى »[12] ، وذلك على عكس بلاد الشام المعتمدة على المطر[13] .

لهذا كانت الأراضى تفحص فى مصر سنوياً بعد الفيضان ، لتقدير الخراج المناسب عليها ، ويشرف على هذه العملية موظف من قبل السلطان يعرف باسم « مباشر الخراج أو كاتب الخراج » ، وفى كل إقليم واحد من هؤلاء يعاونه موظفون محليون آخرون هم « خولة البلاد ومشايخها » ، فيطلب المباشر منهم البيانات الخاصة بمساحة الأراضى المنتفعة بالرى ، فتجمع له فى أوراق تسمى « قوانين الرى »[14] ، وصورة هذه القوانين : « قانون رفعه كل واحد من فلان وفلان الخولة والمشايخ بالناحية الفلانية بما شمله الرى وعلاه النيل المبارك من أراضى الناحية لسنة كذا الخراجية وهو من الفدن ... (يذكرون جملة قانون البلد[15] ، ويفصلونه بالرى والشراقى[16] ، والملاحظ أن الأراضى التى وصفت فى هذا الفحص بكلمة « الرى » لها تفصيل آخر أكثر إيضاحاً ودقة من حيث أنواعها لتقدير الضرائب المناسبة ، فلكل نوع من هذه الأراضى ، قطيعة تناسب حاله[17] ، وأنواع أرض الرى هى : « الباق والنقاء ورى الشراقى والبرايب والسقماهية والشتونية والسلايح والوسخ والمزروع والخرس والغالب والمستبحر وأخيراً السباخ »[18] .

وتعتبر أرض « الباق » أعلى الأنواع رتبة من حيث الجودة ، ولذلك فهى أكثر تقديراً فى قيمة الضريبة المقررة عما عداها[19] ، ويليها « رى الشراقى » وهى التى كانت محرومة من الرى ثم رويت ، وزرعت وأنجب زرعها لاستراحتها مدة من غير زرع ، أما إذا كانت رويت ثم بارت فتعطلت من الزرع فاستراحت أنجب زرعها بعد ذلك وتسمى فى هذه الحالة « السلايح » ، ثم البرايب وتكون على أثر زراعة القمح والشعير فضعفت فلا تصلح بعد

هذين الصنفين إلا لزراعة القرط والمقاتى ، ومن شأن هذه الأصناف الأخيرة أن تقوى الأرض إذ تستريح بزراعتها فتصبح بعدها أرض باق . أما السقماهية فهى التى تلى زراعة الكتان ولا تزرع قمحاً حتى لا تضعف . « والشتونية » هى التى رويت وبارت فى السنة الماضية ثم زرعت ، وتعتبر دون الشراقى . وأرض النقاء[٢٠] هى النقية مما يعوقها من الزرع . « والمزروع » هو النوع الذى يزرع عادة كل سنة على حين أن أرض « الخرس » تكثر فيها الحلفاء ، فلا تزرع إلا بعد تنظيفها ، وقد يطغى نبات الحلفاء ويتكاثف بحيث يحتاج تنظيفها إلى تكاليف كثيرة فتترك من غير زرع لتصبح مراعى ، وفى هذه الحالة تعرف باسم « الغالب »[٢١] ، وأكثر ما يكون الخرس والغالب بالصعيد الأعلى لتعطيلها من الزراعة سنة بعد أخرى . أما أرض « الوسخ » فهى التى استحكم وسخها فلم يستطع الزراع إزاحته نهائياً ، بل حرثوا وزرعوا فجاء نبتها مختلطاً بالحلفاء ونحوها . و « المستبحر » أرض وطيئة استمرت فيها مياه الفيضان حتى انتهى موسم الزراعة ، فمنها مابار ومنها مازرع قثاء[٢٢] . وأرض « السباخ » أدنى الأنواع لغلبة الملح عليها ، فلم تصلح لزراعة الحبوب ، وربما زرعت نباتات أخرى ، إذا قل ملحها ، مثل الهليون والباذنجان ، كما يزرع فيها القصب الفارسى[٢٣] . فالأرض إذن من حيث جودتها وقيمة الضريبة المفروضة عليها فى عصر المماليك هى : الباق والبرايب والنقاء والخرس والمستبحر .

ويتلو هذا البيان المفصل لنوع الأرض بيان آخر بنوع المعاملة التى تسلم بمقتضاها الأرض إلى الفلاحين ، مقاسمة كانت أم إيجاراً ، ثم تزرع الأحواض بمساحات معينة على المزارعين « القرارية » وهم المستقرون من القاطنين بالجهة و « الطوارىء » وهم المزارعون النازحون من جهات أخرى ، يكتب هذا البيان فى أوراق أخرى تسمى « أوراق التسجيل »[٢٤]، وأخيراً تحمل هذه البيانات فى سجلات أخرى مع ذكر أسماء المزارعين ، ويوقع عليها الشهود الذين حضروا التسجيل[٢٥] ، ومن ثم يحتفظ بصورة هذه الأوراق بديوان صاحب الإقطاع[٢٦] .

تصرف بعد ذلك البذور لكل مزارع من قبل السلطان ، وهى المعروفة فى المصطلح باسم « التقاوى السلطانية » وقدجرت العادة أن « الأمير أوالجندى عندما يستقر فى إقطاعه ، يقبض ماله من التقاوى السلطانية ، فإذا خرج عنه إقطاعه طولب بها[٢٧] » وتوزع هذه التقاوى على الفلاحين بنسبة ما سجل من الأراضى لفلحها ، وربما كان ذلك لضمان الإقطاع والتشجيع على الزراعة والعمل على تحسين الإنتاج من ناحية ، ثم تحديده من ناحية أخرى فضلا عن تيسير الحصول عليها . فمثلا أمر السلطان بيبرس فى سنة ٦٥٩هـ — ١٢٦٠م بحمل الغلال إلى دمشق . ومنها وزعت فى البلاد لتصير « تقاوى للفلاحين »[٢٨] وعندما تم فتح بلاد سيس فى عهد الناصر محمد سنة ٧٣٨هـ — ١٣٣٧م ، وزعت القطاعات على الفاتحين ، رسم السلطان أن يحمل إليها من حماة وطرابلس ٢٠ ألف غرارة[٢٩] غلة برسم تقاويها وتحضيرها وعين لكل ضيعة ما يكفيها[٣٠] ، وتشبه هذه العملية ما يقوم به بنك التسليف الزراعى فى العصر الحاضر لمساعدة المزارعين بإقراضهم البذور والسماد والمال وهذا باستثناء التقاوى البلدية[٣١] . بتمام هذه العملية التى تعتبر مثلا للمركزية القوية ، تكون الأرض قد تهيأت للزراعة . ولا تخرج قوانين الفلاحة التى يسير على أساسها الفلاح فى زراعة الأرض عن نظام المقاسمة أو الإيجار أو ما يشبه الإيجار وهو التضمين ونظام القبائل .

فمن حيث المقاسمة فإنها تختلف بحسب نوع الأرض ونوع ريها : فتكون تارة مناصفة وتارة أخرى مثالثة وغيرها مرابعة أو مخامسة أو مسادسة أو مسابعة أو مثامنة وتعرضت هذه القواعد والقوانين لجدل الفقهاء[٣٢] .

من ذلك ، هذا الاستفتاء الذى صدر فى عصر المماليك خلال القرن التاسع الهجرى والقرن الخامس عشر الميلادى عن حكم زراعة الأرض المقطعة بطريق المقاسمة ، وخلاصته « ما قول سادتنا علماء المسلمين رحمة الله عليهم أجمعين ، فى الأرض التى أقطعها السلطان أو أرض غيرها إذا زرعها فلاح بطريق شرعى : مقاسمة بالثلث أو بالربع ؟ فهل يجوز ذلك أم لا ؟ » أجاب

فقهاء الحنفية بالجواز ، ومن هؤلاء شهاب الدين أحمد بن حجر [٣٣] .

أما الإيجار[٣٤] أو الإجارة ، فالشأن فيها شأن غيرها من المسائل الهامة التى تعرضت للجدل الفقهى بقصد التشريع والتقنين ومدى صحة العقود ومطابقتها للشرع ، فهى متعلقة بالمعاملات ، ولذلك نجد السبكى يتساءل ، وهو من المعاصرين للمماليك :

« الإقطاعات المعروفة فى هذا الزمان إنما هى إقطاعات إرفاق بمعنى استغلال لا تمليك ، وعليه : فهل يجوز للمقطع إجارة الأرض التى أقطعها له الإمام أولا ؟ » .

أجاب السيوطى – وهو من متأخرى الفقهاء المؤرخين فى عصر المماليك – بجواز إجارتها ، على أن ينفسخ عقد الإيجار بموت صاحب الإقطاع لأن الإقطاع لا ينتقل إلى الوارث ، وقد يقطعها السلطان للوارث وقد لا يقطعه ، وقد خالف بذلك رأى الفقهاء الذين أفتوا بعدم الجواز لأنها بصدد أن ينتزعها ولى الأمر من المقطع أو يقطعها غيره . وفى فتاوى الإمام النووى ما نصه : « إذا أقطع السلطان جندياً أرضاً ، فهل يجوز له إجارتها أم لا ؟ » أجاب بعض العلماء بالجواز واعترض البعض ، والرأى الغالب صحة الإجارة وهو الذى سار عليه الأمر فى عصر المماليك . وكان التقى قاضى شهبة يفتى به ولا يفرق بين طول مدة الإقطاع وقصرها ، لكن إذا خرج الإقطاع بموت المقطع أو انقضاء مدته أو انتزع منه ، انفسخت الإجارة . ورتب الفقهاء على ذلك أنه ليس للمقطع أن يتصرف فى جميع الأجرة، لتوقع خروج الإقطاع عنه وله ألا يتصرف إلا فى أجرة ما مضى إذ للإمام أن يرجع ويقطعه لغيره وقد يموت فينتهى إقطاعه ويعود إلى بيت المال[٣٥] .

وتختلف قيمة الإيجار تبعاً لنوع الأرض ونوع ريها ونوع المحصول ، فضلا عن الأحوال الطارئة من رخاء أو غلاء أو فتن ، ثم قسوة ولى الأمر أو عدله ، وقد تراوحت قيمة إيجار الفدان الواحد فى غالب الأحيان حتى أواخر القرن الثامن الهجرى بين الفئات الآتية[٣٦] :

أرض الباق : ٤٠ درهماً فما حولها ، ثم ارتفع السعر فصار أكثر من مائة درهم .

أرض البرايب : ٣٠ درهماً فما حولها ، ثم ارتفع السعر فصار أكثر من ٨٠ درهماً .

أرض البرش : ٢٠٠ درهم فما حولها ، ولم يكن ذلك إلا عند ارتفاع أسعار الغلال(٣٧) .

وبعد سنة ٨٠٠هـ – ١٣٩٧م ، إلى سنة ٨١٠هـ – ١٤٠٧م(٣٨) ، ارتفع إيجار الفدان حتى بلغ للنوع الأول نحو ٣٠٠ درهم وربما زاد فى النوع الطيب من أرض البرايب إلى ٦٠٠ درهم(٣٩) .

وكثيراً ما استغلت أوقات الغلاء فى إيقاع الظلم بالفلاحين ورفع قيمة الإيجار ، فيتسلط أجناد الأمراء وموظفوهم عليهم تقرباً من أمرائهم للترقى فى خدمتهم ، والوسيلة إلى ذلك هى المال ، يقول المقريزى عن عدوانهم وأثره :

« فنفذوا إلى الأراضى الجارية فى إقطاعات الأمراء وأحضروا مستأجريها من الفلاحين وزادوا فى مقادير الأجر ، فثقلت لذلك متحصلات مواليهم من الأمراء ، فجعلوا الزيادة ديدنهم كل عام ، حتى بلغ الفدان لهذا نحواً من اثنى عشر أمثاله ، لا جرم أنه لما تضاعفت أجرة الفدان من الطين وتزايدت كلفة الحرث والبذر والحصاد وغيره ، وعظمت شكاية العمال والولاة واشتدت وطأتهم على أهل الفلح ، وكثرت المغارم فى عمل الجسور ، خرب معظم القرى وتعطلت أكثر الأراضى من الزراعة ، فقلت الغلال وغيرها مما تخرجه الأرض لموت أكثر الفلاحين وتشردهم فى البلاد من شقوة السنين وهلاك الدواب ولعجز الكثير من أرباب الأراضى عن ازدراعها لغلو البذر وقلة المزارعين »(٤٠) .

وربما كان أستادار الأمير هو المسئول الأول عن هذا العدوان ؛ إذ أن مهمته الأساسية هى مراعاة شئون الإقطاع التفصيلية وعلاقة الإقطاع بالدواوين السلطانية والنظر فى أحوال الفلاحين العاملين فيه . فمن وصاياه فى القيام على

مسئوليات الأمير فى إقطاعه « ألا يطعمه حراماً ولا يبيعه رخيصاً ، وأن يرفق بأهل القرى ويؤدى أمانة الله التى عقلها فى رقبته » حيث دخل هذه الوظيفة للفلاحين وغيرهم من رعية الأمير ، كما عليه أن يؤدى حق الأمير بل هو أحوج من الأمير إلى الرفق بهم[41] .

ويدخل ضمن الإيجار أو ما يشبهه ما عرف باسم « الأراضى المضمنة » أو « المفصولة على أربابها بشىء معلوم من المال يؤخذ منهم عند إدراك المغل »[42] .

وقد ذكر صاحب نهاية الأرب أن هذا كان موجوداً فى بعض أعمال الشام ولا سيما الساحلية منها فى عصر الصليبيين ، وهو كما يقول النويرى : « نظير المستأجرات بالديار المصرية » ، ولما استرجعت هذه البلاد منهم ، ظل الأمر سائراً على هذا النحو جرياً على عادتهم[43] ، غير أن ابن شاهين قد أوضح بأن ذلك النوع من الإجراء وجد كذلك فى مصر فى عصره ، أى أواسط القرن التاسع الهجرى والخامس عشر الميلادى ، يقول : « كان فى قديم الزمان نجد أن البلاد جميعها يؤخذ خراجها من كل صنف والآن[44] صار مفصولا » ، فمثلا كانت المنزلة وفارسكور تابعتين للسلطان وكانت « كل واحدة منهما مفصولة على متدركها فى كل سنة بمبلغ ٣٦ ألف دينار وما عداها من القرى الجيدة فمفصولة أيضاً على متدركها بنحو ٢٠ ألف دينار ودون ذلك مفصولة باثنى عشر ألف دينار ، وكل متدرك بهذه القرى أعظم من ملك من ملوك الشرق »[45] .

ونظام الأراضى المفصولة على أربابها أقرب ما يكون إلى نظام «القبالات» الذى وجد فى مصر الإسلامية خلال القرن الأول الهجرى ، يقول المقريزى : « كانت البلاد تضمن بقبالات معروفة لمن شاء من الأمراء والأجناد والوجوه وأهل النواحى من العرب والقبط وغيرهم »[46] .

واستمر هذا النظام حتى نضج النظم الإقطاعية فى عصر المماليك ، ولذلك ينص عليه فيما عرف باسم « أوراق المسجل »[47] وسواء أكانت الأرض

من السلطان أو من الأمير المقطع فإن « متقبلها » يسلمها إلى الفلاحين من قبله لزراعتها بطريق المقاسمة أو الإيجار، ويعرف المتقبل كذلك باسم « المتدرك » وهو تابع بحكم وضعه أو « فصل » كما ينعته النويرى(٤٨) ومنه اشتق كلمة « مفصول » التى سلمت على هذا الأساس وهو نفس الكلمة الأجنبية Vassal التى شاع استعمالها فى العصر الإقطاعى الأوربى وانتقلت مع الصليبيين إلى الشرق ، يقول النويرى :

« ولفظ الفصل بالشام كلمة إفرنجية استمر استعمالها فى البلاد الساحلية التى ارتجعت من أيدى الفرنج جرياً على عادتهم»(٤٩)، فوجه الشبه بارز بين الأراضى المفصولة وغيرها المضمنة على شكل قبالات فى النظم الإقطاعية الشرقية والغربية ، كذلك فى تسليم الأرض للعامل الذى يعمل بيده ، إذ المعروف أن الصليبيين قد استخدموا « السوريين » فى فلح الأرض ، ومن النــادر اشتغالهم بأنفسهم كزراع Tillers ، فزرع لهم الفــلاحون السوريون وعرفوا باسم Rustici ، ومعناها : الزراع أو الريفيون على أساس المقاسمة ، تارة مثالثة وأخرى مرابعة كما هو الشأن فى الدولة المملوكية(٥٠).

أما طرق الزراعة ، فظلت على ما هى عليه منذ أقدم العصور ، وكانت الدورة الزراعية فى مصر واحدة فى السنة أى أن الأرض كلها تزرع مرة فى كل سنة ، وذلك على خلاف الشام حيث يراح شطر ويزرع شطر ، ثم يبدل الشطران فى السنة التالية(٥١) ، بمعنى آخر ، سارت بلاد الشام وفق النظام الذى عرف فى العصور الوسطى « نقلا عن الرومان » باسم « نظام الحقلين » The Two Field Cultivation ، تجنباً لإجهاد الأرض ومحاولة لتحسين الإنتاج (٥٢) .

تقسم الأرض لما تصلح له من أنواع المحاصيل فى جهات البلاد المختلفة ، وتعد إعداداً معيناً وفق حاجة الزراعة المنتظرة فى المواعيد المعروفة لها ؛ فمثلا يزرع العدس والحمص ، وهما من المحاصيل الشتوية ، فى أرق الأرض حرثاً من الأراضى العالية ، ويزرع تلويقاً فى الأراضى الخرس(٥٣) . ويزرع القمح

« إثر الباق والشراقى بالصعيد من نصف شهر « بابة » إلى آخر هاتور فى العوالى من الأرض التى تخرج بدرياً ، وأما البحائر المتأخرة فيمتد وقت الزرع إلى آخر كيهك»[٥٤]، ويلاحظ أن فدان القمح ينتج من ٢ — ٢٠ إردباً ، وينتج الشعير من ٨ — ٢٠ إردباً والحمص من ٤ — ١٠ أرادب وينتج العدس ٢٠إردباً إلى مادون ذلك، والكتان ٣٠شدة أى حزمة، ومن البذور ستة أرادب » وهكذا ، على أنه يحدث أن يرتفع المحصول ارتفاعاً كبيراً كما حدث فى سنة ٨٠٦هـ — ١٤٠٣م إذ انحسر الماء عن قطعة أرض من بركة الفيوم على عهد السلطان فرج بن برقوق فزرعت شعيراً وجاء محصولها عجيباً ، فقد أنتج الفدان ٧١ إردباً من الشعير بكيل الفيوم ، وبالكيل المصرى ١٠٠ إردب ، وهذا مصداق قول أبى بكر بن وحشية فى كتاب الفلاحة : إن فى مصر إذا زرعوا ، يخرج من المد ثلثمائة مد ، والعلة فى ذلك حرارة هواء بلادهم مع يمن أرضهم وكثرة كدورة ماء النيل[٥٥] » .

« ومن أمثلة المحاصيل الصيفية : قصب السكر ، ويحتاج إلى « أرض دمثة قد شملها الرى وعلاها النيل، وقلع ما بها من الحلفاء ونظفت ثم برشت بالمقلقلات[٥٦] فإذا أصلحت الأرض وطابت وصارت تراباً ناعماً شقت حينئذ بالمقلقلات ، ويرمى فيها القصب ... بعد أن تجعل الأرض أحواضاً وتفرز لها جداول يصل الماء منها إلى الأحواض ، ويكون طول كل قطعة من القصب ثلاث أنابيب كوامل وبعض أنبوبة ، ويختار ما قصرت أنابيبه وكثرت كعوبه » ويقال لهذه العملية « النصب » ولابد للقصب من القطران قبل أن يحلو حتى لا تتطرق إليه الآفات ، كما لابد من حرق آثار القصب بعد قطعه ثم سقيه وعزقه فينبت قصب يقال له « الحلفة » أو « العقر » ويسمى الأول[٥٧] الرأس ، وينتج فدان القصب من ٤٠ — ٨٠ أبلوجة من العصير[٥٨] ، وفدان السمسم من إردبين إلى ستة أرادب والقطن ٨ قناطير فما دون ذلك وهكذا . . »[٥٩] .

« ومن حيث الرى ووسائله وتنظيمه . فالملاحظ أن وسائله هى العادية

المألوفة منذ القدم ، فاستخدم الشادوف والساقية وطريقة « الراحة » عند « طلوع النيل »(٦٠) :

ولما كان تنظيم الرى ووسائله من الأمور الحيوية لضمان عمارة الإقطاع من ناحية وتيسير وسائط النقل من ناحية أخرى ، فقد التزم المقطعون فى عصر المماليك بإقامة الجسور فى إقطاعاتهم وهذه هى (الجسور البلدية) تمييزاً لها عن « الجسور السلطانية » ، وهذه يخص نفعها ناحية دون أخرى ، وليس للمشرفين من « كشاف التراب » عليها أية سلطة(٦١) ، والمعروف أن السلطان كان يجبى رسماً مقرراً نظير إقامة الجسور السلطانية لعموم نفعها ، يدفعه المقطعون ، وعرف هذا الرسم باسم « مقرر الجسور » ، وقد ذكر المقريزى أنه منذ عهد فرج بن برقوق صار يجبى من البلاد مالا عظيماً ولا يصرف منه شىء ألبتة بل يرفع إلى السلطان ويتفرق أكثره بأيدى الأعوان ويسخر أهل البلاد فى عمل الجسور فيجىء « الخلل » ، والمشرفون على الجسور السلطانية موظفون من قبل السلطات هم « كشاف الجسور » ، ويوجدون فى كل الأقاليم والمختصون بصيانتها موظفون آخرون يسمون « كشاف التراب » يندبون كل سنة مرة واحدة من الأمراء مقدمى الألوف إلى كل إقليم فى زمن الربيع لاستخراج ما هو مقر على البلاد من « الحفير والجرافى » ، والمقصود بالحفير التراب الذى يوضع فى الأماكن التى يجرفها مياه الفيضان ، أما الجراريف فهى الآلات التى يجرف بها التراب لإقامة الجسور وحفظها عند الفيضان ، فمثلا كان كاشف التراب بالشرقية فى سنة ٨٧٣هـ — ١٤٦٨م ، أيام قايتباى ، هو الأمير برقوق الناصرى ، (فحصل به نفع لقمع العربان المفسدين وعمارة الجسور) واهتم السلاطين بها اهتماماً زائداً ، من ذلك ما فعله الناصر محمد فى سنة ٧١٤ هـ — ١٣١٤م حين ندب الأمراء إلى الأعمال المختلفة للإشراف على الجسور السلطانية فكان الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى منتدباً بالشرقية والأمير علاء الدين العزيزى للبهنساوية ، والأمير حسين بن جندر لأسيوط ومنفلوط ، والأمير سيف الدين آقول الحاجب للغربية الخ . . ، وإذا زاد النيل زمن

الفيضان وخيف الضرر من طغيان المياه زاد السلطان فى العدد المكلف بصيانتها كما حدث فى سنة٧٨٥هـ – ١٣٨٣م ، عندما زاد النيل وهدمت بيوت كثيرة فأمر السلطان برقوق جماعة من الأمراء والمماليك بالإقامة بجوار النيل أو « البحر » ، كما كان يسمى ، والخلجان لحفظ الجسور ، ويشبه هذا ما يقع حالياً من إقامة المهندسين والعمال بجوار الجسور عند ارتفاع النيل ، ومن السلاطين من كان يسافر بنفسه للكشف عليها كما فعل قايتباى فى سنة ٨٨٨ هـ –١٤٨٣ م وفى سنة ٨٩١ هـ – ١٤٨٦ م وهكذا (٦٢) .

أما الجسور البلدية فيتولى إقامتها المقطعون والفلاحون ، حتى إذا ما انتقل الإقطاع بوجه من وجوه النقل(٦٣) ، خلال السنة ، حوسب المقطع الجديد على ما أنفق سابقه فى إقامة جسوره ، وعبارة المقريزى : « ومن العادة أن المقطع إذا انفصل وكان قد أنفق شيئاً من مال إقطاعه فى إقامة جسر لأجل عمارة السنة التى انتقل عنه الإقطاع فيها ، فإن له أن يستعيد من المقطع الثانى ما أنفقه من مال سنته فى عمارة سنة غيره »(٦٤) ، وقد ورد مرسوم فى عهد الناصر محمد إلى ناصر الدين الحسين من بنى تنوخ المقطعين بغربى لبنان موجه من قبل تنكز نائب الشام بخصوص عمارة جسر نهر الدامور الجارى بين صيدا وصور وبيروت لتسهيل سبل النقل نظراً لما يقاسيه « السفار » ، فأجابه الأمير المقطع « ورد المرسوم العالى – أعلاه الله – يتضمن عمارة جسر . . وفى ذلك حسنة عظيمة ساقها الله تعالى لتسطر فى صحائف مولانا ملك الأمراء ... »(٦٥) ، وطلب فى آخر الكتاب الاستعانة بالمهندس الخبير أبى بكر بن البصيص البعلبكى وختم كتابه بهذه العبارة المألوفة فى ذلك العصر : « والمملوك يمتثل ما يرد عليه عليه من المراسيم العالية »(٦٦) .

وبجانب الجسور نجد الترع والخلجان ، وهى من المنافع العامة كذلك تتولاها الدولة من حيث الإشراف : حفراً وتطهيراً ونفقة لكن يلزم بها المقطعون من حيث العمل . من ذلك ما حدث فى عهد قلاوون ، مثلا ، حين توجه بنفسه فى سنة ٦٨٢هـ – ١٢٨٧م ، للإشراف على حفر الخليج

المعروف باسم « الطبرية » غربى فرع رشيد وسار العسكر المنصور لامتثال أمره وهرعوا بالمعاول والمساحى وجمعوا ما تفرق من الرجال فى تلك النواحى لإجراء النيل فى الخليج وتم حفره فى عشرة أيام . وفى عهد الناصر ألزم الأمراء فى سنة ٧٢٤هـ — ١٣٢٤م ، بحفر خليج خارج القاهرة يصل النيل بالخليج الكبير لزيادة الماء فيه ، وتولى الأمير أرغون نائب السلطنة الإشراف على هذه العملية وكتب إلى ولاة الأعمال بإحضار الرجال للحفر وعين لكل واحد من الأمراء أقصاباً يحفرها ثم اقتضى العمل هدم كثير من البيوت والأملاك ، فهدمت ودفع السلطان ثمنها . وربما استغلت أمثال هذه العمليات والمنافع العامة لخدمة المنافع الشخصيةا لخاصة ، ولا بأس لدى السلطان فى ذلك مادامت المنفعة الشخصية جزءاً من المنافع العامة ، ففى عهد السلطان جقمق ، توجه الأمير زين الدين الأستادار فى سنة ٨٥٤هـ — ١٤٥٠م إلى الوجه البحرى للإشراف على حفر بحر المنزلة لأنه « استد فمه وصار فيه الرمال كالجبال » ولما كان للأميرين إينال العلائى الناصرى أتابك العساكر وتنم بن عبد الرازق المؤيد أمير مجلس ، بتلك البلاد جهات داخلة فى إقطاعاتهما ، فقد زكى الأستادار سفرهما معه للنظر فى مصالح بلادهما ، ولذلك رسم السلطان لهما بالسفر معه ، وهذا يدلنا من جهة أخرى على أن مجرد رعاية مصالح الإقطاع والسفر إليه لابد لها من إذن السلطان .

ويتبع الجسور والترع والخلجان ، القناطر ، وهذه اهتم بها السلاطين كما فعل قايتباى مثلا فى سنة ٨٩٦هـ — ١٤٩٠م ، حين أمر الأمير أزبك أتابك العسكر بالتوجه إلى شبرامنت بنواحى الجيزة لعمارة القناطر بها ، وبلغت النفقات نحو ٥ آلاف دينار ، كما أمر ببناء رصيف « به نفع للمسافرين أيام زيادة النيل »(٦٧) .

هذا ما يتعلق بطرق الزراعة وأمور الرى أو قوانين الفلاحة عامة ، فإذا نبت الزرع ، أرسل صاحب الإقطاع مباشرين بحضور مندوبى السلطان لمسح الأرض المزروعة مرة أخرى تمهيداً لربط الخراج عليها بصفة نهائية ،

ويعرف رئيس المباشرين من قبل صاحب الإقطاع باسم « الشاد » ومعه «عدول» ذوو خبرة بالمساحة وكاتب خبير أمين ، وكذلك « قصابون » لعملية القياس .

يمسح هؤلاء الأرض المزروعة، وتجمع البيانات فى سجلات جديدة أهمها « المكلفة » التى تضم أسماء المزارعين . فمثلا كانت مكلفة مساحة أسيوط على عهد السلطان حسن تشتمل على ٦٠٠٠ نفر ، وهذا عدد قليل جداً بالنسبة للمألوف(٦٨) ، وعلى هذه المكلفة يوقع الشهود وحاكم العمل ، ثم تحمل إلى ديوان صاحب الإقطاع(٦٩) . بهذه العملية يقدر الخراج غلة أو نقداً ، وأعلى تقدير للخراج الغلة المقررة على كل فدان ثلاثة أرادب ، وذلك فى الأرض الجيدة كبعض نواحى قوص ، وأقل قيمة سدس إردب عن الفدان ، ولا يكون ذلك إلا فى الأراضى التى غلبت عليها الأخراس وقل الانتفاع بها (٧٠) . ومن الأراضى مايؤخذ خراجها نقداً ويعبر عن النقد كذلك بلفظ « العين » (٧١) ومتوسط قيمة خراج الفدان نحو ٢٥٠ درهماً ، وعرفت هذه القيمة بصفة خاصة ببعض نواحى أراضى الجيزة ، على أنه قد سجل فى بعض السنين خراج ثلاثة أفدنة بنحو ألف درهم ، وأغلب ما يزرع فى هذا النوع الأخير من الأراضى ، الكتان(٧٢) على حين أن قطيعة فدان الكتان المألوفة بالصعيد ، تتراوح بين ٣ ، ٥ ، ١٣ ديناراً (٧٣) .

ويحدث أن تزاد قطيعة الفدان أو تنقص تبعاً للظروف المحيطة من غلاء أو شرق أو يسر فى الرى أو قيام فتن تستلزم نفقات ، أو نتيجة لظلم أو عسف يقع ، وفى مثل هذه الحالات ، تتغير فئات الخراج زيادة ونقصاً ، وربما ألغى الخراج نهائياً فى بعض السنوات تشجيعاً للفلاحين على العمل وعمارة الإقطاع ، كما كان الشأن فى بعض إقطاعات تنكز نائب الشام فى عهد الناصر وبعض أمراء الشام والأمراء التركمان الذين أقطعهم الناصر أراضى سيس على أثر فتحها فى سنة ٧٣٨هـ — ١٣٣٧م ، إذ جاء عنهم أنهم استعملوا الأرمن فى الفلاحة وحطوا عنهم الخراج فعمرت ضياعها »(٧٤) مع ملاحظة أن الخراج الذى يحصل من الفلاحين ليدفع للسلطان قد يسامح المقطع ببعضه أو كله إن تأخر على المقطع

باق بسبب ضعف أو حاجة ، أما إذا كان الباقى المتأخر ناتجاً عن تفريط من الزراع أو المباشرين حوسبوا عليه بحكم قاضى الناحية بحضرة العدول »(٧٥) .

وقد رسم السلطان جقمق فى سنة ٨٥٦هـ – ١٤٥٢م للمقطعين « بأن البلاد التى رويت من ماء النيل فى تلك السنة يأخذون عنها من الفلاحين القطيعة قطيعتين ، ففعلوا ذلك ومشى هذا الأمر » ، وكان ذلك لحاجة إلى المال ووقوع شرق وغلاء فى بعض الجهات الأخرى فى ذلك الوقت(٧٦) . وفى عهد قايتباى ، تولى جماعة من مماليكه تحصيل الخراج « فجاروا على الفلاحين وأخذوا منهم غير العادة أضعافاً » وكذلك الكشاف ، يقرر عليهم الأموال فيجورون على البلاد ويأخذون المال مضاعفاً ، ومنذ ذلك الوقت ، « تلاشى أمر البلاد وانحط خراج المقطعين » ، كما يعلق ابن إياس(٧٧) . وكذلك حدث فى زمن السلطان الغورى ، أن أرسل السلطان شخصاً من الخاصكية يقال له نافق الخازن إلى الأعمال الشرقية والغربية « ليستوفى على المقطعين ما كانوا أوردوه من الخراج عن السنة التى أفردها السلطان على المقطعين ، فلما توجه نافق المذكور إلى هناك ، طبق على الفلاحين وفحص عن أصل خراج كل حصة وما تعمل فى كل سنة من الخراج ، فصار المقطعون فى وجل بسبب ذلك ، ورحل غالب الفلاحين ، وقد طالبهم ببقية الخراج زيادة عما أورده المقطعون فى بيت الأتابكى قبت الرحبى ، فأرسل الفلاحون يطلبون من المقطعين الرجعان بما أوردوه بيت الأتابكى ، فغرموا الفلاحون لنافق المذكور جملة من المال حتى حل عنهم(٧٨) » .

هذا ما يتعلق بأمور الخراج ، أما نصيب الفلاح ، فيحل له عند نضج المحصول وبعد الحصاد ، فتكون المقاسمة مناصفة أو مثالثة ، بحسب ما اتفق عليه ، يأخذ المباشر ما يخص الديوان(٧٩) ، وتكون هذه القسمة بحضور شهود نظير أجر يتناولونه من المقطع والفلاح ، وبلغ من عناية المعاصرين من الفقهاء بالتحرى عن حكم الشرع فى هذا الأجر ، أن طرحت الاستفتاءات حوله ، ومنها ، « فإذا أخرج المقطع والفلاح من نصيبهما أجرة معلومة للشهود فهل

للشهود أن يتناولوا الأجرة ؟ وهل هى حلال ؟ وهل لهم على كتابة ما يطلب منهم كتابته الأجرة ؟ أجاب شهاب الدين بن حجر : « والله يهدى للحق ، حضور الشهود قسم الغلات وضبط ما يتحصل منها وما يخص كل واحد من مستحقيها برضى أربابها .. وأجرة الشهود ليس بحرام ، وهى من جملة المكاسب الدائرة بين الناس »(٨١) .

وهناك رسوم أخرى يدفعها الفلاح القرارى دون الطارىء، وتعرف هذه الرسوم باسم « الحقوق » وهذه تسجل عندتسليمهم الأرض وتقدر بالدراهم بنحو ٢ إلى ٤ دراهم عن كل فدان غير الغلة ، على أن هناك من الأراضى ما هو معفى من هذه الحقوق(٨٢) وربما كان السبب فى فرضها أو الإعفاء منها راجعاً إلى نوع الأرض وسهولة ريها ، أو لصفة الأرض كأن تكون وقفاً ، كمدينة شباس الملح بالغربية مساحتها ٧٤٣ فداناً قدرت الحقوق الواجبة عليها بنحو ٢٧٠٠ درهم ، وهى وقف السادة الأشراف (٨٢) ، كذلك بلغت الحقوق الواجبة على مدينة الروبيين بالأعمال الفيومية نحو ٢٣٥ ديناراً ، وهى وقف المدرسة الشافعية بالفيوم(٨٣) .

يؤخذ من الفلاح بعد هذه الرسوم عشر ما بقى له ، وهذا العشر كسابقه « الحقوق » ليس مطرداً فى جميع البلاد ، فجهات البر والأوقاف معفاة منه ، كما أن بعض المزارعين الذميين معفى منه فى بعض الجهات ، على أنه عام فى نواحى الإقطاعات ، وربما قدر هذا العشر والزرع قائم أو حصيد قبل دراسته ، فيندب له : « من يقف على النواحى ويحرز ما بها من غلال ويقدر العشر عنها »(٨٤) ، وفرق بين هذا العشر الذى تعفى منه جهات البر الإسلامية والذمية فى الإقطاع المملوكى وبين العشر الذى كان يدفعه الفلاح فى أوربا الإقطاعية وتصر الكنيسة على تحصيله فى أراضيها (٨٥) .

هذا ويدفع الفلاحون ما أخذوه من التقاوى السلطانية والقروض بالكيل المتعامل به فى الإقليم ، ويكلف ولاة كل إقليم بتحصيلها . فمثلا حين راك الناصر محمد البلاد ، حسب التقاوى السلطانية « المخلدة » بالنواحى منذ أيام بيبرس وقلاوون ، فى إقطاعات الأمراء والأجناد ، فوجد أن جملتها ١٦٠

ألف إردب ، وهذا غير صافى الخاص السلطانى ، فقرر النشو ناظر الخاص مع السلطان الناصر تحصيلها وألزم الولاة بذلك[٨٦] ، تعمل بعد ذلك دفاتر جديدة أو سجلات تعرف باسم « مخازيم » ، ويفصل فيها أسماء الفلاحين وأصل المقاسمة ؛ مناصفة أو مثالثة الخ . . . والرسوم والعشر وما حصل من التقاوى والقروض [٨٧] .

أما نصيب الفلاح من التبن ، فيقدر بالثلث فقط ، على حين يقسم الثلثان الآخران ، بين المقطع والسلطان ، ويطلق على نصيب السلطان اسم « مقرر الأتبان » إلا إذا رأى الفلاح حاجته إلى المزيد من التبن ، فله فى هذه الحالة أن يشترى حصة الديوان بسعر المائة حمل ٤½ دنانير[٨٨] ، وإذا أراد أن يرعى ماشيته ، دفع رسماً معيناً ، وذلك بعد إضافة المراعى إلى الإقطاعات ، فكما أن الأمير المقطع يأخذ « ممن يرعى دوابه فى أرض بلده الكتيح فى كل سنة مالا عن كل رأس » ، وطريقة تقدير الثمن ، أن يرسل مندوبين من قبله ما بين مشدين وكتاب وشهود لعد المواشى وتحصيل الرسوم ، وذلك بعد هبوط النيل ونمو الكلأ [٨٩] ، ويختلف هذا الاستغلال للمراعى ، عن أشباهه فى الغرب الإقطاعى ، إذ كانت المراعى بأوربا الإقطاعية ملكاً عاماً لأهل القرية كما كان الشأن فى فجر الإسلام قبل أن تقطع المراعى[٩٠] .

وهناك التزامات أخرى متنوعة يؤديها الفلاحون بحكم العادة لصاحب الإقطاع ، « كالضيافة والهدايا » ، وتشمل بعض منتجات الريف من غلة ودجاج وكشك وخراف وبرسيم وكعك وغيره ، بل إن هذه الضيافة اعتبرت ضمن الخراج إذ كانت تجبى مسانهة ، فإذا نزل المقطع مع أتباعه فى إحدى القرى الموجودة بإقطاعه ، حصلت له الهدايا [٩١] ، هذا فضلا عن بعض الخدمات التى يؤديها الفلاحون للمقطعين ، وتدخل ضمن الهدية والضيافة ، وهى سخرة إقطاعية بمعنى آخر ، ولهذه الضيافات والهدايا نظائر بالشام ، وفى الروك الناصرى أبطلت الضيافة والهدايا وأدخلت ضمن عبرة الإقطاع [٩٢] . غير أن هذا الإجراء لم يعف الفلاحين من أعبائها .

وتخزن المحاصيل المجموعة بأنواعها المختلفة فى مخازن صاحب الإقطاع ، فإن كان سلطاناً ، كانت مخازنه على نوعين : الحواصل ، وتوصف بالشريفة ، وهى التى يساق إليها المحصل من الأصناف المختلفة كالبهار وأنواع الأصناف الأخرى من الأخشاب والأقصاب والحديد ، ويعرف النوع الثانى باسم « الشون والأهراء » . فأما الشون ، فيوضع بها ما يستعمل من الغـلال والأحطاب والأتبان ، وأما الأهراء فيوضع بها ما يخزن من الغلال المتنوعة ، ولا تفتح إلا عند الضرورة ، ولذلك تعتبر الأهراء مخازن عامة . فمثلا نجد السلطان الملك الأشرف شعبان قد حجر على بيع الغلال وكل من يريد بيع غلته ، عليه أن يحملها إلى الأهراء السلطانية ويقبض ثمنها ، فلما وقع الغلاء فتحت الأهراء وبيع ما فيها ، ويقال إن السلطان كسب فى هذه العملية ٣٠٠ ألف دينار . ولهذه الأهراء مراكب خاصة تعرف واحدتها باسم « الدرمونة » وحمولتها ٥٠٠٠ إردب ، ولها موظفون للإشراف عليها(٩٣) ،وكانت الشون موزعة فى أقاليم مصر . فمثلا كان يتجمع بالشون السلطانية بمدينة منفلوط من الغلال المحصلة من بلاد الوجه القبلى نحو ١٫١٥٠٫٠٠٠ إردب فى بعض العهود(٩٤) ، أما شون الأمراء ، فنظامها على نحو نظام الشون السلطانية ، إلا أنها توصف« بالمعمورة » تمييزاً لها عن السلطانية التى توصف «بالشريفة»(٩٥) .

ويلاحظ أن الفلاح ليس مكلفاً بهذه الالتزامات المتنوعة فحسب ، بل إن طريقة جبايتها وتحصيلها كانت تعسفية إلى حد كبير ؛ فمثلا حدث فى سنة ٧٥٤هـ (١٣٥٣ م) فى عهد السلطان صالح بن محمد بن قلاوون ، أن تعجل المقطعون الخراج قبل ميعاده من الفلاحين ، وذلك بصدد الاستعداد لقمع فتنة العربان بالصعيد بقيادة الأمير شيخو ، فرسم السلطان للفلاحين ببيع خيولهم بالسوق ، ويوردون أثمانها مما عليهم من الخراج ، « فبيعت عدة خيول وأوردوا ثمنها للمقطعين(٩٦) » .

ولما كان عربان الصعيد المقطعون كثيرى المماطلة فى دفع الخراج فضلا

عن فتنهم المستمرة ضد المماليك ، فقد احتاج السلطان إلى كثير من العناء فى تحصيل الخراج أو « جمع المغل » فى المصطلح : فمثلا خرج الأمير يشبك الدوادار فى سنة ٨٧٤هـ — ١٤٦٩م فى عهد قايتباى متوجهاً إلى الوجه القبلى « بسبب جمع المغل من البلاد القبلية » واستغرقت هذه الرحلة نحواً من سبعة أشهر ، ويقال إنه فعل ببلاد الصعيد من المظالم ما لم يسمع بمثله ، حتى إنه شوى بالنار « محمود » شيخ بنى عدى ، كما خوزق [٩٧] جماعة من العربان ، وسلخ جلد جماعة ، بل دفن كثيراً من الأحياء منهم فى التراب ، فدخل الرعب فى قلوبهم ، ولذلك خلع عليه السلطان حين عاد[٩٨] .

ومن القيود المفروضة على الفلاحين إجبارهم على الفلاحة ، يقول السبكى : « ومن قبائح ديوان الجيش ، إلزام الفلاحين بالإقطاعات بالفلاحة ، والفلاح حر لا يد لآدمى عليه[٩٩] » . وفصل المقريزى هذه العبارة بصدد حديثه المقارن عن نظم الزراعة فى مصر الإسلامية فى عصر الفتوح الكبرى ونظمها فى عصره ، فذكر أنه لم يعرف فى ذلك العصر الأول « هذه الآبدة التى يقال لها الفلاحة فى عهده ، ويسمى المزارع المقيم بالبلدة فلاحاً قرارياً ، فيصير عبداً لمن أقطع تلك الناحية إلا أنه لا يرجو قط أن يباع ولا أن يعتق فهو قن ما بقى ، ومن ولد له كذلك[١٠٠] » بل إنه إذا حدث وهرب فلاح ، فراراً من الظلم والقسوة ، أعيد قسراً ، يقول السبكى : « وقد جرت عادة الشام ، بأن من نزح من دون ثلاث سنين ، أى خلال ثلاث سنوات ، يلزم ويعاد إلى القرية قهراً ، ويلزم بشد الفلاحة ، والحال فى غير الشام أشد منه فيها ، ومن قبائحهم يقولون : هذا شرع الديوان [١٠١] » وشرع الديوان هذا ، والمقصود به ديوان الإقطاع أو ديوان الجيش ، هو فى الواقع استرقاق للفلاحين .

وهذا ما حدث بعينه فى الإقطاع الأوربى نقلا عن الرومان ، حيث كان الفلاح مقيداً بالأرض فإذا هرب منها ، قبض عليه وسلسل كالعبد وعوقب أشد العقوبة ، بل يعاقب كذلك من سهل له الفرار[١٠٢] ، والمعروف أن الفلاح من الوجهة القانونية أكثر حرية من العبد أو القن ، ولكنه يشبهه من حيث إنه يعيش على الأرض ولا يستطيع مفارقتها[١٠٣] . والخلاصة أن الفلاح عاش فى النظام الإقطاعى حياة بائسة كلها مغارم[١٠٤] .

(١) من مشاهير نظار الخواص الشريفة شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله المعروف بالنشو فى عهد الناصر محمد وهو من المسالمة الذين عظم شأنهم ، وأول من لقب بناظر الخاص رجل من المسالمة كذلك فى عصر الناصر ، هو أكرم بن هبة الله القبطى كريم الدين الكبير أسلم وتسمى باسم عبد الكريم ويكنى أبا الفضائل (الدرر الكامنة جـ١ ص٢٠١ ، النجوم الزاهرة جـ٨ ص٩٣ ، ٩٤ و جـ٩ ص١٣١ ، ١٤٣ ، ٣٢٣ - ٣٢٤ السلوك جـ١ ص٨٤٣ ، ٨٤٤ ، جـ٢ ص٤٧٥ ، ٤٨٣ و ٥٠٥ وزبدة كشف الممالك ص٧) .

(٢) من مباشرى دواوين الأمراء فخر الدين العلم ناظر ديوان الأمير بشتاك فى عهد السلطان الناصر محمد والقاضى أبو منصور « صاحب » ديوان الأمير اقبردى الدوادار فى عهد محمد بن قايتباى (سلاطين المماليك ص٢١٣ وبدائع الزهور جـ٢ ص٣٠٥) .

(٣) الألطاف الخفية ص ٢٦ .

(٤) النجوم الزاهرة جـ٨ ص١٩٨ .

(٥) النهج السديد ص٥٦٧ ، السلوك جـ١ ص٧٨٨ .

(٦) السلوك جـ٢ ص١٩٧ ، أنباء الغمر جـ٢ ص٢٦ ، بدائع الزهور جـ١ ص٢٤٤ .

(٧) السلوك جـ١ ص ٥٤٤ .

(٨) النجوم الزاهرة جـ١٠ ص٢٠٨ - ٢١٠ ، خطط جـ١ ص٣٥٥ - ٣٥٦ .

(٩) انظر فصل المجتمع فيما يلى .

(١٠) التيسير والاعتبار ورقة ١٧ .

(١١) مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٨٨ .

(١٢) نهاية الأرب جـ ٨ ص٢٤٧ .

(١٣) أطلق الشاميون على المطر أسماء مختلفة تبعاً لموسم الزرع ، فعرفوا المطر الذى ينزل فى فصل الخريف أو الربيع الأول باسم (الوسمى) ، والمطر الذى ينزل فى شهر نيسان (أبريل) حين يقرب النبات من النضج يسمى « الفاطم » (النويرى نهاية الأرب جـ٨ ص٢٥٥ ، مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٨١ ، أقرب الموارد) .

(١٤) نهاية الأرب جـ٨ ص٢٤٦ - ٢٤٧ .

(١٥) قانون بمعنى مساحة (التحفة السنية ص٢٤ ، ٢٧ ، ١٤٧ ، انظر الألفاظ الاصطلاحية) .

(١٦) الشراقى هى الأرض التى لم يصل إليها الماء لقصور النيل عنها أو لعلوها أو سد طريق الماء عنها (نهاية الأرب جـ٨ ص٢٤٧ ، خطط جـ١ ص١٦٢) .

(١٧) نهاية الأرب جـ٨ ص٢٤٨ .

(١٨) نهاية الأرب جـ٨ ص٢٤٧ – ٢٤٨ ، خطط جـ١ ص١٦٢ .

(١٩) يطلق اسم الباق على الأرض حين تخلو من زراعة القرط والمقاثى .

(٢٠) النقاء هو الطين السواد الذى يصلح للزراعة وينبت فيه الكلأ الصالح للرعى إذا لم تزرع ، ويسمى هذا الكلأ فى الصعيد « الكتيح » وهو نبات تستغنى به الخيل والدواب والماشية عن البرسيم .

(٢١) قطيعة الغالب دون قطيعة الخرس .

(٢٢) قطيعة هذا النوع متوسطة ، وأغلب ماتكون بالنقد أو العين وليست غلة – انظر مايلى .

(٢٣) نهاية الأرب جـ٨ ص ٢٤٧ – ٢٤٨ ، خطط جـ١ ص ١٦٢ .

(٢٤) نهاية الأرب جـ٨ ص٢٤٨ ، خطط جـ١ ص١٣٨ ، صبح الأعشى جـ٣ ص٤٥٨ .

(٢٥) نهاية الأرب جـ٨ ص٢٤٩ – ٢٥٠ .

(٢٦) صبح الأعشى جـ٣ ص٤٥٨ .

(٢٧) نهاية الأرب جـ٨ ص٢٥٠ .

(٢٨) السلوك جـ١ ص١٤٦ .

(٢٩) تستخدم الغرارة فى دمشق لتعبئة الحبوب وسعتها ١٢ كيلة والكيل ٦ إمداد ينقص قليلا عن الربع المصرى . (مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٧٦ – ٣٧٧ ، خطط ص١٦٣ انظر – المكاييل بالملاحق) .

(٣٠) السلوك جـ٢ ص٤٣٦ .

(٣١) نهاية الأرب جـ٨ ص ٢٥٠ ، خطط جـ١ ص١٤٧ .

(٣٢) المقاسمة والمزارعة والمخابرة ألفاظ مترادفة وهى اصطلاحات لزراعة الأرض على شطر مما يخرج منها من المحصول ، وتختلف المخابرة ، وهى لغة مشتقة من الخبير وهو الفلاح ، عن المقاسمة والمزارعة فقد اعتبر الفقهاء أن المقاسمة أو المزارعة تكون إذا كان البذر من صاحب الأرض ، على حين يكون البذر من العامل أو الفلاح فى المخابرة ، وذكروا أن النبى (ص) نهى عن المزارعة والمخابرة على أساس أن العقد فيها على شئ غير معروف ، لأن العامل يعمل فى الأرض من غير أن يدرى مايصيبه ، ومن الفقهاء من أجاز هذه الطرق استنادا إلى أن النبى (ص) عامل أهل خيبر على أرضها ونخلها بشطر مما يخرج منها من ثمر أو زرع ، وفى رواية أخرى أنه عاملهم على أساس « المساقاة » وهى عقد يتضمن معاملة الشخص غيره على شجر أو عنب أو نخل ليتعهده بالسقى والتربية نظير قدر معين من الثمر ، وعلى هذا الأساس تجوز المزارعة تبعاً للمساقاة ، واختار النووى جواز المزارعة والمخابرة على أن يكون البذر من المالك ، وحمل أحاديث الرسول (ص) فى النهى عنها على ما إذا اشترط المالك لنفسه ناحية معينة من الأرض

وللعامل أو الفلاح الأخرى . كما أجاز أبو يوسف ومحمد ذلك، لأن فيه توسعة على الناس ومصلحة لهم والذى سار عليه الأمر فى عصر المماليك، هو أن البذر من الفلاح ، والمقطع أو أى مالك لحق الاستغلال أو الانتفاع ، لأن التقاوى السلطانية توزع ثم تحصل قيمتها عينا أم غلة (الشعرانى : الميزان – فقه شافعى – جـ٢ ص١٠٠ – ١٠١ ، حاشية البيجوى على ابن قاسم الغزى على متن أبى شجاع فى مذهب الإمام الشافعى جـ٢ ص ٤٠ – ٤١ ، الخطيب : الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع جـ ٢ ص ٦٧، ٧٧ ، الخضرى . التهذيب فى علم الفقه ص٧٣ ، حاشية البرماوى على شرح الغاية لابن قاسم الغزى ص٢٠٠ – ٢٠١ ، الجزيرى : كتاب الفقه على المذاهب الأربعة جـ٢ ص٣ – ٦ ، الكردى : تنوير القلوب ص٣٠٠ – ٣٠١ ، شرح فرائض التاج (فقه حنفى) ورقة ١٩٣ و٢١٩ (مجاميع مخطوط رقم ٤٨٤ – بدار الكتب) ، النسفى : كنز الدقائق ص ٣٣١ ، درر الحكام فى شرح الحكام فى شرح غرر الأحكام ورقة ٤٢٦ ، يعقوب أرتين باشا : الأحكام المرعية فى شأن الأراضى المصرى ص١٤–١٧– المرجعان الأخيران بمكتبة الحرم الشريف بمكة المكرمة رقم الأول ٦٥ والثانى ٤٥٩)

(٣٣) شرح فرائض التاج ورقة ١٩٣ – ١٩٤ .

(٣٤) الإجارة لغة : اسم للأجرة، وشرعا : عقد منفعة مقصودة قابلة للبذل والإباحة بعوض معلوم ، ومعناها كذلك الكراء وهو التأجير لغة ، ومنها الاكار وهو الفلاح ، وقد أمر الرسول (ص) بالمؤاجرة . (أبو عبد الله مسعود النسفى : كنز الدقائق ص٢٩٤ ، دور الحكام فى شرح غرر الأحكام مخطوط ورقة ٣٧٩ ، ٣٨٢ (مكتبة الحرم الشريف المكى رقم الأول ٦٥ والثانى ١٨٩) حاشية البيجورى جـ ٢ ص ٣٠ – ٣١ ، الشعرانى الميزان جـ٢ ص١٠١ ، التهذيب ص٧٣) .

(٣٥) رسالة فى أحكام الرزق الصادرة من الإمام أو نائبه ص٣ – ٤ .

(٣٦) حدثت فترات استثنائية خلال تلك الحقبة ارتفع فيها السعر لمظالم المشرفين على الإقطاعات ، فمثلا طرح النشو ناظر خاص الناصر محمد سنة ٧٣٧هـ (١٣٣٩م) فدان القلقاس على « القلاقسية » بسعر ١٢٠٠ درهم (السلوك جـ٢ ص٤٢٠ ،صبح الأعشى جـ٣ ص٤٥٤، ٤٥٨) .

(٣٧) صبح الأعشى جـ٣ ص٤٥٤ ، ٤٥٨ .

(٣٨) كانت الفوضى منتشرة فى هذه الفترة ولا سيما فى سنة ٨١٠هـ (١٤٠٧م) بسبب خروج الأمير جكم العوضى نائب حلب على السلطان فرج بن برقوق وإعلان نفسه سلطاناً بحلب حتى خضعت له البلاد الشامية من الفرات إلى غزة ، ومع مقتل جكم ، قامت ثورة أخرى بزعامة نوروز الحافظى نائب الشام وشيخ المحمودى نائب طرابلس ، وهو الذى تسلطن فيما بعد (بدائع الزهور جـ١ ص٣٥١ – ٣٥٢) .

(٣٩) صبح الأعشى جـ٣ ص٤٥٤ ، ٤٥٨ .

(٤٠) إغاثة الأمة بكشف الغمة (نشر زيادة والشيال) ص ٤٥ – ٤٧ .

(٤١) معيد النعم ص٣٥ .

(٤٢) نهاية الأرب جـ٨ ص٢٦٠ – ٦١٠ .

(٤٣) نهاية الأرب جـ٨ ص٢٦٠ – ٢٦١٠ .

(٤٤) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ص١٣٠ .

(٤٥) زبدة كشف الممالك ص ١٣٠ .

(٤٦) خطط جـ١ ص١٣٨ .

(٤٧) نهاية الأرب جـ ٨ ص٢٤٨ وصبح الأعشى جـ٤ ص٤٥٨ .

(٤٨) يرجع أصل كلمة Vassal إلى الكلمة الكلتية Gwas بمعنى خادم أو ولد صغير ثم صارت فى اللغة اللاتينية Vassus ، ويبدو أن كلمة Vassalus مشتقة من الصفة الكلتية Gwassawl بمعنى الذى يخدم ، وأخذت كلمة Vassus معنى العبد Slave خلال العصر الميروفنجى . ثم أطلقت بعد ذلك على الرجال الأحرار التابعين لأسيادهم ، وتطورت دلالتها ، فصارت تدل على معنى التهذيب والرقة Gentility ولكنها استعملت قليلا فى إنجلترا الإقطاعية واستعمل مكانها وبمعناها بكثرة ، كلمة Tenant أى المستأجر أو المزارع ، ومن هؤلاء كبار المزارعين Tenant in Chief الذين حازوا أراضيهم من الملك مباشرة .
(Ganshoff, p. 5, Steph. p . 735 ; Dutaillis, p. 67) .

(٤٩) نهاية الأرب جـ٨ ص٢٦١ .

(٥٠) هذا اللفظ Rustici لاتينى جمع والمفرد Rusticus بمعنى ريفى ، ويتضمن معنى الخشونة والتخلف .

(٥١) نهاية الأرب جـ٨ ص ٢٥٥ .

(٥٢) كان الرومان يعرفون أن الأرض سرعان ماتجهدها الزراعة المتوالية ، وحاولوا علاجها تارة بأنواع من المخصبات (الأسمدة) وتارة أخرى، زراعتها بأنواع معينة من المحصول من شأنه تقوية الأرض ، غير أنهم فضلوا نظام الحقلين ، فيزرعون النصف ويريحون النصف الآخر وقد سارت هذه الطريقة فى العصور الوسطى فى كل جنوب أوربا كوديان بلاد الغال الخصبة وبعض مناطقها الشمالية مثل بريتا ، ويلاحظ أن هناك طريقة الثلاثة حقول The Three Field Cultivation وهذه استخدمتها ألمانيا، وبمقتضاها يترك ثلث الأرض كرابا من غير زراعة فى كل سنة على حين يزرع الثلثان الآخران أحدهما فى الخريف والآخر فى الربيع، وتعتبر من الطرق المتقدمة الناجحة فى الزراعة لإنها ضمن إراحة قسم من الأرض كل سنة ، وتقوم مقام الدورة الزراعية وأعمال التسميد الحديث اللازمة لصون الأراضى (كوبولاند – ترجمة الدكتور زيادة – ص٢٦ ، ٢٨ ، Stenton pp. 258 - 256

(٥٣) خطط جـ ١ ص١٦٣ – ١٦٤ .

(٥٤) المصدر السابق ص ١٦٣ .

(٥٥) انظر المكاييل .

(٥٦) المقلقلات هى المحاريث الكبار ، والبرش الحرث (خطط جـ١ ص١٦٥ – ١٦٦) .

(٥٧) المصدر السابق ص١٦٥ .

(٥٨) الأبلوجة مكيال يسع قنطاراً فما حوله من عصير القصب (خطط ج١ ص١٦٥ -١٦٦).

(٥٩) المصدر السابق .

(٦٠) خطط ج١ ص١٦٥ - ١٦٦ .

(٦١) زبدة كشف الممالك ص١٢٩ .

(٦٢) خطط ج١ ص١٦٢ - ١٦٣ - ١٨٧ ، أنباء الغمر ج١ ص٢٠١ ، وزبدة كشف الممالك ص١٢٩ ، النجوم الزاهرة ج٩ ص٣٨ - ٤٠ ، السلوك ج ٢ ص١٣٧ - ١٣٨ ، بدائع الزهور ج٢ ص١١٢ و٢١٧ - ١٣٢ .

(٦٣) انظر الفصل التالى .

(٦٤) خطط ج ١ ص١٦٢ - ١٦٣ .

(٦٥) يقصد بملك الأمراء الأمير تنكز باعتباره كبير نواب الشام .

(٦٦) تاريخ بيروت ص١٠٧- ١٠٨ .

(٦٧) درة الأسلاك مصور ج١ ورقم ٢٧٣ ، حوادث الدهور ج١ ورقة ١٧٩ - ١٨٣ ، بدائع الزهور ج٢ ص٢٤٤ ، ٢٦٧ ، والتحفة السنية ص١٠٣ ، انظر الخريطة .

(٦٨) أورد صاحب النجوم إحصائية هذه المكلفة عند حديثه عن الوباء الذى حدث فى سنة ٧٤٩هـ (١٣٤٨م) وأدى إلى فناء كثير من الفلاحين-ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج١٠ ص٢١

(٦٩) صبح الأعشى ج٣ ص٤٥٨ ، نهاية الأرب ج٨ ص٢٥٠ ، ٢٥٥ .

(٧٠) نهاية الأرب ج٨ ص٢٤ - ٢٠ .

(٧١) يقول المقريزى « قطيعة فدان القمح بالصعيد إردبان » وفى أسفل الأرض-أى الوجه البحرى - يؤخذ عينا لاغلة » (خطط ج١ ص١٦٣) .

(٧٢) نهاية الأرب ج٨ ص٢٤ - ٢٥٠ .

(٧٣) خطط ج٢ ص ١٦٤ .

(٧٤) يلاحظ أن تنكز عرف عنه كذلك تسخيره للفلاحين (السلوك ج٢ ص٤٢٨ - ٤٣٠).

(٧٥) التيسير والاعتبار ورقة ١٧ ، انظر مهمة قاضى الفلاحين بفصل المجتمع والمسامح بالملاحق .

(٧٦) بدائع الزهور ج٢ ص٣٤ .

(٧٧) بدائع الزهور ج٢ ص٣٠٢ .

(٧٨) بدائع الزهور ج٤ ص٢٤ .

(٧٩) نهاية الأرب ج٨ ص٢٥٨ - ٢٥٩ .

(٨٠) شرح فرائض التاج ورقة ١٩٣ - ١٩٤ .

(٨١) نهاية الأرب ج٨ ص٢٤٩ - ٢٥٠ .

(٨٢) التحفة السنية ص٨١ .

(٨٣) التحفة السنية ص١٥٢ .

(٨٤) نهاية الأرب ج٨ ص٢٥٩ – ٢٦٠ .

(٨٥) كوبلاند : الإقطاع والعصور الوسطى (ترجمة الدكتور زيادة ص ٣٤) .

(٨٦) النجوم الزاهرة ج٩ ص١٣١ .

(٨٧) نهاية الأرب ج٨ ص٢٦٠ .

(٨٨) قوانين الدواوين ص٣٤٤ .

(٨٩) خطط ج١ ص١٧٣ .

(٩٠) كوبلاند وفينو جرادوف – ترجمة زيادة – ص١٠٤ – ١٠٩ .

(٩١) خطط ج١ ص١٤١ – ١٤٣ و١٦٦ – ١٦٧ ، النجوم الزاهرة ج٩ ص٥١ .

(٩٢) نهاية الأرب ج٨ ص٢٤٥ – ٢٤٦ ، النجوم الزاهرة ج٩ ص٥١ .

(٩٣) بدائع الزهور ج٣ ص١٢١ ، زبدة كشف الممالك ص١٣٢ – ١٢٣ .

(٩٤) زبدة الممالك ص٣٣ .

(٩٥) صبح الأعشى ج٤ ص٦١ .

(٩٦) السلوك مخطوط ج٣ ص١٦ و ٣٤ .

(٩٧) انظر فصل المجتمع ومسائل التعذيب .

(٩٨) بدائع الزهور ج ٢ ص١٢ ، ١١٦ ، ٢١٥ ، ٢١٨ .

(٩٩) معيد النعم ص ٤٤ .

(١٠٠) خطط ج ١ ص ١٣٨ .

(١٠١) معيد النعم ص ٤٤ .

(١٠٢) كان هذا القيد من التشريعات التى أصدرها الإمبراطور تيودوسيوس (ت ٣٩٥م) حين نظم الزراعة فى فلسطين، وينص التشريع «هنا لا يستطيع المزارع أن ينتقل حسب رغبته لكن بعد السوابق التى حدثت فى الولايات الأخرى ، سيكون مرتبطاً بمالك الأرض ولن يتمكن أحد من إيوائه وإلا دفع غرامة ، كذلك للمالك الحرية الكاملة والحق المطلق فى إعادة الهارب ثانياً» . Seignobos (H, G,), T. II, pp. 2-5 ; Steph pp. 256-360 ; Lot, pp, 107, 111 - 112) .

(١٠٣) Vinogradoff, p. 476 ; Seignobos, II, pp. 2-5 .

(١٠٤) كوبلاند (ترجمة الدكتور زيادة) ص٢٤ – ٢٥ .

الفصل الثامن

المناقلات الاقطاعية

الخصائص الجوهرية فى مناقلات الإقطاع وسلطة ولى الأمر بين الشرق والغرب ــ الصور المختلفة لانتقال الإقطاع ــ انتقال إقطاع السلطنة أو الخاص الشريف لكل سلطان جديد ــ مناقلات عامة يجريها السلطان لعوامل سياسية – مناقلات خاصة تتم بين المقطعين أنفسهم بالمقايضات أو التنازل أو البيع نظير مبالغ من المال ــ ديوان البدل ومهمته فى هذا الصدد – المهيسون ــ الأوراق التى تكتب بصدد المناقلات الإقطاعية ــ تغير حالة الإقطاع نفسه ــ زيادة الإقطاع أو إنقاصه – الطرخانيات وصورها – العزل عن الإقطاع ــ البطالون – الانتقال بعد الوفاة ونظام الوراثة فى الشرق والغرب – المحلولات من الإقطاعات وإقطاعها – المحاسبات عند الإقطاع – الحلوان فى الإقطاع المملوكى ونظيره فى الغرب .

المناقلات الإقطاعية تعبير ساد فى مصطلح النظام الإقطاعى فى مصر والشام على عصر السلاطين المماليك للدلالة على انتقالات الإقطاع الواحد من يد إلى أخرى حسبما يرى السلطان ، وانفرد النظام الإقطاعى بهذه الخاصية لارتباط الإقطاعات بالوظائف والخدمات التى يؤديها المقطعون للدولة فى شخص السلطان ، وما المقطعون على اختلافهم إلا موظفون فى حكومة مركزية على أشد ما تكون المركزية ، وهذا على خلاف الإقطاع الغربى ، فهو وإن اتفق فى بعض مظاهر النشأة أيام تأسيس الدول الجرمانية على أنقاض الإمبراطورية الرومانية ، إلا أنه صار من الناحية العملية ملكاً يتناقله الخلف عن السلف نظير حقوق والتزامات متبادلة بين السيد وتابعه ، ومع أن ولى الأمر فى الإقطاع الأوربى – نظرياً – صاحب حق فى استرجاع إقطاع تابعه إذا أخل بالتزاماته أو ارتكب جناية ، فالغالب أن يرفض التابع قرار ولى الأمر ، وحينئذ يكون السيف هو الفيصل بينهما [1]. أما الإقطاع السائد فى عصر المماليك فهو إقطاع استغلال ، يقول السبكى : إن الإقطاعات المعروفة فى هذا الزمان إنما هى إقطاعات إرفاق [2] ، وهذا الإقطاع لا يعطى المقطع رقبة الإقطاع وإنما حق الاستغلال ، أو الانتفاع أو الارتفاق فحسب ، ومع أن إقطاع التمليك حدث فى وجد فى الأرض الموات والأرض العامرة ، إلا أنه ظل فى حكم النادر ، فضلا عن شرط إذن السلطان أو ولى الأمر فى ذلك [3] ، ولذا نصت الوثائق الإقطاعية على أن الإقطاع من « صدقات السلطان » أو من مراحم مولانا السلطان وكرم الدولة ، وأن السلطان تصدق وأنعم وهكذا على خلاف المعروف عن الإقطاع الغربى ، حيث يعتبر كبار الإقطاعيين أنفسهم أقراناً للملك ، بل إن من قواعد الصليبيين المعروفة حين استقروا

بالشرق الأوسط : « أن القادم الأول له الحق الكامل فى ملكية كل قصر وكل مدينه بشرط أن يظل قادراً على حمايتها » ، ولما كان النبلاء الإقطاعيون هم الذين سبقوا فى التأسيس لأنفسهم بالأرض المقدسة ، وأن الملكية لم تأت إلا كضرورة التنظيم ظل بروز سلطة النبلاء الخاصية الكبرى فى النظام الإقطاعى بالمملكة اللاتينية ، أما ما عرف فى عصر المماليك من اصطلاح «الخشداشية»(٤) وهم الزملاء أو الأقران ، فالفرق جد شاسع بين هؤلاء وبين الأقران فى الإقطاع الغربى ، فالخشداشية هم الذين تربوا معاً عند سلطان أو أمير ، وعند ولاية أحدهم السلطنة ، وأكثر ما تقترن بالقوة ، يصبح لديه من القوة والمنعة بمماليكه ما يستطيع معه أن يستبد بالأمور دون غيره فيعزل ويولى من يشاء ويحرم متى رأى ذلك دون خشية من خشداشية أو نحوهم . يقول ابن إياس عن قطز : « فلما تسلطن قبض على جماعة من خشداشيته من الأمراء والخدام وأرسلهم إلى الحبوس بثغر دمياط والإسكندرية ، فلما فعل ذلك استقامت أموره فى السلطنة وصفا الوقت وأنشأ عصبة من الأمراء (٥) ، وما المناقلات بالإقطاعية التى نحن بصددها إلا المظهر الأكبر لهذه القوة والسيادة والتركيز .

وأول مايسترعى النظر ، هو انتقال إقطاع السلطان إلى السلطان الجديد ، ولقد حرص أمراء المماليك أنفسهم على ألا تصبح السلطنة نفسها وراثية ، وبالتالى ينتقل إقطاع المرشح للسلطنة بعد تربعه على عرشها إلى أمير آخر ، وفى مثل هذه الأحوال تقوم حركة مناقلات إقطاعية كما فعل السلطان جقمق حين ولى السلطنة سنة ٨٤٢هـ = ١٤٣٨ م، فخلع على الأمير قرقماش الشعبانى واستقربه أتابكاً لعساكر مصر عوضاً عن نفسه وقرره فى إقطاعية ووظيفة نظام المملكة التى كان يشغلها (٦) ، وزاد عليه إمرة أربعين بدمشق ، وتلا ذلك طبعاً مناقلات إقطاعية أخرى(٧) ، ولما تسلطن أحمد بن إينال سنة ٨٦٥ هـ / ١٤٦٠ م ، خلع على الأمير خشقدم الناصرى أمير سلاح وقرره فى الأتابكية عوضاً عن نفسه وأخرج له مكتوباً بإقطاع الأتابكية (٨) .

وهناك مناقلات عامة تقتضيها عوامل سياسية فينتقل بعض المقطعين من جهة إلى جهة أخرى كما حدث فى عهد كتبغا إذ عزل الأمير عز الدين الحموى نائب دمشق لسبب أمور صدرت منه سنة ٦٩٥هـ = ١٢٩٥ م، وولى مكانه أحد مماليكه وهو الأمير غرلو وأعطى الأمير المعزول إقطاع غرلو فى مصر(٩) ، وحدث مثل ذلك فى عهد الناصر محمد سنة ٧١٢هـ = ١٣١٢ م ، حين تبرم الملك المؤيد إسماعيل أبو الفداء صاحب حماة من فئة المماليك السلطانية المقطعين بحماة ، فنقلهم الناصر إلى حلب ، وفى ذلك يقول أبو الفداء « سألنى السلطان عن أحوالى وما أشكو منه فلم أفصح له بشىء ، فاطلع بعلمه الشريف وحدة ذهنه وقوة فراسته على تقلقى من الأمراء المماليك السلطانية المقيمين بحماة ، فإنهم استجدوا بحماة لما خرجت من بيت التقوى الأيوبى ، فاطلع على تعبى معهم وأنهم ربما لا يكونون وفق غرضى ، فاقتضى مرسومه الشريف نقلهم إلى حلب مع استمرار إقطاعاتهم التى كانت لهم بحماة عليهم ، إلى أن يتجلى ما يعوضهم به ، فتقدم مرسومه إليهم بذلك ووصل إليهم المرسوم على البريد بتوجههم إلى حلب ، فخرجوا عن آخرهم بأهلهم وجندهم وكانوا نحو ١٤ أميراً ، بعضهم طبلخاناه وبعضهم أمراء عشرات ، ولم يبق بحماة غير من اخترت مقامه عندى » ، واقتضى هذا النقل تنظيماً إقطاعياً جديداً فى السنة التالية ، إذ شعر الأمراء المنقولون بصعوبة إدارة إقطاعاتهم والاتصال بها ولاسيما وليس بحلب إقطاعات « محلولة » ، تكفيهم ، فرفعوا شكايتهم إلى السلطان وأعلنوا تبرمهم من صاحب حماة الذى تسبب فى النقل ، وطلبوا العودة إلى حماة ، واستجاب الناصر إلى هذه الشكوى بأن اتفق مع الملك المؤيد على نقل إقطاعات المعرة وبلادها من نيابة حماه إلى نيابة حلب ، وجاء المرسوم الشريف ، وذلك فى المحرم من سنة ٧١٣هـ – ١٣١٣م (١٠) ، وفى سنة٧٢٩هـ=١٣٢٩ م،أمر السلطان الناصر بمبادلة إقطاع الأمير حسين بن جندر بمصر بإقطاع الأمير جوبان بالشام وذهاب ابن جندر إلى دمشق وحضور جوبان إلى القاهرة ، لأن الأول استأذن فى عمل (خوخة) بسور القاهرة

تنتهى إلى حارة الوزيرية ، لكنه استغل الإذن وفتح باباً كبيراً على قدر باب زويلة ، ووضع عليه « رنكه » كأن خوخته باب من أبواب المدينة ، فسعى به متولى القاهرة إلى السلطان فأبعده عن القاهرة(١١) ، وقام المقطعون أنفسهم فيما بينهم بمناقلات إقطاعية عرفت باسم « المقايضات » والتنازل أى البيع والشراء ، والغريب أن الحكومة نفسها هى التى نظمت وشرعت لهذه المناقلات فأنشأت « ديوان البدل » وأكثر ما وقعت هذه المناقلات فى أوقات الفوضى والفتن وركون بعض المقطعين إلى البطالة والإهمال وعدم العناية باستثمار إقطاعاتهم ، فضلا عن فساد الذمم وانتشار الرشوة وجمع المال بطرق مريبة ، فتنازل أجناد الحلقة وهم الطائفة الأولى فى حيازة الإقطاعات الحربية ، عن إقطاعاتهم نظير مبالغ من المال ، وهو بيع مقصور على حق المنفعة أو الاستغلال وقايضوا إقطاعاتهم بعضها ببعض مما أدى إلى كثرة الدخيل فى الأجناد ، حتى صار أكثر أجناد الحلقة زمن المقريزى (أى القرن الخامس عشر الميلادى) من أصحاب الحرف والصناعات والباعة . على أن هذه الصورة من المناقلات الإقطاعية بدأت فى عصر السلطان شعبان بن الناصر محمد حين استبد بشئون السلطنة من دون شعبان الأمير غرلو شاد الدواوين (١٢) ، وأراد الحصول على المال بأية وسيلة سريعة ، فاستحدث هذه المقايضات والتنازلات بين أجناد الحلقة وقرر مبلغاً من المال يدفعه كل طرف من المقايضين إلى بيت المال ، كما قرر إباحة الدخول فى أجناد الحلقة ، فمن أراد ذلك فعليه أن يحمل لبيت المال قدر عبرة الإقطاع المعتاد لجندى الحلقة ، وقام « ديوان البدل » الذى أنشأه غرلو سنة ٧٤٦هـ — ١٣٤٥م على تنظيم هذه المقايضات والبيوع والنزولات ، وازدادت سلطة هذا الديوان وفسدت وسائله حتى استحق أن يعرف بديوان « البذل » ، والذى يدعو للعجب ، أن المناشير الرسمية صدرت بهذه المناقلات الشاذة ، وعينت المبلغ الذى يدفعه المتقايضون ، حينئذ تقدم الأمراء إلى السلطان شعبان فى إبطال المقايضات ونحوها(١٣) ، فاستجاب إليهم ،

إلا أن الأمر عاد إلى هذا الفساد مرة أخرى حين تولى الأمير منجك اليوسفى منصب الوزارة للسلطان صالح بن الناصر محمد ، وانطلقت يده فى الأموال ، فكثرت الرشوة حتى صارت جميع أعمال المملكة وولاياتها لا يعين فيها إلا بالمال (١٤) ، وفتح باب النزولات والمقايضات، فباع الجندى إقطاعه ، وتراوح المبلغ المدفوع فى الإقطاع ما بين عشرين ألف درهم إلى ما دون ذلك ، للوزير منه جزء معلوم ، وازدادت الحال سوءاً أيام وزارة الأمير قبلاى سنة ٧٥٣هـ = ١٣٥٢م للسلطان صالح (١٥) ، فبيعت « تقادم الحلقة » ، أى إقطاعات مقدمى الحلقة ، وظهرت طائفة جديدة من الموظفين عرفوا باسم « المهيسين » بلغت عدتهم نحو ٣٠٠ مهيس ومهمتهم الطواف على الأجناد وترغيبهم فى النزول أو المقايضة بإقطاعات مقابل عمولة مقدارها مائة درهم على كل ألف درهم يتقاضاها المهيس بعد إتمام صفقة البيع ، وبلغ الفساد أقصاه حين صارت رسوم كتاب ديوان الجيش فى المقايضات موضع خفض ورفع ، فخفض الأمير شيخو العمرى (١٦) على أثر تعيينه رأس نوبة سنة ٧٥٤هـ / ١٣٥٣ م ، فى سلطنة صالح ، هذه الرسوم إلى ثلاثة دراهم بعد أن بلغت عشرين درهماً (١٧) .

ومن أمثلة التنازل عن الإقطاع ، ما حدث فى إقطاعات أمراء الغرب من بنى تنوخ بلبنان ، فنزل ناصر الدين الحسين عن إقطاعه لولده زين الدين صالح لما كبر سنه ، ومضمون النزول وهو بتاريخ رمضان سنة ٧٤٩هـ / ١٧٤٨م « أنه ينزل عن إقطاعه بحكم أن يقضى ديونه ويقوم بكلفته وكلفة عائلته باقى عمره » (١٨) ، ونزل صالح هذا بدوره عن إقطاعه لولديه أحمد ويحيى وجعله بينهما بالسوية فى منشور واحد بتاريخ جمادى الآخرة سنة ٧٧٤هـ / ١٣٧٣م ، واشترط عليهما أن من يتوفى منهما أولا يستمر نصيبه لأخيه من غير تجديد منشور ثان (١٩) ، ومن الواضح أن هذا النوع من نزول الوالد لولده عن إقطاع فيه معنى من معانى الوراثة ، وتعرف الوثيقة الإقطاعية التى تكتب بصدد

التنازل أو المقايضة باسم « الإشهاد » وهى تقابل « المثال » فيوقع ناظر الجيش على الإشهاد بتأشيرة تختلف عما يوقع به على المثال ، واصطلح على تسمية هذه التأشيرة باسم « الكشف » ، ومضمون هذه التأشيرة : « رافعه (الضمير عائد على الإشهاد) فلان أنهى ما هو كذا وكذا وسأل كذا وكذا ... » . ويذكر حال الإقطاع المتنازل عنه أو المقايض به ، ثم يوقعها السلطان ، وتأخذ مجرى المثال (٢٠) .

هذا والإقطاع نفسه دائم التحول من حالة إلى أخرى غير حالة المناقلات بين المقطعين ، كأن يكون الإقطاع فى يد مقطع ثم يستحيل إلى ملك حر أو وقف ، أو يحدث العكس ، كأن يتحول الوقف إلى ملك أو إقطاع وهكذا ، فليس هناك أى قيد يحول دون هذا التحول ، فهذه بلدة تقدوس (٢١) بالشرقية ، وقف خوند والدة الأشرف شعبان ، تحولت بعد وفاتها إلى إقطاع للمقطعين (٢٢). وحدث العكس فى سنديون بالقليوبية ، فقد كانت من إقطاعات المماليك السلطانية والحلقة ثم تحولت إلى وقف للسلطان برسباى (٢٣) ، وفى عهد قايتباى تحولت المنشية وجرف النجاة بالقوصية من أرض إقطاعية إلى خراب ، كما صار إقطاع مدينة سوهاى بالأعمال الإخميمية ملكاً للسلطان قايتباى وهكذا (٢٤) .

ومن المناقلات الإقطاعية زيادة الإقطاع أو النقل إلى إقطاع أكبر ترقية للعاملين ومن يرى ولى الأمر ترقيتهم ، و نقص الإقطاع أو النقل إلى إقطاع أصغر عقاباً أو لطمع السلطان نفسه ، وهناك الإنقاص بسبب العجز عن الخدمة لكبر السن أو المرض ، ويستوى فى هذا الصدد أن يأتى الإعفاء من جهة السلطان لتابعه بالعزل ، ويعطى مرتباً ثابتاً أو ينقل إلى إقطاع أصغر أو أن يأتى بناء على طلب المقطع نفسه لإعفائه من الخدمة على أن يمنح إقطاعاً أصغر يقوم بأوده بقية حياته ، وهو فى الحالين أشبه ما يكون بالمحال على المعاش ، وطلب بعض الأمراء الإعفاء ، لا عجزاً ولا مرضاً ولا تقدماً فى السن ، بل فراراً من المسئولية ، وأحياناً يرى السلطان إحالة التابع على المعاش أو يهدده بالإحالة

لا لسبب من هذه الأسباب وإنما لهدف سياسى وضرورة يراها ولى الأمر ، وهذه الإحالة الإجبارية هى نوع من العقاب المخفف ، ويطلق على الشخص فى هذه الأحوال كلها اسم « الطرخان » والمنزلة التى صار إليها هى منزلة « الطرخانية » (٢٥) .

والأمثلة على ذلك كله إنعام السلطان جقمق سنة ٨٤٨هـ / ١٤٤٤ م ، على الأمير الطنبغا اللفاف بإقطاع زيادة على إقطاعه ، وحاز هذا الأمير عدة زيادات فى عهد جقمق حتى بلغ مرتبة مقدمى الألوف (٢٦) ، وزاد السلطان جقمق كذلك الأمير سنقر الخازندار إقطاعاً فضلا عما بيده فى سنة ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨م (٢٧) ، بل إن هذا السلطان أنعم على حفيده وهو ولد ابنه الفخرى عثمان سنة ٨٥٦هـ / ١٥٥٢ م ، بتقدمة ألف زيادة على تقدمة ألف سابقة أى أنه صار بيده إقطاعان كبيران يعد الواحد منهما من أكبر الإقطاعات فى الدولة (٢٨) وتصدر بهذه الزيادات مناشير جديدة لتثبيت حق المقطع فيما زيد له ، وتعرف باسم « مناشير الزيادات » وحكمها حكم المناشير العامة من حيث الاختلاف تبعاً لمرتبة الأمير (٢٩) .

أما إنقاص الإقطاع فمن أمثلته نقل الأمير كوندك نائب السلطنة عند السلطان السعيد بن بيبرس من منصبه وإقطاعه ، وهو إمرة مائة وتقدمة ألف ، فى سنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩ م ، إلى إمرة أربعين بحلب ، وجاء ذلك نتيجة موقفه من بعض الخاصكية ، فقد امتنع عن تنفيذ أمر السلطان بإطلاق مبلغ قرره لهم (٣٠) ، وارتجع السلطان شعبان سنة ٧٦٨هـ / ١٣٦٦ م ، من أولاد يلبغا الأتابكى تقادمهم وأنعم عليهم بطبلخانات (٣١) ، ولما أمر السلطان جقمق بعزل الأمير سودون السودونى الحاجب عن وظيفته سنة ٨٤٦هـ / ١٤٤٢ م ، ونفيه إلى قوص شفع فيه فرسم جقمق بتوجهه « على إقطاع هين فى طرابلس » ثم شفع فيه فأقام فى القاهرة (٣٢) ، كذلك نفى جقمق الأمير أرزمك البشتكى سنة ٨٥٤هـ / ١٤٥٠ م ، فلما شفع فيه أعاده بعد أن أخرج من إقطاعه حصة

بناحية المرصفا بالقليوبية (٣٣) ، وحدث مثل ذلك سنة ٨٥٩هـ / ١٤٥٢م ، حين أخرج السلطان جقمق نصف إقطاع الأمير جانبك النوروزى (٣٤) .

ولما تظلم أهل قرية سرمين بالشام إلى السلطان قايتباى خلال رحلته سنة ٨٨٢هـ / ١٤٧٧م ، من مقطعهم ، أمر السلطان بإخراج هذه القرية من إقطاعه وأضافها إلى الذخيرة الشريفة ، وعوض المقطع مبلغاً من المال نظير ذلك (٣٥) .

ومن أمثلة الإنقاص لطمع السلطان نفسه ما فعله السلطان الناصر محمد سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م ، حين أمر بإخراج قرية النحريرية بالغربية بعد تعميرها إلى الإقطاع السلطانى وكانت ضمن إقطاع الأمير سنقر السعدى نقيب الجيوش (٣٦) .

ومن صور « الطرخانيات » المختلفة ما فعله السلطان على بن شعبان سنة ٧٧٩هـ/١٣٧٧ م ، حين ارتجع إمرة طينال الماردينى وهى طبلخاناه ، وعوضه عنها إمرة عشرة ورسم له أن يكون طرخاناً (٣٧) ، كما سمح فى سنة ٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م ، للأمير أيدمر الشمسى أحد المقدمين ، أن يكون طرخاناً ، ورتب له ما يكفيه (٣٨) ، وجاء الأمير إياس الطويل نائب طرابلس فى سنة ٨٧٦هـ / ١٤٧١ م ، إلى السلطان قايتباى وطلب الإعفاء لكبر سنه ، فرسم له السلطان بالعودة إلى إقطاعه بطرابلس يأكل منه وهو طرخان (٣٩) ، أى أنه لم ينقص إقطاعه أو إمرته ، وطلب سودون الأفرم من قايتباى إعفاءه من السفر لقمع بعض الخارجين ، فأخرج السلطان عنه التقدمة وأعطاها للأمير قجماس الإسحاقى ، ثم رتب لسودون إمرة عشرة وبقى طرخاناً حتى توفى بمصر سنة ٨٧٨هـ/١٤٧٣م (٤٠) . وتقدم الأمير لاجين الظاهرى إلى السلطان قايتباى فى عام ٨٨٥هـ — ١٤٩٠م وذكر للسلطان أنه قد شاخ وكبرت سنه وعجز عن الحركة ، وطلب إعفاءه من إمرية مجلس ، فأعفاه السلطان ورتب له ما يكفيه واستمر طرخاناً إلى أن مات (٤١) .

كذلك توفى الأمير بردبك الظاهرى سنة ٨٩٢هـ – ١٤٨٦م ، وبيده إمرة عشرة بأكلها وهو طرخان (٤٢)

ومن الذين طلبوا إنقاص إقطاعاتهم والحصول على منزلة الطرخانية فراراً من المسئولية ، الأمير قرقماش ، إذ اعتذر عن السفر وأظهر العجز للسلطان قايتباى وهو يستعد لحرب شاه سوار بن دلفادر سنة ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م ، على أن يكون طرخاناً فى أى مكان يحدده السلطان ، غير أن قايتباى فطن لحيلته فلم يجبه وأنبه وألزمه بالسفر (٤٣) .

وممن عوقبوا عقاباً خفيفاً بالإحالة إلى منزلة الطرخانية ، الأمير منجك اليوسفى نائب حلب فى عصر السلطان حسن ؛ فقد اختفى هذا الأمير ثم قدم على السلطان متوسلا سنة ٧٦١هـ / ١٣٥٩م ، فرق له السلطان « لكونه لم يخرج من بلاده ، ورسم له بإمرة طبلخاناه بدمشق وأن يكون طرخاناً يقيم حيث شاء ، وكتب له توقيعاً شريفاً (٤٤) . وعرض السلطان برقوق بعض مماليك السلطان شعبان سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م ، فعزل خمسة منهم عن إقطاعاتهم وجعل لهم رواتب فى مرتبة الطرخان (٤٥)، بل إن السلطان الغورى توعد فريقاً من أمرائه المقصرين فى إعداد المماليك وتجهيزهم « باللبس الكامل والخيول الجيدة » أثناء العرض بإخراجهم عن إمراتهم إلى الطرخانية (٤٦) .

على أن الطرخانيات ، لم تقتصر على أرباب السيوف ، بل سرت هذه التسمية كذلك على رجال القلم الذين استعفوا من الخدمة ، إلا أن هذا النوع قليل نادر (٤٧) ، وليس فى المراجع المتداولة هنا سوى « طرخانية » واحدة أوردها القلقشندى ، وهى عن السلطان الناصر محمد بن قلاوون للقاضى قطب الدين بن المكرم أحد كتاب الدرج بديوان الإنشاء حين اختار الإقامة بالحجاز (٤٨) .

وجرى المصطلح على تسمية الوثائق الخاصة بهذه العملية باسم « مراسيم بالطرخانيات لرجال السيف » و « تواقيع » بها لرجال القلم ، وهى من بعض نواحيها أقرب ما تكون إلى كتاب الشكر الذى يوجه عادة إلى من يستقيل لا من يقال أو يجبر على الاستقالة أو يحال على المعاش فى العصر الحاضر بالطريق العادى ، وتبدأ الافتتاحية فى الوثيقة من هذه الوثائق بالخطبة العادية ، وذكر عبارات الرأفة والرحمة والكرم والشفقة بالكهولة فيقال مثلا « الحمد لله اللطيف بعباده الرءوف بخلقه ، المنان بفضله ، الغامر بجوده ، الجائد برزقه المتفضل على العبد فى الصبا وفى الكهولة بعفوه ، وفى الشيخوخة بعتقه » ، ثم إن الطرخانية تشير بعد ذلك إلى حسن سيرة الشخص وخدماته وأنه وصل إلى مرحلة من السن تلتمس منه عندها البركات والدعوات مثل : « ولما كان فلان ممن توفر فى الخدمة الشريفة قسمه وكبرت فى الطاعة سنه ووهن عظمه وعجزت عن الركوب والنزول حركته، ولم يبق إلا أن تلتمس بركته ، اقتضى حسن الرأى الشريف أن يضاعف إليه الإحسان . . فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يكون المشار إليه طرخاناً يقيم حيث شاء من البلاد الإسلامية المحروسة ، معاملا بمزيد الإكرام والاحترام . . لا يطلب لخدمة فى نهار ولا ليل ، ولا يلزم بالقيام بنزك ولا خيل (٤٩) . . » ، وتطلب الطرخانية شكر الطرخان ودعاءه لنعم ولى الأمر والدولة فى عبارات مثل « وليشكر واقع هذا الحلم الذى سرى وسار كالمثل السائر فى الوجود ، وليقابل هذا الإقبال بالدعاء لأيامنا الزاهرة » . وقد تحدد الطرخانية معلوم الطرخان الذى يتناوله ولكن هذا لم يرد إلا فى طرخانيات أرباب الأقلام إذ حددت طرخانية ابن المكرم راتبه بقدر النصف مما كان يأخذ وهو على كتابة الدرج ، بل ورثت هذه الطرخانية هذا المعلوم لأولاده ، وأولاد أولاده من بعده ، وهذا ما لم يتضح فى طرخانيات أرباب السيوف(٥٠) .

أما العزل عن الإقطاع عقاباً وما يليه من نفى أو سجن فمن أسبابه الخروج

على السلطان سواء أخذ الخروج صورة الخيانة الكبرى بالاتصال بالأعداء كما وقع من العربان من آل مهنا بالشام أكثر من مرة فى عهد بيبرس والناصر محمد (٥١) أو ثار المقطع فى وجه سيده أكثر من ذلك ، قد يعزل الفاشل من أعوان السلطان فى قمع الثورة كما فعل برقوق ، وهذه الثورات أكثر من أن تحصى فى عصر المماليك (٥٢) ، كذلك كان للوشاية والسعايات أثرها فى عقوبة المقطع بالعزل (٥٣) ، بل إن من السلاطين من أوقع هذه العقوبة بمن عرفوا بسوء السيرة كشرب الخمر أو الاعتداء على حقوق الغير واستغلال مناصبهم (٥٤) ، ومنهم من عزل ظلماً إيثاراً للمقربين لديه كما كان يفعل محمد ابن قايتباى (٥٥). وأفحش السلطان الغورى فى هذه الناحية، يقول ابن إياس: « ومن الحوادث الشنيعة فى هذا الشهر (جمادى الآخرة ٩٦٤ هـ) أن السلطان شرع يخرج إقطاعات أولاد الناس من أجناد الحلقة . . . فأخرج نحواً من ثلثمائة إقطاع ورزقة من غير جنحة ولا سبب ، وصار ينعم بها على المماليك بمكاتبات ، وهذا الأمر ما سبقه به أحد من الملوك السالفة ، فحصل للناس الضرر الشامل ولاسيما أولاد الناس ، صارت المماليك يهجمون عليهم ويأخذون منهم مناشيرهم غصباً عنهم ويبدلونهم بالضرب وكانت حادثة مهولة لم يسمع بمثلها ، وأنا من جملة من وقع له ذلك ، وخرج إقطاعى لأربعة من المماليك (٥٦) » وكثيراً ما يتلو هذه الأحداث إيقاع « الحوطة » ومصادرة « الموجود » للمعاقب من مال وأثاث وثياب وسلاح (٥٧) .

ويعرف أمثال أولئك المعزولين « بالبطالين » ، على أنه يحدث أن يطلب الأمير إعفاءه من الإقطاع والخدمة ليكون « بطالا » ، دون سبب سوى اعتلال الصحة أو تقدم السن أو العجز عن الخدمة الحربية ، فيجيبه السلطان إلى ما طلب ، وربما أعطاه فى هذه الحالة « معلوماً » من الرواتب السلطانية أو عوضه بطريقة ما أو أبقى عليه إقطاعه وهو « بطال » .

ويشترك « البطال » فى هذه الحالة مع الطرخان إلا أن الأخير — ومعناه

الأمير بالغة التركية — يظل محتفظاً بمنزلته الأدبية واحترام السلاطين له ، بل والتبرك به حتى ولو كان من المعاقبين بهذه الحالة إلا أنه عقاب مخفف ، بخلاف البطال الذى لا يكون إلا معاقباً فى أغلب الأحيان . هذا وللبطالين المعاقبين (٥٨) زى معين ، فضلا عن ريبة أولى الأمر فيهم وصدور كثير من التشريعات ضدهم . فمثلا أخرج السلطان على بن شعبان الأمير بلاط أمير سلاح عن إقطاعه فى سنة ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م ، على أن يكون بطالا لكنه أنعم عليه بضيعة تغل ٢٠٠ ألف درهم (٥٩) ، وفى مستهل سلطنة برقوق فى سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢ م ، عرض المماليك الأشرفية ورقى أصحاب « الأخباز الثقال » إلى رتبة مقدمين بالحلقة وجعل بقيتهم ضمن الأجناد ، وكانت عدتهم نحو ٥٠٠ مملوك منهم : ٤٠٠ مملوك من أصحاب الإقطاعات بالحلقة و ١٠٠ من أصحاب الجوامك فأمر أصحاب الأخباز بالحلقة بلزوم دارهم وأكلهم الإقطاعات وقطع أرباب الجوامك وعين بدلا منهم من الذين اشتراهم ورباهم وقال : « هؤلاء خونة ، خانوا أستاذهم الأشرف (شعبان) وأعانوا على قتله فلا خير فيهم (٦٠) » ، وبعد خلع برقوق وعـــودة أمير حاج إلى السلطنة أفرج فى سنة ٧٩١هـ–١٣٨٨م عن الأمير شيخ الصفوى ورسم له أن يتوجه إلى القدس بطالا ورتب له ما يكفيه (٦١) ، كذلك نجد الأمير ملكتمر ولقبه سيف الدين تنقل فى الخدم أيام شعبان وبطل فى آخر وقت وأقام فى القاهرة ببيته بطالا ، ويرجع سبب إخراج الإمرة عنه ، إلى أنه أقام بداره منقطعاً ، فقرر له برقوق بلدة بالدقهلية تغل ٣٠ ألف درهم فأقام يأكلها حتى وفاته فى سنة ٧٩٤هـ — ١٣٩١م (٦٢) وشفع فى عهد قايتباى فى الأميرجانى بك وكان يقيم بالقدس بطالا فحضر إلى القاهرة حيث رتب له السلطان ما يكفيه إلى أن مات (٦٣) .

ولما كبرت سن الأمير قندس الناصرى وكف بصره ، وكان أمير مائة ومقدم ألف ، عزله السلطان شعبان سنة ٧٦٥هـ / ١٣٦٣ م ، وعوضه بأن أعطى ابنه الأمير على إمرة طبلخاناه (٦٤) .

وقد يستعفى الأمير المقطع من الوظيفة والإقطاع ليقيم بطالا لسبب ما كالمرض كما فعل الأمير برسباى الناصرى فى سنة ٨٥١هـ / ١٤٤٧م ، فقد طلب الإعفاء من نيابة حلب « لتعلله وطلب التوجه إلى دمشق بطالا » ، فوافق السلطان جقمق ، وعين بدلا منه الأمير تنم بن عبد الرازق المؤيد نائب حماة ، وترتب على ذلك حركة تنقلات بين نواب صفد وغيرها (٦٥) .

ومن البطالين الذين حرموا الراتب أو المعلوم : الأمير طشتمر اللفاف الذى قبض عليه السلطان على بن شعبان فى سنة ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م ، ونفاه إلى القدس بطالا ، كما نفى جماعة من الطبلخاناه والعشرات لسبب ما أحدثوه من الفتن (٦٦) ، كذلك تتبع برقوق المماليك الأشرفية سنة ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م ، فشردهم قتلا ونفياً إلى أن شفع فى الباقين فقطعت إمرتهم وتركوا بطالين لأنهم أرادوا الثورة عليه (٦٧) . وحدث فى سنة ٨٥٣هـ / ١٤٤٩ م، أن شكا أهل طرابلس من سوء معاملة نائبها الأمير يشبك من جاهى بك المؤيدى الصفدى ، فعزله جقمق ورسم بقدومه إلى القاهرة ومنها إلى دمياط ليقيم بها بطالا (٦٨) . ثم إن السلطان قايتباى رسم فى سنة ٨٧٢هـ / ١٤٧٦م ؛ بالقبض على أعيان المماليك الخشقدمية ومنهم مغلباى الذى أخرجه إلى القدس بطالا (٦٩) ، ولما أراد قايتباى أن يعين قريبه الأمير تمراز الشمسى فى سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م، نائباً بالشام ، وامتنع تمراز وادعى الفقر وعدم القدرة على إعداد لوازم السفر ، فوبخه السلطان فنزل تمراز إلى داره وأغلق بابه وصرف نقباءه وحينئذ أرسل إليه السلطان : « توجه إلى مكة وأقم بها بطالا (٧٠) »، وقبض السلطان العادل على طومان باى على قلج نائب الإسكندرية سنة ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م ، وأرسله إلى الشام بطالا إذ كان من عصبة جان بلاط المخلوع ، وهكذا (٧١) .

لما كان عدد البطالين كبيراً فى أى وقت وكان يخشى منهم الفتنة ؛ فقد عمل بعض السلاطين على التخلص منهم بطردهم من القاهرة ، كما فعل برقوق فى سنة ٧٩٣هـ / ١٣٩٠ م على أثر عودته إلى السلطنة إذ حدد إقامتهم

بدمياط ، وحذا حذوه إينال سنة ٨٥٩هـ / ١٤٥٤ م وطردهم من القاهرة وهدد من تأخر منهم « بعد سماع المناداة »(٧٢) .

وكما وجد الطرخان من رجال القلم وجد البطال كذلك من هذا الفريق إلا أن الكثرة من البطالين فى هـذا الفريق أوضح منها فى أقرب أرباب الطرخانات ، ومن أمثلة هؤلاء البطالين : الشريف علاء الدين البغدادى شاد الدواوين والصاحب فخر الدين بن غراب الوزير ، والقاضى سعد الدين ابن إبراهيم ناظر الجيش وناظر الخاص ؛ « فقد قبض عليهم السلطان فرج سنة ٨٠٢هـ / ١٣٩١م ، ثم أفرج عنهم وأخرجهم إلى بيوتهم بطالين كما أن السلطان جقمق أمر بإعادة القاضى عبد الباسط وكان منفياً بمكة، فلما حضر أكرمه وأقام فى بيته بطالا « وهو فى غاية العظمة والعز » ، ومنع السلطان جقمق القاضى علم الدين صالح من السفر إلى القدس وأن يقيم بداره بطالا ، وعرض السلطان قايتباى نواب الشافعية والحنفية وعنفهم بالكلام وأمر بإبطال جماعة منهم ، وهكذا(٧٣) .

أما إذا ظل المقطع متمتعاً بإقطاعه مؤدياً لالتزاماته ومات على هذا النحو سواء فى حرب أو على فراشه ، عاد الإقطاع بأكمله للدولة وتصرف والى الأمر فيه حسبما يرى ، لأن مبدأ الوراثة فى الإقطاع فى الدولة الإسلامية غير موجود إلا فى إقطاع التمليك ، أما إقطاع الاستغلال وهو السائد فى العصر المملوكى ، فلا وراثة فيه ، إذ كان المتبع فى أغلب الأحيان بخصوص أبناء الأمراء المتوفين ، أن يعطوا الجوامك أو يمنحهم السلطان إمرة خمسة ،وذلك رعاية لأسلافهم، وليس بموجب أى حق إقطاعى(٧٤) . وربما رأى السلطان توريث الابن متى توفرت فيه صلاحيته لأن يلى سلفه ، وربما نظر فى توريث الإقطاع من ناحية أخرى على أنه من البر والصلة وفضلا عما فيه من تكريم للمقطع السابق واعترافاً بخدماته وهذا بجانب العامل الأساسى فى تدعيم القوة الحربية والعامل الاقتصادى فى تعمير الإقطاعات ، وهذه على أية حال قليلة فى عصر السلاطين المماليك، والمعروف أن إحداث وراثة الإقطاعات فى زمن

المماليك – على قلتها – كانت اقتداء بما فعله أساتذتهم الأيوبيون من قبل ، وهؤلاء اقتدوا بما سنه نور الدين (٧٥) .

وتختلف هذه القواعد العامة فى المناقلات الإقطاعية بعد الوفاة عند المماليك عنها فى الإقطاع الأوربى الذى جرى على انتقال الإقطاع بكافة حقوقه والتزاماته للولد الأكبر ، وهذا هو مبدأ الوراثة الذى تقرر منذ نهاية القرن العاشر الميلادى ، غير أن الوارث لا يحل محل أبيه حتى يقوم بمراسيم معينة فى التبعية والولاء (٧٦) ، ففى براءة الملك هنرى الأول لأتباعه حين تتويجه سنة ١١٠١ م ، تنص المادة الثانية على أنه « إذا مات أحد من رجالى الذين يحوزون إقطاعاتهم منى ، على وارثه أن يدفع حلواناً مناسباً (٧٧) ، كذلك أتباع باروناتى يدفعون حلواناً مناسباً » . وفى المـــادة الثانية من « العهد الأعظم » الذى أصدره الملك حنا سنة ١٣١٥م « إذا مات البارون يرثه الراشد من أبنائه أو بناته على أن يدفع وارث البارون حلواناً قدره ١٠٠ جنيه ويدفع وارث الفـــارس ١٠٠ شلن ، وتنقص قيمة الحلوان بنسبة مســـاحة الأرض تبعاً لعادة الحلوانات القديمة » على أن المادة الثالثة من هذا العهد تعفى الورثة القصر من دفع الحلوان خلال مدة الوصاية حتى يتأهل لتسلم الإقطاع (٧٨) ، وتنظم بعض المواد الأخرى من هذه العهود : الوصاية وزواج الورثة أو زوجة المقطع المتوفى ، فتنص المادة الرابعة مثلا عن « عهد الحريات » على حقوق الزوجة فى إقطاع زوجها سواء أ كانت وصية على أولادها القصر أو كان أحد الأقارب هو الوصى (٧٩) ، وتحدد المادة الرابعة من العهد الأعظم نصيب الوصى ، على حين تفيده المادة الخامسة « بالمحافظة على المنشآت التى بالإقطاع إلى أن يتسلمها الوارث وهكذا (٨٠) . . . » وإذا لم يكن هناك وارث للســـيد فى الإقطاع الغربى عامة ، حق ارتجـــاع الإقطـــاع ، والاستيلاء عليه ، فى الإقطاعات الدينية فكان السيد يرتجع الإقطاع بعد وفاة المقطع الرمزى وهو الأسقف أو غيره حتى يعين بدله (٨١) .

ومن أحداث الوراثة على قلتها فى الإقطاع المملوكى الحربى ، وماقد

يتبعها من وصاية ما وقع فى عهد السلطان بيبرس، إذ أعطى فى سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٣ م ، إقطاع الأمير شهاب الدين الفيمرى نائب السلطنة بالفتوحات الساحلية بالشام ، إلى ابنه بعد وفاته وكان بإمرة مائة (٨٢) ، وفى معنى الوراثة ما فعله بإقطاع الأمير شجاع الدين والى سرمين من أعمال حلب ، فقد أبقى إقطاعه بين إخوته وغلمانه بعد أسره عند الصليبيين وكان ذلك كما يقول صاحب السلوك استجلاباً للقلوب (٨٣) ، والمعروف عن الناصر محمد أنه كان إذا مات أحد من أجناده وخلف صبياً لا يخرج إقطاع أبيه عنه فإن كان صغيراً جداً أعطاه صدقة (٨٤) ، وتوفى فى عهدة الأمير بدر الدين أخو أبى الفداء صاحب حماة سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥ م ، وترك من بعده ابنين صغيرين وبنتين ، فأعطى صاحب حماه ، بما له من سلطة مخولة من الناصر « إمرة المتوفى وإقطاعه لابنه الطفل ، وعمره يومئذ ثلاث ثلاث سنوات وأقام لهم نواباً يباشرون أمورهم (٨٥) » ، ولما توفى الأمير حسام الدين بن مهنا أمير العرب بالشام سنة ٧٣٤ هـ – ١٣٣٣ م ، أعطى الناصر الإمرة من بعده لولده الأمير مظفر الدين موسى (٨٦) ، كذلك سار السلطان جقمق على هذه القاعدة فكان ، كما ينعته ابن إياس « لا يخرج إقطاع من له ولد إلا إلى ولده (٨٧) » .

ومن أمثلة المناقلات العامة بعد الوفاة ، ما فعله الناصر محمد سنة ٧١٥هـ / ١٣١٥ م ، حين منح إقطاع الأمير حسام الدين لاجين بعد موته (٨٨) ، كما أنعم فى سنة ٧١٧هـ / ١٣١٧ م ، على الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا بإقطاع الأمير سيف الدين قلى سلاح دار بعد وفاته (٨٩) ، ولما توفى الأمير بكتمر ابن عبد الله الحسامى المعروف بالحاجب سنة ٧٢٩هـ / ١٣٢٨ م وزع الناصر إقطاعه بين عدة أمراء زيادة عما بأيديهم ، فكمل منه الأمير طرغاى الجاشنكير حتى بلغ إقطاعه إمرة مائة ، وأعطى ناحية جوجر (٩٠) من الإقطاع الشاغر للأمير يوسف بن الأسعد شاد الدواوين ، ثم أنعم كذلك بناحية منية زفتا على الأمير قوصون الناصرى .وبعد وفاة آنوك بن السلطان الناصر (٩١) أوائل سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠ م ، منح السلطان إقطاعه ٩١ للأمير قطلوبغا الفخرى (٩٢) ،

وفى عهد السلطان جقمق توفى الأمير يشبك السودونى المعروف بالمشد سنة ٨٤٩هـ / ١٤٤٥ م وكان أتابك العسكر بمصر ، فعين السلطان فى منصبه وعلى إقطاعه الأمير إينال العلائى الدوادار الكبير ، وتلا ذلك حركة مناقلات [٩٣] ، استفاد منها الأمير يونس السيفى أقباى ، كما استفاد من وفاة الأمير تمراز القومشى سنة ٨٥٣هـ / ١٤٤٩ م، وما تبع وفاته من مناقلات إقطاعية كذلك [٩٤].
ولما توفى دولات باى المحمودى سنة ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م ، نقل السلطان إينال تقدمته ووظيفته إلى الأمير خيربك المعروف بالأجرود ، وعلى أثر وفاة الأجرود سنة ٨٥٩ هـ/١٤٥٤ م ، انتقل إقطاعه إلى الأمير قانم خجا المؤيدى ، أما إقطاع قانم الذى شغر بعد ترقيته ، فقد أنعم به السلطان « على الدولة مساعدة لها لما عليها من الكلف » [٩٥] ، كما أن إقطاعات الجنود الذين قتلوا فى حرب العثمانيين بقيادة أزبك عام ٨٩١هـ / ١٤٨٦ م ، وزعها السلطان قايتباى فى ذلك العام » وصار الأتابكى أزبك هو المشار إليه فى هذا الأمر ، كما يقول ابن إياس [٩٦] وقد يستولى المقطع الجديد على مخلفات المقطع المتوفى ويتزوج أحياناً من زوجته ، ومثال ذلك ما وقع فى عهد الناصر ، إذ نفس بعض الأمراء على مكانة الأمير قوصون ومنزلته من السلطان وحدث نزاع بينه وبينهم ، فأوضح قوصون وضعه قائلا : « أخذنى السلطان من شخص تاجر كنت فى خدمته ، فلما أخذنى السلطان ، اتفق أن فى ذلك اليوم توفى أحد من الخاصكية الثقال [٩٧] فأنعم على السلطان بإقطاعه وبركه وبيته وصرت خاصكياً فى ذلك اليوم » [٩٨] .

وحين توفى الأمير بكتمر الساقى سنة ٧٦٣هـ / ١٣٦١ م ، أنعم السلطان محمد بن حاجى حفيد الناصر محمد على الأمير بشتاك بإقطاع بكتمر وجميع حواصله وغلاله ثم زوجه من زوجته بعد وفاء عدتها [٩٩] .

أى أن وفاة المقطع أو عزله لم تكن من المناسبات التى ينفسح المجال فيها لترقية المقطعين أو إقطاع المرشحين للإقطاع فحسب ، بل كانت كذلك من الفرص الثمينة التى يعاد فيها البطال إلى إقطاعه أو إقطاع جديد فضلا عن حاجة الدولة إلى المزيد من القوات زمن الحرب ، وما يقوم به بعض السلاطين من

عفو عن بعض البطالين ، بل إن مما ينصح به السلطان النظر فى حال الجند البطالين الذين طلبوا استخدامهم فلم يستخدمهم أو أعطاهم إقطاعاً لا يرضيهم فإنهم يتربصون به الدوائر (١٠٠) ، وكثيراً ما قامت المشاحنات والفتن بسبب الرغبة فى الحصول على الإقطاع الشاغر ، كما حدث فى سنة ٨٩٧ هـ/١٤٩١ م على أثر الطاعون الذى وقع فى عهد قايتباى ، وهو ثالث طاعون يقع فى عهد ذهب ضحيته عدد كبير من المقطعين ، فقامت فتنة حادة بين المماليك الجلبان ، بسبب تفرقة الأقاطيع (كذا) ، التى توفرت عن المماليك الذين ماتوا بالطاعون ، لأن قايتباى راعى ألا يخرج إقطاع المتوفى عن زملائه من أهل طبقته ، فلما لم تف الإقطاعات الشاغرة لجميع المرشحين ثاروا فى وجهه مما اضطره لإرضائهم من أبواب أخرى ، وقد تراوحت عبرة الإقطاعات التى منحها فى تلك المناسبة ما بين ٣٠ و ١٥ ألف درهم ، كما وزع كثيراً من خيول المتوفين ، واستغرقت هذه العملية نحو ثلاثة شهور (١٠١) .

ولم يقتصر الأمر على أمثال هذه الفتن ، بل ربما دفعت الرغبة الملحة ببعض الراغبين فى الحصول على الإقطاع الشاغر إلى الانتحار إذا رفض طلبه ، فهذا جرياش المجنون من أجناد قايتباى تقدم إلى سيده فى سنة ٨٨٩هـ / ١٤٨٤م وكان من المبرزين فى الرمى بالنشاب وطلب إقطاع شخص توفى ، ولما لم يجبه السلطان ، عاد إلى داره وذبح نفسه بيده (١٠٢) ، ولما توفى الأمير تنم الضبع أحد أمراء العشرات سنة ٩٠١هـ / ١٤٩٥م ، وقف الأمير ملاج بن ططخ يطلب من قايتباى إقطاع تنم ، غير أن السلطان رفض، فرجع ملاج إلى داره وشنق نفسه « من شدة قهره » (١٠٣) .

ومن أمثلة إعادة البطال إلى إقطاعه أو إلى إقطاع شاغر ، ما فعله بيبرس على أثر ولايته للسلطنة سنة ٦٥٨هـ / ١٢٥٩ م ، فقد أرسل إلى نوابه لإحضار « خشداشيته البحرية » المفرقين فى البلاد بطالين (١٠٤) ، كذلك أفرج السلطان خليل فى سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١ م ، عن الأمير زين الدين كتبغا ورد عليه إقطاعه وخلال سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٢ م أمر خليل بإخراج الأمير بدر الدين بيسر

الشمسى ، وكان له بالسجن ١٣ سنة ، وأعطاه إمرة مائة فارس ، ثم أقطعه منية بنى خطيب «دربستا»أى « كاملة »(١٠٥)،وكان الشمسى ذا دعابة فكهاً طروباً أنس له خليل (١٠٦)، والملاحظ أن منية بنى خطيب تابعة لأعمال الأشمونين وكانت عبرتها ٣٨٨٠٠ دينار ، وقد تطور أمرها بعد ذلك إلى مقطعين آخرين ثم إلى الديوان المفرد (١٠٧) ، وتلا ذلك إفراجه عن بقية الأمراء المعتقلين فى السنة التالية وأعاد إلى إقطاعاتهم ، وجددت الأيمان للسلطان ونائبه كتبغا (١٠٨) ، ثم إن الناصر محمد أفرج فى سنة ٧٣٥هـ – ١٣٣٤م ، عن جماعة من الأمراء بسجن الإسكندرية وأعادهم إلى إقطاعاتهم ، منهم : الأمير بيبرس حاجب الحجاب ، والأمير تمراز الساقى والأمير لاجين العمرى وغيرهم (١٠٩) ، وحدث فى سنة ٧٨١هـ – ١٣٧٩م ، أن نفى السلطان على بن شعبان بعض الأمراء وأفرج عمن كان معتقلا بالسجن ، وأنعم عليهم بإقطاعات من نفاهم عوضاً عنهم (١١٠) ، وفى عهد جقمق رد زين الدين الأستادار عدة إقطاعات إلى أربابها كانت قد دخلت فى الديوان المفرد (١١١) ، كذلك أعاد السلطان إينال فى سنة ٨٦٢هـ – ١٤٥٧م ، الأمير أزبك بن ططخ الظاهرى ، وكان مقيماً بالقدس بطالا . فألبسه « سلاريا » (١١٢) من ملابسه وأنعم عليه بإمرة عشرة (١١٣) .

وفى ظروف الحرب تشتد الحاجة إلى استخدام البطالين والعناية بأمرهم ولذلك لما أراد الناصر التوجه لحرب التتر فى سنة ٦٩٩هـ – ١٢٩٩م ، أمر بإحضار الجنود ، فاجتمع لديه عدد كبير منهم ، بل إن كثيراً من أرباب الحرف والصناعات تقدموا « ونزلوا أسماءهم فى البطالين ، ومن ثم فرق الناصر عليهم أخباز المفقودين ورسم لكل أمير بالعناية بعدد منهم ، فاختص مقدم الألف بعشرة والطبلخانات بخمسة وأمير العشرة باثنين(١١٤)» ، ولما اشتد الخطر العثمانى نادى السلطان المؤيد فى سنة ٨٢٠هـ – ١٤١٧م ، للأجناد البطالين أن يخدموا عند الأمراء وعند السلطان ومن وجد بعد ذلك بغير خدمة فلا يلومن إلا نفسه ، ولذلك قبض على جماعة لم يستجيبوا للنداء (١١٥) ، كذلك فعل طومان باى

فى سنة ٩٢٢هـ – ١٥١٦م بصدد الخطر نفسه ، وقد بلغ الذروة ، فأمر الطواشية بالمرور على «المماليك البطالة وأولاد الناس الذين كان السلطان قد قطع جوامكهم» وأمرهم بالحضور للعرض ليختار من يصلح للسفر ، ومن لم يصلح عينه لمعاونة كشاف الأقاليم فى حفظ الأمن ، فتوجه جماعة منهم إلى الشرقية وجماعة إلى الغربية والبحيرة والطرانة والمنوفية ومنفلوط والجيزة ، وألزمهم بأن يكونوا مع الكشاف لحفظ الأمن ورد العربان وحفظ البلاد فى غيبة السلطان إذا سافر (١١٦).

وجرى المصطلح على تسمية هذه الإقطاعات الشاغرة التى انتقلت عن أصحابها بوجه من وجوه النقل ، ولم تقطع بعد « المحلولات » أو « المرتجعات » ويشرف عليها ديوان « المرتجعات » أو ديوان المرتجع ، كما يشرف على إقطاعها من جديد ، ويشترك فى المحاسبة التى تتلو الانتقال ، على أن هذا الديوان لم يوجد طوال عصر المماليك ، فقد ألغى وصار أمر المرتجع إلى موظف يعرف باسم « مستوفى ديوان المرتجع »(١١٧) ، ومن الذين تولوا هذا المنصب السيد عبد الله الماعز فى عهد الظاهر بيبرس(١١٨) ، وعلم الدين عبد الوهاب ابن القسيس المعروف بابن كاتب سيدى ، فى سنة ٧٨٩هـ – ١٣٨٧م ، فى عهد السلطان برقوق (١١٩) ، ومن الموظفين الذين عملوا فى المحلولات أو المرتجعات ويعاونون مستوفى ديوان المرتجع عامل المحلولات ، مثل المحيى عبد القادر الذى شغل هذه الوظيفة بحلب أيام الناصر محمد (١٢٠).

والقواعد المتبعة فى منح الإقطاع المحلول لصاحبه الأصلى أو لغيره ، أن يتولى السلطان بنفسه هذا المنح ، فإذا تقدم طالب الإقطاع من هذا النوع ، عليه أن يرفع « قصة » إلى السلطان بطلبه الإقطاع ، فيؤشر عليها ناظر الجيش بتأشيرة مماثلة لتأشيرة « الإشهاد » ثم يعتمدها السلطان ، ومن ثم تأخذ مجرى المثال حتى يصدر بها المنشور (١٢١) .

أما خارج مصر فليس للنواب باستثناء نائب حماه ، سلطة فى استخدام أمير بدل آخر أو تأمير أمير عوضاً عن أمير مات أو القيام بأية مناقلات إقطاعية بل القانون ، إذا مات أمير فى تلك النيابات سواء أكان كبيراً أم صغيراً

طولع به السلطان ، فيعين بدلا منه حسبما يتراءى له ، إما لمن هم فى حضرته بمصر أو من الجهة التى شغر فيها الإقطاع أو الوظيفة .

وليس لهؤلاء النواب من سلطة فى ملء الشاغر أو المحلول من الإقطاعات إلا فيما يتعلق بأجناد الحلقة ، ويكتب بذلك مثال و « مربعة » ويرسلان إلى مصر حيث يتولى ديوان الجيش الفحص والمقابلة بما هو مسجل لديه من الإقطاع المطلوب ويكتب « مربعة » جديدة من قبله ويحولها إلى ديوان الإنشاء لإصدار المنشور (١٢٢).

وتقتضى المناقلات الإقطاعية على أية صورة محاسبات ذات شطرين : أولهما بين المقطع السابق أو « المنفصل » وبين المقطع اللاحق أو « المتصل » ، وثانيهما بين الحكومة والمقطع السابق وبينهما وبين المقطع اللاحق ، فأما الشطر الأول فللمقطع السابق الحق فى استعادة ما أنفقه من مال فى استثمار إقطاعه كإقامة جسر أو نحوه ، وذلك من المقطع الجديد (١٢٣) ، وجرت العادة أن يترك السابق ماله من « تبن » لمن أقطع بعده ، ليجد به السبيل إلى عمارة ما يخصه (١٢٤) ، وأما الشطر الثانى فيمثل جانب الحكومة فيه : ديوان الجيش وديوان التصرف وديوان المرتجع والديوان السلطانى ، بعد إلغاء ديوان المرتجع ، وديوان المواريث ، ومهمة هذا الديوان الأخير فى المحاسبة إمداد ديوان الجيش بالمعلومات عن المقطع المتوفى ، إذا لم يكن له وارث أو له وارث لا يستغرق ميراثه وعادت تركاته أو بعضها إلى هذا الديوان (١٢٥).

يدون كاتب الجيش صورة المحاسبة وتحتوى على ذكر تاريخ منشور المقطع السابق وتاريخ انفصاله عن الإقطاع ، ويحاسب على أساس هذه المدة إن كان عليه ديون أو تقاوى سلطانية ومن مات من الموظفين وعليه ديون قبل الدولة حوسب ورثته أو أعفوا على قدر حصول العناية بهم (١٢٦) ، وإذا كان المقطع السابق معاقباً بالعزل تولى ديوان المرتجع تحصيل الغرامات المقررة على المعزول ، وهذه تراوحت فئاتها بين ألفين وألف دينار إلى ما دون ذلك ، بحسب رتبة الأمير ، واعتبرت من المظالم التى تلحق بالأمير المعزول ، لأنه

فضلا عن حرمانه من إقطاعه ، يدفع هذا الرسم ، وهذا ما حدا بالسلطان برسباى إلى أن يلغيه سنة ٨٢٥هـ – ١٤٢١م(١٢٧) ، وفيما يختص بالمقطع الجديد يتولى كاتب الجيش كتابة وثيقة جديدة تعرف باسم « الحوطة الجيشية » (١٢٨) ، وتتضمن اسمه وجهات الإقطاع وتاريخ التسلم ، وفى المصطلح « استقبال » الحوطة ويفصل ما استحقه الديوان من المحصول ، ثم ترسل الحوطة إلى « ديوان التصرف » ، وهو أقرب ما يكون إلى ديوان المحاسبة ، حيث يكتب المستوفى (١٢٩) ، رئيس الديوان باستلامها ، وثيقة بعلم الوصول تعرف باسم « الرجعة » ، ويسجل الإقطاع والمقطع بهذين الديوانين ، وكما حصل ديوان المرتجع غرامة من المقطع السابق المعاقب له أن يحصل على رسم آخر من المقطع الجديد بمناسبة تسلمه للإقطاع ، كرسم دخول عليه ، ويشبه إلى حد كبير ما عرف باسم الحلوان (Relivium) فى الإقطاع الغربى ودرجت مقاديره بحسب رتبة الأمير المقطع ، كما درجت مقادير الحلوان الغربى ، فأمير مائة ومقدم ألف يدفع عند حيازته للإقطاع الشاغر « أو المحلول » من هذه المرتبة مبلغ خمسين ألف درهم ، ويدفع أمير الطبلخاناه عشرين ألف درهم ، وأمير العشرة ٥ آلاف درهم ، وهذا الحلوان جديد فى الإقطاع المملوكى إذ يرجع تقريره إلى القرن التاسع الهجرى وأوائل القرن الخامس عشر الميلادى ، فى عهد السلطان فرج على يد الأمير يلبغا السالمى الأستادار (١٣٠) .

(١) Ganshoff, pp. 10-12; Orton, p. 112; Seignobos, p. 1

(٢) رسالة فى أحكام الرزق الصادرة من ولى الأمر ص ٢ – ٣ .

(٣) مثلامدينة النحريرية بالغربية كانت مقطعة لعشرة منأجناد الحلقة فى عهد قلاوون، منهم شمس الدين السعدى المتوفى سنة ٧٢٧هـ – ١٣٢٦م فاستولى هذا الأخير على قطعة أرض وجعلها إصطبلا لدوابه فشكاه شركاؤه للسلطان فلما استجوبه قال : أريد أن أجعله جامعا فأذن له ، وتمت عمارة الجامع سنة ٦٨٥هـ – ١٢٨٦م ، وأنشأ بجواره بعض الحوانيت توارثها أبناؤه من بعده ، ثم تصرفوا فيها بالبيع للأمير شيخو العمرى وهذا أوقفها على الخانقاه والجامع اللذين بناهما فى الصليبية (خطط جـ٢ ص٤٠٣ ، التحفة السنية ص٧٠) .

(٤) انظر قاموس الألفاظ الاصطلاحية .

(٥) بدائع الزهور جـ ١ ص ٩٦ .

(٦) نظام المملكة اسم وظيفة المشير الأول فى السلطنة ، وهى وظيفة جقمق بجانب أتابكية العسكر أيام برسباى وابنه يوسف الذى تولى بعده جقمق (بدائع الزهور جـ ٢ ص٢٤ –٢٥) .

(٧) المصدر السابق .

(٨) بدائع الزهور جـ٢ ص٦٦ .

(٩) عيون التواريخ ص ١٣٢ .

(١٠) تاريخ أبى الفداء جـ٤ ص٧١ – ٧٥ ، انظر نسخة المرسوم بالملاحق .

(١١) السلوك جـ ٢ ص ٢١٥ .

(١٢) خدم شجاع الدين غرلو عند بعض الأمراء وولى الأشمونين ونيابة الشوبك والقاهرة وتقرب إلى شعبان حتى صار شادا للدواوين ، ثم عزله حاجى بن الناصر محمد ، وحقد عليه الأمراء وانتهى الأمر بقتله على يد حاجى سنة ٧٤٨هـ – ١٣٤٧م (النجوم الزاهرة جـ١٠ ص١٣٩ ، ١٥٨ و ١٦١ و ١٦٧ ، بدائع الزهور جـ١ ص١٨٧.)

(١٣) أعيان العصر مخطوط غير مرقم ، خطط جـ ٣ ص٣٥٥ – ٣٥٦ .

(١٤) النجوم الزاهرة جـ ١٠ ص ١٩٥ .

(١٥) قبلاى بن عبد الله الناصرى أصله من مماليك الناصر محمد تولى وظيفة حاجب الحجاب للسلطان صالح سنة ٧٤٩هـ – ١٣٤٨م ، ثم نائباً للسلطنة سنة ٧٥٢هـ – ١٣٥١م ، وكان نائب الغيبة حين خرج السلطان لقمع ثورة بالشام ، وكانت وفاته سنة ٧٥٦هـ – ١٣٥٥م (النجوم الزاهرة جـ١٠ ص١٩٤ و ٢٦٢ و ٢٧٢) .

(١٦) الأمير شيخو العمرى نسبة إلى التاجر خواجا عمر الذى باعه للناصر محمد ، ترقى بعد موت الناصر حتى صار أتابك العسكر وهو أول من سمى بالأمير الكبير ، توفى سنة ٧٥٨هـ – ١٣٥٦م فى سلطنة الناصر حسن (النجوم الزاهرة جـ١٠ ص٣٢٤) .

(١٧) السلوك مخطوط جـ ٣ ص٢١٦ ، خطط جـ ٣ ص٣٥٦ .

(١٨) تاريخ بيروت ص١٦٦ .

(١٩) المصدر السابق .

(٢٠) صبح الأعشى جـ ١٣ ص ١٥٤ .

(٢١) لا يوجد اليوم بالشرقية بلدة بهذا الاسم وإنما توجد بلدة « دقادوس » التابعة لمركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية (الدليل الجغرافى ، التحفة السنية ص٢٧) .

(٢٢) التحفة السنية ص ١٢٧ .

(٢٣) التحفة السنية ص ١١ .

(٢٤) التحفة السنية ص ١٩٠ – ١٩٢ .

(٢٥) صبح الأعشى ص٤٨ جـ ١٣ .

(٢٦) حوادث الدهور جـ٢ ورقة ٣٣ .

(٢٧) حوادث الدهور جـ٢ ورقة ٨٣ .

(٢٨) المصدر السابق ص٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(٢٩) انظر الفصل الثالث من هذا القسم .

(٣٠) السلوك جـ١ ص٦٥١ – ٦٥٥ ، سلاطين المماليك ص٤٦٥ – ٤٦٦ .

(٣١) كان يلبغا أتابكا لعساكر السلطان شعبان ، واستبد بالأمور دونه حتى إنه أجبر السلطان على النزول عن عرشه ، وأجلس مكانه أنوك أخا السلطان (بدائع الزهور جـ١ ص٢١٧ ، ٢١٩ ، السلوك مخطوط جـ٣ ص١٦٨) .

(٣٢) حوادث الزهور جـ٢ ورقة١٤ .

(٣٣) مساحة مرصفا ٢٧٨٥ فدانا وتعرف حاليا باسم « مرصفا وكفرأحمد » ، (التحفة السنية ص١٣ – حوادث الدهور جـ٢ ورقة ٢١٩ ، الدليل الجغرافى) .

(٣٤) حوادث الدهور جـ٢ ورقة ٢١٩ .

(٣٥) القول المستطرف ص٢٣ ، بدائع الزهور جـ٢ ص١٧٥ .

(٣٦) بدائع الزهور جـ ١ ص١٦٥ .

(٣٧) ترقى الأمير سيف الدين طينال الماردينى فى الخدمة حتى صار مقدم ألف أيام الناصر

حسن ، وتقلب فى عدة وظائف إلى آن توفى سنة ٧٨٩هـ - ١٣٨٧م، (السلوك مخطوط جـ ٣ ص ٣٥ ، ٢٢٩ ، ٣٨٤) .

(٣٨) بدائع الزهور جـ١ ص٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٣٩) بدائع الزهور جـ٢ ص١٣٤ .

(٤٠) بدائع الزهور جـ٢ ص١٤٠ ، ١٥٠ .

(٤١) المصدر السابق ص٢٤٤ .

(٤٢) بدائع الزهور جـ٢ ص٢٠٢ .

(٤٣) بدائع الزهور جـ٢ ص١٠٦ .

(٤٤) ظهر منجك بشكل متواضع وهو لابس « بشت عسلى وعلى رأسه مئزر صوف أبيض» والمئزر كل ما يستر (النجوم الزاهرة جـ١٠ ص٣١٠ - ٣١١ ، بدائع الزهور جـ١ ص٢٠٥ ، ٢٠٨ ، روض المناظر - مخطوط غير مرقم - ، الجوهر الثمين ورقة ١٥٧ ، السلوك مخطوط جـ٣ ص٩٣ ، القاموس المحيط) .

(٤٥) السلوك مخطوط جـ٣ ص٤٠٩.

(٤٦) وقع ذلك العرض سنة ٩٠٦هـ - ١٥٠٠م ، بصدد الاستعداد لحرب العثمانيين ، والملاحظ أن ذلك النوع من العقاب ظل من الوسائل المستخدمة فى أوائل العصر العثمانى على الأقل ، بدليل ما فعله خاير بك سنة ٩٢٨هـ - ١٥٢١م ، إذ قطع جوامك الكثير من الشراكسة وأولاد الناس وجعل لكل واحد ألف درهم ، على أن يصير طرخاناً ، وهذا المعلوم هو نصف ما كان يتناوله قبل أن يكون طرخانا ، وعلق ابن إياس على هذا الحادث بقوله : « فشق ذلك على المماليك الشراكسة ، وكان فيهم من هو كفء للاسفار والتجاريد ومنهم من هو شاب « بدائع الزهور جـ٣ ص٢٩٥ - ٢٩٦) .

(٤٧) صبح الأعشى جـ١٣ ص٥٢ .

(٤٨) صبح الأعشى جـ١٣ ص٥٢ - ٥٣ ، جـ٧ من النسخة المخطوطة ص٣١ - ٣٢ ، انظر نسخة الطرخانية بالملاحق .

(٤٩) النزك الطعن بالنيزك وهو رمح صغير (صبح الأعشى جـ١٣ ص٥٢ حاشية - ١)

(٥٠) صبح الأعشى جـ١٣ ص٤٨ - ٥٣ ، جـ٧ من النسخة المخطوطة ص٢٨ - ١٣١ ، انظر الملاحق .

(٥١) أخبار الأعيان ص٣٢٩ ، تاريخ أبى الفداء جـ٤ ص٩١ ، ٩٣ .

(٥٢) السلوك جـ١ ص٧٧٤ ، عيون التواريخ ص٨٥ ،بدائع الزهور جـ١ ص٢١٥ - ٢١٦ و جـ٢ ص٣٠٦ ، الجوهر الثمين جـ٢ ورقة ١٨٥ ، نزهة الأنام ورقة ١١ ، أنباء الغمر جـ١ ص٤٥٥ ، انظر فصل المجتمع .

(٥٣) النجوم الزاهرة جـ٩ ص٦٢ ، ٦٣ ، ٨٩ ، ١٠٩ ، الألطاف الخفية ١٨٩ ، بدائع الزهور جـ ٢ ص ١٥٠ – ١٥٢ .

(٥٤) السلوك مخطوط جـ٣ ص٣٦٠ ، بدائع الزهور جـ٢ ص٣٥ ، حوادث الدهور جـ ٣ ورقة ٢٣٧ – ٢٣٩ – ٢٤٣ – ٢٧٢ .

(٥٥) بدائع الزهور جـ ٢ ص٣٠٦ .

(٥٦) بدائع الزهور جـ ٤ ص ١٣٦ .

(٥٧) عيون التواريخ ص٨٥ .

(٥٨) عرف الأمير جمال الدين آقوش الأفرم الصغير نائب الشام على عهد بيبرس الجاشنكير أنه طلب الأمان من الناصر محمد حين تحرك من الكرك إلى دمشق سنة ٧٠٩هـ – ١٣٠٩م ، فأمنه فدخل عليه وهو يلبس «كاملية وشد وسطه وتوشح بنصفيه ، ويعلق أبوالمحاسن على ذلك بقوله « أى أنه حضر بهيئة البطائين من الأمراء » (النجوم الزاهرة جـ٨ ص٢٦٤ – ٢٦٧) .

(٥٩) السلوك مخطوط جـ٣ ص٣٢١ – ٣٢٢ .

(٦٠) يقصد بأستاذهم السلطان الملك الأشرف أبو المعالى زين الدين شعبان بن حسين (السلوك مخطوط جـ٣ ص٤٠٩ ، بدائع الزهور جـ١ ص٢٣٢) .

(٦١) بدائع الزهور جـ ١ ص٢٧٥ .

(٦٢) ابن الفرات ص٣١٩ .

(٦٣) بدائع الزهور جـ ٢ ص١٤٠ .

(٦٤) السلوك مخطوط جـ٣ ص١٢١ .

(٦٥) حوادث الدهور ووقة ٥٨ – ٥٩ ، التحفة السنية ص١٠٣ .

(٦٦) بدائع الزهور جـ ١ ص ٢٤٠ .

(٦٧) أنباء الغمر جـ١ ص٢٣٣ .

(٦٨) التبر المسبوك ص٢٦٨ .

(٦٩) بدائع الزهور جـ٢ ص٩١ .

(٧٠) بدائع الزهور ص٢٠١ .

(٧١) بدائع الزهورجـ٢ ص٣٩ ، ٣٩٢ .

(٧٢) بدائع الزهور جـ٢ ص٤٨ ، تاريخ ابن الفرات ص٣٥٩ .

(٧٣) بدائع الزهور جـ١ ص٣٢١ و جـ٢ ص٢٩ و ٩١ و ٢٥٥ – ٢٥٦ ، حوادث بدائع الزهور ورقة ٩٧ .

(٧٤) صبح الأعشى جـ٤ ص١٥ ، السلوك جـ ٢ ص٣١٤ و حاشية – ٢ .

(٧٥) دأب السلطان نورالدين على توريث أجناده الإقطاعات لما فى ذلك من تقوية للروح المعنوية عند جنده وضمان ولائهم واستعدادهم كل وقت للجهاد فى فترة استمر فيها النضال

الدينى بين المسلمين والصليبيين ، لذلك كان أجناده يقولون : « الإقطاعات أملاكنا يرثها أولادنا : الولد عن الوالد ، فنحن نقاتل عليها » ويعلق المقريزى على هذا بقوله : « وبه اقتدى كثير من ملوك مصر » (السلوك جـ١ ص٥٠٩ – ٥١٠ و حاشية – ٣ ، راجع الفصل الرابع) .

(٧٦) Stenton: p. 236

(٧٧) Davies: pp. 27-28

(٧٨) Stubbs, Select Charters, pp. 291-2930 Davies, pp. 40-51

(٧٩) Davies, p. 41

(٨٠) Ibid, pp. 38-39

(٨١) Steneon p. 238

(٨٢) السلوك جـ ١ ص٥٠٩ وحاشية – ٢ .

(٨٣) المصدر السابق .

(٨٤) فتوح النصر جـ٢ ورقة ٢٨٠ .

(٨٥) انظر الفصل السابع .

(٨٦) تاريخ أبى الفداء جـ٤ ص٩٨ .

(٨٧) تاريخ ابن الجزرى جـ٢ ورقة ٣٨٧ .

(٨٨) السلوك جـ٢ ص١٤٤ ، النجوم الزاهرة جـ٩ ص٤١ .

(٨٩) السلوك جـ٢ ص١٧٧ .

(٩٠) جوجر تابعة لمركز سمنود بالغربية (السلوك جـ١ ص٤٠٣ حاشية – ١) .

(٩١) السلوك جـ٢ ص٣١٤ ، النجوم الزاهرة جـ٩ ص٢٧٧ .

(٩٢) كان إقطاع أنوك من أكبر الإقطاعات ومنه نای وطنان بالأعمال القليوبية ومساحتها ٧١٣٤ فدانا ، وعبرتهما ٤١٠٠٠ دينار ، تطور أمرهما بعد عهد الناصر فغدت نای ضمن إقطاع قاسم ابن السلطان شعبان وآل أمرها فى عهد قايتباى إلى إقطاع الأمير يشبك الدوادار ، أما طنان فدخلت فى إقطاع على بن شعبان ثم صارت فى عهد قايتباى إلى الديوان المفرد (التحفة السنية ص١٣ ، الدليل الجغرافى) .

(٩٣) حوادث الدهور جـ ١ ورقة ٤١ .

(٩٤) حوادث الدهور جـ١ ورقة ٨٨ ، التحفة السنية ص٧٨ ، التبر المسبوك ص٢٥٦ .

(٩٥) كان خاير بك أمير مائة ومقدم ألف بدمشق سنة ٨٥١هـ – ١٤٤٧م ، فى عهد جقمق ثم ارتقى إلى أتابكية العساكر بها وإقطاعها ، على أثر وفاة الأتابك أينال الششمانى الناصرى ، ونقل إقطاع خاير بك إلى خشقدم الظاهرى أحد العشرات ورأس نوبة بمصر ، ومعنى ذلك طفرة خشقدم من عشرة إلى مائة ، وخشقدم هو الذى تسلطن سنة ٨٦٥هـ – ١٤٦٠م .

(حوادث الدهور جـ٢ ورقة ٥٨ ، بدائع الزهور جـ٢ ص٧٠) .

(٩٦) بدائع الزهور جـ٢ ص ٢٤١

(٩٧) المقصود بكلمة الثقال أصحاب الإقطاعات الكبيرة .

(٩٨) سيف الدين قوصون الساقى أمير أخور من المقربين للناصر ، حتى إنه زوجه ابنته وأنعم عليه ببستان بميدان اللوق سنة ٧١١هـ – ١٣١٤م ، ولقوصون مسجده المشهور الذى بدأ عمارته سنة ٧٣٠هـ – ١٣٢٩م ، وليس المسجد الموجود حالياً باسم (قيسون) محرفاً هو كل مسجده بل بعضه (النجوم الزاهرة جـ٩ ص٣٧ ، ٩٥ ، بدائع الزهور جـ٢ ص١٦٨) .

(٩٩) السلوك جـ ٢ ص٣٥٧ .

(١٠٠) آثار الأولين ٤٠.

(١٠١) بدائع الزهور جـ٢ ص٢٧٣ – ٢٧٧ .

(١٠٢) بدائع الزهور جـ٢ ص٢٢٥ .

(١٠٣) بدائع الزهور جـ ٢ ص ٢٩٥ .

(١٠٤) الجوهر الثمين جـ٢ ورقة ١٠٦ ، بدائع الزهور جـ٦ ص٩٩ – ١٠٠ .

(١٠٥) عيون التواريخ ص٣٨ ، البداية والنهاية جـ١٣ ص٣٢٠ ، السلوك جـ١ ص٨١٢ بدائع الزهور جـ ١ ص١٢١ .

(١٠٦) التحفة السنية ص١٨٣ ، التحفة الملوكية ورقة ٥٧ .

(١٠٧) التحفة السنية ص١٨٣ ، التحفة الملوكية ورقة ٥٧ .

(١٠٨) السلوك جـ١ ص٨٠٢ .

(١٠٩) بدائع الزهور جـ ١ ص ١٦٨ .

(١١٠) المصدر السابق جـ١ ص٤٤٨ .

(١١١) حوادث الدهور ورقة ٧٥ .

(١١٢) سلاريا : نسبة للأمير سلار نائب السلطنة لبيبرس الجاشنكير ، وقد نسب إليه كثير من الملابس .

(١١٣) بدائع الزهور جـ ٢ ص٦١ .

(١١٤) السلوك جـ١ ص٨٩٧ .

(١١٥) أنباء الغمر جـ ٢ ص ١٨٢ – ١٨٣ .

(١١٦) بدائع الزهور جـ ٣ ص ١٦ .

(١١٧) زبدة كشف الممالك ص١١٠ ، صبح الأعشى جـ٤ ص٢٣ وجـ ٦ ص٣٣ ، نهاية الأرب جـ٨ ص٣٠١ و ٣٠٣ ، السلوك جـ١ ص١٩٢ وحاشية – ١ وص٧١١ حاشية – ٤ ، بدائع الزهور جـ ١ ص٢٦٨) .

(١١٨) توفى السيد عبد الله الماعز سنة ٦٨١هـ (١٢٨٢م) السلوك جـ١ ص٧١١ .

(١١٩) بدائع الزهور جـ١ ص ٦٦٨ .

(١٢٠) السلوك جـ ٢ ص٣٦٩ .

(١٢١) صبح الأعشى جـ ١٣ ص١٥٤ ، ١٦٠ .

(١٢٢) مسالك الأبصار جـ ٢ ورقة ٣٩٣ ، ٣٩٤ خطط جـ ٣ ص٣٥٣ .

(١٢٣) خطط جـ١ ص١٦٢ — ١٦٣ .

(١٢٤) قوانين الدواوين ص ٣٤٤ و ٣٦٦ — ٣٦٧ .

(١٢٥) زبدة كشف الممالك ص١٠٣ ، آثار الأول ص٦٩ — ٧٠ ، السلوك جـ ١ ٧٧٠ حاشية ٢ .

(١٢٦) نهاية الأرب جـ٨ ص٢٠٠ ، مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٩٣— ٣٩٤ ، زبدة كشف الممالك ص١٠٣ ، آثار الأول ص٦٩ — ٧٠ ، معيد النعم ص ٤٣ — ٤٤ .

(١٢٧) أنباء الغمر جـ ٢ ص٣٢٧ .

(١٢٨) الحوطة تشبه الحافظة فى الدواوين والحوط الحفظ .

(١٢٩) مهمة المستوفى إرشاد الدواوين المختلفة إلى ما فيه المصلحة العامة من استخراج الأموال ونحوها من حقوق الدولة ومطالبة المختصين برفع الحسابات فى أوقاتها والتحقق منها ، ويعاون المستوفى نائب يعرف باسم « المعين » يكون بين يديه (نهاية الأرب جـ — ٨ ص٢١١ ، ٣٠١ — ٣٠٣ ، التعريف ص١١٥ ، صبح الأعشى جـ٥ ص٤٤٦ ، قوانين الدواوين ص٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٥٤ — ٣٥٥) .

(١٣٠) استبد يلبغا بالسلطة أيام السلطان فرج ، إذ كان أحد الأوصياء الذين عينهم برقوق على ولده (أنباء الغمر جـ٢ ص٧٧٨ — ٨٧٩) .

الفصل التاسع

المجتمع الإقطاعي



خصائص المجتمع الإقطاعى — طبقاته — وصف الحياة الخاصة لطبقة الأولى — السلطان فى آدرة الشريفة — حريم السلطان وأبناؤه — من صور البذخ الإقطاعى — ملحقات القصر السلطانى وهى البيوتات ، من شرابخاناه وطشتخاناه ونحوهما — الأمراء فى قصورهم وروعة مجالسهم ومواكبهم — الطبقة الثانية وهى طبقة رجال القلم ومنزلتهم — نظرة التبرك بهم وتمييز الأشراف بزى معين — استشارة السلاطين لهم — أرباب الحرف وطوائفهم المختلفة من (بياض العامة) إلى (الحرافيش أو الزعر أو العياق) — استئذاء أولى الأمر لهم فى الفتن — الثورات الشعبية — الأزياء المميزة لكل طبقة — أزياء أهل الذمة — أزياء النساء — وسائل التسلية — الأعياد والحفلات العامة والخاصة — التعليم ونظرة المماليك له — أحداث الأغلية والأوبئة ووسائل علاجها — جرائم المجتمع الإقطاعى المملوكى — وسائل العقاب من تعذيب وتجريس وتوسيط — مظاهر الكراهية بين العرب والمماليك وأثرها — بعض جرائم أخرى — نظام القضاء .



المجتمع الإقطاعى حيثما يكون فى الشرق أو الغرب مجتمع جامد طبقى البنيان والمظهر والمخبر ، وحقوق الفرد فى هذا المجتمع تختلف بحسب الطبقة التى ينتمى إليها الفرد نفسه ، والعلاقة بين الطبقات نفسها تختلف باختلاف وضعها فى المدرج الإقطاعى ، ولهذا استطاع السبكى والقلقشندى والمقريزى تقسيم المجتمع المملوكى فى سهولة ، ومن زوايا مختلفة ، فجاءت تقسيماتهم متشابهة فى عمومياتها ، فبينما تحدث السبكى عن هذا المجتمع من حيث أفراده وعناصره ووظائف كل فرد ، وما ينبغى عليه مبتدئاً بالسلطان ومنتهياً بأرباب الحرف(1) ، فصل القلقشندى فى كثير من خصائص هذا المجتمع من حيث الألقاب والملابس وأنواع الوظائف ، أما المقريزى وهو صاحب التقسيم الاقتصادى ، فجعل المجتمع المملوكى سبعة أقسام ، وهى أهل الدولة ، وأهل اليسار من التجار ، وأولو النعمة من ذوى الرفاهية . والباعة ، وهم متوسطو الحال من التجار ويقال لهم أصحاب البز ويلحق بهم أصحاب المعايش وهم السوقة ، ثم أهل الفلح وهم أهل الزراعات والحرث سكان القرى والريف . والفقراء وهم جل الفقهاء وطلاب العلم والكثير من أجناد الحلقة ونحوهم ، وأرباب الصنائع والأجراء أصحاب المهن ، وأخيراً ذوو الحاجة والمسكنة وهم السؤال الذين يتكففون الناس ويعيشون منهم(2) .

ويستخلص من هذه التقسيمات أن المجتمع المملوكى ثلاث طبقات كبرى تضم كل منها فروعاً طبقية صغيرة ، وهذه الطبقات الكبرى هى : رجال السيف أو الطبقة الحربية الأرستقراطية بعناصرها المختلفة ، ورجال القلم من موظفى الدواوين والقضاة ورجال التعليم وأهل التصوف وطلاب العلم ، وأرباب الحرف المختلفة بين تجارة وصناعة وزراعة .

ويقع المواطنون سواء من المصريين أو الشاميين أو الحجازيين أو اليمنيين، وكذلك المستوطنون والواردون من الفرنجة والجنوبيين والبنادقة والمغاربة وغيرهم من الخاضعين للمماليك ضمن الطبقتين الأخيرتين [٣]، وغلب الجمود على هذا التقسيم ما عدا أن ينال فرد من طبقة ما شيئاً من خصائص طبقة أخرى، فيجوز مثلا أن ينال أحد العامة إقطاعاً حربياً، لكنه لا يغدو بهذا الإقطاع جندياً ملماً بفنون العسكرية، وأكثر ما حدث ذلك في أوقات الأوبئة والفتن والاختلال، وربما منح السلطان عالماً أو شاعراً إقطاعاً من الإقطاعات على سبيل « الصدقة » أو « الرزقة » [٤] أو أن يشتغل بعض أبناء الطبقة الحربية وهم « أولاد الناس » أو بعض أفراد هذه الطبقة نفسها بالعلم أو الفقه فيصير عالماً أو فقيهاً أو مؤلفاً [٥] من غير أن ينفصل عن طبقته من حيث الإقطاع والمستوى المعيشي، ومن أمثلة ذلك : بيبرس الدوادار المؤرخ ونائب السلطنة [٦] والطنبغا الجاولي الفارس الشاعر والفقيه [٧] وابن دقماق المؤرخ الفقيه وأمير دمياط [٨]، وابن تغرى بردى المؤرخ [٩]، وجان تمر مؤلف كتاب النظم المملوكية [١٠] والبدرى حسن بن الطولوني نائب القلعة والمؤرخ [١١].

أما الحياة الخاصة لكل طبقة، فأولها حياة السلطان في قصوره بالقلعة وهي الآدر الشريفة [١٢] والمشرف عليها طواشي بدرجة أمير طبلخاناه يعرف باسم « زمام » الآدر الشريفة، وتحت يده عدة خدام وعمال من الطواشية بلغ عددهم في وقت ما نحو ٦٠٠ طواشي لكل منهم عمل خاص [١٣]، وكبير موظفي القصر هو « الأستادار » ويشرف على نفقة القصور [١٤].

ويكون نظام الحراسة، بالنوبة، وهذه تضبط على ساعات رملية، وقد جرت العادة أن يحتفظ السلطان لهؤلاء الحراس ببعض ألوان الطعام، ليتشاغلوا بالمأكول عن النوم، كما توجد المصاحف الكريمة لمن يقرأ والشطرنج لمن يريد اللعب [١٥].

وبالآدر الشريفة حريم السلطان ، وهن زوجاته ، وعدتهن أربع ، يلقبن « بالخوندات » ولكن ذلك لم يطرد عند جميع السلاطين ، فمنهم من اقتصر على واحدة مثل السلطان إينال ، وللخوندات كما يقول ابن شاهين ، « أبهة عظيمة فى ذاتهن (١٦) ، فى مساكنهن بالقلعة التى تعرف باسم « القياع » وهى جانب من الآدرالشريفة(١٧) ، أقامت بعض الخوندات القاعة الكبرى المعروفة «بالعواميد » ، ومن جملة أثاثها أوان من ذهب وفضة وتخوت منضضة من بينها تخت مرصع مذهب ، ومنارة من ذهب عليها جوهرة تضىء بالليل ، وحصرت ثروة بعضهن فبلغت أكثر من ٦٠٠٫٠٠٠ دينار(١٨) ، وإذا انتقلت الخوند من مكان إلى آخر فلابد من إخلاء الطرقات التى يمر فيها موكبها ، وذلك بطرد الناس وقفل الحوانيت(١٩) ، مثل ذلك ما حدث فى سنة ٨٣٢ هـ / ١٣٣١ م ، حين عاد السلطان الناصر محمد من إحدى جولاته بالصعيد ، إذا استدعى حريمه إلى الجيزة ، فطردوا سائر الناس من الطرقات وغلقت الحوانيت ، ونزلت خوند طوغاى زوجته وأم ولده آنوك ومعها الأمير أيد غمش أمير آخور كبير ممسكاً بعنان فرسها بيده ، وحولها سائر الخدم مشاة ، وعبرت النيل فى الحراقة ، ثم استدعى السلطان بعض خواصه من مماليكه بحريمهم ، وأقام بالجيزة عدة أيام ، وهكذا عاش السلطان الإقطاعى وزوجاته ، وتدخلت بعض الخوندات فى شئون الدولة كزوجة السلطان إينال التى حملت زوجها على أن يعهد لولده أحمد بالسلطنة (٢٠) .

واقتنى السلطان الجوارى أو السرارى ، ومتوسط عدتهن ٤٠ سرية ، على أن من السلاطين المكثر والمقل فى هذه الناحية ، فيذكر عن الناصر محمد أنه مات عن ١٢٠٠ وصيفة مولدة سوى من عداهن من بقية الأجناس ، وبنى لهن القصر المشرف على الميدان بالقلعة وهو قصر السبع قاعات ، وهذا بالرغم من أن ما ينصح به السلاطين ، الإقلال من الحريم لأن الإكثار منهن ليس

من الإنصاف [٢١] ، وقامت بعض الجوارى بوظائف منزلية كالمراضع والبلانات[٢٢] والدايات ، ولهن رئيسة عليا هى « القهرمانة » وإليها الإشراف العام على شئونهن وتربية أولاد السلطان وعمل الأعراس السلطانية والحفلات ، وممن اشتهر من القهرمانات : الست مسكة والست حدق أو حدقة بقصر الناصر محمد ، طال عمرهما واتسعت ثروتهما ، ولهما أعمال بر ، وينسب لكل منهما أماكن محكرة ومساجد وتكايا ومدارس وأعمال بر [٢٣] .

أما أبناء السلاطين فأشرف عليهم مربون من الذكور غير الوصيفات ، يطلق عليهم اسم « اللالات » ، وجرت العادة بألا يظهروهم حتى يجاوز الواحد منهم سبع سنوات ، وأضفى عليهم المصطلح ألقاباً ضخمة وهى : نجل المقام الشريف أو ولد المقام الشريف أو الأسياد أو أولاد الناس ، واشترك معهم فى اللقب الأخير ، أبناء الأمراء ، كما اشترك فى لفظ السيد أبناء الخليفة ، فإذا شب الواحد منهم ، وأخذ يختلط بالناس من طبقته الإقطاعية ، زادت ألقابه فى كتب المؤرخين على الأقل مثل « المقام الفخرى سيدى عثمان بن جقمق » [٢٤] .

وأكثر ما يتضح البذخ الإقطاعى فى المطبخ السلطانى الذى « لا تنتفى النار منه أبداً » كما يعبر ابن شاهين[٢٥] ، سواء فى قائمة عدد موظفيه كالحوان سلار والمرقدارية [٢٦] أم فى كميات الأطعمة وألوانها فمن ألوان الأطعمة التى اشتهرت فى عصر المماليك الأقسماوية التى تصنع من السكر والأفاويه المطيبة بماء الورد ؛ يقول النويرى : « إنها شراب جيد للهضم » ، والسفرجلية ، وحب الرمان والسنبوسك والمطجن والمشوى ، كرنب سبعة ألوان [٢٧] والأسمطة التى تخرج منه يومياً ، وعددها خمسة وهـــذه هى الأسمطة العادية ، وهى غير أسمطة المناسبات فى الحفلات وغيرها ، ولابد من أن يتذوق

« الجاشنكير » الطعام قبل السلطان خشية من أن يدس له السم[٢٨] . فيذكر عن مخصصات مطبخ السلطان كتبغا من اللحم فقط ، أنها بلغت ٢٠ ألف رطل يومياً ، وبلغ عدد الدجاج الذى يذبح كل يوم للسماط السلطانى فى عهد الناصر سنة ٧٣٩هـ / ١٣٠٨ م : ٧٠٠ طائر ، وهذا غير الخاصى التى يختص بها السلطان لنفسه وللمقربين من أمرائه ، وتكلف فى بعض الأحيان من اللحم فقط ٢٦ ألف رطل فى اليوم سوى الدجاج والأوز والرمان — صغار الضأن — والجدى المشوى والغزلان والأرانب وغيرها ، وبلغ راتب السكر أيام رمضان فى عهده ألف قنطار ، وزاد هذا الراتب فى عهد ابنه الصالح سنة ٧٤٥ هـ — ١٣٤٤م، إلى ثلاثة آلاف قنطار ، وتستهلك الدور السلطانية من الحلوى فى رمضان ٦٠ قنطاراً [٢٩] .

وفى غمار هذا البذخ الواضح ، أثرت حواشى القصور شأنها شأن الغالبية من حواشى الطبقات الأرستقراطية؛ فيقال إن متحصل الحاج على الطباخ فى سنة ٧٤٦هـ — ١٣٤٥ م ، أيام السلطان إسماعيل بن الناصر بلغ من « المعاملين » وهم المتعهدون فى كل يوم ٥٠٠ درهم ولابنه أحمد ٣٠٠ درهم ، وهذا عدا الأطعمة وما يصيبه فى « المهمات » وهى الحفلات ، ففى « مهم » عمله للأمير بكتمر الساقى بلغ ما ناله فقط من ثمن الأكارع والرءوس وسقط الدجاج والأوز : ٢٢٠٠ دينار ، ولما صودر وأوقعت « الحوطة على موجوده » ، وجدوا له ٢٥ داراً على شاطئ النيل [٣٠] .

هذا هو القصر السلطانى ومطابخه[٣١] ، ويطول شرح ملحقات القصر من المؤسسات التى تعرف بالبيوتات ، وهى عبارة عن مخازن وحظائر مثل : الشرابخاناه والطشت خاناه والفراشخاناه والطبلخاناه والإصطبلات وغيرها [٣٢] مما أفاض فيه القلقشندى والنويرى وابن شاهين وغيرهم إفاضة دالة على المستوى

الإقطاعى المعيشى للسلاطين ، وهو مستوى لم يحلم أحد من طبقات الناس أن يبلغوه ، غير أمراء المماليك ولكن على مقياس أصغر . والواقع أن قصور الأمراء صورة مصغرة من القصور السلطانية والأمير نفسه على حد تعبير القلقشندى : « سلطان مختصر » ، وتعرف مساكنهم باسم الدور أو البيوت أو القصور وهى منتشرة فى أحياء القاهرة ، كدار الأمير تنكز قرب الأزهر وقصر يلبغا اليحياوى وقصر الطنبغا الماردينى ، قرب القلعة ودار الأمير طاز بالصليبة وبيت يلبغا العمرى بالكبش (٣٣) .

ويلاحظ أن كل أمير يتخذ لوناً معيناً لطلاء داره ومؤسساته من مطابخ ومراكب وشون وغيرها ، كما يتخذ له رمزاً أو شارة تعرف باسم « الرنك » وهذا ينقش على فراشه وداره وسلاحه وأدواته المنزلية من مشكاوات وأوان خزفية وفخارية وغيرها ، ومنهم من نقشه على عملته مثل السلطان بيبرس الذى وضع رنكه ، وهو صورة الأسد المتحفز على نقوده ، ويمثل هذا الرمز معنى من المعانى التى يهواها الأمير كالشجاعة مثلا التى يبدو أن بيبرس تمثلها فى الأسد ، كما تمثلها الأمير يشبك الدوادار زمن قايتباى ، فقد اتخذ صورة الأسد رنكاً له عندما خرج لحرب شاه سوار بن دلغاور ، وتمثل مهنة الأمير كالدوادار الذى يتخذ الدواة والمقلمة شارته مثل الأمير طغيتمر الدوادار (٣٤) والساقى الذى يتخذ الكأس أو الهناب شارته مثل الأمير شيخون (٣٥) ، وربما ضم الأمير رمزين إشارة إلى أهم وظيفتين شغلهما مثل طغيتمر هذا الذى اتخذ الكأس والدواة ، وهناك رمز « البوق » لعله لمجرد شارة الإمرة إذ كان من شارات الإمرة « البوق والعلم » ، أو لمهنة الأمير كأن يكون مشرفاً على فرقة الموسيقى التى تخرج مع الجيش مثل الأمير علم الدين الذى كان يحكم على الطبالين والزمارين والمنقرين فى عهد السلطان طومان باى (٣٦) ، ورمز الصولجان ،

إشارة لمهنة الجوكاندار ،وهو حامل الصولجان للعب الكرة ، أو لما يهواه صاحب هذا الرمز من أنواع الرياضة ، وأكثر الرموز وضوحاً هى رموز « السيوف » المختلفة الأشكال والأوضاع ، ووجد من اتخذ « بقجة القماش » رنكاً ، وهى إشارة لوظيفة الطشتدارية وهكذا (٣٧) .

ومجالس الأمراء فى قصورهم غاية فى الروعة والترف ، كما أن محتوياتها من مشكاوات وأوان وأثاث وفراش وغيرها من التحف ، ليس فقط دليلا على مستوى هذه الطبقة ، بل هى كذلك دليل قائم على براعة الصانع المصرى من رجال الطبقة الدنيا فى ذلك المجتمع ، كذلك دلت أسمطتهم على الترف الزائد : فيقال إن راتب سماط الأمير سيف الدين بشتك الناصرى من أمراء الناصر محمد بلغ ٥٠ رأساً من الغنم وفرساً كل يوم (٣٨) ، وضرب المثل بسماط الأمير يلبغا العمرى فيقال « الصحن اليلبغاوى » و « ضريبة » هذا الصحن عشرة أرطال لحم ضانى (٣٩) . والعادة أن يأكل الأمير وجميع أجناده حوله كما يأخذ غلمان أجناده الطعام من مطبخه كل يوم ، بل يغضب إذا علم أن أحداً منهم اشتهى لوناً من الطعام ولم يأكله عنده (٤٠) .

ولقصور الأمراء « بيوتات » ملحقة مثل بيوتات السلطان ، غير أنها تنعت « بالكريمة » تميزاً لها عن بيوتات السلطان المنعوتة بالشريفة ، وتنعت إصطبلات الأمير بالسعيدة وشونه « بالمعمورة » ، كما ينعت رجال حاشية الأمير ومعاونوه بالألقاب التى تنعت بها حاشية السلطان مثل الدوادار والاستادار وغيرهما (٤١) .

وكما بدت الروعة فى قصورهم وأسمطتهم ، برزت مواكبهم آية فى الفخامة وإظهاراً للقوة ودليلا على الجاه والثروة ، فإذا ركب أحدهم تقدمه أكابر أجناده من أرباب الوظائف كرأس نوبة والدوادار وسار خلفه صغار

الحمدارية ، وخلف الجميع أمير آخور ومعه « الجنائب » والأوشاقية[٤٢] ، وذلك على مثال السلطان، بل إن الأمير يلبغا العمرى كان إذا توجه إلى القلعة لمقابلة السلطان شعبان ، اصطف مماليكه على خيولهم على طول الطريق من بيته بالكبش إلى القلعة [٤٣] .

وتضم طبقة رجال القلم العلماء على اختلافهم والقضاة والأئمة والصوفية ، ومن هؤلاء من شغل وظيفة رئيسية فى الدولة ، كالوزارة وكتابة السر والحسبة ونظر الجيش ونظر الخواص الشريفة .

وقد قسم القلقشندى الوظائف التى يشغلها رجال القلم إلى قسمين : دينية وديوانية ، فالأولى مثل القضاء والإفتاء ووكالة بيت المال ونقابة الأشراف والحسبة ومشيخة الشيوخ (فى الخانقاه) ونظر الأحباس المبرورة ونظر البيمارستان والخطابة والتداريس ، والديوانية مثل الوزارة ونظر الدولة ونظر الخاص ونظر الجيش ونظر بيت المال ونظر الإصطبلات واستيفاء الصحبة ونظر الأسواق وخزائن السلاح والأملاك السلطانية والمواريث الحشرية [٤٤] .

على أن بعض المناصب لم تبق وقفاً على رجال القلم ، فقد شغلها بعض الأمراء مثل الوزارة والحسبة .

فمثلا شغل الأمير منجك اليوسفى منصب الوزارة زمن السلطان حسن ، وأول محتسب من الأمراء الترك هو الأمير منكلى بغا الشمسى الذى عينه السلطان المؤيد فى ذلك المنصب عام ٨١٦هـ – ١٤١٣م ، كذلك شغل الأمير ماماى السيفى منصب الحسبة زمن السلطان أبى النصر طومان باى[٤٥] .

ويعتبر الخليفة رأس رجال القلم [٤٦] ، فوظيفته على النحو الذى آلت إليه فى عصر المماليك دينية أدبية أكثر منها سياسية ، ولو أن بعض الخلفاء اشتغل بالسياسة ، وتولى أحدهم السلطنة لبضعة شهور ، لكنها سلطنة من غير سلطة حقيقية ، فلم تكن ولايته لها على يد الأمراء أنفسهم إلا ريثما يتمكن الطامعون المتنافسون منهم من تهيئة الأحوال لهم .

ومن اشتغل من الخلفاء بالسياسة ، واشترك فى الفتن والمؤامرات ، الخليفة الربيع سليمان خلال الفتنة التى اقترنت بعودة السلطان الناصر محمد إلى سلطنته الثانية ، ولذلك نفاه إلى قوص هو وأسرته التى تتكون من نحو مائة نفس ، وظل الخليفة بقوص حتى توفى سنة ٧٣٦هـ - ١٣٣٥م . كذلك اشترك الخليفة المتوكل على الله فى المؤامرة التى دبرت ضد السلطان برقوق واكتشفت عام ٧٨٥هـ - ١٣٨٣م ، كما اشترك الخليفة القائم بأمر الله فى المؤامرة التى انتهت بعزل منصور بن جقمق وتولية السلطان إينال عام ٨٥٧هـ - ١٤٥٣م ، وكذلك فعل الخليفة المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز ، يوم استجاب لدعوة قانصوه خمسمائة وحضر إلى القلعة ، كما حضر القضاة الأربعة ، وعزلوا محمد بن قايتباى وبايعوا قانصوه خمسمائة بالسلطنة ، غير أنه لما انهزم قانصوه أمام محمد بن قايتباى ، عاد الخليفة ومن معه وبايعوا المنتصر ولم يكن هذا بدعاً فى ذلك الزمن ، فقد درج الخلفاء على مبايعة المنتصر دائماً ، برغم مبايعتهم لمن شايعوه أولا ؛ ومن أبرز الشواهد : الخليفة المستنجد بالله أبو المحاسن ، فقد بايع أحمد ابن إينال بالسلطنة بعد وفاة أبيه عام ٨٦٥هـ - ١٤٦٠م . فلما وثب خشقدم وعزل أحمد وتسلطن مكانه ، بايعه الخليفة ، وبعد وفاة خشقدم بايع من جاء بعده فى السلطنة وهو بلباى ، ولما خالفه الأمراء وسلطنوا تمربغا ، بايع الخليفة السلطان الجديد ، لكنه خلع بعد شهرين على يد قايتباى ، فبايع الخليفة من جاء بعده ، وهكذا ، سيراً مع الحوادث .

أما ولاية الخلفاء للسلطنة ، وهى التى تحققت سنة ٨١٥هـ - ١٤٢٢م ، حين ولى الخليفة المستعين هذا المنصب ، بعد مقتل فرج بن برقوق ، فإن خلفاء بنى العباس فى مصر أدركوا حقيقة أن هذا المنصب محفوف بالمخاطر والمنافسات الدامية ، برغم أنهم طمعوا فيه فعلا ، ولذلك أخذ المستعين الأيمان والمواثيق من الأمراء الذين بايعوه ، بعدم التعرض له ، وهذا برغم الفرحة الكبرى التى عمت البلاد بولاية الخليفة لهذا المنصب (٤٧) . غير أن المستعين لم يبق بمنصب السلطنة أكثر من ثمانية شهور (من محرم إلى شعبان سنة ٨١٥ هـ

— ١٤١٢م) ، فقد خلعه المؤيد، بحجة أن الدولة بحاجة إلى سلطان « تركى » قادر على إعادة النظام والأمن ، وخلعه من الخلافة كذلك وسجنه بالإسكندرية إلى أن أطلق السلطان برسباى سراحه فيما بعد (٤٨) .

كذلك يمكن ضم طائفة الأشراف إلى طبقة رجال القلم ، وإذا علمنا أن لقب « شريف » (٤٩) كان يطلق فى ذلك الوقت على العلوى والعباسى ، فلا شك أن الخليفة العباسى ، يضم إلى هذه الطائفة من هذه الناحية ، على أن أعمال الأشراف فى عصر المماليك ، كانت أقرب إلى شئون الدين والعبادة والتعليم ، منها إلى السياسة والحرب ، ولو أن البارزين فيهم ، حكموا بعض الولايات الخاضعة للنفوذ المملوكى ، مثل حكام الحجاز واليمن ، وتولى بعضهم مناصب إدارية ، كما حاز البعض الآخر منهم الإقطاعات والإمرة .

ومنزلة الأشراف محترمة فى نظر المماليك ليس فقط إلا من ناحية انحدارهم من سلالة آل البيت ، فهذا السلطان شعبان بن حسين يميزهم فى سنة ٧٧٣هـ — ١٣٧١م ، بشعار خاص هو « الطراز الأخضر » (٥٠) ، وهذا السلطان الغورى يستقبل فى سنة ٩٠٨هـ — ١٥٠٢م السيد أبا نمى بن الشريف بركات أمير مكة ولم يتجاوز سنه الثمانى سنوات ، ويضعه على حجره ويقبل يديه (٥١) ومع ذلك لم تتعارض نظرة التبرك هذه بالضرب على من يعارض سلطانهم أو يعصى أوامرهم ولا سيما حكام مكة واليمن (٥٢) .

ولهذه الطائفة « نقابات » لتنظيم شئونها فيعين لها نقيب حيث وجدوا . فلهم نقيب بمصر ، وآخر بدمشق وثالث بحلب وهكذا ، ويصدر أمر التعيين من السلطان ، ويعرف هذا الأمر باسم « التوقيع » (٥٣) ، ويوصى نقيب الأشراف بعدم التشيع والبعد عن التطرف والحذر من الخوض فيما شجر بين الصحابة (٥٤) ، كما أن لهم أيماناً يقسمونها (٥٥) .

وقد شغل الأشراف بعض المناصب الدينية والإدارية ، كالأذان فى بعض المدارس أو المساجد والتدريس ووكالة بيت المال والقضاء وكتابة الإنشاء ، ومن هؤلاء الشريف بدر الدين حسن العباسى مؤذن إحدى مدارس

دمشق [٥٦] ، كذلك على بن الحسن بن محمد بن الحسين الرئيس الشريف نقيب العلويين ووكيل بيت المال بالقاهرة وقاضى العسكر [٥٧] ، ومن الأشراف الذين تولوا كتابة السر الشريف شهاب الدين فى عهد الناصر محمد[٥٨] ، ومن الذين تقلبوا فى عدة وظائف مختلفة وحازوا إمرات وإقطاعات ، الأمير السيد الشريف علاء الدين على بن أحمد بن محمد العباسى (ت ٧٥٢هـ / ١٣٥١ م) ، كان أحد أمراء العشرات بدمشق ووالياً بالقدس ، ثم اتخذه تنكز نائب الناصر محمد بالشام استادارا له ، وتولى بعد ذلك وظيفة مشد الأوقاف ، وحين انضم إلى كبير الأمراء بالشام وهو الأمير قطلوبغا الفخرى ، فكر الأخير فى إقامة خليفة بالشام وقال « عندنا واحد شريف عباسى نقيمه نحن خليفة ونبايعه وما يحتاج إلى أحد من المصريين [٥٩] » .

وتمتعت بقية عناصر هذه الطبقة كذلك باحترام المماليك فى أكثر الأحيان وكانت موضع الاستشارة من السلاطين فى المسائل الكبرى ولاسيما ما يمس[٦٠] الشرع منها كالحصول على الأموال بفرض ضرائب على الأملاك أو الأوقاف أو حل الأوقاف أو استبدالها أو فى عقوبة خارجى ثائر ، وهكذا . والأمثلة على ذلك كثيرة ، فهناك استشارة قطز لهم بصدد حرب المغول بقيادة هولاكو ، واستشارهم فرج فى سنة ٨٠١هـ — ١٣٩٨م ، لمقابلة خطر العثمانيين [٦١] ، وحين ازداد خطر سوار التركمانى فى سنة ٨٧٢هـ — ١٤٦٧م استشارهم قايتباى فاقترح كاتب السر الاستيلاء على بعض الأوقاف ، ولما مال الحاضرون إلى الموافقة اعترض شيخ الإسلام وهو أمين الدولة الأقصرائى الحنفى ورفض هذا الاقتراح فانفض المجلس « والسلطان حانق عليه » [٦٢] ولما قبض على هذا الثائر سنة ٨٧٧هـ — ١٤٧٢م استفتى قايتباى هذه الهيئة فى أمر عقوبته فأفتوا بإعدامه ، [٦٣] كذلك استفتاهم قايتباى فى سنة ٨٩٦هـ — ١٤٩٠م ، بصدد خطر العثمانيين [٦٤] . هذا وقد لجأ السلاطين إليهم حتى إلى صغارهم يلتمسون البركة إذا نزل بالبلاد قحط أو وباء ، ليزيد النيل أو يرتفع الوباء [٦٥] .

وبرغم نظرة التبرك هذه وبرغم استمرار لجوئهم إليهم وحاجتهم إلى

استشاراتهم وتعرض بعض القضاة لسخط العامة بسبب بعض الفتاوى (٦٦) ، فإن ذلك كله لم يحل دون تجاهل فتواهم أو إهانتهم (٦٧) فلم يتحرج السلطان قايتباى من ضرب الفقيه شهاب الدين العقيلى لكذب دعواه فى اتهام أحد الفقهاء سنة ٨٧٩هـ - ١٤٧٤م، كذلك لم تسلم هذه الطبقة من فرض الغرامات (٦٨) عليها مما أدى إلى اختفاء بعض القضاة ، كما ضرب البعض الآخر بأمر السلطان محمد بن قايتباى سنة ٩٠٣هـ - ١٤٩٧م (٦٩) .

وأرزاق هذه الطبقة مشاهرة من حيث الرواتب ، فكان راتب الوزير فى الشهر ٢٥٠ ديناراً (٧٠) ، وهذا غير المخصصات من « اللحم بتوابله أو من غير توابله »، بحسب مراتبهم ، ولهم الخبز والعليق (٧١) ولأكابرهم السكر والشمع والزيت والكسوة فى كل سنة ولبعضهم الأضحية (٧٢) . وهناك الأوقاف المرصدة وأنصبتهم منها ، كما أن لبعضهم إقطاعات (٧٣) ، وبرغم ما يبدو فى هذه الأرزاق من سعة ، إلا أنها لم تكن شيئاً مذكوراً بجانب ما ينعم به أمراء المماليك ، ومع ذلك حقد عليهم المماليك واستكثروا أرزاقهم، يقول السبكى : « ومن قبائحهم (أى المماليك) استكثارهم الأرزاق وإن قلت على العلماء واستقلالهم الأرزاق وإن كثرت على أنفسهم ، ولو اعتبر الواحد منهم رزق أكبر فقيه لوجده دون رزق أقل مملوك عنده » (٧٤) .

ويتميز فريق أرباب الحرف بطوائف مختلفة تبعاً لما يزاولون من عمل ، فهناك الفلاحون بالقرى ومياسير التجار من المواطنين والأجانب وأرباب الصنائع بالمدن ، وربما أطلق لفظ « العامة » على أصحاب الحرف الصغيرة كالحياطين والأساكفة والناطور (٧٥) وغاسل الموتى والطرقية ، وهم الباعة المتجولون ، كذلك شمل لفظ العامة المساكين من السؤال (٧٦) ، وميز كبار التجار وأثرياؤهم باسم « بياض الناس » كما نعت بذلك تجار سوق الحوائصيين وتجار العنبر (٧٧) ، وإذا تعطل بعض أرباب الحرف الصغيرة عن العمل لسبب ككساد أو فتن أو مجاعة أو ركن بعضهم إلى البطالة وانصرف إلى العبث واللهو والنهب وقطع الطرقات فى الأماكن المهجورة أو انخرط فى « مناسر الحرامية »

منتهزاً فرصة الاختلال التى تنتاب المجتمع المملوكى بين آن وآخر ، عرف أمثال هؤلاء فى هذه الحالات جميعها باسم « الحرافيش أو الزعر أو الزعار أو العياق » . وأغلب أعضاء طبقة أرباب الحرف منظم بوصايا كغيرها من عناصر المجتمع ، وأفرادها خاضعون لإشراف المحتسب وقوانين الحسبة ، وهذه الوصايا التى سجلها المعاصرون ، ونظام الحسبة القائم هى فى الواقع القوانين الاجتماعية التى ينبغى أن يسير عليها كل فرد ، كما تدل من ناحية أخرى على مدى فقه ذلك المجتمع للشعور بضرورة تنظيم أحواله .

وكأى مجتمع كثيراً ما وقع الخلف لهذه القوانين وكثيراً ما عوقب بأشد أنواع العقوبة أدبياً ومادياً ، فمن مهام المحتسب ارتياد الأسواق ومحال البيع على اختلافها (٧٨)، والنظر فى الأقوات والأطعمة التى تعرض للبيع للكشف عما يحدث فيها من غش (٧٩) . ومن المخالفات أن أعجمياً كان يصنع « السنبوسك» فذبح كلباً سميناً وعمل منه هذا اللون من الطعام وباعه ، على حين تنص قوانين الحسبة على أنواع الذبائح ، بل تحدد كيفية الذبح وشروطه ، غير أن هذا البائع انتهز فرصة الاختلال والاضطرابات التى حلت بالبلاد خلال استعداد السلطان طومان باى لحرب سليم الأول ، وارتكب هذه المخالفة ، فكان جزاؤه القبض والضرب بين يدى الأمير ماماى المحتسب وشهر فى القاهرة وفى عنقه كلب معلق (٨٠) .

ويلاحظ أن بعض السلاطين قد عمل على أن تظل هذه الطبقة فى الوضع الذى اصطلح المجتمع الإقطاعى على وضعهم فيه ، فلم يرق فى عين الناصر أن يقتنى أثرياء العامة العبيد حتى لا يتشبهوا بالسادة فأمر حاجبه بأن ينادى فى سنة ٧٢٨هـ — ١٣٢٧م ، « بألا يباع مملوك تركى لكاتب ولا عامى ، ومن كان عنده مملوك فليبعه ومن عثر عليه بعد ذلك أنه عنده مملوك فلا يلوم إلا نفسه» .(٨١) كما لم يستسغ ابنه السلطان صالح أن يركب الفلاحون الخيول أو يشتروها خشية التقوى بها أو مناظرة السادة فى « مراكيبهم » فرسم سنة ٧٥٤هـ — ١٣٥٣م « بأن فلاحاً لا يركب فرساً ولا يشترى فرساً »(٨٢) ، فلبث آغلبها أوفرحظاً

من غيرها بؤساً وشقاء وأكثرها تعرضاً للنكاية والظلم ، يصدر السلاطين الأمر بتسخير العامة والفلاحين سواء أكان ذلك فى الأعمال الخاصة أم العامة ، كما فعل قلاوون وابنه الناصر وحفيده حسن ، حيث كان يقبض على الناس فى المساجد والأسواق(٨٣) ، بل لعل الأمير أقبغا عبد الواحد كان يرى مكرمة فى تحديد يوم واحد للسخرة من كل أسبوع فى بناء مدرسة سنة ٧٤٠ هـ (٨٤) مما قربه مصادفة لما قاساه الأقنان فى الإقطاع الغربى باسم «السخرة الأسبوعية»(٨٥). كذلك تعرضت هذه الطبقة بفروعها للمغارم فاقتحمت حواصل التجار فى حضورهم وغيبتهم وقوسموا « فى موجودهم » بأمر السلطان فرج استعداداً للقاء تيمورلنك سنة٨٠٣هـ — ١٤٠٠م(٨٦)، واضطرت امرأة لبيع شجرة نبق بمنزلها بالحسينية وفاء بما فرضه عليها قايتباى سنة٨٩٦هـ — ١٤٩٠م ، لمواجهة الخطر العثمانى وهكذا (٨٧) .

لهذا وغيره لم يقف الفلاحون أو العامة مكتوفى الأيدى حين حانت الفرصة ، بل تربصوا بالظالمين الدوائر ، ويستوى فى ذلك أعمال العصيان أو الانتقام أو التمرد أو النهب مما يدل على بعض الوعى وبعض الشعور بالظلم تهيؤاً للثورات الشعبية ، فلما جار الأمير شمس الدين أحد أمراء الناصر محمد على الفلاحين فى قسمة المحصول وتوعدهم ، أضمروا له الانتقام ولحقوا به وصحبه فى الطريق . يقول الشريف بدر الدين حسن العباسى وكان فى صحبة الأمير : « فلما ركبنا ، لحقونا (كذا) الفلاحون وجابوا لنا بسيسة أطعمونا ومن حيث أكلنا البسيسة طربنا جميعاً ، ووصلنا إلى دمشق . وكانوا ستة نفر مات أربعة وتعلل اثنان »(٨٨) . بل امتنع الفلاحون عن دفع الخراج لرسول طومان باى سنة٩٢٢هـ — ١٥١٦م ، والسلطان سليم فى طريقه إلى مصر ، وقالوا : « مانقدر نعطى خراجاً حتى يتبين لنا إن كانت البلاد لكم أو لابن عثمان ، فنبقى نورد الخراج مرتين(٨٩) » ، كذلك كان شأن العامة بالمدن إذ وجدوا فى إحداث الفتن والاضطراب خير متنفس لهم للانتقام من المماليك ، إذ أن الأمراء استأدوهم فى هذه الفتن نكاية بمنافسيهم ، وما كان أسرع تلبيتهم لهذا الاستئداء لما

يظفرون فيه من غنائم منهوبة ، استأداهم الأتابكى برقوق سنة ٧٨١هـ-١٣٧٩ م لنهب بيت غريمه بركة(٩٠) ، واستأداهم الأمير منطاش فى حربه ضد منافسه الأمير يلبغا الناصرى سنة ٧٩١هـ / ١٣٨٨م (٩١) ، ولم تسلم المساجد أوالمدارس من نهبهم وتخريبهم خلال تلك الفتن (٩٢) ، واستطاعوا فى كثير من المناسبات أن يرفعوا أصواتهم إلى أولى الأمر وأن يقوموا بحركة احتجاج منظمة ضد تصرفات بعض كبار الموظفين ، وليس المهم نجاحهم الدائم فى هـــذه المحاولات ، بل المهم شعورهم الضمنى بما لهم من حق أو صوت فيمن يولى عليهم(٩٣). طلبوا عزل والى القاهرة سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م فأجيبوا إلى طلبهم ، وتجمهروا فى سنة ٧٧١هـ / ١٣٦٩ م ، أمام القلعة يرجمون الناس ويحولون دون صعود الأمراء إلى السلطان شعبان ، فلما سألهم عن قصدهم أجابوا : « تسلمنا علاء الدين كبك شاد الدواوين ووالى القاهرة (٩٤) » ، واجتمعوا مرة أخرى فى سنة ٨٠٠هـ / ١٢٩٧ م على عهد الساطان برقوق ومعهم المصاحف والأعلام طالبين الإفراج عن الأمير علاء الدين بن الطبلاوى والى القاهرة (٩٥) . حقيقة لم يستجيب لهم ولى الأمر فى كلتا الحالتين ، ولكن العبرة بالباعث أو الشعور الذى دفعهم فى وقت لم يكن للرأى العام أى قيمة أو وجود .

ولذا كانت العبارة العامة القائلة بأن المصريين عاشوا خـــلال النظام الإقطاعى المملوكى حياة سعيدة هانئة وأن حكومة الأقلية الأتوقراطية هذه لم يقم فى وجهها أى منغص أو عقاب غير منطبقة على الواقع (٩٦) .

ومن حيث الملابس التى ميزت طبقات هذا المجتمع الإقطاعى ، اختص رجال السيف بزى معين عليه مسحة الفخامة والروعة والترف البالغ ، فضلا عن التعقيد والتنوع فى مفرداته وألوانه ، فغطاء الرأس هو « الكلاوات » وتسمى كذلك « كلفة وكلفتاه » (٩٧) وتتخذ من الصوف الملطى الأحمر والأصفر. وهناك ما يعرف باسم « الشربوش » وهو غطاء للرأس كذلك مثلث الشكل يشبه التاج ، ويرخى الشعر مضفوراً فى كيس من الحرير الأحمر أوالأصفر(٩٨) وعلى الجسم قباءان أعلاهما ملون ضيق الأكمام (٩٩) ، وتشد أوساطهم ببنود

أو مناطق من قطن بعلبكى يعلق بها السيف ، وربما حيطت « بالحوائص » الذهب[١٠٠] أو الفضة ، وفى أرجلهم خفان يعرف العلوى باسم « سقمان » من جلد بلغارى أسود وعليها تلبس المهاميز المكفتة بالذهب أحياناً ، ومن الملاحظ أنه لا يلبس المطرز من القماش الحرير ولا يكفت مهمازه بالذهب إلا أصحاب الإقطاعات[١٠١]. ولما جاء قلاوون أبطل لبس الكم الضيق ،وعمل ابنه خليل على أن يلبس خاصكيته الملابس المزركشة ، وأمر الناصر بلبس العمائم الصغار فوق الكلوتات فعرفت بالناصرية ، واستجد الأمير سلار[١٠٢] قباء عرف « بالسلارى » ، وتميز الأمير يلبغا العمرى بكلوتات أكبر من العادية نسبت إليه وعرفت باسم « اليلبغاوية » ، كما عرفت باسم « الكلوتات الطرخانية » ربما لأنها أشبهت ما تعود أن يلبسه الطرخان ، وزاد برقوق فى حجمها ، وهذه هى « الكلوتات الجركسية » وشاركت الطبقة الحربية بنسائها طبقة العامة بنسائها وصبيتها فى لبس « الطاقية » ، وانتشر هذا التقليد فى دولة الجراكسة ، إلا أنه حدث فى عهد فرج نوع من الطواقى كبير الحجم عرف باسم « الطواقى الجركسية[١٠٣] » .

أما خلعة السلطنة أو الزى الرسمى الذى يرتديه السلطان يوم توليته فهو الجبة السوداء والعمامة المدورة[١٠٤]، وبرغم هذه الروعة والفخامة والتنوع فإنهم لم يعجبوا المقريزى إذ يقول « ومع ذلك أشكالهم بشعة وملابسهم غير خائلة »[١٠٥] .

وأكبر ما يميز رجال القلم هو « العمائم » ويفرد لهم العمرى باباً سماه « زى ذوى العمائم المدورة »[١٠٦] ، ومنهم من يرسل ذؤابة بين كتفيه تلحق قربوس فرسه إذا ركب ، ومنهم من يلبس فرجية لها أزرار تشبه الجبة الحالية ، إلا أن السلطان شعبان ميز الأشراف سنة ٧٧٢هـ / ١٣٧١م بلبس الطراز الأخضر والعصائب الخضر فوق العمائم ، ليمتازوا عن الناس جميعاً ، وهذا أول حدث من نوعه فى هذا التمييز ، وقد حاز هذا الشعار رضا البعض ، لكنه كان محلا لنقد البعض الآخر .

وعبر عن الرضا، الشاعر شمس الدين محمد بن بركة الدمشقى بقوله(١٠٧):

أطراف تيجان أتت من سندس خضر بأعلام على الأشراف
والأشرف السلطان خصهم بها شرفاً ليفرقهم عن الأطراف

أما الشاعر عبد الله بن جابر الأندلسى، فقد انتقد هذا التقليد بقوله(١٠٨):

جعلوا لأبناء الرسول علامة إن العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة فى كريم وجوههم تغنى الشريف عن الطراز الأخضر

والزى الرسمى للخليفة فرجية أو جبة سوداء وعمامة سوداء، والسواد شارة بنى العباس(١٠٩).

ولبس الفلاحون الزنوط والبرد السود والقمصان الكبيرة الأكمام، وفى هذا الزى تنكر كثير من الجراكسة خلال عمليات الفتح العثمانى لمصر(١١٠) أما أهل الذمة من اليهود والنصارى، فقد قيدوا فى ملابسهم وركوبهم، وصدرت عدة أوامر وفتاوى (١١١) فى عهود مختلفة بضرورة التزام هذه الحدود، وهى أن يلبس اليهودى العمامة الصفراء والنصرانى العمامة الزرقاء وطول العمامة عشرة أذرع، ومن وجد بعمامة بيضاء حل دمه، وعليهم أن يشدوا أوساطهم بالزنارات، والزنار خيط غليظ من الإبريسم، وهناك خيط الكستيج من الصوف أو الشعر الغليظ بقدر الإصبع، وأن تكون شراك نعالهم متينة، ولا يدخلون الحمام إلا بصليب فى أعناقهم، وفى عنق اليهودى خلخال، وربما تغالى بعض السلاطين فى هذه العلامات المميزة، فيأمر بتعليق أجراس فى أعناقهم عند دخول الحمام. وحدثت محاولات لإرجاع أهل الذمة، إلى لبس العمامة البيضاء، منها ما وقع زمن الناصر محمد بن قلاوون، حين عاد إلى سلطنته الثانية سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م، حين تعهد أهل الذمة بدفع ٧٠٠ ألف دينار فى السنة، غير الحالية، ولكن الشيخ تقى الدين بن تيمية انبرى للحيلولة دون ذلك ونجح، فظل أهل الذمة على لباسهم المميز لهم (١١٢):

وتعرض النساء لتدخل أولى الأمر فى أزيائهن ، فكان نساء الشام يلبسن العمامة الكبيرة ، لكن السلطان خليل بن قلاوون أمر بإبطالها سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١م (١١٣) ، ولبس نساء مصر القمصان الكبيرة الأكمام والأزر الحرير والخف المزركش والعصابة « المقنزعة »، أى القصيرة ، فمنع السلطان حسن كبر ، الأكمام والأزر الحرير والأخفاف المزركشة (١١٤) سنة ٧٥١هـ / ١٣٥٠ م. وأمر السلطان برقوق فى سنة ٧٩٢ هـ ١٣٩٠ م ، بقص أكمام من ترى بأكمام واسعة (١١٥) ، وكذلك أمر السلطان قايتباى ويشبك المحتسب فى سنة ٨٧٦ هـ/ ١٤٧١ م ، بمنع العصائب المقنزعة ، على أن يكون طول العصابة ثلث ذراع ومختومة الجانبين بخاتم السلطان ، وقد قلقت النساء من هذا التحجير ، فكن يلبسن العصابة الطويلة فى خروجهن ، والمقنزعة فى البيوت ، ثم أهملن هذا الأمر ، وعدن إلى ما كن عليه ، وتندر بعض الشعراء بهذا الحال بقوله :

أمـــر الإمام مليكنا بعصائب   فى لبسهـــا عسر على النسوان
فقلقـــن ثم أطعنـــه ولبسنهـــا   ودخلن تحت عصائب السلطان(١١٦)

ومنع نساء أهل الذمة ، من مشابهة المسلمات ، فإذا خرجن فى الطريق العام ، يشترط أن يكون خف الواحدة منهن مختلف الألوان(١١٧) .

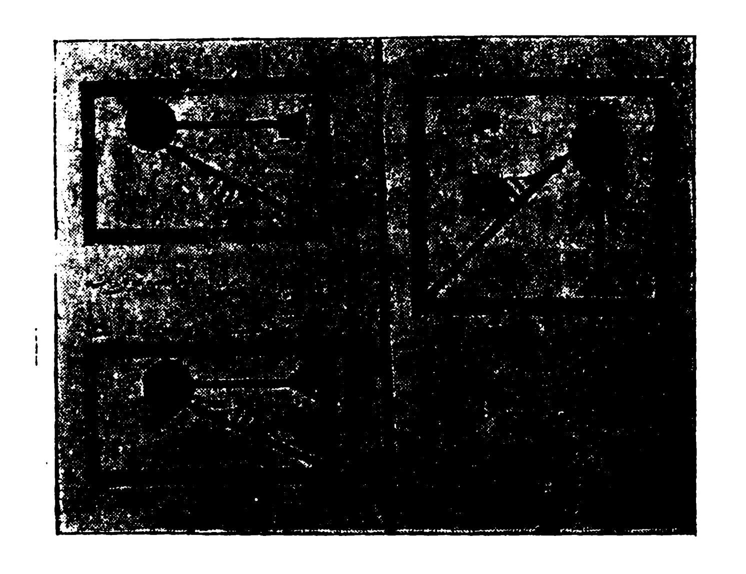
أما وسائل التسلية فأهم ما تسلت به الطبقة العليا : ألعاب الفروسية، كالمبارزة بالرمح أو اللعب بالكرة والصولجان والصيد ولعبة القبق ، وهذه فضلا عن أساسها الأول وهو التدريب الحربى ، فإنها لم تخل من تسلية حقيقية . كذلك كان من وسائل التسلية الشطرنج ولعب الحمام وخيال الظل ، والاستماع إلى بعض أنواع الأدب الفكاهى ، وهو البلاليق .

وتعتبر ألعاب الفروسية أهم مميز لمجتمع المماليك شأن المجتمعات الإقطاعية فى الشرق والغرب ، كما أن هذه الألعاب هى سماء الأرستقراطية الحربية ، ولهذا فصلت جميع دقائق الفروسية على اختلافها فى كتب كثيرة رفع بعضها للسلاطين وبعضها للأمراء ، وتحتوى فى جملتها وتفصيلها على دستور الفروسية أو قوانين الفروسية، والتدريب عليها، وكيفية ملاقاة الفارس لخصمه ، وكيفية

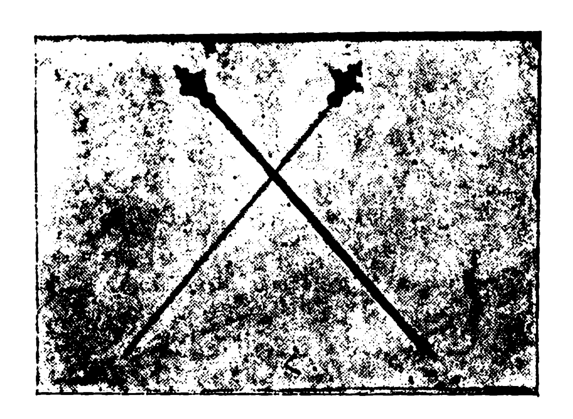
الركوب على الفرس والنزول عنه ، وحمل الرمح ، واستعمال السيف والقوس والنشاب وأنواع القسى ، والمادة التى تصنع منها ، ومراعاة مناخ البلد فى طول الوتر وقصره ، وأكثر من ذلك فى كيفية علاج الفرس ونحو ذلك(١١٨).

اهتم السلاطين المماليك وأمراؤهم بالفروسية على اختلافها ، واحتفلوا فى خروجهم لممارسة هذه الرياضة الحربية فيما عرف باسم « موكب ركوب الميادين »(١١٩)، ينزلون بالملابس الفاخرة والأسلحة المزركشة والخيول المزدانة بفاخر الثياب ، ومن دلائل النضج فى فقه أهمية التدريب الحربى أنهم استعملوا فى كثير من الأحيان رماحاً من خشب ، وأول سلطان أولى لعبة المبارزة بالرمح كبير اهتمامه السلطان برقوق ، فكان يلعب ويأمر مماليكه بالحرص على مزاولتها دائماً (١٢٠)، وإذا لعب السلطان الكرة والصولجان مع أمرائه ، انقسم اللاعبون إلى فريقين على رأس كل فريق « باش » أحدهما السلطان والآخر أتابك العسكر ، ويكون اللعب بالكرة عادة مرتين فى الأسبوع ، وهذا هو « موكب لعب الكرة »(١٢١) ، وتقترن هذه الرياضة بنوع من المداعبات كأن يقوم المغلوب بإعداد وليمة فاخرة . فمثلا لعب السلطان برقوق الكرة مع الأتابكى ايتمش البجاسى ٨٠٠هـ — ١٣٩٧م ، بالحوش السلطانى وغلبه ، فأظهر الأتابكى استعداده لعمل الوليمة لكن السلطان تحملها عنه ، وجاءت غاية فى السعة والترف إذ جمع فيها المغنين ، كما سمح للناس بدخول الميدان (١٢٢) ، واشتهرت هذه الرياضة حتى لعبها الأمراء فى منازلهم ، بل نبغ فيها الكثير من الأمراء . وهواية الصيد والسرحات مارسها السلاطين خلال فصل الربيع من كل سنة ، وجرت العادة أن يتكرر موكبه للصيد سبع مرات ، يخرج السلطان بخزائنه ومعه « مارستان » كامل إلى مواضع الصيد ، مثل منطقة الطرانة بالبحيرة ، وهى مشهورة بالطيور والغزلان ، أو بركة الحبش (١٢٣) قرب القاهرة لكثرة ما بها من طيور ، على أن ما يصاد يوزع منه على أتباع السلطان(١٢٤) .

أما لعبة « القبق » وهى من ألعاب الفروسية للتدريب على إحكام



١ – القبق



٢ – رمحان من رماح المبارزة

عن مخطوطة الفروسية والمناصب الحربية للرماح

(مكتبة الحرم المكى الشريف)

الرمى (١٢٥) فمارسها السلاطين والأمراء كذلك بميدان القبق خارج باب النصر ، وشجعوا عليها بمنح مكافآت لمن يصيب الهدف من رجاله كما فعل بيبرس سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م ، إذ جعل مكافأة من الثياب للمفاردة ، وهم رجال الحلقة ، ومن الخيول للأمراء ، واهتم بها قلاوون وخليل (١٢٦) . ومن السلاطين من له هواية معينة « كلعب الحمام » ، مثل السلطان حاجى الذى بالغ فى النفقة على حمامه والاشتغال به ، فيقال إنه أنفق ٥٠ ألف دينار عليه (١٢٧) بأن عمل له خلاخيل ذهب ووضع فى أعناقه ألواحاً من ذهب كما جعل له مقاصر من خشب الأبنوس المطعم بالعاج وأقام الغلمان لخدمته ، وعلق بعض النقاد « اشتغل بلعب الطيور عن تدبير الأمور ، والنهى عن الأحكام بالنظر إلى الحمام ، فجعل السطح داره والشمس سراجه والبرج مناره ، وأطاع السلطان هواه ، وخالف من نهاه ، وخرج فى ذلك عن الحد ، وصار لايعرف الهزل من الجد(١٢٨) » .

واشترك جميع الطبقات فى التسلية بلعبة خيال الظل ، فتقام الحفلات لعرضها إلا أن من السلاطين من كرهها وحرمها ، مثل السلطان جقمق ، إذ أمر فى سنة ٨٥٥هـ / ١٤٥١م « بحرق شخوص خيـــال الظل جميعها وإبطالها » (١٢٩) ، ومنهم من شغف بها مثل السلطان محمد بن قايتباى (١٣٠) . ومن بين الحفلات التى أقامها هذا السلطان ، حفلة أقيمت بالجيزة سنة ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م ، عقب الاحتفال بالمولد النبوى ، واستمرت ثلاثة أيام ، لعب فيها أمامه « الريس أبو الخير » صاحب خيال الظل ، كما غنى فيها « جوق مغانى العرب » وحضرها « برابوه ، رئيس المحظيين » .

وطريقة عرض هذه اللعبة : ينشد الريس بعض الأناشيد المسجوعة الفكاهية مثل :

خيالنا هذا لأهل الرتب والفضل والبذل وأهل الأدب . . . ، ثم ينادى : يا طيف الخيال ، يا كامل الاعتدال ، فيخرج شخص أحدب . . . يناديه

الريس : قسماً بحسن قوامك الفتان ، يا أوحد الأمراء فى الحدبان » ثم يغنى خيال الظل أزجالا . . .[131] .

أما البلاليق ، فهى نوع من الأدب الفكاهى ، ينشده الشاعر أمام السلطان ، ويقترن عادة بالغناء والرقص ، كما يقترن بالفخر والتعريض ببعض الشخصيات دعابة وتندراً . وممن ولعوا بهذا النوع من وسائل التسلية ، السلطان حسن ، وبرز فى عهده رجل يجيد صياغتها وإنشادها ، هو سراج الدين عمر بن مولاهم ، ألف عمر بلقية للسلطان حسن ، وعرض فيها بالأمير يلبغا ، مما « غير خاطره من أستاذه » .

ومطلع هذه البلقية :

من قال أنا جندى خلق ، لقد صدق .

عندى قباء من عهد نوح ، على الفتوح ، لو صادفو شمس السطوح ،

كان احترق .

كلوتتى طار شحمها عن لحمها ، ولا بقى من رسمها ، غير الورق .

وكانت الإشارة بالجندى الخلق إلى الأمير يلبغا ، وهو واقف بين يدى السلطان ، على حين كان السلطان حسن يضحك ويستعيدها [132] .

وللخمر والموسيقى والغناء هواة كثيرون من السلاطين والأمراء ، فضلا عن أفراد الشعب ، ويذكر عن السلطان الملك المنصور محمد ، لما خلعه الأتابكى يلبغا العمرى سنة ٧٢٣هـ — ١٣٢١م ، وأدخله دور الحرم بالقلعة ، استمر هذا المخلوع « مقيماً فى غبوق وصبوح لا يفيق من السكر ساعة ، وعنده جوارى مغنيات ، يدقون بالطارات عند الصباح والمساء [133] وكان السلطان فرج بن برقوق يسكر حتى نصف الليل ، ويخرج إلى الحوش ويستعرض المماليك الذين فى السجن بأبراج القلعة ، ويأمر ببطح الواحد منهم ويذبحه بيده ويركله فى وجهه ، وربما بال عليه ، أوصب عليه النبيذ [134] » .

ويعتبر السلطان المؤيد شيخ المحمودى ، من هواة اللهو والطرب بل إنه تعاطى المخدرات من « المصطلات » وقرب أرباب الفنون ، هذا بجانب كونه

شاعراً غزلا (١٣٥) . واشتهر من أرباب الغناء فى عصر المماليك ناصر الدين محمد المازونى القاهرى ، ويصفه ابن إياس بقوله إنه « فريد عصره ووحيد دهره ، وكان بارعاً فى فن الغناء ويضرب به المثل فى حسن النغم ومعرفة الفن، ولم يجئ بعده من هو فى طبقته إلى يومنا هذا (أيام ابن إياس القرن ١٦ م) وقد توفى عام٨٦٢هـ — ١٤٧٦م زمن السلطان إينال : ومن المشهورين كذلك ابن رحاب المغنى الذى طار صيته زمن خشقدم وقايتباى(١٣٦) .

والأعياد والحفلات على نوعين . خاص وعام . ومن أمثلة الخاص : الزواج وأعياد الميلاد والختان ، وليس فى هذه الحفلات ما يلفت النظر سوى السرف الزائد والبذخ الذى أمسى سمة الطبقة العليا فى المجتمع المملوكى ، وربما كان زواج الأمير شعبان بن الناصر محمد من ابنة الأمير بكتمر الساقى سنة ٧٣٢هـ — ١٣٣١م، مثلا فذاً فى هذا الإسراف ، إذ بلغ صداقها مليون دينار وذبح أكثر من ٦٠ ألف رأس من الخيل والبقر والغنم ، وحمل له ألف قنطار من الشمع ، كما عقد ١٨ ألف قنطارحلوى سكرية (١٣٧) . ومن بين جهاز بعض بنات السلطان حسن دكة من بللور عليها زير من بللور نقش بظاهره صور وحوش وطيور . وفى زفاف (١٣٨) « ستيتة » بنت السلطان شعبان سنة ٧٩١هـ — ١٣٨٨ م للأمير منطاش ، حمل جهازها على ٥٠٠ جمل وعلق ديناران زنة أحدهما ٢٠٠ مثقال وزنة الآخر ٢٠٠ مثقال(١٣٩).

وفى حفلات عيد الميلاد يستعد السلطان قبيل الوضع بإعداد ما تتطلبه الولائم ، وإذا حدث وجاء المولود أنثى تقاعدت همته وقل عطاؤه ، أعلن السلطان خليل فى سنة ٦٩٣هـ — ١٣٩٣م ، أن زوجته « خوند أردوتكين » قد دنا ولادها وقرب مخاضها فلما وضعت أنثى ، علق بيبرس الدوادار المؤرخ « أنه لما بشر السلطان بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم » (١٤٠) ، وحول الحفل لختان أخيه محمد (١٤١) .

أما حفلات الختان ففيها البذل وفيها العطاء ويعم هذا السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة عامة ، ويختن الطفل إذا بلغ سبع سنوات (١٤٢) ، وربما

أمر السلطان بختن بعض أبناء المقربين إليه مع ابنه ، وأنعم عليهم بكسوة على قدر مراتب آبائهم كما كانت تقدم الهدايا وتزين القلعة والقاهرة لمدة سبعة أيام. ويعتبر حفل ختان محمد بن قايتباى سنة ٨٩٥هـ — ١٤٨٩م مضرب الأمثال فى الإسراف ، فقد أمر السلطان بجمع المغنين بالقاهرة وخروج الناس « فى القصف والفرجة » ودخل عليه جملة هدايا ، ومشى القضاة والأمراء والأعيان فى الموكب، وابن السلطان يركب فرساً فرشت شقائق الحرير تحت حافره ، وعلى رأس الأمير خفائف الذهب والفضة ، واختتن معه أكثر من أربعين ولداً من أبناء الأمراء والأعيان ، من بينهم ابن الخليفة ، ويبلغ ما حصله « المزين » خمسة آلاف دينار ، قسمه السلطان عليه وعلى بقية « الرؤساء المزينين» وأمر بكسوة لمن اختتن مع الأمير وأن يتوجهوا إلى بيوتهم فى موكب (١٤٣) .

ومن أمثلة حفلات كبار رجال الدولة ما قام به كاتب السر القاضى ابن مزهر حين ختن أولاده ببركة الرطلى (١٤٤) سنة ٨٨٦هـ — ١٤٨١م ، فقد أمر جميع سكان هذه المنطقة بإنارة منازلهم وأرسل إلى كل بيت عشرة أرطال من الزيت ، « وطبلية » حافلة بألوان الطعام ، فاستجاب السكان واستمر الحفل ثلاثة أيام (١٤٥) .

أما الأعياد العامة فهذه يحتفل بها السلطان وأمراؤه ورجال الدولة ، كما يشترك فيها الشعب ويقترن غالبها بمواكب رسمية حافلة ، كما تقترن بالعطايا والصدقات وأعمال البر والهدايا للأمراء ورجال القلم ومشايخ الفقهاء وأهل الزوايا ونحوهم ، ومن أمثلتها الأعياد الدينية ، كالاحتفال بالمولد النبوى بالقلعة أو التربة (١٤٦) ، ومولد الأولياء فى أضرحتهم . يذكر المقريزى وابن إياس أن قايتباى أول من أحدث الاحتفال بمولد السيدة نفيسة (١٤٧) ، ويحتفل بليلة النصف من شعبان وشهر رمضان بالقراءة والصدقات، وكان السلطان برقوق يذبح فى كل يوم من شهر رمضان عشرين بقرة ويوزعها على الفقراء مع ألف رغيف (١٤٨) ، كما يعطى الفقهاء والعلماء « توسعة لهم » فى ذلك الشهر ، وتمنح التشاريف والأضحية فى العيدين ، وقراءة البخارى أمر سار

عليه المماليك إذ كان يجتمع بالقلعة طائفة من القراء والفقهاء لقراءته يختم بحفل كل ثلاثة شهور ، وفى هذا الحفل يخلع السلطان على القضاة ومشايخ العلم(١٤٩) كما تفرق « الصور » على الفقهاء . وكانت العادة القديمة أن يقرأ البخارى بالقصر بالقلعة ويختم بالقصر الكبير ، ولكن الغورى أبطل ذلك وصار البخارى يقرأ بجامع القلعة ويختم بالحوش،(١٥٠). وفى أول كل شهر عربى يتوجه الفقهاء وأهل الزوايا ورجال العلم لتهنئة السلطان بالقلعة ومباركة الشهر عليه ، فيخلع عليهم ، وهناك موكب دوران المحمل حيث يلعب الرماحة وتشهر الكسوة ، والمماليك هم الذين أحدثوا تقليد سفر المحمل منذ شجرة الدر واعتبر هذا بدعة لا عهد للسلف بها ، وبهذه المناسبة ينادى فى القاهرة بالزينة ويرتدى الرماحة الزى الأحمر على العادة ، ويتكون فريق الرماحة الذين يتولون اللعب بالرماح من رئيس يلقب بالمعلم ورتبته أمير مائة مقدم ألف ، ومعه أربعة معاونين يلقب الواحد منهم « بالباش » ، من رتبة أمير طبلخاناه ، ومعهم أربعون فارساً . وبعد أن ينتهى اللعب أمام السلطان فى موكبه ، ينزل هذا الفريق عن خيوله ، ويقبل الأرض للسلطان . وأول من أحدث تقليد تقبيل الأرض ، السلطان قايتباى عندما كان أميراً زمن السلطان خشقدم . والعادة أن يعقد السلطان هذا الحفل فى شهر رجب من كل سنة ، ويعتبر من المناسبات التى ينتهز ها السلطان لعرض « فروسية عسكر مصر » أمام القصاد والأجانب كما فعل الغورى سنة ٩٢٠ هـ أمام القاصد العثمانى (١٥١) .

ويعد يوم « كسر النيل » أو « فتح السد » من الأعياد العامة التى يشترك فيها جميع الطبقات فينزل السلطان وجنوده فى موكب زمن الفيضان ويكسر السد لتجرى المياه فى الخلجان والترع ، وأحياناً ينيب السلطان عنه الأتابك أو أميراً من مقدمى الألوف ، لفتح السد (١٥٢) .

ومن أعياد الأقباط فى مصر « عيد النوروز والشهيد » ، وبرغم أنهما من الأعياد القبطية إلا أن أغلب الناس يشتركون فيهما ، ويقع فى هذين العيدين كثير من العبث واللهو . فأما عيد الشهيد فهو نسبة إلى بعض القديسين

السابقين ، ويعتقد الأقباط أن الإصبع الموجود بصندوق متفل فى كنيسة شبرا ، هو إصبع الشهيد وله أثر كبير فى زيادة النيل فيخرجونه فى ثامن شهر بشنس من كل عام ويغسلونه فى النيل ، ويجتمع فى هذا العيد شتى الأقباط من أقاليم مصر فضلا عن عامة أهل مصر من غنى وصعلوك ، وينصبون الخيام على شاطىء النيل بشبرا ، ويجتمع أرباب الملاعيب وغيرهم ، وربما مات بعض الناس لشدة الزحام ، على حين يستفيد الباعة ، حتى أن فلاحى شبرا كانوا «لا يغلقون خراج أطيانهم» إلا بما يبيعونه على الناس فى يوم عيد الشهيد ، وقيل كان يباع بشبرا فى مدة ثلاثة أيام بألف دينار خمراً . ولكثرة ما يقع فى هذا العيد من المعاصى والفسوق ، قرر الأمير صرغتمش رأس نوبة وأتابك العساكر إلغاء هذا العيد ، وأحرق الصندوق بما فيه وألقاه فى النيل ، بحضرة السلطان حسن والأمراء ، وذلك سنة ٧٥٩هـ / ١٣٥٨م(١٥٣) .

وفى عيد النوروز وهو أول السنة القبطية يعمل موكب يسمى موكب « أمير النوروز » وأعضاء هذا الموكب « من سافل الناس والعياق » ، ويفرض هذا الأمير الإتاوات على الأكابر ويقف العياق فى الطرقات يتراشون بالماء المتنجس ويتراجمون بالبيض النيء فى وجوههم ويتصافعون بالأنطاع (١٥٤) والأخفاف ، مما يؤدى إلى قفل الحوانيت ، وهذا ما حدا بالسلطان برقوق إلى إبطاله سنة ٧٨٧هـ - ١٣٨٥م (١٥٥) .

أما التعليم ومؤسساته ونظمه ، فهناك حقائق كبرى عامة تبدو من دراسة هذا الجانب فى المجتمع الإقطاعى المملوكى .

كانت نظرة المماليك إلى التعليم أنه من أعمال البر والخير التى يتقربون بها إلى الله أكثر من كونه ضرورة للمجتمع ، فكانت المؤسسة عبارة عن دار للعلم وموئل للعبادة ومباءة للمعوزين ، حيث يجد المعلم والمتعلم والعابد والمرتاد والمنقطع المأوى والغذاء المادى والروحى ، فضلا عن راتب معلوم سواء أخذت هذه المؤسسة اسم كتاب أو مدرسة أو زاوية أو خانقاه أو قبة أو تربة ، بل لم يخل المارستان من مكان « يجلس فيه رئيس الأطباء لإلقاء درس الطب »

كما كان الشأن فى مارستان قلاوون ، وهناك نسخة توقيع بتدريس الطب بهذا البيمارستان [١٥٦] .

إن أغلب المماليك الذين تربوا فى مصر صغاراً [١٥٧] ، قد نالوا حظاً من التعليم اللغوى والدينى ، وإن لم يتوسعوا فيه ، وهم من أجل ذلك يدركون قيمة التعليم ، كما يدركه غيرهم ممن جاءوا كباراً ولم ينل الكثير منهم أى حظ من التعليم ، على أن تصرفات المسئولين منهم جميعا كانت فى كثير من الأحيان لا تصدر إلا عن فتوى رجال العلم .

ثم إن مؤسسات التعليم على اختلافها لم تكن من إنشاء السلاطين فحسب ، وإنما ساهم فيها كذلك الأمراء وذوو اليسار من طبقات الشعب المختلفة ، ومن بعض النساء .

وفيما يتعلق برجال التعليم ، لهم نصائح وإرشادات تشبه ما نعرفه اليوم باسم أصول التربية والتعليم ، كالتدرج فى التعليم من السهل إلى الصعب ومن البسيط إلى المعقد وهكذا [١٥٨] ، على أن مهنة التعليم فى ذلك العصر قد اتسمت بطابع الأرستقراطية ، وليس ذلك بغريب فى مجتمع طبقى نحا غالباً نحو الجمود إذ حرص المدرسون على ألا يتطرق إلى زمرتهم رجل من العوام ، يقول السبكى : « ومن أقبح المنكرات مدرس يحفظ سطرين أو ثلاثة من كتاب ويجلس يلقيها ثم ينهض ، فإن كان غير قادر إلا على هذا القدر فهو غير صالح للتدريس ولا يحل له تناول معلومه . . لأن هذا يطرق العوام إلى روم هذه المناصب ، فقل أن يوجد عامى لا يقدر على حفظ سطرين ، ولو أن أهل العلم صانوه أعطى المدرس منهم التدريس حقه ، وسأل وسئل واعترض وأجاب ، وأطال وأصاب ، بحيث إذا حضره أحد من العوام أو المبتدئين أو المتوسطين ، فهم من نفسه القصور عن الإتيان بمثل ما أتى به ، وعرف أن العادة أنه لا يكون مدرس إلا هكذا والشرع كذلك ، لم تطمع نفسه فى هذه الرتبة ولم تطمع العوام فى أخذ مناصب العلماء [١٥٩] » .

ولا تعدو لائحة التنظيم الداخلى للمدرسة مراعاة شرط الواقف فى الغرض

الذى بنيت من أجله المدرسة ، إن كانت لمذهب معين ، كالشافعى أو الحنفى أو للمذاهب عامة ، أو لقراءة القرآن أو الحـديث (١٦٠) . فمن المدارس المتخصصة المدرسة الحسامية للشافعية أنشأها الأمير حسام الدين لاجين ، فى عهد السلطان قلاوون(١٦١) ومدرسة منكوتمر التى أنشأهاسنة٦٩٨هـ ــ ١٢٩٨م للمالكية والحنفية ومدرسة الأمير مغلطاى للحنفية بناها سنة ٧٣٠هـ ــ ١٣٢٩م ومدرسة الست بركة أم السلطان شعبان للشافعية والحنفية أنشأتها سنة ٧٧١ هـ ــ ١٣٦٩م ، ومن مدارس القرآن مدرسة الأمير إينال التى بناها على قبره سنة٧٩٥هـ ــ ١٣٩٢م وهكذا (١٦٢) .ومن المدارس العامة لجميع المذاهب :(١٦٣) المدرسة الظاهرية افتتحها بيبرس سنة ٦٦٢ هـ ــ ١٢٦٣ م ، وجعلها أربعة أواوين لكل مذهب إيوان خاص ومدرس خاص كما جعل للحديث إيواناً وللقراءات السبع إيواناً ، ومدرسة الأمير طيبرس الخازندار صهر بيبرس الجاشنكير نقيب الجيوش فى عهد لاجين أنشأها سنة ٧٠٩هـ ــ ١٣٠٩ م ، ويقال إنه لما فرغت عمارتها وجىء بأوراق الحساب استدعى بطشت وغسل الأوراق به من غير أن ينظر فى الحساب وقال : (شىء خرجنا عنه لله تعالى لا نحاسب عليه) والمدرسة الأقبغاوية للأمير أقبغا عبد الواحد أستادار الناصر محمد . وكذلك كانت مدرسة السلطان حسن التى أنشأها سنة ٧٥٧ هـ/ ١٣٥٦ م تجاه القلعة وبالغ فى النفقة عليها (١٦٤) .

وربما رتب الواقف جدول العمل بالمدرسة من حيث توالى الدروس ، كما فعل الأمير جمال الدين محمود الأستادار بمدرسته التى افتتحت سنة ٨١١ هـ ــ ١٤٠٨م ، فقد اشترط أن تكون الدروس الستة على هذا النحو : دروس الفقه الشافعى ثم الحنفى ثم المالكى ثم الحنبلى ثم الحديث ثم التفسير(١٦٥) . أما نظام التدريس فهو أقرب ما يكون إلى النظام الجامعى من حيث أن هيئة التدريس بالمدرسة تتكون من : المدرس وهو أعلى عضو فى هيئة التدريس ويليه المعيد ثم المفيد ثم المنتهى ، على أن يبدأ الدرس وينتهى بتلاوة بعض آيات قرآنية مناسبة من قارىء يسمى « قارىء العشر » (١٦٦) ، وإذا انتهى

المدرس من إلقاء درسه تولى « المعيد » إعادة ما ألقاه المدرس ، ومهمة المفيد التوسع فى الدرس المشروح بحثاً وإفادة ، أما المنتهى فهو من الطلبة ومهمته المناقشة باستمرار خلال الدرس لأنه أكثر إلماماً من زملائه الذين لم ينتهوا بعد (١٦٧) .

والطلبة هم « الفقهاء » وينصحون بما ينصح به أقرانهم فى العصر الحاضر كالمواظبة وعدم الحديث خلال الدرس « خشية النميمة واكتساب الإثم » ، أو التشاغل بكتاب خلال الشرح أو الجلوس بعيداً عن المدرس وإلا « لا يستحق شيئاً من المعلوم ، ولا يفيده أن يطالع فى كتاب وهو فى الدرس » ، ولابد من احترام شرط الواقف « فلو اكتفى الواقف منه – أى من الطالب – بذلك لما اشترط عليه الحضور » ، واختلف عددهم من مدرسة إلى أخرى ، وربما حدد الواقف عددهم كما هو الشأن فى المدرسة الطيبرسية (١٦٨) ، إذ حدد الأمير طيبرس لكل مذهب مدرساً ومعيداً ، ومعهما خمسة عشر طالباً ، وحدد برسباى فى حجة وقفه عددهم بخمسة وعشرين ، ومن المدارس التى لم تحدد عدد الطلبة مدرسة الظاهر بيبرس ومدرسة السلطان حسن (١٦٩) ، ولحسن الضبط هناك موظف يسمى « كاتب الغيبة » لمن يتخلف من الطلبة « وإن سامح لمجرد حطام يأخذه من الفقيه فهو على شفير جهنم » (١٧٠) .

ويتبع المدرسة خزانة كتب ، غالى بعض مؤسسى المدارس فى ملئها بأنواع الكتب المختلفة ، فمثلا حوت مدرسة الأمير محمود الأستادار المصاحف النادرة المخطوطة (١٧١) ، منها عشرة مصاحف حجم الواحد منها ٥١٠ أشبار ، ومن الكتب النفيسة عشرة أحمال ، ولهذه الخزانة عامل يسمى «خازن الكتب» مهمته إعارة الكتب وتفضيل فقراء الفقهاء ، ومراعاة شرط الواقف إذا كان قد نص على أن تكون العارية نظير رهن أم لا، ومن مهامه فوق ذلك ترميم الكتب « وحبكها عند احتياجها للحبك »(١٧٢) .

وبجانب المدرسة ، وربما ألحق بها ، الكتاب ، ويكون للتعليم عامة أو لتعليم الأيتام ، ويعرف القائم بالتعليم فيه باسم « معلم الكتاب » أو معلم

الصبية أو الفقيه ، والكتاب لتعليم القرآن والخط ، والملاحظ أن معلم الصبية خاضع لرقابة المحتسب فتقضى عليه قوانين الحسبة ألا يعلم الخط فى المساجد حتى لا يعبث الصبيان بالكتابة على جدرانها ، وألا يستخدم الصبية فى قضاء حاجاته (١٧٣) . ومن المدارس التى ألحقت بها كتاتيب : مدرسة الظاهر بيبرس ومدرسة الأمير مغلطاى ومدرسة الأمير طيبرس .

هناك مؤسسات أخرى كان من بين أهدافها التعليم بجانب التفرغ لشئون العبادة ، كالمساجد والخوانق والزوايا والربط والترب ، فرتبت فيها دروس فى الفقه على المذاهب الأربعة والحديث وقراءة القرآن ، كما كان الشأن فى خانقاه بيبرس الجاشنكير التى بناها سنة ٧٠٩هـ — ١٣٠٩م ، وخانقاه شيخو التى تمت عمارتها سنة ٧٥٦هـ — ١٣٥٥م (١٧٤) ، ورواد الخوانق من الصوفية (١٧٥) بلغ عددهم فى خانقاه الجاشنكير ٤٠٠ صوفى ، وفى خانقاه الناصر بسرياقوس مائة ، وكان الناصر قد بنى هذه الخانقاه عام ٧٢٥هـ — ١٣٢٤م (١٧٦) ، وربما تطوع بعض رجال العلم من الصوفية لإلقاء دروس على العامة فى الطرقات أو التنقل فى هذه المؤسسات ، غير مقيد بمكان معين أو موضوع معين ، ويطلق عليه فى الطرقات العامة اسم « القاص » وفى هذه المؤسسات « قارىء الكرسى » ، ويختلف القاص عن قارىء الكرسى ، فى أن الأول يقرأ من محفوظاته على حين يقرأ الثانى من كتاب (١٧٧) ، غير أن بعض الواقفين قد يشترط على الصوفية ألا يكون منهم قاص ، كما فعل الأمير شيخو (١٧٨) .

وتكاد أمور التعليم تنصب فى الزاوية على الأحاديث وروايتها ، فضلا عن أداء واجب الضيافة ، وروادها من المستحقين (١٧٩) ، ومن الزوايا المعروفة زاوية الأمير جيرك السلاحدار أحد أمراء قلاوون وهى التى بناها خارج باب زويلة عام ٦٨٢هـ — ١٢٨٣م (١٨٠) ، وأدت الربط ما يؤديه الملجأ للمحتاجين من الرجال والنساء ، مثل رباط الأمير أيبك الأفرم أمير جاندار بيبرس ، بناه عام ٦٦٣هـ / ١٢٦٤ م ، ورباط البغدادية الذى أقامته السيدة « تذكارى باى خاتون » ابنة السلطان بيبرس سنة ٦٨٤هـ — ١٢٨٥م ، ونسبته

إلى الشيخة الصالحة زينب البغدادية ، وجعلته للنساء الصالحات والمطلقات حتى يتزوجن أو يرجعن إلى أزواجهن (١٨١) ، كما أن بالرباط دروساً فى الفقه وحفظ الأوراد ، بجانب العبادة ، مثال رباط الآثار لصاحبه الوزير تاج الدين محمد بن محمد بن الصاحب فخر الدين محمد المتوفى عام ٧١٧هـ — ١٣١٧م . فقد كان بهذا الرباط دروس للفقهاء الشافعية وبه مدرس وعنده بعض الطلبة .

ولم تخل بعض الترب من أماكن للتعليم ، مثل تربة السلطان قايتباى ، فقد قرر سنة ٨٧٩هـ — ١٤٧٤م ، أن يكون بها « التدريس والعبادة »(١٨٢) .

ويتصل بالتعليم بعض الحرف كالوراقة والنسخ والتجليد والتذهيب ، ولكل صاحب حرفة من هذه وصايا تنظم عمله وتوضح له حدود الدقة والأمانة (١٨٣) .

أما موارد النفقة على هذه المؤسسات فهى الأوقاف من ضياع وحوانيت ودور وفنادق وحمامات ورباع ومطابخ سكر وطواحين وبساتين (١٨٤) ، فضلا عن المنح والمخصصات والطعام ، وربما أضيف المسكن للمدرسين فى بعض المدارس . ولذلك اختلفت رواتب المدرسين تبعاً لمقدار الأوقاف المرصود وشروط الواقفين ، فبلغ راتب المدرس فى مدرسة الأمير جمال الدين محمود الأستادار ، كما قرره هو ٣٠٠ درهم فى الشهر ، على حين كان راتب المدرس فى المدرسة الطيبرسية ٦٠ درهماً ، وراتب المعيد ٤٠ درهماً ، وربما روعى نقص المرتب فى المدرسة الأخيرة لامتياز آخر توفر لمدرسيها دون غيرهم ، وهو توفير سكن لهم فوق المدرسة (١٨٥) ، ونصت حجة وقف برسباى فيما نصت ، على أن يكون راتب رجل العلم ١٠٠ درهم فى الشهر(١٨٦) . وقد يمنح المدرسون بعض هبات ، كما فعل السلطان المؤيد حين وزع على كل منهم عشرة دنانير بالإضافة إلى إردب من القمح(١٨٧) ، وربما حرموا من بعض المخصصات ، كما فعل قايتباى سنة ٨٧٣هـ — ١٤٦٨م حين قطع عنهم راتب اللحم (١٨٨) . وبلغ راتب الطالب فى مدرسة الأستادار ٣٠ درهماً

فى الشهر ، بجانب ثلاثة أرطال من الخبز فى اليوم (١٨٩) ، وخصص مبلغ ٧٠٠ درهم فى حجة برسباى لخمسة وعشرين طالباً (١٩٠) .

وكما كانت نظرة المماليك إلى التعليم والنفقة عليه ، على أنه من أعمال البر والخير ، كذلك لم تخل وسائلهم فى مقابلة النوازل التى كثر وقوعها ، من هذه النظرة ، إذ أن الطبقات الدنيا كانت أكثر الطبقات تأثراً بهذه المحن ، وهذا لا يعنى عدم تأثر الطبقات العليا أحياناً ، وأمثال هذه النوازل ، خطر المجاعات والأغلية التى كانت تعقب انخفاض النيل ، وخطر الأوبئة الحاصدة التى تلاحقت فى تلك الحقبة ، على أن هذه الأحداث لم تقتصر على العوامل الطبيعية فحسب ، بل كان لسياسة بعض أولى الأمر أثرها فى حوادث الغلاء بصفة خاصة ، كأن يفرض السلطان على « السوقة » مبالغ من المال يحصلها له المحتسب باسم « المشاهرة والمجامعة » ، وقد بلغت هذه المشاهرة فى عهد قايتباى ألف دينار وأبطلها سنة ٨٧٢هـ — ١٤٦٧م ، لكنها عادت على عهد الغورى ووصلت إلى ٢٧٠٠ دينار ، ثم ألغيت وأعيدت أكثر من مرة زمن الغورى (١٩١) .

وفى نظير ذلك يترك البيع حراً فيتغالى « السوقة » فى السعر لتوفية ماعليهم ويقولون : « علينا مال نورده كل شهر » وليس غريباً فى ذلك المجتمع أن يكون على هذا البند من الإيراد جماعة من الأمراء المقطعين الذين لا إقطاعات لهم من أبواب الإيرادات الأخرى ، فكانوا محالين على المحتسب بما يتحصل له من المشاهرة والمجامعة ، وبمعنى آخر لعب الإقطاع دوره فى حوادث الغلاء ، وكما كان الظلم من عوامل الغلاء كذلك كان العدل والعطاء من وسائل الرخاء (١٩٢) .

ويلاحظ أن متوسط أغلب الأسعار حتى أواسط القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) لإردب القمح مثلا ١٥ درهماً ، ولإردب الشعير ٩٠ درهماً ، وبقية الحبوب حول هذه الأسعار ، وتراوح سعر الرطل من اللحم من نصف درهم إلى ما فوق ذلك بقليل ، وجيد الدجاج من ٢ — ٣ دراهم للطائر « والدون » منه بدرهم واحد ، ثم ارتفعت بعد ذلك إلى نحو أربعة

أمثالها [١٩٣] ، فإذا كان متوسط السعر لإردب القمح ١٥ درهماً ثم علا إلى أربعة أمثاله (٦٠ درهماً) فى تلك الفترة ، ثم عد من الرخاء فى أواخر عصر المماليك أن يكون هذا السعر ٨٠٠ درهم [١٩٤] وللشعير ٤٠٠ درهم [١٩٥] ، وفى الغلاء تراوح إردب القمح بين ١٠٠٠ و ٢٠٠٠ و ١٥٠٠ درهم [١٩٦] ، فلا شك أن هذا يدلنا على ارتفاع مستوى الحياة عامة فى أواخر العصر المملوكى وهذه حقيقة كبرى يرجح أنها نتيجة لكثرة ما تعرضت له البلاد من الطواعين وما ينتج عنها من قلة الأيدى العاملة ونقصها باطراد ، ولا سيما فى الفلاحين والصناع ونحوهم ، ويترتب على ذلك قلة الإنتاج وقلة المعروض ، حتى إنه جاء وقت خلال سنة ٨٥٤هـ – ١٤٥٠م عدمت فيه الخضروات نهائياً [١٩٧] .

وكان الجانب السلبى أغلب ما استطاعته حكومة المماليك لمقابلة هذه المحن ، كالاستسقاء [١٩٨] وتلاوة القرآن وقراءة الأحاديث ، وكذلك الاستعانة ببركات بنى العباس [١٩٩] ، أو اللجوء إلى رجال القلم من القضاة وأهل العلم للدعاء ونحو ذلك ، ثم الصدقات على الفقراء والمعوزين فى تلك الظروف بمنحهم القوت الضرورى ، أو جمعهم وتوزيعهم على الأثرياء ، والتحكم فى الأسعار بتحديدها ، وإن أغضب التسعير فريقاً من المجتمع وعرض المحتسب إلى خطر لا يحسد عليه . وقد يفتح بعض السلاطين مخازنه للبيع بسعر معتدل ، تخفيفاً لوطأة الغلاء ، وفى حالة الوباء وكثرة الموتى يتصدق البعض بالغسل والتكفين والدفن ، وهكذا من أعمال البر .

فلما انخفض النيل مثلا فى سنة ٨٥٣هـ – ١٤٤٩م ، وشرقت البلاد وارتفعت الأسعار [٢٠٠] ، رسم السلطان جقمق للناس بالخروج للاستسقاء ، فخرج القضاة الأربعة والخليفة المستكفى ومشايخ العلم ، كما خرج أطفال المكاتب وعلى رءوسهم المصاحف ، واليهود وعلى رءوسهم التوراة ، والنصارى وهم يحملون الإنجيل [٢٠١] ، واستمرت موجة الغلاء حتى سنة ٨٥٥هـ – ١٤٥١م ، ثم انحط السعر قليلا فى سنة ٨٥٦هـ – ١٤٥٢م ، فعد ذلك رخاء [٢٠٢] ، وفى سنة ٨٦٦هـ – ١٤٦١م ، توقف النيل عن الزيادة فأمر السلطان جقمق القضاة

والمشايخ والعلماء بالتوجه إلى المقياس للمبيت عنده وتلاوة القرآن والحديث الشريف ورفع الأكف تضرعاً إلى الله تعالى لزيادة النيل ، ولما لم يزد النيل بعد عدة أيام وليال على هذا النحو ، استفتى السلطان بعض المشايخ فأفتوه بجمع بنى العباس رجالا ونساء وأطفالا ، على أن يضعوا فى أفواههم شيئاً من الماء ثم يمجونه فى إناء ويصبونه فى « فسقية المقياس »، ويقول ابن إياس : ففعلوا ذلك فكان فيه البركة ، إذ توجه القاضى علم الدين صالح البلقينى وأقام ثلاثة أيام فزاد النيل وكان لعودته شاقاً القاهرة رنة فرح انطلقت النساء بالزغاريد له من الطيقان (٢٠٣) .

ومن أحداث الطواعين ، نلاحظ أنها مقترنة دائماً بالغلاء ، وربما صادفت هبوط النيل فى بعض الأحيان وشح بعض الأغنياء مما يضاعف فى أثر المحنة .

فنى وباء ٧٧٥هـ – ١٣٧٣م الذى أعقب الغلاء الناتج عن قصور النيل عز وجود القوت الضرورى ، ولم يقدر الأثرياء الظرف الراهن ، فلم يزيدوا أجرة العمال من البناة والفعلة والحمالين ونحوهم ، مما أدى إلى موت الكثير منهم ومن الفلاحين والفقراء ، ولكن السلطان الأشرف شعبان لم يقف مكتوف اليدين أمام هذه المحنة وهذا التصرف ، فانتدب نائبه منجك ليقوم بجمع « الحرافيش » ، وهم الفقراء ، وتوزيعهم على الأثرياء من الأمراء وغيرهم من مياسير التجار ، فبعث إلى كل شخص عدداً يتناسب مع مرتبته وطاقته ، فأخذ أمير المائة مائة فقير وهكذا ، كما فرق على الدواوين والتجار وأرباب الأملاك والأموال عدداً يناسب طاقتهم ، ونودى فى مصر والقاهرة بألا يتصدق أحد على حرفوش وأى حرفوش شحت صلب ، فآوى كل واحد فقراءه (٢٠٤) ، ولما اشتدت وطأة الوباء فى رمضان من تلك السنة ، مات الكثير حتى بلغ عدد الطرحاء فى كل يوم ٥٠٠ فقير ، فانبرى بعض الأمراء أمثال الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير أتبغا آص ، والأمير سودون الشيخونى وغيرهم ، ونادوا بأن من أتاهم بميت طريح ، أعطوه درهماً ، فأتاهم الناس بالأموات ،

فقاموا بتغسيلهم وتكفينهم ودفنهم (٢٠٥) ، وفشا الموت فى الأغنياء (٢٠٦) بل إن السلطان برسباى لم ينج من المرض والإصابة فى طاعون ٨٤١هـ – ١٤٣٧م ، فاختلط عقله أو على حد تعبير ابن إياس « حصل له ماليخوليا » مما جعله يصدر أوامر غريبة كنفى الكلاب إلى الجيزة وقتل بعض الأطباء ومنع النساء من الخروج (٢٠٧) .

وفى طاعون وغلاء سنة ٨١٨ و ٨١٩ و ٨٢١هـ / ١٤١٥ و١٤١٨م ، استسقى الملك المؤيد « كما جرت العادة » اوذبح الأغنام وبر الفقراء (٢٠٨) ، وكان قايتباى يفتح شونه ويبيع بأقل من السعر الكائن رفقاً بالناس (٢٠٩) .

وبجانب هذه الوسائل للمكافحة ، نجد التسعير الجبرى الذى لجأ إليه ولاة الأمور وتشددوا فى تنفيذه ضاربين المثل بالبيع من مخازنهم بالسعر المحدد ، كما فعل بيبرس سنة ٦٦٢هـ – ١٢٦٣م ، إذ أمر بأن يباع من « أهرائه » ٥٠٠ إردب كل يوم بما قدر من السعر (٢١٠) ، وكذلك فعل قايتباى فى سنة ٨٩٢هـ–١٤٨٦م / ١٤٨٧م، وزاد بأن « صار المحتسب يضرب الكثير من السوقة على عدم بيع الخبز وإظهاره على الدكاكين »(٢١١) .

ومن المتناقضات أن يتعرض المحتسب أحياناً إلى الإيذاء سواء أدى واجبه على الوجه الأكمل أم قصر فيه .

فالتسعير الجبرى يأمر به السلطان ولا يرضى عنه فريق من الناس ، والضحية فى هذه الحالة هو المحتسب ،ثار المماليك الجلبان فى سنة ٨٩١هـ – ١٤٨٦ م ، وتوجهوا إلى منزل بدر الدين بن مزهر المحتسب لحرقه بسبب تسعير اللحم والبضائع والخبز والجبن ، ولكنه اختفى فقصدوا إلى السوق وكسروا أبوابها ونهبوا القمح والشعير من شون السلطان والأمراء(٢١٢) .

وهذا السلطان قايتباى يأمر فى سنة ٨٩٤هـ – ١٤٨٨م ، بإحضار المحتسب كسباى ويؤنبه ثم يأمر ببطحه على الأرض وضربه نحو ٢٠ عصا ، وذلك لأنه قصر فى واجبه وأنه « لم ينظر فى أحوال المسلمين ، مما أدى إلى ارتفـاع الأسعار (٢١٣) » .

والمشايخ والعلماء بالتوجه إلى المقياس للمبيت عنده وتلاوة القرآن والحديث الشريف ورفع الأكف تضرعاً إلى الله تعالى لزيادة النيل ، ولما لم يزد النيل بعد عدة أيام وليال على هذا النحو ، استفتى السلطان بعض المشايخ فأفتوه بجمع بنى العباس رجالا ونساء وأطفالا ، على أن يضعوا فى أفواههم شيئاً من الماء ثم يمجونه فى إناء ويصبونه فى « فسقية المقياس »، ويقول ابن إياس : ففعلوا ذلك فكان فيه البركة ، إذ توجه القاضى علم الدين صالح البلقينى وأقام ثلاثة أيام فزاد النيل وكان لعودته شاقاً القاهرة رنة فرح انطلقت النساء بالزغاريد له من الطيقان (٢٠٣) .

ومن أحداث الطواعين ، نلاحظ أنها مقترنة دائماً بالغلاء ، وربما صادفت هبوط النيل فى بعض الأحيان وشح بعض الأغنياء مما يضاعف فى أثر المحنة .

ففى وباء ٧٧٥هـ – ١٣٧٣م الذى أعقب الغلاء الناتج عن قصور النيل عز وجود القوت الضرورى ، ولم يقدر الأثرياء الظرف الراهن ، فلم يزيدوا أجرة العمال من البناة والفعلة والحمالين ونحوهم ، مما أدى إلى موت الكثير منهم ومن الفلاحين والفقراء ، ولكن السلطان الأشرف شعبان لم يقف مكتوف اليدين أمام هذه المحنة وهذا التصرف ، فانتدب نائبه منجك ليقوم بجمع « الحرافيش » ، وهم الفقراء ، وتوزيعهم على الأثرياء من الأمراء وغيرهم من مياسير التجار ، فبعث إلى كل شخص عدداً يتناسب مع مرتبته وطاقته ، فأخذ أمير المائة مائة فقير وهكذا ، كما فرق على الدواوين والتجار وأرباب الأملاك والأموال عدداً يناسب طاقتهم ، ونودى فى مصر والقاهرة بألا يتصدق أحد على حرفوش وأى حرفوش شحت صلب ، فآوى كل واحد فقراءه(٢٠٤) ، ولما اشتدت وطأة الوباء فى رمضان من تلك السنة ، مات الكثير حتى بلغ عدد الطرحاء فى كل يوم ٥٠٠ فقير ، فانبرى بعض الأمراء أمثال الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير أتبغا آص ، والأمير سودون الشيخونى وغيرهم ، ونادوا بأن من أتاهم بميت طريح ، أعطوه درهماً ، فأتاهم الناس بالأموات ،

فقاموا بتغسيلهم وتكفينهم ودفنهم [٢٠٥] ، وفشا الموت فى الأغنياء [٢٠٦] بل إن السلطان برسباى لم ينج من المرض والإصابة فى طاعون ٨٤١هـ – ١٤٣٧م ، فاختلط عقله أو على حد تعبير ابن إياس « حصل له ماليخوليا » مما جعله يصدر أوامر غريبة كنفى الكلاب إلى الجيزة وقتل بعض الأطباء ومنع النساء من الخروج [٢٠٧] .

وفى طاعون وغلاء سنة ٨١٨ و ٨١٩ و ٨٢١هـ / ١٤١٥ و١٤١٨م ، استسقى الملك المؤيد « كما جرت العادة » اوذبح الأغنام وبر الفقراء [٢٠٨] ، وكان قايتباى يفتح شونه ويبيع بأقل من السعر الكائن رفقاً بالناس [٢٠٩] .

وبجانب هذه الوسائل للمكافحة ، نجد التسعير الجبرى الذى لجأ إليه ولاة الأمور وتشددوا فى تنفيذه ضاربين المثل بالبيع من مخازنهم بالسعر المحدد ، كما فعل بيبرس سنة٦٦٢هـ – ١٢٦٣م ، إذ أمر بأن يباع من « أهرائه » ٥٠٠ إردب كل يوم بما قدر من السعر [٢١٠] ، وكذلك فعل قايتباى فى سنة ٨٩٢هـ–١٤٨٦م / ١٤٨٧م،وزاد بأن « صار المحتسب يضرب الكثير من السوقة على عدم بيع الخبز وإظهاره على الدكاكين »[٢١١] .

ومن المتناقضات أن يتعرض المحتسب أحياناً إلى الإيذاء سواء أدى واجبه على الوجه الأكمل أم قصر فيه .

فالتسعير الجبرى يأمر به السلطان ولا يرضى عنه فريق من الناس ، والضحية فى هذه الحالة هو المحتسب ،ثار المماليك الجلبان فى سنة٨٩١هـ – ١٤٨٦ م ، وتوجهوا إلى منزل بدر الدين بن مزهر المحتسب لحرقه بسبب تسعير اللحم والبضائع والخبز والجبن ، ولكنه اختفى فقصدوا إلى السوق وكسروا أبوابها ونهبوا القمح والشعير من شون السلطان والأمراء[٢١٢] .

وهذا السلطان قايتباى يأمر فى سنة٨٩٤هـ – ١٤٨٨م ، بإحضار المحتسب كسباى ويؤنبه ثم يأمر ببطحه على الأرض وضربه نحو ٢٠ عصا ، وذلك لأنه قصر فى واجبه وأنه « لم ينظر فى أحوال المسلمين ، مما أدى إلى ارتفاع الأسعار [٢١٣] » .

وجرائم المجتمع الإقطاعى المملوكى كثيرة ، أخطرها وأكثرها وقوعاً الفتن وحوادث المؤامرات والخيانات ، وما تتضمنه من نهب وتخريب ، وهذا أخطر جانب أودى بالإمبراطورية المملوكية فى نهاية الأمر ، ولذلك نجد أن أقسى عوامل الانتقام وأشد ألوان التعذيب كانت تطبق على مثيرى الفتن ، على أن وراء هذه الحوادث مجتمعة ومتفرقة يكمن الإقطاع صاحب الدور الخطير ، فقد كان غاية ووسيلة ، غاية للحصول عليه مهما كان الثمن ، والغدر أو الخيانة ثمن مألوف يسير يومئذ ، ووسيلة حين يستأديه الطامع أو الثائر لجلب الأنصار ، فتسمع فى غمار الثورات والفتن عبارات : إن كل من جاب له رأس أمير كان له إقطاعه (٢١٤) ، أو من أراد الإقطاع والنفقة فليحضر (٢١٥) ، أو أن أميراً معيناً أغرى مماليك منافسه بالمال والإقطاعات ، وهكذا .

ورأس الفتنة جميعها النزاع على السلطنة ، إذا علمنا أن مبدأ الوراثة لم يكن معترفاً به ، بل إن قيام دولة المماليك فى أول أمرها كان اغتصاباً ، وهذه سابقة خطيرة لحوادث الولاية والسلطنة ، وكانت السلطة لمن غلب (٢١٦) غير أن هذا لا ينفى ما وقع من أحداث الوراثة وإقامة الأوصياء للوارث الصغير ، ولكن وصول هذا الوارث إلى العرش ، اعتمد إلى حد كبير على مدى ما كان لسلفه من مكانة وقوة فى نظر المماليك فضلا عن رغبة المماليك أنفسهم فى إقامة هذا الوارث ، نظراً للمنافسة وعدم الاتفاق فيما بينهم على من يلى السلطنة ، ولحل المشكلة مؤقتاً يقام الوارث حتى ولو كان صغيراً ، ريثما يتمكن الطامع فى الوقت المناسب من إقامة نفسه (٢١٧) ، ثم إن استمرار هذا الوارث فى الحكم أو عودته إليه إنما يرجع إلى ما يتمتع به من صفات شخصية وما له من عصبة وقوة ودهاء تمكنه من العودة ، فضلا عما يراه الأمراء المتنافسون أنفسهم (٢١٨) .

ولذلك نجد معظم نشاط السلاطين فى الأمور الداخلية ، موجهاً نحو تأمين عروشهم بإجراء حركة تطهير عند ولايتهم وبين آونة وأخرى (٢١٩) ،

ثم بقمع الفتن وتجريد التجاريد للقضاء على المنافسين والخارجين عليه ، ويدلنا هذا من جانب آخر على أن رباط الولاء لم يكن ثابتاً وإنما تذبذب بين الأفقية والرأسية ، أو بين الولاء المستعرض المتبادل بين (الخشداشية) من المماليك أو الأمراء ، وبين الولاء القائم الرأسى نحو الأستاذ : أميراً كان أم سلطاناً .

فلا نقول : إن رباط التبعية وحقوق الأستاذية أو السيادة ، قد أحيطت بهالة من التقديس والاحترام ودلت فيما دلت على معانى « التهذيب والرقة والدماثة » كما تصوره الملاحم الإقطاعية فى الغرب (٢٢٠) ، ولكنها أشبهت فى كثير من تفاصيلها ما كان يقع فى الإقطاع الغربى من فتن وخيانات وخروج ، وما حوادث خلع السلاطين وسجنهم وقتلهم وحوادث الفتن والخيانات بين الأمراء إلا التعبير العملى عن مدى هذا الولاء ، ومن أمثلة الولاء المستعرض بين الخشداشية خروج مماليك الأمير يلبغا فى عهد شعبان سنة ٧٦٨هـ — ١٣٦٦م عليه تعصباً لأحد خشداشيتهم إذ ضربه يلبغا بالمقارع وقطع أنفه ، فتعصبوا له ضد أستاذهم ووثبوا عليه وهو يتصيد مع السلطان فى بر الجيزة ، فلاذ الأمير يلبغا بالفرار فى زى فلاح (٢٢١) ، ودرجة الولاء الرأسى بارزة فى معظم الفتن والثورات بين الأمراء أنفسهم حيث يعضد كل أمير مماليكه ، أو بين الأمراء والسلطان .

ولما كانت للأرقام دلالة تغنى عن كثير من التفاصيل ، فحسبنا هذه الإحصائية أو هذا البيان الرقمى دلالة على مدى ما ازدحم به هذا العصر من إحداث الفتن : بلغ مجموع من تولى عرش السلطنة المملوكية : **٤٩ سلطاناً** منهم (٢٢٢) **٢٤** للدولة المملوكية الأولى و **٢٥** للدولة المملوكية الثانية : —

مات منهم على عرشه	:	**١١** سلطاناً
خلع أو خلع وسجن	:	**٢٤** سلطاناً
قتـــل	:	**١٣** سلطاناً
من تولى بالوراثة	:	**٢٦** سلطاناً
من تولى اغتصاباً	:	**٢٢** سلطاناً

*

ولعل فى الجداول المرافقة وما فيها من مدد الحكم المتفاوتة ما بين أيام إلى شهور إلى سنوات ومصير كل سلطان ، ما يلقى كثيراً من الضوء على ما عنيته من تعميم الفتنة والفوضى خلال عصر المماليك .

على أن الخارجين ومثيرى الفتنة والمغتصبين لقوا أشد أنواع التنكيل والتعذيب ، متى تمكن منهم ولى الأمر (٢٢٣-٢٢٧) .

فعلى أثر مقتل خليل فى سنة٦٩٣هـ — ١٢٩٣م ، وتولية الناصر ، ضربت رقاب بعض القتلة وأحرقت جثثهم ، كما قبض على فريق آخر وقطعت أيديهم وأرجلهم ثم صلبوا على الجمال وطيف بهم وأيديهم معلقة فى أعناقهم (٢٢٨) ، ولما ولى الناصر سلطته الثانية فى سنة٧٠٩هـ — ١٣٠٩ ، قبض على بيبرس الجاشنكير الذى كان قد اغتصب الملك منه ، وأمر بخنقه بوتر حتى كادت روحه تزهق ، لكنه تركه قليلا إمعاناً فى التعذيب ، وأخذ يسبه ويعنفه ثم خنقه ثانياً حتى مات(٢٢٩) . وحدث أن خرج « بهادر » أحد مماليك المؤيد داود صاحب اليمن الخاضع لسلاطين المماليك ، وانتزع السلطنة من المجاهد بن المؤيد ، فأرسل الناصر محمد جيشاً فى سنة٧٢٥هـ — ١٣٢٤م ، انتهى بالقبض عليه « وتوسيطه » بالسيف ، أى قطعه نصفين (٢٣٠) ، وقبض السلطان شعبان فى سنة ٧٦٨هـ — ١٣٦٥م على اثنين من الخارجين عليه وأمر بقطع لسانيهما ونفيهما إلى الشام (٢٣١) ، ولما خرج الأمير على باى على السلطان برقوق فى سنة ٨٠٠هـ = ١٣٩٧م ، قرر السلطان « ضربه » ووضع السعوط فى أنفه وعصر رجليه إلى أن كسرهما ثم ضربه على ركبتيه حتى تفتحتا ثم ضربه بدبوس فى صدره حتى مات ، وفى السنة نفسها عوقب ابن الطبلاوى والى القاهرة بالعصر فى أكعابه والضرب بالكسارات وإسقائه الجير بالملح(٢٣٢) . وفى خلال مرض السلطان قايتباى فى سنة ٨٨٢هـ — ١٤٧٧م ، كثرت الأراجيف وتحركت المطامع وأشيع موته ، وكل حدثته نفسه بتأييد شخصية فى السلطنة ، ولما كان بردبك أحد الأمراء الآخورية بارزاً فى هذا الصدد ، استجوبه الأمير يشبك

الدوادار وأدانه ، ثم أمر بضربه وأحضر له « عمامة يهودية صفراء » وألبسه إياها ، وشهره بالقاهرة على حمار بعد أن « جرسه بين يديه فى الدوار » ، ثم « شكه فى الحديد » ونفاه إلى الواحات . وفى زمن قايتباى كذلك عوقب شخص بالتسمير على لعبة من الخشب والتشهير بالقاهرة عام ٨٩١هـ — ١٤٨٦م ثم فى وسط جزيرة الفيل ، كما عوقب شخص آخر بقلع عينيه وقطع لسانه ، وهكذا (٢٣٣) .

وقد يعاقب الخارج بأكثر من عقوبة نظراً لقدر الجرم الذى ارتكبه ، ولدينا شاه سواره التركمانى ، أعظم أولاد دلغادر ، فقد خرج أكثر من مرة وجرد المماليك ضده أكثر من حملة فلما قبض عليه فى سنة ٨٧٧ هـ — ١٤٧٢ م ، وضع فى عنقه « الجنزير » وجىء به إلى القاهرة(٢٣٤) حيث استشار قايتباى العلماء فى أمره ، فأفتوه بأنه خارجى ولا ينبغى أن يبقى على قيد الحياة (٢٣٥) .

وحينئذ أمر السلطان بتشهيره فى القاهرة مع إخوته ، بأن ألبسوه ملوطة بيضاء وجعل فى عنقه طوق من حديد ، وفيه عامود من الحديد ينتهى بجرس ، « وسمر » إخوته وطيف بهم على الجمال وهم عرايا ورءوسهم مكشوفة وأمامهم المشاعلية تنادى عليهم « هذا جزاء من يخامر على السلطان » ، فلما وصلوا إلى باب النصر أمر السلطان « بتوسيطهم » فوسطوا واستمروا معلقين يوماً وليلة والناس ينظرون إليهم ثم أنزلوهم وغسلوهم ودفنوهم(٢٣٦)، ويقال إنهم « شنكلوا » أى شنقوا بباب زويلة (٢٣٧) .

كذلك دلت مظاهر الكراهية العنصرية بين الرعايا العرب وسلاطين المماليك ، على أنها من أكبر أسباب الفتنة ، برغم أن طائفة الأعراب حازت كثيراً من امتيازات رجال السيف ، بل تمتعت باستقلال محلى محدود فى مشيخاتها ووراثة هذه المشيخات(٢٣٨) ، مما لم يصل إليه أمراء المماليك أنفسهم فلم ينس العرب الكراهية ولم يتخلوا قط عن الحقد الدفين فنفثوا عنه فى ثوراتهم وإفسادهم وتخريبهم المستمر ونهب إقطاعات الأمراء وقتل الفلاحين والاعتداء

على الحجاج والامتناع عن دفع الخراج (٢٣٩) ، بل التآمر عليهم مع منافسيهم ، وقد بدا ذلك واضحاً منذ قيام المماليك فى السلطنة فقد « أنف » الأمير نجم الدين على زعيم عرب الجعافرة « من سلطنة المماليك الأتراك » وجمع رهطه بمصر ، وثار فى سلطنة أيبك وكاتبه الملك الناصر يوسف بن العزيز صاحب دمشق (من الأيوبيين) . ولكن المماليك قبضوا عليه وقتلوه شنقاً فى عهد بيبرس (٢٤٠) .

وكما تفنن العرب فى أنواع الإيذاء والتخريب ، تفنن المماليك فى ألوان القمع والضرب على أيديهم ، من تعذيب وتجريس وقتل شر قتلة ، وبذر التفرقة والانقسام بينهم وهكذا .. ، فمثلا سمر السلطان إينال سنة ٨٥٨هـ — ١٤٥٤م شخصاً من العرب يقال له « الفضل » وأشهره فى القاهرة مع أولاد عمه ثم أمر بسلخهم وإرسالهم إلى بلاد الشرقية ليكونوا عبرة لغيرهم من المفسدين (٢٤١) . وأنزل الأمير يشبك الدوادار عقوبة الشوى بالنار والسلخ والدفن أحيـــاء والخوزقة بالمفسدين من عربان الصعيد بصدد جمعه المحصول سنة ٨٧٤هـ / ١٤٦٨ م ، ثم إن طومان باى اكتسح عرب غزالة بالصعيد سنة ٩٠٤هـ — — ١٤٩٨م ، وكلبهم على أبواب المدينة ورجمهم بالحجارة وهكذا (٢٤٢) .

لذلك تربص العرب الدوائر بالمماليك ، وترقبوا كل نازلة تحيق بهم ، فكانت أخطر ثوراتهم على دولة المماليك ، ما وقع خلال اشتباك السلطنة فى حرب خارجية ، فقد أقبل العرب بعضهم على بعض ، خلال انشغال قايتباى بحرب العثمانيين سنة ٨٩٣هـ — ١٤٨٧م ، وقالوا : « إن مصر ما بقى بها من العسكر إلا قليل » وعلق ابن إياس على هذا بقوله « وزاد طمعهم فى الترك » ، مما جعل السلطان يشدد الرقابة عليهم (٢٤٣) . وأشد نكاية من هذا ، ما حدث عند خروج السلطان الغورى لقتال السلطان سليم العثمانى إذ انتهز عبد الدائم بن بقر شيخ عربان الشرقية هذا الظرف السانح ، وقطع الطريق على القوافل الواردة من الشام ، وقتل جماعة من المماليك السلطانية ، واستولى على خيولهم وسلاحهم ، وعلى أثر وقعة الريدانية تشتت أمراء المماليك

الجراكسة فى بلاد الشرقية ، فاستولى عبد الدائم على خيولهم وسلاحهم ، بل أخذ ما عليهم من الثياب ، يقول ابن إياس : جمع أموالا لم تجمع لآبائه ولا لأجداده ، بل نهب أموال العساكر وغيرهم من أموال المقطعين وعمل من المفاسد بالشرقية ما لم يسمع بمثله (٢٤٤) .

وبعد أن نفدت الجهود الجبارة التى بذلها السلطان طومان باى للاحتفاظ بسلطنة المماليك ، وبعد أن تشتت أنصاره ، لجأ إلى حسن بن مرعى شيخ عربان البحيرة فأمنه وأقسم له هو وإخوته على المصحف ألا يبوحوا بسره ، وبرغم هذا تولى بعض مشايخ العرب مهمة القبض على أعوان طومان باى البارزين ، أمثال الأتابكى سودون الدوادار ، وأسرع ابن مرعى حانثاً فى قسمه ، وكافراً بأيادى طومان باى عليه ، يوم دفع ما تراكم عليه من ديون أيام الغورى ، وأرسل إلى السلطان سليم للقبض على من أوى إليه وائتمنه فأمنه ثم خانه (٢٤٥) .

ومن الجرائم الأخرى ، كثرة السرقات وتنظيم هذه الجريمة فى جماعات أو عصابات ، تعرف باسم « مناسر الحرامية » وقد يصل عدد المنسر الواحد إلى مائة شخص وفيهم مشاة وركاب ، وشأن هذا الفريق كشأن غيرهم من أعداء المجتمع ، لا ينشطون إلا عند اختلال الأمن واشتغال أولى الأمر فى حرب أو فتنة . حقيقة اقترنت الفتن السابقة بالسرقة والنهب ، ولكن ذلك كان أشبه ما يكون باستباحة كل ما يقع أمام الثائرين جهراً وعنفاً ، على خلاف هذه المناسر فإنها قد امتهنت السرقة ، فتسرق وتختفى .

والموظف المختص بتعقب هذه الطائفة والضرب على أيديها ، حفظاً للأمن والأموال ، هو والى القاهرة (٢٤٦) فى العاصمة ، والولاة والكشاف بالأقاليم ، وخارج مصر النواب ومعاونوهم . والأمثلة على هجوم مناسر الحرامية ، أكثر من أن تحصى .

فمثلا عندما خرج السلطان فرج فى سنة ٨٠٢هـ — ١٣٩٩م ، لقمع فتنة بالشام « كثرت المناسر فى القاهرة حتى صار فى كل حارة مركز يغفرونها

فى الليل من الحرامية وصاروا يخطفون العمائم فى الحارات الظهر » (٢٤٧) ، وهجم « المنسر » فى عهد قايتباى على سوق باب الشعرية سنة ٨٩١هـ - ١٤٨٦م وقتلوا البواب وفتحوا عدة دكاكين (٢٤٨) ، وازدادت سطوتهم فى عهد محمد ابن قايتباى وكثر هجومهم ونهبهم للأسواق كسوق تحت الربع وسوق الحاجب فى سنة ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م ، يقول ابن إياس : « وكانت المناسر قد كثرت جداً فى تلك الأيام ، وصاروا يهجمون على الأسواق ، والحارات ويعطعطون فيها » (٢٤٩) مما اضطر والى القاهرة إلى محاربتهم فضلا عن اتخاذ تدابير وقائية كإنشاء أسوار على بعض الأسواق (٢٥٠) أو تركيز جماعة من أعوانه بالأماكن المهجورة كحكر أقبغا بجانب الخليج بين مصر والقاهرة لكثرة « الزعار » الذين يقطعون الطريق على المارة (٢٥١) » .

ومن وسائل التعذيب والعقوبة التى طبقت على اللصوص قطع الأيدى والأرجل ، بل ربما أمر السارق بقطع يده ورجله بنفسه ، كما حدث فى عهد محمد بن قايتباى فى سنة ٩٠٣هـ - ١٤٩٧م ، حين قبض والى القاهرة على شخص من « السراق » ، فأمر السلطان بإلزام السارق بقطع يده ورجله بنفسه ، ففعل بحضرة السلطان (٢٥٢) ، وقد يعاقب السارق بقطع اللسان وكحل العينين بالنار كما فعل باللص المعروف بابن الوارث فى سنة ٩٠٤هـ = ١٤٩٨م فى سلطنة قانصوه بن قانصوه الأشرفى (٢٥٣) .

وهناك جرائم أخرى كجريمة القتل، والجرائم الخلقية، وجريمة التجسس وهى من الجرائم الخلقية والسياسية، وكذلك الغش فى المعاملة، وتزييف النقود وقوبلت هذه الجرائم بما تستحق من حزم وعقوبة صارمة بجانب « التشهير والتجريس » ، فهذه جارية بيضاء قتلت سيدها بالاتفاق مع غلام فى سنة ٨٧٦هـ - ١٤٧١م، فأمر السلطان قايتباى بشنقها وتشهيرها فى القاهرة على جملين (٢٥٤) ، كذلك صلبت جارية سوداء قتلت سيدتها فى سنة ٨٧٧ هـ / ١٤٧٢ م (٢٥٥) .

ولما أبطل بيبرس الخمور والحانات والخواطىء وضمان الحشيشة وأعمال

الفساد الخلقى والشذوذ الجنسى فى سنة٦٦٤هـ – ٦٦٥هـ ، أمر بصلب شخص سكير يقال له ابن الكازرونى بعد أن أقام الحد عليه ،وعلق فى عنقه الجرة والقدح ، وكان لهذا الحادث أكبر الأثر ، وتغنى به الشعراء [٢٥٦] :

كذلك من الجرائم الخلقية ما لاحظه بيبرس سنة ٦٦٣هـ – ١٣٦٤م ، حين سار متنكراً ليرى أحوال الناس بالقاهرة ، فأمر بقطع أيدى جماعة من نواب الولاة والمقدمين والخفراء وأصحاب الرباع [٢٥٧] ، وأمر قايتباى فى سنة ٨٧٩هـ – ١٤٧٤م ، بقطع خصيتى شخص من الأتراك يقال له شاهين وهو خازندار الأمير إينال الأشقر لارتكابه جريمة خلقية ، وصادفت هذه العقوبة وجود شخص يهودى خبير « بالإخصاء » ، بمصر العتيقة [٢٥٨]، ولما علم قايتباى فى سنة٨٩٤هـ – ١٤٨٨م بتجسس رجل من حلب يدعى أحمد بن الديوان إذ كان يكاتب العثمانيين ، أمر بسلخه هو ووالده وتشهيرهما بالقاهرة على جمال [٢٥٩] .

أما جريمة الغش فى المعاملات بتزييف النقود ، فقد كثرت فى أواخر عصر المماليك ، وربما كان بعض السلاطين مسئولا عن هذه الحالة ، وتعرف النقود المزيفة باسم « الزغل » ويطلق على صانعها ومروجها اسم « الزغلية » ، ومن الأمراء من مارس هذه الجريمة فبينما نجد السلطان إينال فى سنة ٨٦٠ هـ – ١٤٥٥م ، يقبض على عشرة أشخاص من الزغلية ويعاقبهم بالتوسيط ، إذ به فى السنة التالية يعقد مجلساً من القضاة ورجال العلم للبحث فى مسألة الغش ، واتفقوا على جمع نقود الدولة منذ عهد المؤيد شيخ ، إلى عهد جقمق وسبكها من جديد ، وأبطلوا ما عداها من النقود المنتشرة فى مصر ، كالدمشقية والحلبية ، ولكن اتضح أنه لم يوجد « أكثر غشاً وفساداً من ضرب فضة دولة الأشرف إينال» ، فوقف حال الناس ، مما دعاهم إلى رجم ناظر الخاص الحاج يوسف بسبب ذلك ، لذلك رجع السلطان عما أمر وأعاد كل شىء على حاله فى المعاملة الحلبية والدمشقية وغيرها [٢٦٠] ، وكان الأمير مثقال الطواشى رأس نوبة النواب ، يمتلك آلة لضرب الدراهم الزغل فى داره ويعاونه تمربغا أحد

مماليك الأمير أزبك ، فلما علم قايتباى بذلك فى سنة ٨٨٩ هـ = ١٤٨٤م ، قبض عليهما ونفى الأول إلى مكة وسجن الثانى [٢٦١] ، كذلك كان لسياسة الغورى فى فرض الأموال على دار الضرب أثرها فى أن أخرجت هذه الدار عملة مغشوشة لتوفية ما عليها [٢٦٢] .

أما نظام القضاء فينقسم إلى نوعين : قضاء شرعى وقضاء مدنى أو « حكم السياسة »، ونظم القضاء الشرعى برئاسة قاضى الشافعية ونوابه من الشافعية وبقية المذاهب ، ورأى السلطان بيبرس فى سنة٦٦٣هـ – ٦٦٤هـ (١٢٦٤ م/ ١٢٦٥ م) أن ينظم هذه الهيئة على أساس استقلال كل مذهب عن الآخر[٢٦٣] فعين ثلاثة قضاة آخرين من المذاهب الأخرى مستقلين عن القاضى الشافعى ، وظل لهؤلاء جميعاً حق تعيينهم لنوابهم بالبلاد المختلفة ، ويعرف هؤلاء الكبار الأربعة باسم « قضاة القضاة » أو « الحكام » ، ولكنه لم يحرم قاضى القضاة الشافعية من بعض الميزات ، فأبقى له المنزلة الأولى بحيث صار ترتيبهم على هذا النحو : قاضى الشافعية ويليه الحنفى ثم المالكى ثم الحنبلى ، كما خصه بالنظر فى أمر الأيتام والأوقاف وما يتعلق ببيت المال ، وظل هو خطيب « الجامع الأعظم » بالقلعة ، وعلى هذا الترتيب سار تنظيم القضاء بالنيابات الخارجية كدمشق وغيرها [٢٦٤] ، وحاول الخليفة المتوكل فى عهد محمد بن قايتباى إعادة ما كان للقاضى الشافعى من سلطات سابقة ، فعين فى سنة ٩٠٢هـ – ١٤٩٦م، الشيخ جمال الدين السيوطى الشافعى (قاضياً كبيراً) على جميع القضاة ، يعين ويعزل من شاء مطلقاً فى سائر المماليك ، ولكن القضاة احتجوا « واستخفوا عقل الخليفة » وقالوا ليس للخليفة مع وجود السلطان حل ولا ربط ولا ولاية ولا عزل ، ولكن الخليفة استخف بالسلطان لكونه صغيراً فرجع المتوكل عن هذا التعيين [٢٦٥] .

ويعتبر رؤساء المذاهب الأربعة أهل « الحل والعقد » ، ويتمتعون بمنزلة أدبية كبرى ، ولهم نصائح لمراعاة العدل والنزاهة ونحوها [٢٦٦] ، أما النواب فى الأقاليم فزاد عددهم فى مصر عن مائتى نائب قاض أو « نائب حكم »[٢٦٧]

وهؤلاء غير « وكلاء » دار القاضى الذين يقومون مقام الدفاع فى العصر الحاضر ، ومهمتهم كما يصفها السبكى « التفهيم عن الموكل ومعرفة الواقعة والحق فى أى الطرفين ، وتعرضوا للمدح والذم تبعاً لمدى مراعاتهم لواجبهم (٢٦٨) وللقاضى كاتب وأمين ونقيب وحاجب ، ويتبع هذه الهيئة طائفة الشهود أو العدول .

ومهمة الكاتب فحص حجج الأوقاف والوصايا وتفسير مدلولات ألفاظها ، ويشترط فيه حسن الفهم ، حتى لا يضيع كثير من الوقف ، كما حدث نتيجة القصور عن فهم مدلولات ألفاظ الواقفين وشروطهم (٢٦٩) ، أما الأمين فهو الذى يستحفظ على أموال الأيتام والغائبين من المستحقين (٢٧٠) وينبه « النقيب القاضى على الشهود كما يرشد الشهود (٢٧١) » ، ويتولى الحاجب الاستئذان لذوى الحاجات ورفع الأمور إلى القاضى (٢٧٢) ، وعلى الشهود أو العدول مدار الحكم العادل فهم « قوام غالب المعاش والمبادلات » وشأنهم شأن وكلاء دار القاضى فى تعرضهم للسخط أو الرضا فى حالة الإساءة أو الإحسان (٢٧٣) ، ومن هؤلاء الشهود من يرقى إلى منصب قاضى الأقاليم كأن يكون قاضياً للفلاحين ، مثل خليل بن حسن بن حزب الله قاضى الفلاحين فى عهد السلطان برقوق ، إذ كان شاهداً فى بعض المراكز (٣٧٤) ، ومهمة هذا القاضى فنية أكثرمنها شرعية أوتأديبية ، فهى تختص بأمور الفلاحة (٢٧٥) ، كما يختص المحتسب بقضايا التجار الخاصة بالمعاملات (٢٧٦) ، وهناك « قضاة العسكر » وعدتهم أربعة من كل مذهب قاض ، ويسافرون مع السلطان للنظر فيما يجد من أمور بين الجند ، كما أنهم يجلسون بدار العدل (٢٧٧) .

ورواتب القضاة من السلطان باعتبارهم من رجال القلم ، ومتوسط راتب القاضى ٥٠ ديناراً فى الشهر ، ولهم بجانب ذلك استحقاقاتهم فى بعض الأوقاف ، كما أن هناك أوقافاً مرصودة للقضاة بصفة خاصة ، كما فى دمشق مثلا (٢٧٨) .

ومن حيث القضاء المدنى وهو مالا علاقة له بالأحوال الشخصية ،

كالاعتداء أو الظلم والضرب والشئون المتعلقة بالدواوين ،وهذا ماعرف باسم (حكم السياسة) ،كما أطلق عليه كذلك « النظر فى المظالم » ، عالج السلاطين والأمراء هذه السلطة ، وعالجها كذلك القضاة بالاشتراك مع السلاطين فى مجالس أو حين يفشل السلطان فى أمر من الأمور .

اتخذ السلاطين « المدارس الصالحية » (٢٧٩) مركزاً لجلوسهم للنظر فى المظالم ، ثم انتقلوا إلى « دار العدل » التى بناها بيبرس سنة ٦٦١هـ — ١٢٦٢ م ، بالقلعة (٢٨٠) ، ومنذ عهد برقوق صار مجلس السلاطين بالإصطبل السلطانى بالقلعة حتى نهاية عصر المماليك (٢٨١) ، ويعقدون هذا المجلس يومين من كل أسبوع : الإثنين والخميس فى أوائل عصر المماليك ، وحدد برقوق يومى الأحد والأربعاء ، وزاد ابنه فرج يوم الجمعة من بعد العصر (٢٨٢) ، وخصص المؤيد يومى السبت والثلاثاء أول النهار ويوم الجمعة بعد الصلاة (٢٨٣) ، وتبعه فى ذلك برسباى (٢٨٤) وقايتباى (٢٨٥) .

وامتاز مجلس السلاطين للنظر فى المظالم بإيوان دار العدل بالروعة والأبهة وحوله كبار رجال الدولة والحراس ، وعن يمينه القضاة الأربعة وعن يساره كاتب السر وحوله أمراء المشورة من أكابر الأمراء ذوى السن (٢٨٦) ، فتقرأ القصص على السلطان وإذا احتاج أمر فيها إلى مراجعة القضاة راجعهم ، وما يتعلق منها بشئون العسكر تحدث مع الحاجب وناظر الجيش ، ويحكم بما يراه فيما عدا ذلك . أما جلوس السلطان فى الإصطبل للنظر فى المظالم ، فجرت العادة أن يتوجه إليه فى موكب يعرف « بموكب الإصطبل » ، ويجلس بين يدى السلطان كاتب السر لقراءة الشكاوى (٢٨٧) .

وللأمراء سلطة قضائية سواء أكانوا فى نياباتهم أو ولاياتهم أو فى إقطاعاتهم ، ومجلس الأمير للحكم فى النيابات صورة مصغرة لمجلس السلطان بالإيوان بالقلعة (٢٨٨) ، ولأتابك العسكر سلطة قضائية بحكم منصبه ، وعنده أحد كتاب الدست لتسلم القصص المرفوعة إليه ، وجرت العادة أن يتصرف

كاتب الدست فى الأمور البسيطة من تلقاء نفسه ، وأما المسائل الكبيرة فلابد من عرضها عليه وامتثال أمره فيما يرى ، ويوقع كاتب الدست عن الأتابك على الحكم الصادر بالحرف المشهور من اسم الأتابك، فكان يكتب عن برقوق مثلا قبل سلطنته حرف « ق » .(٢٨٩)

ويلاحظ أن للقضاة الشرعيين سلطة على تصرفات الأمراء القضائية تشبه إلى حد ما الاستئناف ، فمثلا بلغ قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة فى سنة ٧٧٨هـ — ١٣٧٦م ، أن نائب السلطنة الأمير اقتمر الحنبلى جار فى حكمه ، بأن أحضر صاحب دين وضربه بحضرة المدين ، فاستدعى برهان الدين دوادار الأمير ونهره وحط من شأن أستاذه ، فلم يستطع الدوادار أن يفعل أكثر من مداراة القاضى حتى خلص من مجلسه « وقد ملىء قلبه منه خوفاً »(٢٩٠) .

ولما كانت أحكام الأمراء محل رقابة ضمنية وفعلية من القضاة ، كذلك كانت أحكام القضاة والأمراء محل رقابة فعلية من السلطان ، تستأنف استئنافاً صريحاً أمام السلطان ، وربما عوقب القاضى أو الأمير ، فمثلا قرر قايتباى فى سنة ٨٧٦هـ — ١٤٧١م ، بعد أن كثرت شكاوى الناس (٢٩١) إليه ، بألا يشكو أحد للسلطان إلا بعد أن يرفع أمره لأحد الحكام ، فإذا لم ينصفه يقف بعد ذلك للسلطان (٢٩٢) ، وحدث أن رفعت امرأة قصة للسلطان قايتباى فى سنة ٨٩٥هـ — ١٤٨٩م ، تشكو فيها بدر الدين بن القرافى أحد نواب المالكية فأحضره السلطان وضربه وغرمه (٢٩٣) ، ومن حق سكان الأقاليم من الفلاحين أن يرفعوا ظلاماتهم للسلطان إذا استشعروا ظلماً من الوالى أو الكاشف أو الأمير المقطع فإن أجمعت الآراء على إدانته استحق العقوبة أو العزل (٢٩٤) ، على أنه إذا فشل السلطان فى التوفيق بين أمرائه ، قد يتوسط القضاة فى الصلح بينهم ، كما حدث فى سلطنة على بن شعبان فى سنة ٧٧١هـ — ١٣٧٩م ، حين دب النزاع بين الأمراء فتوسط القضاة فى الصلح (٢٩٥)، وكذلك فى عهد فرج فى سنة ٨٠٤هـ — ١٤٠١م (٢٩٦) .

وأما رسوم القضايا ، فهذه يحصلها القضاة من « الأخصام » : الشاكى والمشكو منه ، وللقاضى ومن يتبعه من الموظفين نصيب منها ، كما أن للسلطان نصيباً آخر . ويحدد السلطان عادة المبالغ المطلوبة من القضاة ، كما حدث مثلا فى سنة٨٠٦هـ — ١٤٠٣م ، حين ورد مرسوم السلطان فرج إلى نائب دمشق ليقبض من كبير القضاة بها ، وهو أبو البقاء مائتى ألف درهم وهى التى جرت عادة القضاة بدمشق ببذلها للسلطان [٢٩٧] ، وحدد السلطان محمد بن قايتباى فى سنة ٩٠١ هـ — ١٤٩٥م ، الرسوم التى يحصلها القضاة من « الأخصام » بألا تزيد عن نصفى فضة »[٢٩٨] .



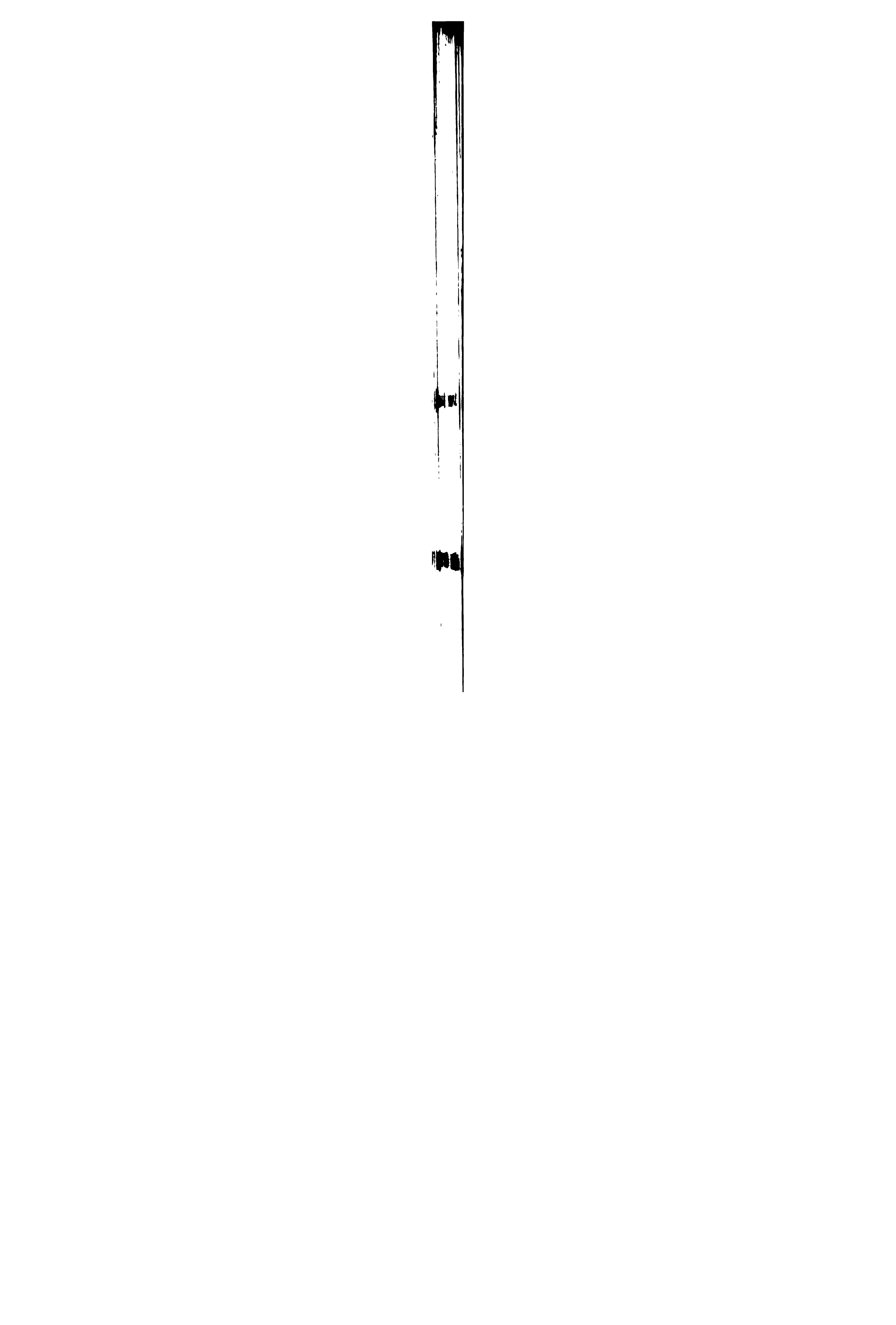
السلطان قايتباى

(٨٧٢ - ٩٠١هـ/ ١٤٦٨-١٩٦م)



السلطان قانصوة الغورى

(٩٠٦ - ٩٢٢هـ/ ١٠٥١ - ١٥١٦م)





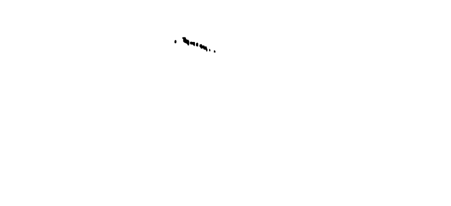
السلطان طومان باى

(٩٢٢ – ٩٢٣ هـ – ١٥١٦ – ١٥١٧ م)

معلق على باب زويلة بالقاهرة

(١١ ربيع أول ٩٢٣ – ٢٣ أبريل ١٥١٧ م)

عن مخطوطة تركية فى الملكية الأهلية بباريس .



جـــدول رقم (١) من توفوا على عروشهم

الرقم	اسم السلطان	مدة الحكم	ملاحظـــات
١	بيبرس	٦٥٨ — ٦٧٦هـ — ١٢٥٩م — ١٢٧٧م	اغتصب السلطنة بقتل قطز .
٢	قلاوون	٦٧٨ — ٦٨٩هـ — ١٢٧٩م — ١٢٩٠م	اغتصب السلطنة من سلامش بن بيبرس وكان مدبر دولته .
٣	الناصر محمد بن قلاوون	٦٩٣هـ وتوفى ٧٤١هـ (١٣٤١م)	خلع مرتين وتولى السلطنة ثلاث مرات (١) .
٤	الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون...	٧٤٣ — ٧٤٦هـ — ١٣٤٢ — ١٣٤٥م	ولى السلطنة بعد خلع أخيه أحمد وأمر بقتله .
٥	على بن شعبان	٧٧٨ — ٧٨٣هـ — ١٣٧٦ — ١٣٨١م	تولى وعمره ٧ سنوات .
٦	برقوق	تولى ٧٨٤هـ وتوفى ٨٠١هـ — ١٣٩٨م	اغتصب السلطة من أمير حاج بن شعبان وخلع مرة (٢)
٧	المؤيد شيخ	٨١٥هـ ٨٢٤هـ — ١٤١٢ — ١٤٢١م	اغتصب السلطنة من الخليفة المستعين .
٨	ططر	من شعبان إلى ذى الحجة ٨٢٤هـ (١٤٢١م)	اغتصب السلطنة من أحمد بن شيخ وكان مدبر دولته (٣)
٩	برسباى...	٨٢٥ — ٨٤١هـ — ١٤٢١ — ١٤٣٧م	اغتصب السلطنة من محمد بن ططر .
١٠	خشقدم	٨٦٥ — ٨٧٢هـ — ١٤٦٠ — ١٤٦٧م	تولى بعد خلع أحمد بن إينال .
١١	قايتبـــاى	٨٧٢ — ٩٠١هـ — ١٤٦٧ — ١٤٩٥م	تولى بعد خلع تمربغا .

(١) ولى محمد بن قلاوون السلطنة لأول مرة فى سنة ٦٩٣هـ (١٢٩٣م) ثم خلع بعد سنة وحكم بعده كتبغا ولاجين لمدة أربع سنوات من ٦٩٤ إلى ٦٩٨هـ — ١٢٩٤م حكم كل منهما سنتين ، ثم عاد إلى الحكم للمرة الثانية لمدة عشر سنوات من ٦٩٨ إلى ٨٠٧هـ — ١٣٠٨م ، خرج فى نهاية المدة باسم الحج واعتكف بالكرك لاستبداد سلار الجاشنكير — حكم بعده بيبرس الجاشنكير لمدة سنة واحدة ، وعاد الناصر محمد إلى سلطنته للمرة الثالثة والأخيرة ، وظل بها من ٧٠٩هـ إلى وفاته ٧٤١هـ — ١٣٤١م وقد حكم من أولاده وأحفاده اثنا عشر سلطانا .

(٢) خلف برقوق فى ٧٩١هـ (١٣٨٨م) وحكم بعده الملك الصالح أمير حاج بن شعبان مدة سنة ، وكان الصالح يحكم قبل برقوق وخلع على يد برقوق مدبر دولته ثم عاد برقوق .

(٣) يقال إن مطلقته وهى أم السلطان أحمد بن شيخ قد دست له السم .

جدول رقم (٢) من خلعوا ، أو خلعوا وسجنوا ، أو استعفوا

الرقم	اسم السلطان	مدة الحكم	ملاحظات
١	على بن أيبك	٦٥٥ – ٦٥٦هـ – ١٢٥٧ – ١٢٥٨م	خلعه قطز
٢	بركة بن بيبرس	٧٦٧ – ٦٧٨هـ – ١٢٧٧ – ١٢٧٩م	
٣	سلامش بن بيبرس	ربيع أول – رجب ٦٧٨هـ (١٢٧٩م)	خلعه قوصون
٤	كتبغـا	٦٩٤ – ٦٩٦هـ – ١٢٩٤ – ١٢٩٦م	طرده نائبه لاجين .
٥	أبو بكر بن محمد بن قلاوون	٧٤١ – ٧٤٢هـ – ١٢٤٠ – ١٢٤١م	خلعه قوصون بعد حكم ٥٩ يوماً .
٦	كجك بن محمد بن قلاوون	صفر – شوال ٧٤٢هـ (١٣٤١م)	تولى وعمره ٨ سنوات وخلعه الأمراء .
٧	أحمد بن محمد بن قلاوون	شوال – ذو الحجة ٧٤٢هـ (١٤٣١م)	اعتكف فى الكرك فخلعه الأمراء وولـوا أخاه إسماعيل .
٨	شعبان بن محمد بن قلاوون	٧٤٧ – ٧٤٨هـ – ١٣٤٦ – ١٣٤٧م	خلعه الأمراء
٩	صالح بن محمد بن قلاوون	٧٥٢ – ٧٥٥هـ – ١٣٥١ – ١٣٥٤م	خلعه شيخون وسجنه بالقلعة .
١٠	محمد بن حاجى بن محمد بن قلاوون ...	٧٦٢ – ٧٦٤هـ – ١٣٦٠ – ١٣٦٢م	تولى وعمره ١٤ سنة وخلعه يلبغا مدبر الدولة .
١١	حاجى أو أمير حاج بن شعبان...	٧٨٣ – ٧٨٤هـ – ٧٩١ – ٧٩٢هـ ١٣٨١ – ١٣٨٣م – ١٣٨٨ – ١٣٨٩م	خلعه برقوق بحجة صغر سنه وحكم بدلا منه ثم خلع برقوق وعاد حاجى ثم خلع حاجى وعاد برقوق .
١٢	عبد العزيز بن برقوق...	ربيع أول – جماد آخر ٨٠٨هـ – ١٤٠٥م	تولى وعمره ١٠ سنوات بعهد من أبيه بعد خلع أخيه فرج ثم خلعه الأمراء وعاد فرج .
١٣	الخليفة المستعين	محرم – شعبان سنة ٨١٥هـ (١٤١٢م)	خلعه المؤيد شيخ وسجنه بالقلعة .
١٤	أحمد بن شيخ	محرم – شعبان ٨٢٤هـ (١٤٢١م)	تولى وعمره سنة ونصف وخلعه ططر مدبر دولته .

تابع جدول (٢)

الرقم	اسم السلطان	مدة الحكم	ملاحظـــات
١٥	محمد بن ططر	ذو الحجة ٨٢٤هـ ربيع أول ٨٢٥هـ (١٤٢١ – ١٤٢٣م)	تولى وعمره ٢٠ سنة وخلعه برسباى مدبر دولته .
١٦	يوسف بن برسباى	ذو الحجة ٨٤١– ربيع أول ١ سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٧ – ١٤٣٨م)	تولى وعمره ١٥ سنة وخلعه جقدق وصيه ومدبر دولته .
١٧	جقمق	٨٤٢ – ٨٥٧هـ (١٤٣٨ – ١٤٥٣م)	خلع نفسه لمرضه أو استعفى
١٨	عثمان بن جقمق	محرم – ربيع أول ٨٥٧هـ (١٤٥٣م)	خلعه الأمراء .
١٩	إينال	٨٥٧ – ٨٦٥هـ (١٤٥٣ – ١٤٦٠م)	خلع نفسه لمرضه أو استعفى
٢٠	أحمد بن إينال	محرم – رمضان سنة ٨٦٥هـ (١٤٦٠م)	خلعه الأمراء .
٢١	بلباى المؤيدى	ربيع أول – جماد أول ٨٧٢هـ (١٤٦٧م)	خلعه الأمراء بعد ٥٦ يوماً .
٢٢	تمربغا الظاهرى	جماد أول – رجب ٨٧٢هـ (١٤٦٧م)	خلعه الأمراء بعد ٥٩ يوماً وهرب فى زى النساء .
٢٣	قانصوه خمسمائة	٢٨ جماد أول إلى أول جماد آخر ٩٠٢هـ – ١٤٩٧ م	خلعه الأمراء فهرب فى زى النساء بعد حكم ثلاثة أيام .
٢٤	قانصوه الأشرفى	٩٤٠ – ٩٠٥هـ (١٤٩٨ – ١٤٩٩م)	خلعه الأمراء وهرب فى زى النساء .

جدول رقم (٣) من قتل من السلاطين

الرقم	اسم السلطان	مدة الحكم	ملاحظات
١	أيبك	٦٤٨ – ٦٥٤هـ – ١٢٥٠ – ١٢٥٦م	قتلته شجرة الدر .
٢	قطز	٦٥٧ – ٦٥٨هـ – ١٢٥٨ – ١٢٥٩م	قتله بيبرس فى عودته من وقعة عين جالوت
٣	خليل بن قلاوون	٦٨٩ – ٦٩٣هـ – ١٢٩٠ – ١٢٩٣م	قتله بيدرا .
٤	لاجين	٦٩٦ – ٦٩٨هـ – ١٢٩٦ – ١٢٩٨م	قتله الأمراء .
٥	بيبرس الجاشنكير	٧٠٨ – ٧٠٩هـ – ١٣٠٨ – ١٣٠٩م	قتل بأمر الناصر محمد بين يديه .
٦	حاجى بن محمد بن قلاوون	٧٤٧ – ٧٤٨هـ – ١٣٤٦ – ١٣٤٧م	ذبحه الأمراء .
٧	الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ...	٧٤٧ – ١٣٤٧–١٣٥١م – ١٣٥٤–١٣٦٠م ٧٤٨ – ٧٥٢هـ – ٧٥٥ – ٧٦٢هـ	خلط فترة حكم فيها أخوه صالح ثم عاد فقتله مملوكه يلبغا .
٨	شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون	٧٦٤ – ٧٧٨هـ – ١٣٦٢ – ١٣٧٦م	قتله الأمراء .
٩	فرج بن برقوق	٨٠١ – ٨٠٨هـ – ٨١٥هـ ١٣٩٨–١٤٠٥م – ١٤٠٥–١٤١٢م	تولى وعمره ١٠ سنوات بعهد من أبيه وعزل فترة من ربيع أول إلى جمادى الآخر ٨٠٨هـ حكم فيها أخوه عبد العزيز وعاد فترة قتل بعدها .
١٠	محمد بن قايتباى	٩٠١ – ٩٠٤هـ – ١٤٩٥ – ١٤٩٨م	قتله الأمراء .
١١	جان بلاط بن يشبك الأشرفى	٩٠٦هـ (١٥٠٠ م)	قتل خنقا بسجنه فى الإسكندرية .
١٢	العادل طومان باى	٩٠٦ – ٩٢٢هـ – ١٥٠٠ – ١٥١٦م	قتل .
١٣	قانصوه الغورى(١)	٩٠٦ – ٩٢٢هـ – ١٥٠٠ – ١٥١٦م	قتل فى وقعة مرج دابق .
١٤	الأشرف أبو النصر طومان باى (٢) ...	٩٢٢ – ٩٢٣ هـ – ١٥١٦ – ١٥١٧م	قتل بأمر سليم الأول فى القاهرة بعد القبض عليه .

(١) ، (٢) الغورى وطومان باى : رغم أنهما قتلا خلال جهادهما ضد العثمانيين قتلة شريفة ، إلا أن الخيانة قد لعبت دورها فى نهاية حياة كل منهما ، فقد خامر خاير بك والغزالى ضد الأول خلال مرج دابق ، وبعدها ، وأفشى ابن مرعى سر الشائعة .

(٦٤٨ - ٧٨٤ هـ — ١٢٥٠ م - ١٣٨٢ م)

اسم السلطان	مدة الحكم
المعز أيبك التركمانى	٦٤٨-٦٥٤هـ / ١٢٥٠-١٢٥٦م
المنصور على بن أيبك... ...	٦٥٥-٦٥٦هـ / ١٢٥٧-١٢٥٨م
المظفر سيف الدين قطز..	٦٥٧-٦٥٨هـ / ١٢٥٨-١٢٥٩م
الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى ...	٦٥٨-٦٧٦هـ / ١٢٥٩-١٢٧٧م
السعيد أبو المعالى محمد بركة بن بيبرس ...	٦٧٦-٦٧٨هـ / ١٢٧٧-١٢٧٩م
العادل سيف الدين سلامش بن بيبرس.. ...	ربيع أول - رجب ٦٧٨هـ - ١٢٧٩م
المنصور سيف الدين قلاوون...	٦٧٨-٦٨٩هـ / ١٢٧٩-١٢٩٠م
الأشرف صلاح الدين خليل	٦٨٩-٦٩٣هـ / ١٢٩٠-١٢٩٣م
(الملك الأوحد بيدرا)	تسلطن لمدة يوم واحد بعد مقتل خليل
الناصر محمد بن قلاوون	٦٩٣-٦٩٤هـ / ١٢٩٣-١٢٩٤م
العادل زين الدين كتبغا بن عبد الله المنصورى	٦٩٤-٦٩٦هـ / ١٢٩٤-١٢٩٦م
المنصور حسام الدين لاجين	٦٩٦-٦٩٨هـ / ١٢٩٦-١٢٩٨م
(عودة الناصر محمد)..	٦٩٨-٧٠٨هـ / ١٢٩٨-١٣٠٨م
المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير	٧٠٨-٧٠٩هـ / ١٣٠٨-١٣٠٩م
(عودة الناصر محمد)	٧٠٩-٧٤١هـ / ١٣٠٩-١٣٤٠م
المنصور سيف الدين أبوبكر بن الناصر محمد...	٧٤١-٧٤٢هـ / ١٣٤٠-١٣٤١م
الأشرف علاء الدين كجك الناصر محمد	صفر-شوال سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م
الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد ...	شوال ٧٤٢- محرم ٧٤٣/ ١٣٤٢م
الصالح علاء الدين إسماعيل بن الناصر محمد ...	٧٤٣-٧٤٦هـ / ١٣٤٢-١٣٤٥م
الكامل شعبان بن الناصر محمد..	٧٤٦-٧٤٧هـ / ١٣٤٥-١٣٤٦م
المظفر حاجى بن الناصر محمد..	٧٤٧-٧٤٨هـ / ١٣٤٦-١٣٤٧م
الناصر أبو المحاسن حسن بن الناصر محمد ...	٧٤٨-٧٥٢هـ / ١٣٤٧-١٣٥١م
الصالح صلاح الدين صالح بن الناصر محمد ...	٧٥٢-٧٥٥هـ / ١٣٥١ ١٧٥٤م
(عودة الناصر حسن).	٧٥٥-٧٦٢هـ / ١٣٥٤-١٣٦٠م
المنصور محمد بن حاجى بن الناصر محمد ...	٧٦٢-٧٦٤هـ / ١٣٦٠-١٣٦٢م
الأشرف أبو المعالى زين الدين شعبان بن حسين ابن الناصر محمد	٧٦٤-٧٧٨هـ / ١٣٦٢-١٣٧٦م
المنصور على بن شعبان	٧٧٨-٧٨٣هـ / ١٣٧٦-١٣٨١م
الصالح أمير حاج بن شعبان	٧٨٣-٧٨٤هـ / ١٣٨١-١٣٨٢م

اسم السلطان	مدة الحكم
الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن أنس العثمانى	٧٨٤–٧٩١هـ / ١٣٨٢–١٣٨٨م
(عودة الصالح أمير حاج)	٧٩١–٧٩٣هـ / ١٣٨٨–١٣٨٩م
(عودة برقوق)	٧٩٢–٨٠١هـ / ١٣٨٩–١٣٩٨م
الناصر زين الدين أبو السعادات فرج بن برقوق	٨٠١–٨٠٨هـ / ١٣٩٨–١٤٠٥م
المنصور عز الدين أبو العز عبد العزيز بن برقوق	ربيع أول – جماد آخر ٨٠٨هـ – ١٤٠٥م
(عودة فرج)	٨٠٨–٨١٥هـ / ١٤٠٥–١٤١٢م
الخليفة المستعين	محرم–شعبان ٨١٥هـ / ١٤١٢م
المؤيد أبو النصر شيخ بن عبد الله المحمودى الظاهرى	٨١٥–٨٢٤هـ / ١٤١٢–١٤٢١م
المظفر أبو السعادات أحمد بن شيخ	محرم–شعبان ٨٢٤هـ / ١٤٢١م
الظاهر سيف الدين أبو سعيد ططر الظاهرى	شعبان – ذو الحجة ٨٢٤هـ / ١٤٢١م
الصالح ناصر الدين محمد بن ططر	٨٢٤ – ٨٢٥هـ / ١٤٢١–١٤٢٢م
الأشرف أبو النصر برسباى الدقماق الظاهرى ...	٨٢٥–٨٤١هـ / ١٤٢٢–١٤٣٧ م
العزيز أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن برسباى	٨٤١–٨٤٢هـ / ١٨٣٧–١٤٣٨ م
الظاهر سيف الدين أبو سعيد جقمق العلائى الظاهرى	٨٤٢–٨٥٧هـ / ١٤٣٨–١٤٥٣م
المنصور أبو السعادات فخر الدين عثمان بن جقمق	محرم – ربيع أول ٨٥٨هـ / ١٤٥٣م
الأشرف أبو النصر سيف الدين إينال العلائى الظاهرى	٨٥٧–٨٦٥هـ / ١٤٥٣–١٤٦٠م
الملك المؤيد أبو الفتح شهاب الدين أحمد بن إينال	محرم–رمضان ٨٦٥هـ / ١٤٦٠م
الظاهر أبو سعيد سيف الدين خشقدم الناصرى المؤيدى	٨٦٥–٨٧٢هـ / ١٤٦٠–١٤٦٧م
الظاهر أبو النصر سيف الدين بلباى المؤيدى (المجنون)	ربيع الأول – جماد أول ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م
الظاهر أبو سعيد تمربغا الظاهرى	جماد أول–رجب ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م
(الظاهر خير بك)	تسلطن ليلة واحدة

اسم السلطان	مدة الحكم
الأشرف أبو النصر سيف الدين قايتباى المحمودى الظاهرى	٨٧٢-٩٠١هـ / ١٤٦٧-١٤٩٦م
الناصر أبو السعادات ناصرالدين محمد بن قايتباى	٩٠١-٩٠٢هـ / ١٤٩٦-١٤٩٧م
الظاهرى	٨٧٢-٩٠١هـ / ١٤٦٧-١٤٩٦م
قانصوه خمسمائة	٢٨ جماد أول إلى أول جماد آخر ٩٠٢هـ/١٤٩٧م
عودة محمد بن قايتباى	٩٠٢-٩٠٤هـ / ١٤٩٧-١٤٩٨م
الظاهر أبو سعيد قانصوه الأشرفى	٩٠٤-٩٠٥هـ / ١٤٩٨-١٤٩٩م
الأشرف أبو النصر جان بلاط بن يشبك الأشرفى	٩٠٥-٩٠٦هـ / ١٤٩٩-١٥٠٠م
العادل طومان باى بن قانصوه (طومان باى الأول)	٦ من جمادى الآخرة إلى شوال ٩٠٦هـ / ١٥٠١م
الأشرف قانصوه الغورى	٩٠٢-٩٢٢هـ / ١٥٠١-١٥١٦م
الملك الأشرف أبو النصر طومان باى الثانى ...	٩٢٢-٩٢٣هـ / ١٥١٦-١٥١٧م

خلفاء بنى العباس لمصر المملوكية
٦٥٩ – ٩٢٣هـ/ ١٢٦٠ – ١٥١٧م

رقم	اسم الخليفــة	سنوات الخلافة	السلاطين المعاصرون
١	المستنصر بالله أبو القاسم أحمد بن الظاهر .	رجب ٦٥٩ – محرم/٦٦٠هـ – ١٢٦٠م	بيبرس .
٢	الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن الحسن ابن أبى بكر بن الحسن بن على بن المسترشد	٦٦٠ – ٧٠١هـ / ١٢٦١ – ١٣٠١م	بيبرس – السعيد – سلامش (ولدا بيبرس) – قلاوون ، خليل ، الناصر محمد (سلطنته الأولى) كتبغا ، لاجين ، الناصر محمد (سلطنته الثانية)
٣	المستكفى بالله أبو الربيع سليمان ابن الحاكم	٧٠١–٧٣٧هـ/ ١٣٠١–١٣٣٦م	الناصر محمد (سلطنته الثانية) – الجاشنكير الناصر محمد (سلطنته الثالثة) .
٤	الواثق بالله إبراهيم ابن ولى العهد المستمسك بن الحاكم	٧٣٧ – ٧٤١هـ / ١٣٣٦ – ١٣٤١م	الناصر محمد (سلطنته الثالثة)
٥	أبو العباس أحمد الحاكم بأمر الله بن المستكفى	٧٤١ – ٧٥٣هـ / ١٣٤١ – ١٣٥٢م	أبو بكر ، كجك ، أحمد ، إسماعيل ، شعبان ، حاجى ، حسن (سلطنته الأولى) ، صالح (أولاد الناصر محمد) .
٦	المعتضد بالله أبو بكر بن المستكفى	٧٥٣ – ٧٦٣هـ / ١٣٥٢ – ١٣٦١م	صالح ، حسن (سلطنته الثانية) ، المنصور ابن حاجى .
٧	المتوكل على الله أبو عبدالله محمد بن المعتضد (أبو الخلفاء)	٧٦٣ – ٧٨٤هـ / ١٣٦١ – ١٣٨٢م	المنصور بن حاجى ، شعبان بن حسين ، على بن شعبان (أواخر الدولة المملوكية الأولى ومطلع الدولة المملوكية الثانية وهى دولة الجراكسة)

(تابع ما قبلــه)

رقم	اسم الخليفة	سنوات الخلافة	السلاطين المعاصرون
٨	المعتصم بالله زكريا بن إبراهيم	٧٨٤هـ–١٣٨٢م (لمدة ١٥ يوماً)	على بن شعبان
	(عودة المتوكل)	٧٨٤–٧٨٥هـ/١٣٨٢–١٣٨٣م	على بن شعبان – برقوق (أول سلاطين الجراكسة)
٩	الواثق بالله عمر بن إبراهيم	٧٨٥–٧٨٨هـ/١٣٨٣–١٣٨٦م	برقوق
	(عودة المعتصم)	٧٨٨–٧٩١هـ/١٣٨٦–١٣٨٩م	برقوق
	(عودة المتوكل)	٧٩١–٨٠٨هـ/١٣٨٩–١٤٠٦م	برقوق – حاجى بن شعبان (سلطنته الثانية) – برقوق (سلطنته الثانية) فرج بن برقوق (سلطنته الأولى)
١٠	المستعين بالله العباس بن المتوكل	٨٠٨–٨١٦هـ/ ١٤٠٦–١٤١٢م (ولى السلطنة مع الخلافة لمدة ثمانية شهور من محرم إلى شعبان ٨١٥هـ – ١٤١٢م) .	فرج – شيخ
١١	المعتضد بالله بن المتوكل	٨١٦–٨٤٥هـ/ ١٤١٢–١٤٤١م	شيخ – أحمد بن شيخ – ططر – محمد بن ططر – برسباى – يوسف بن برسباى – جقمق .
١٢	المستكفى بالله بن المتوكل	٨٤٥–٨٥٥هـ/ ١٤٤١–١٤٥١م	جقمق
١٣	القائم بأمر الله بن المتوكل	٨٥٥–٨٥٩هـ/ ١٤٥١–١٤٥٥م	جقمق – عثمان بن جقمق – إينال
١٤	المستنجد بالله بن المتوكل	٨٥٩–٨٨٤هـ/ ١٤٥٥–١٤٧٩م	إينال ، أحمد بن إينال ، خشقدم ، بلباى المجنون ، تمربغا ، خير بك (سلطان ليلة) قايتباى

(تابع ما قبله)

رقم	اسم الخليفة	سنوات الخلافة	السلاطين المعاصرون
١٥	المتوكل على بن يعقوب بن المتوكل ...	٨٨٤-٩٠٣هـ/ ١٤٧٩-١٤٩٧م	قايتباى ، محمد بن قايتباى (سلطنته الأولى) قانصوه خمسمائة .
١٦	المستمسك بالله بن عبد العزيز بن يعقوب ابن المتوكل	٩٠٣-٩١٤هـ/ ١٤٩٧-١٥٠٩م	محمد بن قايتباى (سلطنته الثانية) ، قانصوه الأشرف (خال محمد) ، جانبلاط ، طومان باى الأول ، قانصوه الغورى
١٧	المتوكل على الله بن المستمسك	٩١٤-٩٤٤هـ/ ١٥٠٩-١٥٣٨م	قنصوه الغورى ، طومان باى الثانى ، سليم العثمانى – سليمان القانونى بن سليم العثمانى

مراجع :

١ – ابن إياس : بدائع الزهور.

٢ – ابن حجر : إخوان الصفا .

٣ – السيوطى : تاريخ الخلفاء والترجمة الإنجليزية ، حسن المحاضرة .

٤ – المقريزى : الخطط والسلوك .

٥ – زامباور : معجم الأنساب (ترجمة الدكتور زكى محمد حسن وآخرين) .

(١) معيد النعم ص١٤٣ ، ٧٢ وما يليها .

(٢) إغاثة الأمة ص ٧٢ – ٧٣ .

(٣) النجوم الزاهرة جـ١٠ ص٢٠٨ – ٢١٠ ، خطط جـ٣ ص٣٥٥ – ٣٥٦

(٤) راجع الفصل التاسع .

(٥) خطط جـ ٢ ص ٢٠٤ .

(٦) تولى بيبرس الدوادار نيابة السلطنة للناصر محمد سنة ٧١١ هـ – ١٣١١م ، وتوفى سنة ٧٢٤هـ – ١٣٢٤م . (النجوم الزاهرة جـ ٩ ص٢٦٣ ، ٢٩٤ والأعلام) .

(٧) كان الطنبغا مملوكا عند الأمير علم الدين الجاولى بغزة يبرز فى الفروسية والشطرنج والنرد ونظم الشعر الرقيق كما كان عارفاً بالفقه ، توفى بدمشق سنة ٧٤٤هـ – ١٣٤٣م ، (الأعلام) .

(٨) صارم الدين إبراهيم بن دقماق مؤرخ فقيه كان جده دقماق من أمراء الناصر محمد ، ومن مؤلفاته فى الفقه، كتاب طبقات الحنفية ، ويمتاز بالإنصاف فى كتابة التاريخ ، غير أنه لم يجد اللغة العربية إجادة تامة ، ولى إمرة دمياط وتوفى سنة ٨٠٩هـ – ١٤٠٦م (أنباء الغمر جـ١ ص ٧٢٩ – ٧٣٠ (الأعلام) .

(٩) لابن تغرى بردى مؤلفات فى التاريخ ، بعضها مخطوط والبعض مطبوع ، وكان أبوه من مماليك الظاهر برقوق ، توفى سنة ٨٧٤هـ – ١٤٦٩م (المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر) ص٢٦ – ٢٧ (الأعلام) .

(١٠) جان تمر من أركاس من مماليك الطباق فى عهد السلطان الغورى وقدم كتابه « تذكرة الملوك إلى أحسن الملوك » ، للسلطان .

(١١) كتب البدرى تاريخا ، أشار إليه ابن إياس ، وتوفى سنة الفتح العثمانية لمصر ٩٢٣هـ – ١٥١٧م . (بدائع الزهور جـ٢ ص٣١٠ و جـ٣ ص ١٠٧) .

(١٢) من قصور السلاطين بالقلعة : قصر الأشرفية للأشرف خليل بناه سنة ٦٩٢هـ – ١٢٩٢م ، وقصر الدهبشة للصالح إسماعيل بن الناصر بناه سنة ٧٤٥هـ – ١٣٤٤م (وقصر اليسرية للسلطان حسن بناه سنة ٧٦١هـ – ١٣٥٩م . (خطط جـ٢ ص٢١٢ – ٢١٣) .

(١٣) من هؤلاء السقاءون والزنان دارية وهم البوابون عند عرف الحريم السلطانى ، والجمدارية لإلباس السلطان ، والبشمقدارية لحمل نعل السلطان .

(زبدة كشف الممالك ص ١٢٢ ، صبح الأعشى ج ٥ ص٤٥٧ ، ٤٥٩ ، ٤٦٩) .

(١٤) صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٧ .

(١٥) مسالك الأبصار ج ٢ رقم ٣٩٠ .

(١٦) زبدة كشف الممالك ص ١٢١ .

(١٧) المصدر السابق .

(١٨) المصدر السابق .

(١٩) النجوم الزاهرة ج ٩ ص٧٤ — ٧٥ .

(٢٠) بدائع الزهور ج ٢ ص٦٥ — ٦٦ .

(٢١) آثار الأول ص١١٦ — ١٤٠ وبهامش الخلفاء للسيوطى ص١٢٩ ، زبدة كشف الممالك ص١٢١—١٢٢ ، النجوم الزاهرة ج٩ص٢١٠ ، خطط ج٢ ص٢١٢—٢١٣ .

(٢٢) لعل البلانات هن المشرفات على الحمامات السلطانية من لفظ بلان بمعنى حمام (القاموس المحيط — زبدة كشف الممالك ص١٢٢) .

(٢٣) خطط ج ٢ ص ١١٦ ، الدر المنثور ص ١٦٣ — ٥١٢ .

(٢٤) النجوم الزاهرة ج١٠ ص٣٠٩ وحاشية — ١ ، بدائع الزهور ج١ ص٢٣٥ ، التحفة السنية ص ١٤ ، ٣١ ، ٧٠ ، ٧٦ .

(٢٥) زبدة كشف الممالك ١٢٥ .

(٢٦) الخوان سلار كبير رجال المطبخ والمرقدارية من صبيته .

(٢٧) زبدة كشف الممالك ص١٢٥ ، مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٩٠ ، نهاية الأرب ج ٨ ص٢٢٤ .

(٢٨) مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٩٠ ، صبح الأعشى ج٥ ص٤٦٠ ، الألطاف الخفية ص١٧ — ١٨ ، زبدة كشف الممالك ص٨٧ ، النجوم الزاهرة ج٩ ص١٧٧ .

(٢٩) خطط ج ٢ ص٢٣٠ — ٢٣١ .

(٣٠) خطط ج٢ ص ٢٣٠ — ٢٣١ .

(٣١) تنصرف كلمة المطبخ فى عصر المماليك إلى مصانع السكر كذلك ، ومنها ما يتبع السلطان نفسه ومنها ما يتبع الحكومة فيقال للأولى المطابخ السلطانية وللثانية مطابخ الدولة ، ومنها ما يتبع الأمراء ، واصطلح على تسمية إدارة المطابخ بالمعنى الثانى بكلمة « الدونبه » (الانتصار ج٤ ص٤١ — ٤٥) .

(٣٢) يلقب رئيس كل من هذه البيوتات باسم « المهتار » ما عدا الشكارخاناه وهى حظيرة طيور الصيد فالمشرف عليها « أمير شكار » ، ويرأس الاصطبلات الشريفة « أمير أخور » ، ويسمى عمال الشرابخاناه « بالشرابدارية » وعمال الطشت خاناه بالطشندارية ، والرختوانية المشرفون على القماش ، وربما شملهم جميعا لفظ البابوات ، وعمال الفراش خاناه هم الفراشون والعتلة أو « الكناسون » ، وفى الشكارخاناه يخدم الخوندارية والمعلمون والطعمدارية والبازدارية ، والاصطبلات أنواع ، منها ما يضم خيول الخاص الشريف المعدة لركوب السلطان ، وفى المصطلح « المراكيب الشريفة » ومنها ما يخص الخيول الضعيفة ، وخيول اللعب بالكرة ، واصطبلات البريد والنياق والفيل والسباع ، وعمالها الأوجاقية أو الوشاقية ، ومخزن آلات الخيل « الركاب خاناه » وعماله الركاب دارية والسنجق دارية ، والمهمزدارية والغلمان (صبح الأعشى جـ٥ ص٤٥٨ و ٤٦٠ و ٤٦١ و ٤٦٩ – ٤٧١ ، نهاية الأرب جـ ٨ ص٢٢٤ – ٢٢٥ زبدة كشف الممالك ص١٢٤ و ١٢٦ – ١٢٧ انظر قاموس الألفاظ الاصطلاحية) .

(٣٣) بنى الأمير تنكز داره وأوقفها على أولاده ، ثم سكنها قاضى القضاة برهان الدين ابن جماعة ، وأنفق فى زخرفتها ١٧ ألف درهم ، ثم بيعت سنة ٨٠١هـ – ١٣٩٨م أما الأمير سيف الدين طاز نائب حلب سنة ٧٥٥هـ – ١٣٥٤م ، للسلطان صالح بن محمد بن قلاوون فقد بنى داره سنة ٧٥٣هـ – ١٣٥٢م ، وأقام وليمة عند افتتاحها حضرها السلطان ، وهذه أول مرة يزور فيها سلطان أميراً فى منزله ، أما الأميران يلبغا والطنبغا فهما من أمراء الناصر محمد المقربين ، وقد بنى السلطان لهما هذين القصرين ، وكان الأمير يلبغا العمرى أتابك العساكر فى عهد المنصور حاجى ، وانتهت حياته بالقتل فى عهد شعبان سنة ٧٦٨هـ – ١٣٦٦م (خطط جـ١ ص٥٤ و ٧٣ و جـ٢ ص ٧١ – ٧٢ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص٣١١ – ٣١٣) .

(٣٤) الأمير طغيتمر بن عبد الله النجمى ، كان داودارا للسلطان إسماعيل بن محمد بن قلاوون ، وظل كذلك فى سلطنة أخويه شعبان وحاجى ، ويعتبر أول دوادار أخذ إمرة مائة ومقدم ألف ، وقتل بأمر حاجى سنة ٧٤٨هـ – ١٣٤٧ م ، وهو صاحب الخانقاه النجمية خارج القاهرة (النجوم الزاهرة جـ١٠ ص١٨٣ – ١٨٤) ، انظر رنكه على مشكاته .

(٣٥) الأمير سيف الدين شيخون بن عبد الله أتابك العسكر ومدبر الدولة للسلطان حسن ، وقد قتله أحد مماليك السلطان سنة ٧٥٩هـ – ١٣٥٦م ، لأنه رفض أن يمنحه إقطاعا (النجوم الزاهرة جـ ١٠ ص٣٥٠) .

(٣٦) بدائع الزهور جـ ٣ .

(٣٧) انظر لوحة الرنوك ، وراجع فى موضوع الرنوك : الدكتور محمد مصطفى : الرنوك فى عصر المماليك (مجلة الرسالة عدد ٣٠٠ ص٢٦٨ – ٢٧١) ، مصر فى عصر دولة

المماليك الجراكسة ، للمؤلف ص٣٢٤ - ٣٣٠ ، السلوك جـ١ ص٦٧٢ حاشية ٤ ، جـ٢ ص ٢١٥ ، صبح الأعشى جـ٤ ص٦١ - ٦٢ ،

(٣٨) عرف الأمير بشتك بثرائه الواسع ، ومات قتيلا سنة ٧٤٢هـ - ١٣٤١م (النجوم الزاهرة جـ١٠ ص ٧٤ - ٧٥) .

(٣٩) ينسب إلى يلبغا ، كثير من آلات الحرب والملابس مثل الطرز العراض اليلبغاوية ، توفى سنة ٧٦٨هـ - ١٣٦٦م . (بدائع الزهور جـ١ ص٢١٩) .

(٤٠) خطط جـ١ ص ١٤٠ .

(٤١) صبح الأعشى جـ٤ ص٦٠ - ٦١ ، بدائع الزهور جـ١ ص٢١٧ - ٢١٨ .

(٤٢) الجنائب هى الخيول المسرجة غير المركوبة ، والأوشاقية من عمال الإصطبلات (الألفاظ) .

(٤٣) مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٨٦ - ٣٨٧ ، بدائع الزهور جـ١ ص ٢١٩ ، صبح الأعشى جـ٤ ص٦١ .

(٤٤) صبح الأعشى جـ٦ ص ٢٨ - ٣٣ .

(٤٥) بدائع الزهور جـ٢ ص٤ ، جـ٣ ص٨١ .

(٤٦) كان الخلفاء العباسيون فى مصر ، يقيمون بقلعة الكبش ، فلما جاء الناصر محمد أفرد للخليفة داراً بقلعة الجبل ، وظلوا يقيمون بها ، ليكونوا تحت مراقبة السلطان (السيوطى : الخلفاء ص١٩٤ - ٢٠٥ ، بدائع الزهور جـ٢ ص٣٠٧) .

(٤٧) عبر الشيخ ابن حجر عن هذه الفرحة بقصيدة طويلة ، منها :

المـلك فينـا ثابت الأسـاس بالمستعين العـادل العبـاس

رجعت مـكانة آل عم المصطفى لمحلهـا من بعد طول تنـاسى

(راجع السيوطى : حسن المحاضرة جـ٢ ص٨١ - ٨٣ ، تاريخ الخلفاء ص٣٣٨) .

(٤٨) السيوطى : الخلفاء ص١٩٥ ، ٢٠٣ - ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٣٣٨ ، بدائع الزهور جـ٢ ص٣٠٩ - ٣١١ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، حسن المحاضرة جـ٢ ص٨٠ - ٨٣ ، طرخان : مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ص٣١ ، ٦٤ - ٦٥ .

(٤٩) أطلق لقب شريف على كل من كان من أهل البيت النبوى سواء أكان من سلالة الحسن أو الحسين أم كان علوياً بصفة عامة ، فيقال الشريف العباسى والشريف العقيلى والشريف الجعفرى والشريف الزينبى . ولما جاء الفاطميون إلى مصر ، قصروه على ذرية الحسن والحسين ، يقول ابن حجر : الشريف ببغداد لقب كل عباسى وبمصر لقب كل علوى . ويعرف أتباع العلويين باسم الشيعة ، منهم المعتدل ومنهم المتطرف ، وفى عصر المماليك أطلق على المتطرفين من الشيعة اسم « أهل البدع » مثل النصيرية والإسماعيلية ، والزيدية أقربهم إلى القصد . ويلقب رئيس طائفة الإسماعيلية فى دولة المماليك بلقب « أتابك المجاهدين » وله وصية فى الدواوين المملوكية ، لتأليف قلوب هذه الطائفة وحثها على الجهاد . (الحمزاوى : مشارق الأنوار ص١٠٨ ، رسالة الصبان ص١٦٢ - ١٦٣ ، التعريف ص١٥٦) .

(٥٠) أنباء الغمر جـ١ ص٥ ، مشارق الأنوار ص١٠ ، إخوان الصفا ورقة ١٣٠ ، انظر ما يلى .

(٥١) دحلان : خلاصة الكلام فى أمراء البلد الحرام ص٤٩ (مكتبة الحرم المكى الشريف رقم ٤٩ تاريخ) .

(٥٢) خطط جـ١ ص١٤٧ .

(٥٣) أعيان العصر جـ٤ غير مرقم ، صبح الأعشى جـ٤ ص٣٧ .

(٥٤) التعريف ص١٣٠ – ١٣١ ، أعيان العصر جـ٤ غير مرقم .

(٥٥) صبح الأعشى جـ٦ ص٢٢٨ و ٢٣٤ .

(٥٦) توفى هذا الشريف فى سنة ٧٣٧هـ – ١٣٣٦م (تاريخ جليل مجلد ٦ ورقة ٥٤٥ – ٥٤٦ .

(٥٧) توفى هذا الشريف سنة ٧٥٧هـ – ١٣٥٦م (الصفدى جـ٤ غير مرقم) .

(٥٨) تولى هذا الشريف كتابة عدة مناشير بإقطاعات – (صبح الأعشى جـ١٣ ص١٧٦ – ١٧٩ انظر الملاحق) .

(٥٩) سلاطين المماليك ص٢٩ – ٣١ – عيون التواريخ ص١٢٠ – بدائع الزهور جـ١ ص١٧٩ – ١٨٠ – أعيان العصر جـ٤ غير مرقم .

(٦٠) كان هذا الاجتماع فى سنة ٦٥٨هـ – ١٢٥٩م واعترض شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام ابن بنت الأعز بقوله : إذا أحضرت أنت وجميع العسكر وكل باق بيوتكم ما على نسائكم من الحلى الحرام وضربته على السكة ونفقته فى الجيش وقصر عن القيام بكلفتكم أنا أسأل الله تعالى فى إظهار كنز يكفيكم ويفضل عنكم . . (معيد النعم ص٦٤ – ٦٥ ، بدائع الزهور جـ١ ص٩٦ ، الجوهر الثمين جـ٢ ورقة ١٠٦ السلوك جـ١ ص٤٢٧ ص٤٢٩ ، النجوم الزاهرة جـ٧ ص٧٢ – ٧٣) .

(٦١) بدائع الزهور جـ ١ ص٣١٩ .

(٦٢) بدائع الزهور جـ ٢ ص٩٦ – ٩٧ .

(٦٣) المصدر السابق ص١٣٧ ، انظر الجرائم وعقوبتها وما يتعلق بهذا الخارجى بصفة خاصة فيما يلى .

(٦٤) بدائع الزهور جـ ٢ ص٢٦٨ – ٢٦٩ .

(٦٥) انظر ما يلى .

(٦٦) بدائع الزهور جـ ٢ ص ١٧١ ، ٢٥٧ – ٢٥٨ .

(٦٧) معيد النعم ص ٦٠ و ١٣٢ – ١٣٣ .

(٦٨) بدائع الزهور جـ ٢ ص ١٥٤ .

(٦٩) بدائع الزهور جـ ٢ ص ٣٤٣ .

(٧٠) صبح الأعشى ج ٦ ص ٥١ .

(٧١) كانت خيول هذه الطبقة غير مزدانة فى سروجها ، بل كانت عادية أو « ساذجة » فى المصطلح (خطط ج٢ ص٩٨) .

(٧٢) مسالك الأبصار ج٢ رقم ٣٩٤ ، صبح الأعشى ج ٦ ص ٥١ .

(٧٣) راجع الفصل التاسع .

(٧٤) معيد النعم ص ٦١ — ٦٢ .

(٧٥) الناطور هو العامل المنوط به حراسة الثياب فى الحمامات (معيد النعم ص١٧٤ — ١٧٥) .

(٧٦) خطط ج ٢ ص ٧٢ .

(٧٧) لعل المقصود بالعنبر نوع من الحرير أو خيوط من الحرير أو الغزل الفاخر ، فقد ذكر المقريزى بصدد حديثه عن سوق العنبريين أنه كان يتخذ من العنبر المخاد والكلل والسنور وغيرها ، . . والكلل جمع كلة وهو غشاء رقيق يخاط ليتوقى به البعوض (الناموسية) (خطط ج٢ ص١٠٢ — ١٠٣ ، أقرب الموارد) .

(٧٨) تنوعت الأسواق فى محتوياتها وأسمائها ، واختص كل سوق بنوع معين من السلعة فهذا سوق باب الفتوح به حوانيت اللحامين — وهم تجار اللحم — والخضريين ، وذلك سوق المهاميز قرب مارستان قلاوون لبيع آلات الخيل من مهاميز وسلاسل ومخاطم وغيره سوق اللجميين به آلات اللجم وغيرها مما يصنع من الجلد ، وهناك سوق الخلعيين لبيع الملابس القديمة وهكذا .

وفى معنى الأسواق القيساريات والفنادق والوكالات والخانات وهى عبارة عن ساحات ومؤسسات تؤدى بجانب مهمة البيع والشراء مهمة « النزل » ومحال الإقامة والمخازن للواردين من التجار وحفظ أموالهم ، وقد تبنى فوقها « رباع » تؤجر لسكنى العامة بصفة خاصة ، وأغلب هذه المؤسسات تابع للأمراء وأثرياء الدولة والسلاطين .

فمثلا قيسارية العنبر عمرها قلاوون سنة ٦٨٠هـ — ١٢٨١م ، بعد أن كانت قبله سجنا وجعلها سوقاً للعنبر ، وقيسارية العصفر أنشأها الأمير علم الدين سنجر المسرورى المعروف بالخياط أيام خليل بن قلاوون فى سنة ٦٩٢هـ — ١٢٩٢م ، وقيسارية بيبرس الجاشنكير يباع بها جهاز العرائس والدجاج ، ومن الفنادق فندق الأمير طرنطاى وينزله تجار الزيت الواردون من الشام ويعلوه ربع كبير ، وفندق الحصر للأمير تنكز يباع فيه بجانب الحصر الرطب والأمهات والزيتون الأخضر وفندق القصب ملك الأمير منجك اليوسفى وهكذا « أما الوكالات فمنها وكالة قوصون حيث ينزل تجار الشام عامة ، ومن الخانات الخان الخليلى نسبة إلى الأمير جهاركس الخليلى أمير اخور السلطان برقوق ».

والعادة أن يستغل الفندق أو القيسارية أو الخان لحساب صاحبه ، وقد يوقفه على أولاده كفندق الحصر الموقوف على أولاد تنكز وقيسارية العصفر الموقوفة على ورثة علم الدين سنجر ،

وتؤجر الفنادق أو الحوانيت التى بالقيساريات فكان إيجار فندق الملك السعيد بن بيبرس نحو ألنى درهم فى الشهر ، وقد يستغل منشؤها منصبه فيجبر التجار على استئجارها بالقدر الذى يحدد. كما فعل الجاشنكير حين أجبر التجار على تعمير قيساريته وجعل أجرة الحانوت تتراوح ما بين ٨ و ١٠ و ١٢٠ درهما بحسب موقع الحانوت ونوع السلعة التى تباع فيه ، فمثلا استأجر صناع الأخفاف الحوانيت الخارجية بسعر ٨ — ١٠ دراهم فى الشهر وتجار جهاز العرائس الحوانيت الداخلية بمبلغ ١٢٠ درهماً نقرة للحانوت ، وقد أوقف هذه القيسارية على خانقاه .

ومن وسائل العناية بهذه المحال ، ما درج عليه تجار الأسواق الكبرى ، كسوق القصبة ، وهو سوق العاصمةمن وضع أزيار أمام حوانيتهم لما عساه يقع من حرائق لإطفائها كما عليهم أن يعلقوا قناديل تضاء فى الليل (خطط ج٢ ص٦ — ٩٤ ، ٩٧ — ٩٨ ، ١٠٢ و ١٠٤ و ١٠٧ ، الانتصار ج٤ — ٤٤) .

(٧٩) معالم القربة الباب ٥٢ ، ٥٣ ، معيد النعم ص ٨٣ .

(٨٠) بدائع الزهور ج٣ ص٨١ .

(٨١) النجوم الزاهرة ج ٩ ص٩٢ .

(٨٢) النجوم الزاهرة ج ٩ ص٩٢ .

(٨٣) النجوم الزاهرة ج٩ ص ١١٩ — ١٢٠ و ١٢٤ و ١٢٧ ، السلوك ج٢ ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ و ٤٥٠ ، عيون التواريخ ص ٢٢ — ٢٣ ، بدائع الزهور ج١ ص١٩٠ .

(٨٤) السلوك ج ٢ ص ٤٨٨ .

(٨٥) عرفت هذه السخرة باسم « week work » وهناك سخرة فصلية أو خدمة موسمية Boon work كانت مفروضة على الفلاحين فى زمن الحصاد (كوبلاند وڤينو جرادوف ترجمة زيادة — ص١١١ — ١١٢) .

(٨٦) بدائع الزهور ج١ ص٣٣٠ ، أنباء الغمر ج١ ص٥٣٥ — ٥٣٦ .

(٨٧) بدائع الزهور ج ٢ ص٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٦٨ ، ٢٩٥ .

(٨٨) تاريخ جليل مجلد ٦ ورقة ٥٤٥ — ٥٤٦ .

(٨٩) بدائع الزهور ج ٣ ص ٨٨ .

(٩٠) بدائع الزهور ج١ ص٢٤٦ — ٢٤٧ .

(٩١) المصدر السابق ص ٢٧٨ .

(٩٢) المصدر السابق ص ٣١٩ — ٣٢٠ .

(٩٣) خطط ج ٢ ص ٩١ .

(٩٤) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٢٦ .

(٩٥) بدائع الزهور ص ٣٠٨ .

(٩٦) انظر الفتن المختلفة والثورات فيما يلى ، وانظر : Précis, T. II P. 248 ، وانظر مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ص٢٥٠ – ٢٧١ .

(٩٧) السلوك جـ١ ص٤٥٣ حاشية – ١ .

(٩٨) بطلت عاد إرخاء الشعر منذ ٧١٥هـ – ١٣١٥م ، حين توعك السلطان الناصر فاضطر لحلق شعره ، فتبعه الأمراء وظل الأمر على ذلك من بعده (السلوك جـ٢ ص١٤٨) .

(٩٩) يذكر المقريزى أن هذه الأقبية الضيقة الأكمام تشبه ملابس الفرنج فى عصره (خطط جـ٢ ص٩٨) .

(١٠٠) لهذه الحوائص سوق يعرف باسم « سوق الحوائصيين » ومفردها حياصة وهى المنطقة التى يشد بها الوسط (خطط جـ٢ ص٩٧ – ٩٩) .

(١٠١) صبح الأعشى جـ٤ ص٧٩– ٤١ .

(١٠٢) الأمير سيف الدين سلار من مماليك قلاوون ونائب للناصر محمد فى سلطنته الثانية، فاستبد بالأمور دونه ، لكن الناصر عفا عنه عند سلطنته الثالثة وتوفى ٧١٠هـ – ١٣١٠م .

(١٠٣) طول الطاقية العادية ذراع وأعلاها مسطح مدور ، أما الطاقية الجركسية فطولها ثلثا ذراع وأعلاها كما يصفها المقريزى مقبب مدور ولونها ما بين أحمر وأخضر وأزرق وأسفل عصابة الطاقية زيق من الفرو عرضه ثمن ذراع (خطط جـ٢ ص١٠٤) .

(١٠٤) آثار الأول (بهامش الخلفاء للسيوطى ص١٩٥) .

(١٠٥) خطط جـ٢ ص٩٩ (طبعة بولاق) ، جـ٢ ص٣٥٣ (طبعة النيل) ، مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٨٧ ، Mayers : Mamluke Costume O. p. 15-36.

(١٠٦) مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٩٥ .

(١٠٧) صبح الأعشى جـ٤ ص٤٢ – ٤٣ .

(١٠٨) أنباء الغمر جـ٢ ص٢٥ ، شذرات الذهب جـ٦ ص٢٢٦ ، مشارق الأنوار ص١٠٨ ، تاريخ الخلفاء ص٢٠٢ .

(١٠٩) خطط جـ١ ص٢٢٨ ، السيف المهند ورقة ٥٣ .

(١١٠) بدائع الزهور جـ٣ ص١٣٤ .

(١١١) من هذه الأوامر ، ما أصدره الناصر محمد سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م، ٧٢١هـ ١٣٢١م والجاشنكير سنة ٧٠١هـ – ١٣٠١م ، والسلطان صالح سنة ٧٥٤هـ – ١٣٥٣م) .

(١١٢) خطط جـ٢ ص٤٤٨– ٤٤٩ ، سلاطين المماليك ص ٨٤ – ٨٩ ، السلوك جـ ٢ ص٢٢٧ ، الدرر الكامنة جـ١ ص٥٠٣ – ٥٠٤ ، بدائع الزهور جـ١ ص٢٠١ جـ٢ ص١٧٧،

الجوهر الثمين ورقة ١٥٤ ، الخراج ص٧٢ – ٧٣ ، الدرر فى شرح الغرر جـ٢ ص٣٧٢، آثار الأول (بهامش الخلفاء للسيوطى) ص١٩٥ ، Mamluke Costume O. P. 65 - 69

(١١٣) عيون التواريخ ص٤٧ .

(١١٤) بدائع الزهور جـ ١ ص ١٩٣ .

(١١٥) أنباء الغمر جـ١ ص٣٢٣ .

(١١٦) بدائع الزهور جـ٢ ص١٣٢ .

(١١٧) الجوهر الثمين ورقة ١٥٤ ، بدائع الزهور جـ٢ ص ٢٠١ ، الخراج ص ٧٣ ،

(١١٨) الاجتهاد فى طلب الجهاد ص٦ – ٨ و١٢ – ١٣ ، التدبيرات السلطانية فى سياسة الصناعة الحربية ورقة ١٤ و٢٠ و٣٢ ، علم الفروسية وعلاج الدوابه ورقة ٢٦٥ و٢٦٨ و٢٧٥ ، الفروسية والمناصب الحربية مخطوط غير مرقم الصفحات، الفروسية الشرعية ص١٨ و١٠٨ الخ Evans p. p. 38 - 41

(١١٩) من الميادين المعروفة : الميدان الظاهرى بيبرس ، وميدان سير قاقوس الذى أنشأه الناصر محمد . وميدان القبق (زبدة كشف الممالك ص٨٦، خطط جـ٢ ص ٢٩٨ – ٢٩٩ ، مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٨٦) .

(١٢٠) بدائع الزهور جـ٢ ص٢٦٦ ، انظر صورة الرمح فيما يلى . .

(١٢١) يتولى حمل الصولجان للسلطان موظف يعرف باسم (الجوكاندار) وهى كلمة فارسية بمعنى حامل الصولجان (صبح الأعشى جـ٥ ص٤٥٨ ، زبدة كشف الممالك ص٧٨) .

(١٢٢) مما احتوت عليه هذه الوليمة : ٢٠ ألف رطل ضانى و٢٠٠ زوج أوز و١٠٠ طير دجاج و٢٠ فرسا للذبح و٣٠ قنطار من السكر ، ٢٠٠ علبة فاكهة و٢٠٠ مجمع حلوى و٣٠ قنطارا من الزبيب برسم الأقسمة و٦٠ إردب دقيق برسم البوزة (بدائع الزهور جـ١ ص٣٠٩ وجـ٢ ص١٧ – ١١٨ و١٤٥ و٣٤٧ ، أعيان العصر جـ٤ المخطوط غير مرقم) .

(١٢٣) كانت تقع جنوبى الفسطاط نسبة لطائفة من الرهبان الحبش(النجوم الزاهرة جـ٦ص ٣٨١ – ٣٨٢) .

(١٢٤) مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٨٩ – ٣٩٠ ، زبدة كشف الممالك ص٨٦ ، بدائع الزهورجـ٢ ص١٤٨ ، الألطاف الخفية ص٢٣ – ٢٤ ، نهاية الأرب جـ٨ ص٢٢٦ .

(١٢٥) خطط جـ٢ ص١١١ ، الفروسية والمناصب الحربية غير مرقم ، انظر صورة القبق والألفاظ الاصطلاحية .

(١٢٦) خطط جـ٢ ص ١١٢ – ١١٣ ، سلاطين المماليك ص٢٣ .

(١٢٧) هذا المبلغ هو ثروة الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام التى صادرها السلطان لخروجه عليه سنة٧٤٧هـ – ١٣٣٦م ، وأنفقها على الحمام (بدائع الزهور جـ١ ص١٨٨) .

(١٢٨) بدائع الزهور جـ١ ص١٨٨ .

(١٢٩) بدائع الزهور جـ٢ ص٣٣ .

(١٣٠) بدائع الزهور جـ٢ ص٣٤٥ – ٣٤٦ .

(١٣١) ابن دانيال الموصلى : طيف الخيال ص٨٠٥ ، بدائع الزهور جـ٢ ص ٣٤٧–٣٤٨ .

(١٣٢) المنهل الصافى جـ ١ ورقة ٣٠٤ – ٣٠٥ ، النجوم الزاهرة جـ١٠ ص٣١٧ .

(١٣٣) بدائع الزهور جـ١ ص٢١٢ .

(١٣٤) ذبح السلطان فرج نحو ألفين من هؤلاء المماليك وهم مماليك أبيه برقوق ، وسبب ذلك ، كثرة خروجهم عليه ، يقول المؤيد شيخ « ماصبر أحد من الملوك كصبر الملك الناصر فرج على مماليك أبيه فإنه كان يقتل الواحد منهم ، حتى يكون سامحه مراراً عديدة وهم يغدرون » (بدائع الزهور جـ١ ص٢ ، ٣) .

(١٣٥) من شعر المؤيد :

فتنتنا سوالف وخدود ... وعيون نواعس وخدود
أسرتنا الظباء وهن نعاس ... وخضعنا لها ونحن الأسود
وأنا الخاصكى شيخ المؤيد ... نظم شعرى جواهر وعقود .. الخ

(انظر بدائع الزهور جـ٢ ص٨ – ٩) .

(١٣٦) بدائع الزهور جـ٢ ص٦٢ ، ٧٦ – ١٢٤ .

(١٣٧) أنشأ كتاب الصداق محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر كاتب الإنشاء بمصر ، وقرئ بالحفل (درة الأسلاك ورقة ٥٠ ، تاريخ أبي الفداء جـ٤ ص١٠٩ ، النجوم الزاهرة جـ١٠ ص١١٩ ، بدائع الزهور جـ١ ص٤٦) .

(١٣٨) خطط جـ٢ ص١٠٥ .

(١٣٩) أنباء الغمر جـ ١ ص ١٨٨ .

(١٤٠) بعض آية ٥٨ من سورة النحل .

(١٤١) أبو الفضائل ص ٥٦٥ – ٥٦٦ ، خطط جـ٢ ص١١٢ – ١١٣ .

(١٤٢) أنباء الغمر جـ١ ص٥٢ .

(١٤٣) بدائع الزهور جـ٢ ص٢٦٣ – ٢٦٤ .

(١٤٤) تنسب هذه البركة لشخص يصنع الأرطال الحديد ، وعمرت بالمساكن حول البركة وتدخل المراكب إليها من الخليج فإذا نضب الماء زرعت بالبرسيم وكانت من أماكن اللهو والترويج عن النفس (خطط جـ٢ ص١٦٢) .

(١٤٥) بدائع الزهور جـ٢ ص ٢٠٨ .

(١٤٦) الألطاف الخفية ص ٦٢ وما بعدها ، بدائع الزهور جـ١ ص٣١٥ وجـ٢ ص١٣٣ .

(١٤٧) السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبي طالب توفيت سنة ٢٠٨هـ – ٨٢٣م ويعتبر مشهدها من المشاهد التى يتبرك الناس بزيارتها (خطط جـ٢ ص٤٠ ، بدائع الزهور جـ٢ ص ٢٢١) .

(١٤٨) تاريخ يشبك ورقة ١٠٥ و ١٠٦ ، بدائع الزهور جـ١ ص٣١٥ ، جـ٢ص ١٣٣ .

(١٤٩) زبدة كشف الممالك ص٢٦ – ٢٧ ، مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٨٦ .

(١٥٠) زبدة كشف الممالك ص٩٠ – ٩٢ ، بدائع الزهور جـ٢ ص٩٥ ، ٣٠ ، ١٤٢ ، ١٦٧ ، جـ٤ ص ٨٨ .

(١٥١) زبدة كشف الممالك ص٨٧ ، ٩٠ – ٩١ ، الإبداع فى مضار الابتداع ص٣٢٣ ، بدائع الزهور جـ٤ ص٦٠ ، ٧٢ ، ٣٩١ .

(١٥٢) زبدة كشف الممالك ص٨٧ ، بدائع الزهور جـ٢ ص١١٣ .

(١٥٣) روض المناظر – مخطوط غير مرقم – ، بدائع الزهور جـ١ ص٢٠٦ – ٢٠٧ .

(١٥٤) النطع والنطع (بالكسر والفتح والتحريك) بساط من الأديم والجمع أنطاع ونطوع (القاموس المحيط ، وتاج العروس) .

(١٥٥) بدائع الزهور جـ١ ص٢٦٣ .

(١٥٦) نهاية الأرب (مخطوط) جـ٢ ورقة ٢٨ ، ٣٢ خطط جـ٢ ص ٤٠٥ – ٠٨ صبح الأعشى مخطوط جـ٦ ورقة ٧٠ – ٧١ .

(١٥٧) انظر الخطط جـ٢ ص٢١٣ – ٢١٤ ، وراجع ما سبق .

(١٥٨) معيد النعم ص١٤٠ – ١٤١ .

(١٥٩) معيد النعم ص ١٤٣ .

(١٦٠) معيد النعم ص ١٤٤ .

(١٦١) خطط جـ٢ ص٣٨٦ .

(١٦٢) خطط جـ٢ ص٣٨٧ ، ٣٩٩ – ٤٠١ ، تاريخ أبى الفداء جـ٤ ص١٠٤ .

(١٦٣) أول من أقام مدرسة عامة فى مصر للمذاهب الأربعة الصالح نجم الدين أيوب ، فى عام ٦٤١هـ – ١٢٤٣م أنشأها بجوار الأزهر ، وعرفت باسم المدارس الصالحية (خطط جـ٢ ص٣٧٤ ، حسن المحاضرة جـ ٢ ص١٥٩ – ١٦٠) .

(١٦٤) خطط جـ٢ص٣٧٨–٣٧٩–٣٨٢ – ٣٨٤، الانتصار جـ٤ ص٤٢ ، ٩٦ – ٩٩ عيون التواريخ ص٣٦ ، حسن المحاضرة جـ ٢ ص١٦٢ .

(١٦٥) خطط جـ ٢ ص٤٠١ – ٤٠٣ .

(١٦٦) معيد النعم ص١٤٥ ، خطط جـ٢ ص٤٠١ – ٤٠٣ .

(١٦٧) معيد النعم ص ١٤٤ .

(١٦٨) معيد النعم ص ١٤٤ – ١٤٥ .

(١٦٩) الانتصار جـ٤ ص٩٦ – ٩٨ ، حجة وقف الأشرف برسباى مخطوطة غير مرقمة .

(١٧٠) معيد النعم ص١٤٦ .

(١٧١) لم يزل معظم المصاحف الخاصة بسلاطين وأمراء المماليك باقية إلى اليوم وهى من أحجام مختلفة وبخطوط رائعة والكثير منها مذهب (معرض دار الكتب المصرية) .

(١٧٢) معيد النعم ص١٤٦ – ١٤٧ .

(١٧٣) معيد النعم ص١٧٠ ، معالم القربة فى أحكام الحسبة ، الباب ٤٦ .

(١٧٤) خطط جـ٢ ص٤١٧ ، ٤٢٢ ، حسن المحاضرة جـ٢ ص١٦٠ – ١٦١ ، بدائع الزهور جـ ٢ ص٢٠٣ .

(١٧٥) خطط جـ٢ ص ٤١٥ ، ٤٢٢ ، انظر الألفاظ الاصطلاحية .

(١٧٦) خطط جـ٢ ص٤١٥ ، ٤٢٢ .

(١٧٧) معيد النعم ص١٤٩ .

(١٧٨) معيد النعم ص١٦١ – ١٦٢ و ١٦٤ – ١٦٥ بدائع الزهور جـ٢ ص٢٠٣ خطط جـ٢ ص٤١٤ و ٤١٦ – ٤١٧ السلوك مخطوط جـ ٣ ص٢٦٨ .

(١٧٩) معيد النعم ص ١٤٦ – ١٤٧ و ١٦٦ .

(١٨٠) خطط جـ ٢ ص ٤٣٠ .

(١٨١) خطط جـ٢ ص٤٢٧ – ٤٣٠ .

(١٨٢) بدائع الزهور جـ٢ ص ١٥٣ .

(١٨٣) معيد النعم ص ١٧١ – ١٧٢ .

(١٨٤) خطط جـ٢ ص٣٨٣ ، ٤١٧ ، الانتصار جـ٤ ص ٤٠ – ٤٤ ، ٩٢ – ٩٣ ، ١٠٢ – ١٠٤ ، أعيان العصر – مخطوط – غير مرقم .

(١٨٥) الانتصار جـ ٤ ص٤٢ و ٩٦ و ٩٨ عيون التواريخ ص٣٦ .

(١٨٦) حجة وقف الأشرف برسباى (غير مرقمة) .

(١٨٧) السيف المهند ورقة ٤٨ .

(١٨٨) خطط جـ ٢ ص٤٠١ – ٤٠٢ .

(١٨٩) حجة وقف برسباى .

(١٩٠) بدائع الزهور جـ ٢ ص١٠٢ – ١٠٣ .

(١٩١) بدائع الزهور جـ٣ ص١٢ – ١٣ ، ٥٩ ، ٩٣ ، جـ٤ ص٧٧ ، ٣٠٤ .

(١٩٢) بدائع الزهور جـ٢ ص١٢٤ .

(١٩٣) مسالك الأبصار جـ ٢ ورقة ٣٧٨ ، صبح الأعشى جـ٣ ص٤٤٧ – ٤٤٨ .

(١٩٤) – (١٩٥) حوادث الدهور جـ ١ ورقة ٩٥ و ١١٨ و ١٢٠ و ١٤١ و ١٥١–١٥٢ و ١٥٨ – ١٥٩ و ١٦٢ – ١٦٣ ، ١٧٤ ، ١٨٠ و ١٨٦ و جـ٢ ورقة ٢٠٤ – ٢٠٥ و ٢٢١ .

(١٩٦) إغاثة الأمة ص٧٤ – ٧٥ .

(١٩٧) حوادث الدهور جـ ١ ورقة ٩٥ و ١١٨ و ١٢٠ و ١٤١ و ١٥١ – ١٥٢ و ١٥٨ – ١٥٩ و ١٦٢ – ١٦٣ ، ١٧٤ ، ١٨٠ و ١٨٦ و جـ٢ ورقة ٢٠٤ – ٢٠٥ و ٢٢١

(١٩٨) الاستسقاء لغويا طلب السقيا ، واصطلاحا الصلاة عند الحاجة كانقطاع الغيث أو قلة الماء بحيث لا يكفى ، على أن يخرج جميع الناس بأطفالهم ونسائهم ومواشيهم خارج المساكن إشارة إلى أن الجدب أو البلاء قد أصاب الجميع ، وشروطه التوبة والصدقة وكثرة الاستغفار وقد أخبر القرآن الكريم عن استسقاء بعض الأنبياء ، ففى سورة البقرة يقول الله تعالى « وإذ استسقى موسى لقومه » ، « وجاءت الأخبار باستسقاء سليمان وعيسى وداود عليهم السلام والرسول (ص) وما جاء فى استسقاء الرسول (ص) » اللهم سقيا رحمة ولا سقيا عذاب ولا محق ولا بلاء ولا هدم ، اللهم على الظراب والآكام ، (الجبال الصغيرة والتلال) ومنابت الشجر وبطون الأودية ، اللهم حوالينا ولا علينا اللهم سقيا غيثا مغيثا هنيئاً مريئا ، اللهم أنبت لنا الزرع وأدر لنا الضرع .

(الإحياء للغزالى جـ ١ ص٢٧٧–٢٧٨ ، شرح الخطيب جـ١ ١٦٥ ، حاشية الشيخ الشرقاوى جـ١ ص٣١٦ ، ٣١٧) .

(١٩٩) الأصل التاريخى للاستعانة ببركات بنى العباس ، ما وقع فى عهد عمر بن الخطاب حين أصاب المدينة قحط ، فاستسقى عمر بالعباس عم النبى (ص) ، ودعا « اللهم إنا كنا إذا قحطنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا » وحينئذ توجه العباس للدعاء بقوله « اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب ، ولم يكشف إلا بتوبة ، وقد توجه بى القوم إليك المكانة من نبيك (ص) ، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة ، وأنت الراعى لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة ، فقد خرج الصغير ورق الكبير وارتفعت الأصوات بالشكوى وأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم فأغثهم بغياثك ، قبل أن يقنطوا ، فيهلكوا فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » . فما تم كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال (الأحياء جـ١ ص٢٧٨ ، شرح الخطيب جـ١ ص١٦٦) .

(٢٠٠) صارت الأسعار على هذا النحو : إردب القمح من ٤٠٠ – ١٢٠٠ – ١٥٠٠ درهم الشعير ٤٠٠ درهم والفول ٧٠٠ درهم ، البطة الدقيق ١٣٥ درهم ، والدقيق العلامة ٤٠٠

درهم ، واللحم الضانى فى عظمه ١١ درهم للرطل ، والمقلى ١٨ درهما ، والخضراوات لاوجود لها ، وحمل التبن من ٥٠٠ — ١٠٠٠ درهم ، وفدان البرسيم الأخضر من ٢٠ — ٣٠ أشرفيا وحملة الحطب ١٠٠ درهم (حوادث الدهور جـ١ ورقة ٩٥ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٣) .

(٢٠١) بدائع الزهور جـ٢ ص ٣١ .

(٢٠٢) لما انحط السعر هبط إردب القمح إلى ٨٠٠ درهم والشعير إلى ٥٠٠ درهم والفول إلى ٥٠٠ درهم وبطة الدقيق العلامة ٤٨ درهما (حوادث الدهور جـ ٢ ورقة ٢٠٤ — ٢٠٥ و٢٠٧—٢٢١) .

(٢٠٣) بدائع الزهور جـ٢ ص٧٤ .

(٢٠٤) هناك أمثلة كثيرة لهذه الحوادث وتكرر توزيع الفقراء وأعمال البر المتنوعة (إغاثة الأمة ص٣٥ ، ٤٠ ، أبو الفداء جـ٤ ص١٥٥ ، درة الاسلاك (مصور) جـ١ ورقة ٣٣ ، السلوك (مخطوط) جـ٣ ص٢٥٨ ، بدائع الزهور جـ١ ص٢٢٩) .

(٢٠٥) اشتهر بعض الأثرياء من ذوى القلوب الرحيمة بهذا العمل الخيرى ، كسعد الدين ابن غراب كاتب السر ،إذ أقام مغسلا عند داره بجوار جامع بشناك الناصرى ، وذلك بصدد طاعون سنة ٨٠٧هـ — ١٤٠٤م ، فغسل وكفن من أمواله عددا كبيراً من الغرباء ، وعرف هذا الحادث باسم فصل ابن غراب ، كما اشتهر الأمير يشبك الدوادار فى عهد قايتباى بصدد طاعون ٨٧٣هـ — ٨٧٤هـ (١٤٦٨م — ١٤٦٩م) الذى اقترن بهبوط النيل، فأقام مغسلا بقرب مدرسة السلطان حسن من ماله « فحصل للناس بذلك غاية الرفق » (بدائع الزهور جـ ١ ص٤٨ و جـ ٢ ص١٠٠ و ١٠٧ — ١٠٨) .

(٢٠٦) أنباء الغمر جـ١ ص٤٤ السلوك مخطوط جـ٣ ص٢٣٥ — ٢٣٨ — ٤٥

(٢٠٧) بدائع الزهور جـ٢ ص ٢١ .

(٢٠٨) أنباء الغمر جـ ٢ ص١٣٢ — ١٣٣ ، بدائع الزهور جـ٢ ص ٥ .

(٢٠٩) بدائع الزهور جـ ٢ ص١١٦ و ١١٨ .

(٢١٠) فتوح النصر جـ١ ورقة ١٠٦ ، بيبرس الدوادار مصور ورقة ٧٤ ، بدائع الزهور جـ٣ ص ٥٤ .

(٢١١) بدائع الزهور جـ ٢ ص٢٤٢ .

(٢١٢) بدائع الزهور جـ٢ ص ٢٣٩ .

(٢١٣) بدائع الزهور جـ٢ ص ٢٥٨ .

(٢١٤) النجوم الزاهرة جـ٨ ص٤٢ — ٤٣ عيون التواريخ ص٢٠ ٢ — سلاطين المماليك ص ٢٩ — ٣١ .

(٢١٥) النجوم الزاهرة ج١٠ ص٣٥ .

(٢١٦) برزت هذه الحقيقة طوال عصر المماليك فالسلطان بيبرس تسلطن بعد مقتل قطز ، وكتبغا خلع الناصر وتسلطن مكانه ، وهذا طرده لاجين بعد سنتين وتسلطن ، والأخير قتله الأمراء بعد فترة ، وهذا بلباى المؤيدى اغتصب السلطنة من أحمد بن إينال بعد أربعة شهور من سلطنته ، لكنه لم يدم فى السلطة أكثر من ٥٦ يوما حتى طرده تمربغا الظاهرى وهكذا .

(٢١٧) كان أكثر الأوصياء أومدبرى الدول « على حد تعبير المصطلح » ، هم الذين خلعوا السلاطين الأطفال وتولوا امكانهم أو والوا من يرونه غيرهم : فهذا قطز دبر الأمور لعلى بن أيبك لكنه خلعه بعد سنتين وثمانية شهور ، ثم إن قلاوون كان وصيا على سلامش بن بيبرس لكنه خلعه بعد ١٠٠ يوم وتسلطن مكانه ، وكذلك فعل ططر حين خلع أحمد بن المؤيد شيخ بعد ٨ شهور ، وبرسباى يوم خلع أحمد بن ططر بعد أربعة شهور وهكذا .

(٢١٨) ممن خلعوا من الوارثين وعادوا : الناصر محمد ، خلع مرتين وعاد إلى العرش حتى توفى ، وخلع الناصر حسن مرة وعاد ثم قتل ، وخلع فرج بن برقوق مرة وعاد حتى قتل وهكذا ..

(٢١٩) راجع الفصل السابق .

(٢٢٠) ملحمة رولاند : Song of roland التى وقعت حوادثها التاريخية فى عهد شارلمان من أروع ماسجله تاريخ العصور الوسطى للدلالة على صدق الولاء والتبعية غير أنها ليست دقيقة من الناحية التاريخية Steph. pp. 273-78, Evans. pp, 38-50 المسلمون فى فرنسا وايطاليا (بحث للمؤلف نشر بمجلة كلية الآداب — جامعة القاهرة سنة ١٩٦٦) .

(٢٢١) بدائع الزهور ج١ ص ٢١٧ .

(٢٢٢) يشمل هذا العدد الخليفة المستعين ، وأسقط منه الملك الأوحد بيد / ١ الذى تسلطن لمدة يوم واحد بعد مقتل خليل بن قلاوون ٦٩٣هـ ، وكذلك أسقط خيربك الذى تسلطن لمدة ليلة واحدة فى جنح الظلام وتلقب بالملك الظاهر ، على أثر القبض على تمربغا وقبيل وصول قايتباى فى رجب ٨٧٢هـ .

(٢٢٣) كان من بين من ماتوا : الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاوون ، وترجع وفاته فى سنة ٧٤٦هـ — ١٣٤٥م ، إلى شدة الفزع حين رأى رأس أخيه شهاب الدين أحمد الذى خلعه الأمراء بعد ٣ شهور و١٣ يوما ثم قتلوه ، ومنهم من سبق له الخلع كالناصر محمد وبرقوق .

(٢٢٤) من هذا الفريق من خلع نفسه لمرضه مثل جقمق وإينال ، ومنهم من خلع وسجن ، مثل عبد العزيز بن برقوق والخليفة المستعين ، ومن خلع وعاد ثم قتل ، مثل السلطان حسن .

(٢٢٥) من هـذا الفريق من خلع قبل القتل مثل فرج بن برقوق ومن قتل فى الحرب كالغورى وطومان باى .

(٢٢٦) ضم فى هذا الفريق الإخوة الذين ولوا العرش واحدا بعد آخر ، بعد خلع أو قتل إخوتهم السابقين ، فهذه وإن لم تكن وراثة صريحة بعهد ، إلا أنها على أيه حال تضمنت معنى الوراثة ، لكونهم أبناء سلطان سالف .

(٢٢٧) ضم الخليفة لمن تولوا العرش اغتصابا وإن أرغم على ذلك (انظر الجداول الملحقة)

(٢٢٨) أبو الفداء ج٤ ص٣٠ .

(٢٢٩) النجوم الزاهرة جـ٢ ص٢٧٥ .

(٢٣٠) الدرر الكامنة جـ١ ص٤٩٩ .

(٢٣١) السلوك مخطوط جـ٣ ص١٤٦ .

(٢٣٢) أنباء الغمر جـ١ ص٤٣٧ ، بدائع الزهور جـ١ ص٣٠٩ .

(٢٣٣) بدائع الزهور جـ٢ ص ١٧٦ - ١٧٧ ، ٢٣٨ ، ٢٦٦ .

(٢٣٤) أخبار الدول فى آثار الأول ص ٣٣٩-٣٤٠ بدائع الزهور جـ ٢ ص ١٣٦-١٣٩.

(٢٣٥) بدائع الزهور جـ٢ ص ١٣٧ .

(٢٣٦) بدائع الزهور جـ٢ ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٢٣٧) تاريخ يشبك ورقة ١٣٧ .

(٢٣٨) انظر الفصل التاسع .

(٢٣٩) من أمثلة ثورات العربان خلال عصر المماليك :

عربان الصعيد : ٧٠١هـ (١٣٠١م) و ٧١٣هـ (١٣١٣م) و ٧٥٤هـ — (١٣٥٣م) و ٨٨٢هـ (١٤٧٧م) .

عربان البحيرة : ٧٨٢هـ (١٣٨٠م) و ٧٨٣هـ (١٣٨١م) و ٨٧٥هـ — (١٤٧٠م) و ٩٨١هـ (١٤٨٦ م)

عربان الشرقية والغربية : ٨٠٦هـ (١٤٠٣م) .

عربان الشام : ٧٦٧هـ (١٣٦٥م) و ٨٨٠هـ (١٤٧٥م) .

(بدائع الزهور جـ١ ٢٥٤ و ٢٥٦ و ٣٤٠ - ٣٤١ و ٣٤٨ ، جـ٢ ص ٩٥ و ١٢٢ و ١٦٣ و ١٨٠ و ٢١٦ و ٢٣٨ ، النجوم الزاهرة جـ ٩ ص ٣٦ و ٦٠ و ٦١ ، سلاطين المماليك ص ١٠٧ السلوك مخطوط جـ٢٣ ص ١٣) .

(٢٤٠) الأعراب ورقة ٩٣ .

(٢٤١) بدائع الزهور جـ٢ ص ٤٧ .

(٢٤٢) بدائع الزهور جـ٢ ص١١٢ - ١١٦ .

(٢٤٣) المصدر السابق ص٣٥٧ - ٣٥٨ .

(٢٤٤) بدائع الزهور جـ٣ ص٤٣ .

(٢٤٥) امتد حقد العرب على من بقى من المماليك حتى نهاية العصر العثمانى ودخل نابليون مصر يوم أودع إبراهيم بك المملوكى أمواله وحريمه وأمن عليها بعض العربان جهة الصالحية ، وكمن للعدو بحملة ، لكنهم أفشوا سره للفرنسيين ، فجاءته حملة كاد إبراهيم بك ينتصر لولا أنه سمع بنهب العرب أمتعتهم وذخائرهم ، فترك القتال ومال عليهم مما شتت جهوده ، ومكن للفرنسيين (بدائع الزهور الجبرتى جـ٣ ص١٤ - ١٥) .

(٢٤٦) كان إسم « الوالى » يطلق فى أول الأمر على نائب السلطان ، لكنه صار يطلق على من إليه « أمر أهل الجرائم من اللصوص والحمارين وغيرهم ، وربما عرف باسم والى الحرب »

ومن واجبه كما يقول السبكى : « الفحص عن المنكرات من الخمر والحشيش وليس له أن يتجسس على الناس ويبحث عما هم فيه ولا كبس بيوتهم بمجرد القال والقيل ،بل عليه أن يبعث سراً رجلا، مأمونا ، ينهى عن المنكر بقدر ما نهى الله ، وينتقد السبكى سياسة الولاة فى عصره : « وما يفعله الولاة من إخراج العوام من بيوتهم وإرعابهم وإزعاجهم وهتيكتهم ، كل ذلك من تعدى حدود الله أو ظلم وينصح الوالى إذ أوقع عقوبة بمذنب كالجلد مثلا ، أن يكون السوط معتدلا بين القضيب والعصار ، وألا يكون السوط رطباً ولا يابساً ، على أن يفرق السياط على الأعضاء ويتقى الوجه ، ويرى ابن تيمية أن الجلد الذى جاءت به الشريعة هو الجلد المعتدل – بالسوط الوسط ، فإن خيار الأمور أوساطها ، قال على رضى الله عنه « ضرب بين ضربين وسوط بين سوطين ولا يكون الجلد بالعصا ولا بالمقارع » ، كما عليه ألا يقيم حد الخمر فى السكر بل يؤخره حتى يفيق ، ومن الولاة من يأمر بالجلد ويشرع فى الصلاة ويطيل فيها فيظل المضروب تحت العصار مادام الوالى فى الصلاة ، ومنهم من يهجم بخيله ورجله على من يأتون منكراً ويهتكستّرهم ويفرض عليهم غرامات يسميها الولاة « التأديب والجنايات » ، وكل هذا مالا يحمد من الولاة . (معيد النعم ص٥٤ – ٥٧ ، ابن تيمية : السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية ص٥٦ ، انظر وصية الوالى بالملاحق) .

(٢٤٧) بدائع الزهور جـ١ ص٣٢٤ .

(٢٤٨) بدائع الزهور جـ٢ ص ٢٣٦ .

(٢٤٩) العطعطة : تتابع الأصوات واختلافها فى الحرب أو حكاية صوت المجان إذا قالوا عيط عيط ، ولعل المقصود بها العبث والاستهتار بأمن الناس وأموالهم (القاموس المحيط) .

(٢٥٠) بدائع الزهور جـ٢ ص٣٣٦ .

(٢٥١) خطط جـ٢ ص١١٦ .

(٢٥٢) زاد خاير بك فيما بعد على عقوبة قطع اليد والرجل ، بأن كان يأمر بتعليق يد السارق المقطوعة فى عنقه ويشهره فى القاهرة ، وقد طبق هذه العقوبة فى أحد من العوام ضبط يسرق من جيب أحد العثمانيين (بدائع الزهور جـ٢ ص٣٤٢ ، جـ ٣ ص١٧٧) .

(٢٥٣) بدائع الزهور جـ٢ ص٣٥٣ .

(٢٥٤) بدائع الزهور جـ٢ ص١٣٤ .

(٢٥٥) بدائع الزهور جـ٢ ص١٤٢ .

(٢٥٦) بدائع الزهور جـ١ ص١٠٤ – ١٠٥ ، فتوح النصر جـ١ ورقة ١٠٩ .

(٢٥٧) فتوح النصر جـ١ ورقة ١٠٨ .

(٢٥٨) بدائع الزهور جـ٢ ص١٥٠ .

(٢٥٩) بدائع الزهور جـ٢ ص٢٦٠ .

(٢٦٠) بدائع الزهور جـ٣ ص٥٩ .

(٢٦١) بدائع الزهور جـ٢ ص٢٢٥ .

(٢٦٢) بدائع الزهور جـ٣ ص٥٩ .

(٢٦٣) يرجع هذا التعديل إلى غضب بعض الأمراء على كبير القضاة يومئذ الشيخ عبدالرحمن بن عبد الوهاب بن بنت الأعز (المتوفى سنة ٦٦٥هـ-١٢٦٦م ، سبب عدم وافقته فى حكم يريده ، فحسن للسلطان هذا التعديل بحجة أن فى هذا مصلحته وتوسعة للجماهير (النجوم الزاهرة جـ٧ ص١٢٢ - ١٢٣ ، فتوح النصر جـ١ ورقة ١٠٨ ، الأعلام) .

(٢٦٤) دول الإسلام ص٢٨ ، زبدة كشف الممالك ص٩٠ - ٩١ ، معيدالنعم ص١ ، درة الإسلام جـ٢ ورقة ٢٥ ، النجوم الزاهرة جـ٧ ص٢٢ ١٢٣ ، فتوح النصر جـ١ ورقة ١٠٨ ، ورقة ١٠٨ ، نهاية الأرب (مخطوط) جـ٢٨ ورقة ٣٤ .

(٢٦٥) بدائع الزهور جـ٢ ص ٣٠٧ .

(٢٦٦) زبدة كشف الممالك ٩٠ - ٩١ و ١٠٠ ، التعريف ص١١٦ - ١١٨ ، معيد النعم ص ٧٠ - ٧١ .

(٢٦٧) أنقص هذا العدد فى سنة ٩٢٧هـ (١٥٢٠م) زمن العثمانيين فى نيابة خاير بك فى مصر ، إذ اتفق قضاة القضاة بأن يقتصر الواحد منهم على سبعة نواب بعدد أيام الأسبوع نظراً لفساد نوابهم وأن يكون لكل نائب من السبعة شاهدان (بدائع الزهور جـ٣ ص٢٧٢ ، زبدة كشف الممالك ص٩٠ - ٩١ .

(٢٦٨) مدحهم البعض بقوله : هم أناس نصبوا أنفسهم لخلاص حقوق الخلق . وذمهم البعض بقوله : هم أناس فضل عليهم الفضول فباعوه لغيرهم (معيد النعم ص٨٠) .

(٢٦٩) معيد النعم ص ٧٨ .

(٢٧٠) معيد النعم ص ٧٩ .

(٢٧١) المصدر السابق .

(٢٧٢) المصدر السابق.

(٢٧٣) ذمهم البعض بقوله :

قوم إذا غضبوا كانت رماحهم ... بث الشهادة بين الناس بالزور

هم السلاطين إلا أن حكمهم ... على السجلات والأملاك والدور

(معيد النعم ص ٨٠ - ٨١)

(٢٧٤) توفى هذا القاضى سنة ٨٠١هـ (١٣٩٨م) .

(٢٧٥) التيسير والاعتبار ورقة ١٧ .

(٢٧٦) معالم القربة الباب ٥٢ و ٥٣ (غير مرقم) .

(٢٧٧) صبح الأعشى جـ٢ ص٢٠٤ .

(٢٧٨) مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٩٤ .

(٢٧٩) خطط جـ٢ ص٧٧٤ ، ٣٣٤ .

(٢٨٠) خطط جـ٢ ص٢٠٥ – ٢٠٨ .

(٢٨١) خطط جـ٢ ص ٢٠٥ – ٢٠٨ .

(٢٨٢) خطط جـ٢ ص٢٠٥ – ٢٠٨ ، السلوك جـ١ ص٨٣٠ .

(٢٨٣) أنباء الغمر جـ٢ ص ١٠٤ .

(٢٨٤) السلوك مخطوط جـ٢ ورقة ٣٢١ .

(٢٨٥) بدائع الزهور جـ٢ ص١٢٩ و ١٣١ و ١٥٤ .

(٢٨٦) مسالك الأبصار جـ٢ ورقة ٣٨٧ ص١٢٩ و ١٣١ و ١٥٤ .

(٢٨٧) زبدة كشف الممالك ص٨٦ .

(٢٨٨) الدر المنتخب ص ٢٥٩ – ٢٦٠ .

(٢٨٩) صبح الأعشى جـ٦ ص ٢٠٨ .

(٢٩٠) السلوك مخطوط جـ٣ ص٢٦٨ .

(٢٩١) بدائع الزهور جـ٢ ص١٢٩ .

(٢٩٢) بدائع الزهور جـ٢ ص١٢٩ .

(٢٩٣) بدائع الزهور جـ٢ ص٢٦٥ .

(٢٩٤) التيسير والاعتبار ورقة ١٧ .

(٢٩٥) بدائع الزهور جـ١ ص٢٤٢ – ٢٤٣ و ٢٤٥ .

(٢٩٦) بدائع الزهور جـ١ ص٣٤٤ .

(٢٩٧) أنباء الغمر جـ١ ص٦٣٧ .

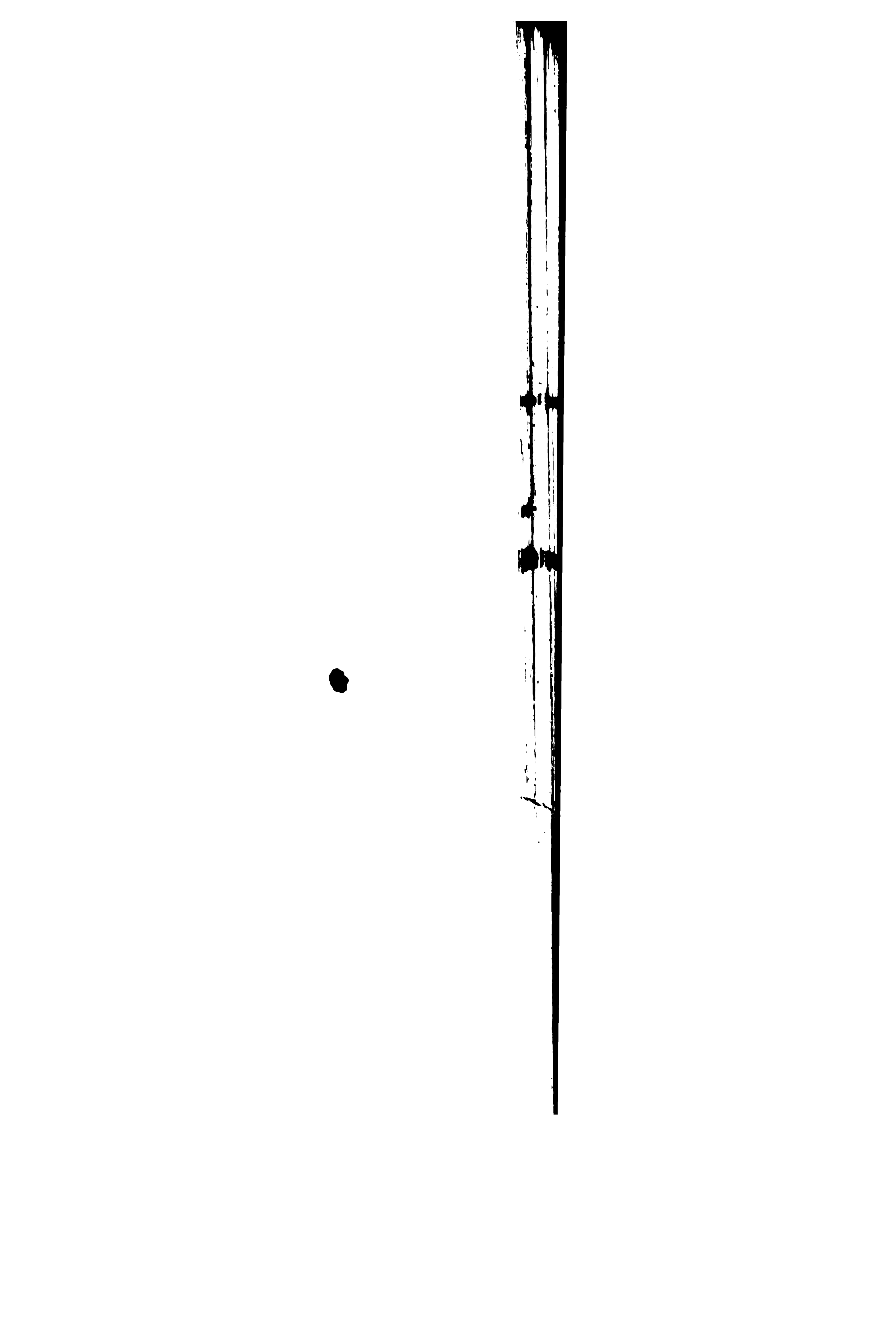
(٢٩٨) بدائع الزهور جـ٢ ص٣٠٥ أنظر النقود فى الدولة العثمانية .



الملاحق

القسم الأول

بعض ما كان يكتب فى أوراق التوزيع الإقطاعى



— ١ —

« منشور نور الدين محمود (الملك العـــادل) لكرامة بن بحتر »

٥٥٦هـ – ١١٦٠م[١] وإمرة ٤٠ فارساً – « الحمد لله » (وهذه علامته)

لما لاذ بالخدمة وتقرب إليها وقصد الدولة العادلة والتمس الخدمة بين يديها ، تقبل سعيه وأجيب إلى ملتمسه ، ورسم له بإنشاء هذا المنشور ، مودعاً ذكر ما تأثل له عن الإرعاء والاحترام والإعزاز والإكرام . . والعـــدة أربعون فارساً وما أمكنه وقت المهمات الشريفة . .

وجهاته : غالب قرى العزب ، ومن غير العزب : القنيطرة[٢] من البقاع ، ظهر حمار من وادى التيم ، ثعلبايا[٣] من البقاع أيضاً ، برجة من صيداء ، المعاصير[٤] ، ومنها : المعاصر الفوقاء ، الدامور ، شارون[٥] ، مجد لبغا وكفر عمية[٦] . التاريخ سابع شهر رجب سنة ٥٥٦ هـ[٧] .

— ٢ —

« منشور صلاح الدين لجمال الدين بن حجى بن كرامة بن بحتر »

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« الحمد لله على نعمائه »

(ومن مضمونه بعد الترجمة) :

« بإجراء الأمير جمال الدين حجى بن كرامة على ما بيده من جبل بيروت ، من أعمال الدامور ، لما وصل إلى الخدمة السلطانية وتحققنا ما جرى عليه من جانب الكفار ، خذلهم الله ، وهو ملكه ورثه عن أبيه وجده ، وهى : سر حمور وعين كسور ورمطون والدوير وطردلا وعين درافيل وكفر عمية وذلك حبساً منا عليه واحتساباً إليه بمناصحته ، وخدمته ونهضته فى العدو المثاغر له » .

« وكتب بأرض بيروت فى العشر الأخر من جمادى الأولى سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م)[٨] » .

*

— ٣ —

نسخة توقيع بإقطاع العادل أبى بكر كتبها له صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) :

الحمد لله الذى جعل أيامنا حسانا ، وأعلى لنا يداً ولسانا ، وأطاب محتدنا أوراقاً ، وأغصانا ، ورفع لمجدنا لواء ولجدنا برهانا ، وحقق فينا قوله : « سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا » .

نحمده على سبوغ نعمته ونسأله أن يجعلنا من الداخلين فى رحمته ، ونصلى على رسوله محمد الذى أيده بحكمته وعصمه من الناس بعصمته، وأخرج به كل قلب من ظلمته وعلى آ له وأصحابه الذين خلفوه فأحسنوا الخلافة فى أمته .

أما بعد ، فإن فروع الشجرة يأوى بعضها إلى بعض لمكان قربه ، ويؤثر بعضها بعضاً من فضل شربه ، ونحن أهل بيت عرف منا وفاق القلوب وداً ، وإيثار الأيدى رفدا ،وذلك وإن كان من الحسنات التى يكثر فيها إثبات الأقلام ، فإنه من مصالح الملك التى دلت عليها تجارب الأيام ، وكلا هذين الأمرين مشكورة مذاهبه ، محمودة عواقبه ، مرفوعة على رءوس الأشهاد مناقبه ، وما من أحد من أدانينا إلا وقد وسمناه بعوارف يختال فى ملابسها ويسر فى كل حين بزفاف عرائسها ، ولم نرض فى بل أرحامهم بمواصلة سلامها دون مواصلة برها وإدناء مجالها ، ولإخوتنا من ذلك أوفر الأقسام ، كما أن لهم منا رحماً هو أقرب الأرحام ، وقد أمرنا بتجديد العارفة لأخينا العادل الأجل السيد الكبير ، سيف الدين ناصر الإسلام « أبى بكر » أبقاه الله ، لو لم نفعل ذلك قضاء لحق إخائه الذى ترف عليه حوانى الأضالع ففعلناه جزاء لذائع خدمه التى هى نعم الذرائع فهو فى لزوم آداب الخدمة بعيد وقف منها على قدم الاجتهاد ، وفى لحمة شوابك النسب قريب وصل حرمة الوداد ، وعنده من الغناء ما يحكم لآماله ببسطة الخيار ، ويرفع مكانته عن مكانة الأشباه والأنظار ، ويجعله شريكاً فى الملك ، والشريك مساو فى النقض والإمرار ، فكم من موقف وقفه فى خدمتنا ، فجعل وعره سهلا ، وفاز فيه برضائنا وبفضيلة التقدم فانقلب بالمحبذين : إرضاء وفضلا ، ويكفى من ذلك ما أبلاه فى لقاء العدو الكافر الذى استشرى فى هياجه ، وتمادى فى لجاجه ، ونزل على ساحل البحر ، فأطل عليه بمثل أمواجه ، وقال : لا براح دون استفتاح، الأمر الذى عسرت معالجة رتاجه ، وتلك وقائع استضأنا فيها برأيه الذى ينوب مناب الكمين فى مضمره وسيفه الذى ينسب من الاسم إلى أبيضه ، ومن اللون إلى أخضره ، ولقد استغنينا عنهما بنصرة لقبه الذى تولت يد الله

طبع فضله وعنيت يد السيادة برونق صقله ، فهو يغرى قلوب الأعداء قبل الأجساد ويسرى إليهم من غير حامل لمناط النجاد ، ويستقصى فى استلابهم حتى ينتزع من عيونهم لذة الرقاد ، وليس للحديد جوهر معدنه المستخرج من زكاء الحسب ، وإذا استنجد قيل له : يا ذا المعالى ، كما يقال لسميه : يا ذا الشطب ، ولو أخذنا فى شرح مناقبه لظل القلم واقفاً على أعواد منبره وامتد شأو القول فيه فلم ينته مورده إلى مصدره ، فمهما خولناه من العطايا فإنه يسير فى جنب غنائه ، ومهما أثنينا عليه فإنه سطر فى كتاب ثنائه .

وقد جعلنا له من البلاد ما هو مقسم من الديار المصرية والشامية وبلاد الجزيرة وديار بكر ليكون له من كل منها حظ تفيض يده فى أمواله ، ويركب فى حشد من رجاله ، ويصبح وهو فى كل جانب من جوانب ملكنا كالطليعة فى تقدم مكانها وكالربيئة فى إسهار أجفانها .

فليتسلم ذلك بيد معظم قعدا ، ولا يستكثر كثراً ، ويحمل منها رفدها غيثاً أو بحراً ، وكذلك فليعدل فى الرعية الذين هم عنده ودائع وليجاوز بهم درجة العدل إلى إحسان الصنائع ، فإذا أسند هذا الأمر إلى ولاته ، فليكونوا تقاه لا يجد الهوى عليهم سبيلا ولا يحمد الشيطان عندهم مقيلا ، وإذا حملوا ثقلا لا يجدون حمله ثقيلا .

وقد فشا فى هذا الزمن الرشوة ، وهى سحت أمر رسول الله (ص) بنبذه ونهى عن أخذه وعن الرغبة فى تداوله ، وهو كأخذ الربا قرنت اللعنة بمؤكله وآكله .

وأما القضاة الذين هم للشريعة أوتاد ، ولإمضاء أحكامها أجناد ، ولحفظ علومها كنوز لا يتطرق إليها النفاد ، فينبغى أن يعول فيهم على الواحد دون الاثنين ، وأن يستعان منهم فى الفضل بذى الأيدى وفى اليقظة بذى اليدين ، ومن رام المنصب سائلا فليلمه ، وليغلظ القول فى تجريع ملامه ، وليعرف أنه ممن رام أمراً فأخطأ الطريق فى استجلاب مرامه ، وأمر الحكام لا يتولاه من سأله ، وإنما يتولاه من غفل عنه وأغفله .

وإذا قضينا حق الله فى هذه الوصايا ، فلنعطفها على ما يكون لها تابعاً ولقواعد الملك رافعاً ، وذلك أن البلاد التى أضفناها إليك : فيها مدن ذات أعمال واسعة ومعاقل ذات حصانة مانعة ، وكلها يفتقر إلى استخدام الفكر فى تدبيره ، وتصريف الزمان فى تعميره ، فول وجهك إليها غير وان فى تكثير قليلها وترويض محيلها ، وبث الأمنة على أوساطها ، وإهداء الغبطة إلى أفئدة أهلها حتى تسمع باغتباطها وعند ذلك يتحدث كل منهم بلسان الشكور ، ويتمثل بقوله تعالى : « بلدة طيبة ورب غفور » .

واعلم أنه يجاورك فى بعضها جيران ذوو بلاء وعساكر وأسرة ومنابر وأوائل للمجد وأواخر ، وما منهم إلا من يتمسك منا بود سليم وعهد قديم ، وله مساعدة نعرف له حقها ، (والحق يعرفه الكريم) .

فكن لهؤلاء جاراً يودون جواره ويحمدون آثاره ، وإن سألوك عهداً فابذله لهم بذل وفى واقف على السنن ، مساو بين السر والعلن ، ولا يكن وفاؤك لخوف تتقى مراصده ، ولا لرجاء ترقب فوائده ، فالله قد أغناك أن تكون إلى المعاهدة لاجياً ، وجعلك بنا مخوفاً ومرجواً لا خائفاً ولا راجيا ، وقد زدناك فضلة فى محلك تكون بها على غيرك مفضلا ، وقد كنت من قبلها أغر فأوفت بك أغر محجلا وذاك أنا جعلناك على آية الخيل تقودها إلى خوض الغمار ، وتصرفها فى منازل الأسفار ، وترتب قلوبها وأجنحتها على اختلاف مراتب الأطوار ، فنحن لا نلقى عدواً ولا نهد إلى بلد إلا وأنت كوكبنا الذى نهتدى بمطلعه ومفتاحنا الذى نستفتح المغلق بيمن موقعه ، ونوقن بالنصر فى ذهابه وبالغنيمة فى مرجعه والله يشرح لك صدراً وييسر لك منا أمراً ، ويشد أزرنا بك كما شد لموسى بأخيه أزراً ، والسلام . . »(٩) .

*

نسخة توقيع بإقطاع كتب بها لأمير طرأ على الدولة الأيوبية ودخل فى خدمتها

أما بعد ، فإن لكل وسيلة جزاء على نسبة مكانها ، وهى تتفاوت فى أوقات وجوبها ومثاقيل ميزانها ، ومن أوجبها حقاً وسيلة الهجرة ، التى طوى لها الأمل من شقته ما طوى ، وبعث بها على صدق النية (ولكل امرىء ما نوى) ، فالأوطان إليها مودعة ، والخطوات موسعة ، والوجوه من برد الليل وحر النهار ملفعة ، وقد توخاها قوم فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحظوا فى الدنيا باعتلاء المنار وفى الآخرة بعقبى الدار ، وقدموا على من آوى ونصر فقال تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار » ، ثم صارت هذه سنة فيمن هاجر من أقوام إلى أقوام ، واستبدل بأنام عن أنام ، وكذلك فعلت أيها الأمير (فلان) ، وفقك الله ، وقد تلقيت هجرتك هذه بالكرامة ، وزخرفت لها دار الإقامة فما ابتغيت بها بغية إلا سهلت لك فجاجها أو عاج معاجها وحمد إليك تأويبها وإدلاجها ، وأصبحت وقد وجدت خفضاً غب السرى ، وخيطت منك الجفون على أمن الكرى ، وتبوأت كنف الدولة التى هى أم الدول إذ صرت إلى القرية التى هى أم القرى ، ونحن قد أدنيناك منا إدناء الخليط والعشير ، ورفعناك إلى محل الاختصاص الذى هو المحل الأثير ، وآخينا بينك وبين عطايانا ، كما ووخى بين الصحابة النبوية يوم الغدير .

هذا ولك وسيلة أخرى تعد من حسان المناقب ، وتوصف بالصفات الأطايب وما يقال إلا أنها من الأطواد الرواسى ، وأنها تبرز فى اللباس الأحمر وغيرها لا يبرز فى ذلك اللباس، وهى التى تجعلك بوحدتها فى كثرة وتتأمر بها من غير إمرة ، وطالما أطالت يدك بمناط البيض الحداد ، وفرجت لك ضيق الكر وقد غص بهوادى الجياد ، وحسنتك العيون وقد رميت منك بشرق

القذا ونبوة الشهاد ، ومن شرف الإقدام أن العدو يحب العدو من أجله ويضطره إلى أن يقر بفضله ، ومذ وصلت إلينا وصلناك بأمرائنا الذين سلفت أيامهم وثبتت فى مقامات الغناء أقدامهم ، أوتوسمنا بك الرجل الذى يزكو لديك الصنيع وأنك ستشفعه بحقوق خدمتك التى هى نعم الشفيع .

وقد عجلنا لك من الإقطاع مالا نرضى أن تكون عليه شاكراً ، وجعلناه لك أولا وإن كان لغيرك آخراً ، وهو مثبت فى هذا التوقيع بقلم الديوان الذى أقيم لغرض الجند كتاباً ، ولمعرفة أرزاقهم حساباً ، وهو كذا وكذا .

فتناول هذا التخويل الذى خولته باليمين ، واستمسك به استمساك الضنين ، واعلم أنه قد كثرت الحواسد لما مددناه من صنعك وبسطناه من ذرعك فاشج حلوقهم بالسعى لاستحقاق المزيد ، وارق فى درجات الصعود والزمام صفحة الصعيد .

والذى نأمرك به أن تعد نفسك للخدمة التى جعلت لها قرناً وأنت بها وأن تنتهى فيها إلى الأمد الأقصى دون الأدنى ، فلا تضم جناحك إلا على قوادم من الرجال لا على خواف وإذا استنفرت فانفر بثقال من الخيل وخفاف وكن مذخوراً لواحدة يقال فيها : يا عزائم اغضبى ويا خيل النصر اركبى ، وتلك هى التى تتظلم بها الجماجم من الضراب ، وتلاقى فيها عصب الغربان والذباب ، ولا تحتاج مع هذه إلى منقبة تتجمل بتفويقها ، وتتكثر بتعريفها ، وتنتمى إلى تليدها باستحداث طريفها .

والله تعالى يشد بك أزراً ، ويملأ بك عيناً وصدراً ، ويجعل الفلج مقروناً برأيك ورايتك حتى يقال : « ومكروا مكراً » وجردنا بيضاً وسمراً ، والسلام إن شاء الله تعالى . . . »(١٠) .

*

نسخة توقيع بإقطاع فى العهد الأيوبى لأحد الأمراء الصغار
وهى أقل مرتبة من النوعين السابقين

القلم والرمح قلمان كلاهما أسمر ، وكما تشابها فى المنظر فكذلك تشابها

فى المخبر ، غير أن هذا يركب فى عسكر من القول ، وهذا يحمل فى عسكر ، وقد نطق أحدهما بالثناء على أخيه فأحسن فى نطقه ، وأقر له بالفضيلة ومن الإنصاف أن يقر لذى الحق بحقه غير أن هذه الفضيلة تعزى إلى من يقيم أود الساعى بتقويم أوده ولا يرى لها سبيلا قصداً إلا بالوطء على قصده ، وهو أنت أيها الأمير فلان أيدك الله .

وقد اخترناك لخدمتنا على بصيرة وأجريناك من اعتنائنا على أكرم وتيرة ، ورفعنا درجتك فوق درجة المعلى لمن سبقك وإنها لكبيرة .

ولم يكن هذا الاختيار إلا بعد اختبار لا يحتاج معه إلى شهادة ، ولو كشف الغطاء لم يجد اليقين من زيادة فطالما عجمت نبعتك ، وتيمنت طلعتك ولم تعرض سلعة الغناء إلا نفقت سلعتك ، ومثلك من تباهى الرجال بمكانه ، وتخلى له فضله عنانه ويتسع ميدان القول فى وصفه إذا ضاق بغيره سعة ميدانه ، وما يقال إلا أنك الرجل الذى تقذف الجانب المهم بعزمك ، وترمى برأيك قبل رماء سهمك ، وبك يحسر دجى الحرب الذى أعوزه الصباح ، ويحمى عقابها أن يحصى له جناح ، فأسباب الاعتضاد بك إذن كثيرة الأعداد ، وأنت الواحد المشار إليه ، ولا تكثر إلا مناقب الآحاد .

وقد بدأناك من العطاء بما يكون ببسم الله فى صدر الكتاب ، وجعلناه كالغمامة التى تأتى أولا بالقطار ثم تأخذ فى الانسكاب ، وخير العطاء ما رب بعد ميلاده وأينع ثمره بعد جداده ، وإن صادف ذلك وسائل خدم مستأنفة كان لها قراناً وصادف الإحسان منه إحساناً ، وقد ضمن الله تعالى للشاكرين من عباده مزيداً ، ولم يرض له بأن يكون مبدئاً حتى يكون معيداً ، وكذلك دأبه فيمن عرف مواقع نعمه ، وعلم أن صحتها لا تفارقه ما لم يعدها بسقمه .

ونحن أولى من أخذ بهذا الأدب الكريم ، وألزم نفسه أن تتحلى بخلقه وإنه للخلق العظيم ، وعطاؤنا المنعم به عليك لم يذكر فى هذا التوقيع على حكم الامتنان بل إثباتاً لحساب الجند الذين هم أعوان الدولة ولابد من إحصاء الأعوان ، وهو كذا وكذا .

فامدد له يداً تجملا من الشكر مواظبه ، ومن الطاعة مراقبه ، وكن فى التأهب للخدمة كالسهم الموضوع فى وتره ، وأصخ بسمعك وبصرك إلى ما تؤمر به فلا ائتمار لمن لم يصخ بسمعه وبصره .

وملاك ذلك كله أن تتكثر من فرسان الغوار وحماة الذمار والذين هم زينة سلم ومفزع حذار ، ومثل هؤلاء لا يضمهم جيش إلا تقدمه جيش من الرعب ، ودارت منه الحرب على قطبها ولا تدور رحى إلا على قطب ، وإذا صاروا خلف رايتك نشرت ذوائبها على غابة من الآساد ، وخفقت على بحر من الحديد يسير به طود من الجياد .

ومن أهم الوصايا إليك أن تضيف إلى غنائهم غنى يبرزهم فى زهرة من اللباس ، ويعينهم على إعداد القوة ليوم البأس ، ويقصر لديهم شقة الأسفار التى تذهب بنزقات الشماس ، وينقطع دون قطعها قطع الأنفاس ، وأى فائدة فى عسكر يأخذ بعد المسرى فى حوره ، ولا يزيد صبره بزيادة سفره ، ويكون حافزه وخفه سواء فى انتساب كل منهما إلى شدة حجره .

فانظر إلى هذه الوصية نظر من طال على صحبه بالكف الأوسع ، وعلم ما يضر فيهم وما ينفع ، والله يمنحك من لدنه توفيقاً ، ويسلك بك الحسنى طريقاً ، ويجعلك خليقاً بما يصلحك وليس كل أحد بصلاحه خليقاً والسلام» (١١) .

*

— ٥ —

« منشور من الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز سلطان دمشق(١٢) لجمال الدين حجى بن نجم الدين محمد بن حجى أحد أمراء الغرب ٦٥٠هـ = ١٢٥٢ م »

*

« الحمد لله على نعمائه »

جهاته : عرا مون — عين درافيل — طردلا — عين كسور —
رمطون — قدرون — مرتغون — الصباحية — سرحمون — عيناب
عين عنوب — الدوير — تاريخه ٦٥٠ هـ (١٣)

ـ ١ ـ

منشور هولاكو إلى جمال الدين حجى المذكور سابقاً فى ٦٥٨ هـ = ١٢٦٠م
« مالك بسيطة الأرض هولاكو خان زيدت عظمتـــه »

« بسم الله الرحمن الرحـــيم »

« توكلت على الله »

رسم بالأمر العالى المولوى السلطانى الملكى السعيدى المجيدى زاد الله فى علائه وضاعف مواد نفاده ومضائه ، أن يجرى فى إقطاع الأمير الأجل الأوحد الأعز المختار جمال الدين عمدة الملوك والسلاطين حجى بن محمد بن أمير الغرب أدام الله تأييده وتمكينه وتمهيده ما رسم له به من الإقطاع ما تضمنه المنشور الناصرى الذى بيده ، وتاريخه ٧ رجب سنة ٦٥٨هـ (١٤) .

(جهاته المذكورة فى المنشور السابق) .

أ ـ الأيمان

« يمين شريف يستحلف بها للمبايعة العامة وتتضمن الولاء للسلطان والطاعة وأداء الالتزامات الواجبة » :

*

ـ ١ ـ

« أقول وأنا فلان : والله والله والله ، وتالله وتالله وتالله ، وبالله وبالله وبالله ، والله العظيم الذى لا إله إلا هو البارى الرحمن الرحيم ، عالم الغيب والشهادة ، والسر والعلانية وما تخفى الصدور ، القائم على كل نفس بما كسبت والجازى لها بما عملت وحق جلال الله وقدرة الله وعظمة الله وكبرياء الله وسائر أسماء الله الحسنى وصفاته العليا ، إننى من وقتى هذا وما مده الله فى عمرى قد أخلصت نيتى ولا أزال مجتهداً فى إخلاصها وأصفيت طويتى ولا أزال مجتهداً فى إصفائها فى طاعة مولانا السلطان (ويذكر لقبه ونسبه) خلد الله ملكه ، وخدمته ومحبته وامتثال مراسمه والعمل بأوامره ، وإننى والله العظيم حرب لمن حاربه ، سلم لمن سالمه ، عدو لمن عاداه ، ولى لمن والاه من سائر الناس أجمعين وإننى والله العظيم لا أضمر لمولانا السلطان بنسبه سوءاً ولا غدراً ولا مكراً ولا خديعة ولا خيانة فى نفس ولا مال ولا سلطنة ولا قلاع ولا حصون ولا بلاد ولاغير ذلك ، ولا أسعى فى تفريق كلمة أحد من أمرائه ولا مماليكه ولا عساكره ولا أجناده ولا عربانه ولا أكراده ولا استمالة طائفة منهم لغيره ولا أوافق على ذلك بقول ولا فعل ولا نية ولا مكاتبة ولا مراسلة ولا إشارة ولا رمز ولا كتابة ولا تصريح . فإن جاء فى كتاب من أحد من خلق الله بما فيه مضرة على مولانا السلطان وعلى دوله لا أعمل به ولا أصغى إليه ، وأجمل الكتاب إلى بين يديه الشريفة هو ومن أحضره إن قدرت على

إمساكه ، وإننى والله العظيم أفى لمولانا السلطان بهذه اليمين من أولها إلى آخرها لا أنقصها ولا شيئاً منها ولا أستثنى فيها ولا فى شىء منها ، ولا أخالف شرطاً من شروطها ، ومتى خالفتها أو شيئاً منها أو استفتيت فيها أو فى شىء منها طلباً لنقضها ، فكل ما أملكه من صامت وناطق صدقة على الفقراء والمساكين وكل زوجة فى عقد نكاحه أو يتزوجها فى المستقبل طالق ثلاثاً بتاتاً على سائر المذاهب ، وكل مملوك أو أمة فى ملكه أو يملكهم فى المستقبل أحرار لوجه الله تعالى ، وعليه الحج إلى بيت الله الحرام ، بمكة المعظمة والوقوف بعرفة ثلاثين حجة متواليات متتابعات كوامل حافياً حاسراً ، وعليه صوم الدهر كله إلا الأيام المنهى عنها ، وعليه أن يفك ألف رقبة مؤمنة من أسر الكفار ويكون بريئاً من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم ومن دين الإسلام إن خالفت هذه اليمين أو شرطاً من شروطها .

وهذه اليمين يمينى وأنا فلان والنية فيها بأسرها نية مولانا السلطان فلان ، ونية مستحلفى له بها لا نية لى فى باطنى وظاهرى سواها ، أشهد الله على بذلك وكفى بالله شهيداً ، والله على ما أقول وكيل . .

(ويكتب الحالف اسمه فى الموضعين بخطه أو بخط من يكتب عنه إن كان ممن لا يكتب (١٥) .

❁

— ٢ —

الزيادات التى تضاف إلى هذه اليمين العامة إلى أرباب الوظائف المختلفة حسب نوع كل وظيفة

❁

يزاد فى تحليف :

— نواب القلاع :

« وإننى أجمع رجال هذه القلعة (يسمى القلعة التى هو فيها) على طاعة مولانا السلطان فلان وخدمته فى حفظ هذه القلعة وحمايتها : وتحصينها والذب

عنها ، والجهاد دونها والمدافعة عنها بكل طريق وإننى أحفظ حواصلها وذخائرها وسلاح خاناتها على اختلاف أنواع ما فيها من الأقوات والأسلحة وإننى لا أخرج شيئاً إلا فى أوقات الحاجة والضرورة الداعية المتعين فيها تفريق الأقوات والسلاح على قدر ما تدعو الحاجة إليه وإننى أكون كواحد من رجال هذه القلعة وكل واحد ممن يتبعنى كواحد ممن يتبع أتباع رجال هذه القلعة لا أتخصص ولا أمكن من التخصيص وإننى والله والله والله لاأفتح أبواب هذه القلعة إلا فى الأوقات الجارى بها عادة فتح أبواب الحصون وأغلقها فى الوقت الجارى بها العادة ، ولا أفتحها إلا بشمس ولا أغلقها إلا بشمس ، وإننى أطالب الحراس والدراجة وأرباب النوب فى هذه القلعة بما جرت به العوائد اللازمة لكل منهم ، مما فى ذلك جميعه مصلحة مولانا السلطان فلان ، ولا أسلم هذه القلعة إلا لمولانا السلطان فلان أو بمرسومه الشريف وإمارته الصحيحة وأوامره الصريحة وإننى لا أستخدم فى هذه القلعة إلا من فيه نفع هذه القلعة وأهلية الخدمة ، لا أعمل فى ذلك بغرض نفسى ، ولا أرخص فيه لمن يعمل بغرض نفس له ، وإننى أبذل فى ذلك كل الجهد وأشمر فيه عن ساعد الجد(١٦) .

*

الدوادارية وكتاب السر

يزاد تحليفهم : « وإننى مهما اطلعت عليه من مصالح مولانا السلطان فلان — خلد الله ملكه — ونصائحه وأمر دانى ملكه ونازحه ، أوصله إليه وأعرضه عليه ولا أخفيه شيئاً منه ولو كان على، ولا أكتمه ولو خفت وصول ضرره إلى » (١٧) .

*

الدوادار

يفرد الدوادار : إننى لا أؤدى عن مولانا السلطان رسالة فى إطلاق مال ، ولا استخدام مستخدم ، ولا إقطاع إقطاع ولا ترتيب مرتب ،

ولا تجديد مستجد ، ولا شاد شاغر ، ولا فصل منازعة ولا كتابة توقيع ولا مرسوم ولا كتاب ، صغيراً كان أو كبيراً إلا بعد عرضه على مولانا السلطان فلان ومشاورته ومعاودة أمره الشريف ومراجعته »[١٨] .

*

كاتب السر

يفرد كاتب السر : إنه مهما تأخرت قراءته من الكتب الواردة على مولانا السلطان فلان من البعيد والقريب ، يعاوده فيه فى وقت آخر فإن لم يعاوده فيه بمجموع لفظه، لطوله الطول الممل، عاوده فيه بمعناه فى الملخصات، وإنه لا يجاوبه بشىء لم ينص المرسوم الشريف فيه بنص خاص ، ومالم تجر العادة بالنص فيه لا يجاوب فيه إلا بأكمل ما يرى أن فيه مصلحة لمولانا السلطان فلان ومصلحة دولته بأسد جواب يقدر عليه ويصل اجتهاده إليه ، وإنه مهما أمكنه المراجعة فيه لمولانا السلطان فلان راجعه فيه وعمل بنص ما يرسم له به فيه »[١٩] .

*

النـــواب

يزاد فى تحليفهم : « ولا أسعى فى تفريق كلمة أحد منهم عن طاعته الشريفة وعلى أن أبذل جهدى وطاقتى فى ذلك كله وفى حفظ المملكة التى استنابنى فيها ، وصيانتها وحمايتها وما بها من القلاع والثغور والسواحل » .

ثم يأتى بعده : « وإن كاتبنى أحد . . . الخ . . . »[٢٠] .

نائب الســـلطنة

« يوصى » بتقوى الله وتنفيذ الأحـــكام الشرعية ومعاهدة حكامها واستخدام السيوف لمساعدة أقلامها ، وأفقد العسا كر المنصورة وعرضها وإنهاضهم لنوافل الخدمة وفرضها ، والتخير للوظائف وإجراء الأوقاف على شرط كل واقف والملاحظة الحسنى للبلاد وعمارة أوطانها وإطابة قلوب سكانها ومعاضدة مباشرى الأموال مع عدم الخروج عما ألف من عدل هـــذه الأيام الشريفة وإحسانها وتحسين ما لديه وتحسين كل ما أمره إليه واستطلاع الأخبار والمطالعة بها والعمل بما يرد عليه من المراسيم المطاعة والتمسك بسببها وأنه مهما أشكل عليه يستضىء فيه بنور آرائنا العالية فهو يكفيه ومن قتل من الجند أو مات وخلف ولداً يصلح لإقطاعه يعين له ليقوم بمخلفيه ويقال من هذا ما يقوم بتمام الغرض ويوفيه »(٢١) .

❋

وصية أستاذ الدار أو الأستادار

« وليتفقد أحـــوال الحاشية على اختلاف طوائفها وأنواع وظائفها وليرتبها فى الخدمة على ما يجب وينظر فى أمورهم نظراً لا يخفى معه شىء مما هم عليه ولا يحتجب ، وليبدأ بمهم السماط المقدم الذى يندم ومايتنوع فيه من كل مطعم وما يمد فيه فى كل يوم بكرة والعصر ، وما يستدعى معه من الطوارىء التى لا يحدها الحد ، ولا يحصرها الحصر ، وأحوال المطبخ الكريم الذى منه ظهور تلك المخافى ووفاء ذلك الكرم الموافى ، والتقدم إلى الأمناء والمشرفين فيه بأمانة الإنفاق وصيانة المأ كل مما يعاب على الإطلاق ، ثم أمر المشروب وما تغلق عليه أبواب الشربخاناه السعيدة من نطائف مأكول

ومشروب وشيء عزيز لا يوجد إلا فيها إذا عز المطلوب ومراجعة الأطباء فيما تجرى عليه قوانينها وتشب لطبخه من جمر اليواقيت كوانينها ، وإفراز ما هو للخاص الشريف منها وما هو للتفرقة وما لا يصرف إلا بخط الطبيب ولا يسلم إلا إلى ثقة ، ثم الطشت خاناه السعيدة التى هى خزانة اللباس وموضع ما تبرز به من الزينة للناس وما يحتاج إليه من آلات التطبيب وما يعين لها من الصابون وماء الورد والطيب وغير ذلك من بقية ما هى مستقرة ويؤخذ منها مستدرة ، ومن يستخدم بها ممن برىء من الريب وعرف بالعفاف والأدب وعلم أنه من أهل الصيانة وعلى ما سلم إليه ومن خالطته الأمانة ثم الفراش خاناه وما ينصب فيها من الخيام وما يكون فيها من فرش تنفر وتقام وشمع يفضض كافور كافورية أبنوس الظلام ، ثم غلمان الإصطبل السعيد والنجابة ، وإن كان إلى سواء استخدامهم ولدى غيره مستقرهم ومقامهم لكنهم ما خرجوا من عديده ولا يروقهم ويروعهم إلا حسن وعده وخشن وعيده ، ثم المناخات السلطانية وما بها من جمال وما يسرح فيها من مال وجمال ومن يستخدم فيها من سيروان ومهمرد وما فيها من قطارمزوج وفرد ، فيوفر لهذه الجهة نصيباً من النظر يشاهد أمورها وقد غابت فى الأقطار وتفرقت كالسحب يلزمها القطار القطار ، وليكونوا على باله فإنهم يسرقون الذرة الكحل من العين ومهم الذهب العين محملا بالقنطار فليحسن منهم الارتياد وليتخير أرقهم أفئدة ، فإنهم بكثرة ملازمتهم للإبل مثلها حتى فى غلظ الأكباد وطوائف المعاملين والأبقار ومن عليها من العاملين ، وزرائب الغنم وخولتها ورعاتها ، وأصناف البيوت الكريمة وما تطلبه فى استدعائها ونفقات الأمراء المماليك السلطانية فى إهلال كل هلال وما يصرف فى كساويهم على جارى عاداتهم أو إذا دعت إليه ضرورة الحال وما يأخذ عليه حظه من وصولات تكتب واستدعاءات تحسب من لوازمه وهى للكثرة لا تحسب فليكن لهذا كله مراعياً ولأموره راعياً ، ولما يجب فيه دون مالا يجب مستدعياً أو إليه داعياً ،

وهو كبير البيت وإليه يرجع أمر كل مملوك ومستخدم وبأمره يؤخر من يؤخر ويقدم من يقدم ، ومثله يتعلم منه ولا يعلم وعصاه على الكل محمولة،على الرقاب مبسوطة فى العفو والعقاب ومكانه بين أيدينا حيث نراه ويراه ولدينا قاب قوسين أو أدنى من قاب ، وعليه بتقوى الله فيها تمام الوصايا وكمال الشروط والأمر بها فعصاه محكمة وأمره مبسوط،وكلما يناط بها من خاصة أمورنا فى بيتنا عمره الله ببقائنا وزاد تعميره بتدبيره منوط » (٢٢) .

❁

« وصية مقدم المماليك السلطانية »

« وليحسن إليهم وليعلم أنه واحد منهم ولكنه مقدم عليهم وليأخذ بقلوبهم مع إقامة المهابة التى يخيل إليهم بها أنه معهم وخلفها وبين يديهم، وليلزم مقدم كل طبقة بما يلزمه عند هشيم صدقاتنا الجارية عليهم من ترتيب الطباق وإجراء ساقية جارية من إحساننا إليهم ، ولا ينسى السواق وليكن لأحوالهم متعهداً ولأمورهم متفقداً ، وليستعلم أخبارهم حتى لا يزال منها على بصيرة ، وليعرف ما هم عليه مما لا يخفى عليه فإنهم إن لم يكونوا له أهلا فإنهم جيرة ، وليأمر كلا منهم ومن مقدميهم والسواقين بما يلزمهم من الخدمة وليرتبهم على حكم مكانتهم منا ، فإن تساووا فليقدم من له قدمه ، وليعدل فى كل تفرقة وليحسن فى كل عرض ونفقة وليفرق مالهم من التساوى ويسبل عليهم رداء الشفقة ، وليعد منهم لغابنا المحمى سباعاً تفترس العادية ، وليحمل النظر فى أمر الصغار منهم والكبار أصحاب الطبقات العالية ، وليأخذهم بالركوب فى الأيام المعتادة،والدخول إلى مكان الخدمة الشريفة والخروج على العادة ، وليدرهم فى أوقات البياكر والأسفار نطاقاً دائر الدهليز المنصورة . . ، وليأمرهم أمراً عاماً بألا يركب أحد منهم إلا بدستور ولا ينزل إلا بدستور ، وليحرز عليهم من طوائف الغلمان ، ولا يستخدم منهم إلا معروفاً بالخير ويقيم عليه الغلمان، وليحرز على من دخل عليهم وخرج ولا يفسح لأحد منهم إلا من علم أنه ليس فى مثله حرج ولا يدع للريبة مجالا للاضطراب ، وليوص

مقدمهم بتفقد مايدخل إليهم ، فإن الغش أكثره من الطعام والشراب، وليدم مراجعتنا فى أمرهم فإن بها يعرف الصواب وليعمل بما تأمره به ولا يجد جوى فى جواب »[٢٣] .

*

« وصية أمير آخور »

« وليكن على أكمل ما يكون من إزاحة الأعذار ، والتأهب لحركاتنا الشريفة فى ليل كان أو نهار ، مقدماً الأهم فالأهم من الأمور والأبدأ فالأبدأ من تقديم مراكبنا السعيدة وتهيئة موكبنا المنصـــور وترتيب ذلك كله على ما جرت به العوائد وتحصيل ما تدعو إليه الحاجة على قدر الكفاية والزوائد والنظر فى جميع اصطبلاتنا الشريفة والحشارات السعيدة وخيل البريد والركائب المعدة لقطع كل مدى بعيد وما يجتمع فى ذلك وينقسم وما يركب منها ويجنب مما يسم الأرض بالبدور الأهلة من كل حافر ومنسم ، وما هو برسم الإطلاق وما يعد لمماليك الطباق وخيل البلاد ، وما يجلب من قود كل قبيلة من القبائل ويجىء من كل بلد من البلاد والمشترى مما يباع من المواريث ويستعرض من الأسواق وما يعد للمواكب وللسباق . وليجل رأيه فى ترتيب ذلك كله فى مراتبه على ما تقتضيه المهمات أو الاحتراز فى البلاد مما لعله يبدل ويقال : — هو هذا — أو يؤخذ بحجة أنه مات وليجتهد فى تحقيق ما نفق وليحرره على حكم ما يتحقق عنده لا على ما اتفق ، وكذلك ليكن فحصه عمن يستخدم عنده من الغلمان ولا يهمل أمورهم مع معاملتهم بالإحسان ، ولا يستخدم إلا من تشكر سيرته فى أحواله وتعرف خبرته فيما يراد من أمثاله ، وكذلك الركابة الذين تملك أيديهم أعنة هذه الكرائم ،و التحرز فى أمرهم ممن لعله يأوى إليهم من أرباب الجرائم ، والأوشاقية الذين هم مثل مماليكه وهم فى الحقيقة إخوانه ، وجماعة المباشرين الذين هم فى مباشرة الإصطبلات السعيدة ديوانه ، وكل هؤلاء يلزمهم بما يلزم أمثالهم من السلوك ويعلمهم ما يجب عليهم أن يتعلموه من خدمة الملوك ولا يسمح لأحد منهم فى أمر يفضى إلى إخلال

ولا يقتضى فرط إدلال وليقم أودهم بالأدب فإن الأدب مافيه إذلال ، وكل هؤلاء الطوائف ممن يتجنب العامة مخالطتّهم لما طار فى أيام من تقدم على أمثالهم من سوء السمعة ويتخوف منهم السرعة فليكن لهم منك أعظم زاجر ، ومن شكا إليك منهم سارع إلى التنكيل به وبادر وأشهر من فعلك بهم ما يوجب منهم الطمأنينة ولا يعود أحد بعده يكذب يقينه ، وأمراء آخورية الذين هم أتباعك وبهم يمتد باعك بحسب ما تجعلهم بصدده وما منهم إلا من يقدر يتعدى حده فى مقام قدمه وبسط يده فاجعل لكل منهم مقاماً معلوماً وشيئاً تجعل له فيه تحكيماً وتضمن الحيول المشترى والتقادم . قومها بأهل الخبرة تقويم عدل وقل الحق ولا يأخذك فيه لوم ولا عذل وما يصرف من العليق برسم الحيول السلطانية ومن له من صدقاتنا الشريفة عليق مر بصرفه عند الاستحقاق واضبطه بالتعليق،وتصرف فى ذلك كله ولا تنصرف إلى تصرف شفيق،وصنه بأقلام جماعة الديوان ولا تقنع فى غير أوقات الضرورة برفيق عن رفيق وكذلك البراسيم السنوية أصلا وزيادة ولا تصرف إلا ما تأمر به وإلا فلا تخرج فيه عن العادة ونزولا من إكراء العربان ، عاملهم بالجميل وزد فى أخذ خواطرهم ولو ببسط بساط الأنس لهم فما هو قليل لتضاعف رغبتّهم فى كل عام ويستدلوا ببشاشة وجهك لهم على مابعده من الإنعام ، وبغال الكوسات السعيدة والأعلام المنصورة وأبغال الخزانة العالية المعمورة اجعلها من المهمات المقدمة والمقدمات لنتائج أيام النصر المعملة ورتبها فى مواقفها وأتمها أتم ما يكون من وظائفها ، فبها تثبت مواقف العسكر المنصورة وإليها يأوى كل مستظل ورحى الحرب تدور ، وغير ذلك من قماش الإصطبلات السعيدة من الذهب والفضة والحرير وكل قليل وكثير باشره مباشرة من لا يتخلى وأحصه خرجاً ودخلا وإياك والأخذ بالرخص أو إهمال الفرص أو طلب فايت جرم أهملته حتى نكص »(٢٤) .

*

« والتقوى درعك الحصين والشرع الشريف سبيلك المبين والحدود والقصاص بهما تمنع المحارم ، والجهاد فإن فيه شفاء لصدور الصوارم، فاقتد بالإنصاف زمام زمانك واثن إلى الحق عنانك ، وفرغ فكرك لمصالح الإسلام وامنع كل طارق حتى الطيف فى الأحلام ، ومزق بعزمك جلاليب الديجور ، ومزق بقوتك والصبح بالكوكب الدرى منحور ، واستعلم أخبار العدا فى طليعة كل صباح وتأهب لهم غرب يوم يجيء بوجه وقاح ، واثبت فى اللقاء ثبات مجرب وتطلع إلى جموعهم التى كم ناظر إليها مع الصبح نجم مغرب ، ولا تفارق من وجه البلاد وسيما ولا تشم من غير الطيبة نسيماً ، إذا نزلت على الباب فلا تطلب سوى البراعة له قسيماً ولا تستبدل بالفرات وارداً ، ولا تتبعك المناظر إذا أرسلت طرفاً إلى سواها رائداً ، واضرب قارعة الطريق خيامك وانشر للمعتفين غمامك وطنب دخانك إلى السماء وابسط حزامك واقبل على الذكر الجميل فكل شيء غاد ورائح ، وأنزل بساحتك الضيوف وانحر لهم كوم الهجان وكل طرف سانح ، واحفظ أطراف البلاد ممن يتولع ببنانها أو يترصد لمرابع أسودها أو مراتع غزلانها ، وخص الرعايا برعاية تنبت لهم الزروع وتدر من سوائمهم الضروع ، ولا تدخل إلى البرية إلا إذا لم يبق لك بالبلاد مقام ولا منزل بين شبح وهزام ، وأما العرب فهو أميرهم المطاع وآمرهم وهم له أتباع ، وهو يعرف مقاديرهم وكيف يعامل كبيرهم وصغيرهم ، فليجمعهم على طاعتنا الشريفة ما استطاع وليمنعهم من طبع الطباع وليصدعهم بالحق على حكم استحقاقهم فى كل إقطاع واقتطاع ، وهو بما يصلح لركابنا العالى من الخيل جد خبير وبما يناسب سرجنا الشريف ، من كل سابق وسابقة ما لها نظير ، فلو أخذ نفسه وإخوته وبنى عمه وأهله وعشيرته والأقربين بأن يكونوا بالجياد إلينا متقربين ومتى وردت عليه مراسيمنا الشريفة بأمر سارع إلى العمل بحكمة أو اتصال متجدد .

وهذا تقليدنا الشريف حجة على من سمعه أو قصه ، فى خلافه تفريق

كل كلمة مجتمعة، ومرسومنا أن ينقل مضمونه إلى الآفاق ويعلم به كل مصعد إلى الشام ومنحدر إلى العراق ليحدو به كل حاد والركاب تساق ويسمر به فى كل حى سامر، يتجاذب حواشى حديثه الرفاق، ويتناجى كل راكب مطية وفارس مطهمة عتاق، فمن بلغنا أنه حاد عن أمره أو تأول فى نقصه لرفعة قدره. فالسيف أسبق شىء إلى نحره والموت أعجل إليه لأنه فتح من فمه ما كان مسدودا من باب غيره ... »(٢٥) .

*

« وصية مقـــدم الأكراد »

« فليجمع شتات هذه الفرق وليجمع من شملهم ما افترق وليؤلف قلوب أكابرهم ممن نفره ليذهب بأس بينهم ليكون بأسهم فيمن كفر وليخلص أظفار بعضهم من بعض لتخلص الظفر، وليقرر عندهم أن إحساننا إليهم غير منزور وأن أقل شبر أقطعناهم من الأرض خير لهم عند الله وعند أنفسهم مما لهم من أقصى العجم إلى شهرزور، وأن أكنافنا الموطأة لهم خير من تلك الجبال الموعرة، وأن بلادنا الآمنة أقر لهم من تلك البلاد التى لا تزال محاصرة أو محصرة، وليعرف حق قبائلهم على اختلاف الشعوب وأنواع الطوائف التى لو اتفقت كلمتها لما وجدت خللا تكفيها فى الركوب . منهم ذوو البيوت الكريمة والإمرة القديمة والأصول التى بلغت السماء فروعها، وحلت لمعان الشموس سيوفها المبرمة ودروعها، وليعلم أن صدقاتنا العميمة غير قليلة وأن رعايتنا الشريفة ستعمهم وتوقد نار كل قبيلة، وإننا لاينقص عندنا بخت بختى ولا تنسى خدمة دينى ولا يحل أزرار زرزارى إلا لتلبسه الملبس السنى ولا نسهر طرف سهرى إلا لننام قرير العين، ولا نتعب رائد وادى ما فيهم ذوى الحويصرة ولا فيهم إلا من هو ذو اليدين، وكذلك يقبل أنفارهم الذين ألفهم الإحسان وعرفهم الجود بما أوجب لبلادهم ومن خلفوا فيها من أولادهم للنسيان وأنت عليهم الأمير والجامع لهم بمشيئة الله على الطاعة » وهو على

جمعهم إذا يشاء قدير »(٢٦)، فاعرف منهم ساكن كل عمود وجدار ومن قربت به أو بعدت الدار وضمهم إلى كتف الأكتاف وألفهم بكلمة الائتلاف وكن بهم على انتظار ما صرفنا إليه الوجه من الجهاد والتأهب بلبس الجلد للجلاد واتخاذ أكابر فيهم لتصل منهم بذلك بالبنان، ويشتد بهم كما يشتد بكعوب الرماح المثقفة السنان ، واسبرهم بخوض الساريت وارمهم فى البر والبحر ولا تخف فإنهم عفاريت، والزم بالخدمة الدائمة المخبزة ولا تلزم غير المحيزة وميز بعضهم من بعض إلا فى الأوقات التى يحتضن فيها الذكور بأيدى الرجال ولا يعرف المميزة من غير المميزة ، ومن مات من ذوى الإقطاع أنه خبزه يعين لغيره خبزه ، وكذا العاجز وتأن حتى يتحقق عجزه وما يجب على أصحاب الماشية من حق هو حق أقوام ورزق طوائف أخرى من العساكر المنصورة مضت عليه السنون ولهم فى أعدائه أيام عمل بما جرت العادة به فى استخراجه بالرفق من غير ترك شىء منه ينسى فى الأجل وينسب إلى التقصير إذا أخره وقت استحقاقه فى العاجل ، كذلك مبرات من مات منهم ولا وارث به إلا بيت المال ، والعمل فى ذلك بتقوى الله فهى العدة للمال »(٢٧).

*

« وصية مقــدم التركمان »

« فليجمع لنا طوائف التركمان وليأمرهم بالاستعداد للجهاد فإنهم تركوا الإيمان، ولا يدع منهم إذا رسمنا له من يلقم سهمه الوتر ومن إذا جر قوسه رأى منه طالعاً فى العقرب العمر ، وليجمع طوائفهم على كثرة أفراقهم وبعد مابين بيوتهم وأرزاقهم وليؤلفهم التى بها التقدم وبسلبها صدد سمهرته وتقوم، وسهامهم هى التى تبقى وسيوفهم هى الأراقم التى لا تلين للرقى ، وما برحت ترفع لهم القباب وتشفع لهم إلينا وصائل الأنساب ووسائل الأسباب وليأمر أمراؤهم بإقامة وظائف الإمرة ودق الطبلخانات كل عشية وما يظهر فيه التفاوت بين كل ذى همة وصبغة وهمة علية، ومن مات من المخبزة أنهى إلينا أو إلى أقرب إليه من نوابنا خبزه، وألزم من طلب إقطاعه من مخلفه بما عليه

من التقدمة المقررة ،ومن لم يترك وارثاً إلا بيت المال ،حفظ له حقه الموروث فإنه مال الله المقسوم ولكل مسلم فيه حق معلوم ،وما هو على السائمة من الزكاة يساعد على استخراجه وإيصال الحق إلى مستحقه، وإلى كل مقطع على حكم منشوره الشريف أو إمراجه، وتقوى الله سبب مزيده فلا يزال متمسكاً بذلك السبب وليقم منها بما وجب »(٢٨) .

*

« وصية والى حرب »

« وهو يعلم ما علق بذمته من أمر الجمهور وقبل فيه قوله من ستر المهتوك وهتك المستور وما يجمعه سواد البلد من عناء السبل وما يعطى عليه دجى الليل من الويل ، فليجعل هذا منه ببال ولترفع أوراق الصباح حتى لا يخفى عليه ما يستره سواد الليالى ، وليخمد ثوائر العامة فإنها أطير شراراً من النيران وليرعهم بهيبة السلطان فإن « الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن » ونحن نوصيه أنه لا يغلق باباً مفتوحاً ولا يفتح باباً مغلقاً ولا يقتل عقرباً يمكن كف شرها بالرقى وليتبع المفسدين لإقامة ما أمر الله به من الحدود ، وليراجع الشرع الشريف إذا بهم عليه المقصود ، وليتغافل عمن تستر بداره فى جنح الليل إلا تأثق، وليعقم نسل الخمر فإنها أم الخبائث، وليرق ما ظفر به من أجلابها وليؤدب تجارها وبئس التجار، ويبالغ فى آدابها ولينصب الأرصاد على من دخل بها أبواب المدينة أو أتى البيوت من غير أبوابها، وكذلك أختها فى مخامرة العقل وشقيقتها فى التأديب إن لم يكن الحد لعدم النقل وهى الحشيش التى يعرف أكلها دون الناس بعينه وتقتضيه من سكر المدام مافاته من دينه وتبدو صفراء فى وجهه وسوداء فى جسمه خضراء فى فمه حمراء فى عينه مثلما تجريه الضرب المبرح من دمه، فإنها هى وأختها إبليس واستدعاها وأخرج بها لسوائمه الضالة ماءها ومرعاها، وليخلص من الحقوق ما رفع إليه ويطالب به من مطل به وقد أوجبه الحق عليه، ولينتقد أرباب الزغل نقد الصيارف لزيفهم المردود وليقم عليهم السياسة إذا لم تمض عليهم الحدود، وليتفقد المحبوس فى كل حين

ويتعرف أحوالها ليعرف ما يفعله عن يقين ، وليستعد لطوارىء المهمات وعوادى الملمات، ولا يبيت كل ليلة إلا وهومتأهب لإطفاء كل نار وإخماد كل لهب ، وأولها نار الفتن وما يطير فيها من شرار ، وإن وقع ، والعياذ بالله، حرق فى قطر من أقطار المدينة ، يعجل إليه البدار ويعجل بهدم أبنيته وهدم ما حوله حتى لا يؤخذ الجار بالجار ، وليكن عنده من طوائف السقايين والقصارين من لا يجد فى خوض الماء مشقة ولا تطول عليه شقة ولا يرى جداراً دبت فى أجزائه النار إلا ويطفى بما عنده من الماء ما عنده من الحرقة، والحذر ممن فى بابه فإنه لا دواء لدائهم العضال ولا استقامة لمن حاد منهم وحاد إلا بأخذ الروح والمال ونحن منه بمرأى ومسمع ، فليتق الله وليحذرنا فى هذا وهذا الخير أجمع »(٢٩) .

❁

« وصية أتابك المجاهدين وهو رئيس طائفـــة الإسماعيلية »

وأنت ابن ذلك الأب حقيقة وولد ذلك الوالد الذى لم يعمل له إلا من دماء الأعداء حقيقة ، وقد عرفت مثله بثبات الجنان ، وصلت بيدك ووصلت إلى ما لم يصل إليه رمح ولا قدر عليه سنان ، ولم يزاحمك عدو إلا قال له: « أيها البادى والمقاتل – كيف تزاحم الحديد ولا سمى اسمك الجبار إلا قال : « وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » وأنت أولى من قام بهذه الوظيفة وألف قلوب هذه الطائفة التى ما حلم بها الحالم إلا وبات يرعد خيفة ، فليأخذ هذا الأمر بزمامه وليعمل لله ولإمامه وليرم فى حب البقاء الدائم بنفسه على المنية ، وليناوم على معاقرة الدماء زهور سكاكينه الحنية ، واطبع منهم زبراً تطاول السيوف بسكاكينها ويأخذها الأسود فى عرينها وتمتد كأنها آمال لما تريد وترسل كأنها آجال ، ولهذا هى إلى كل عدو أقرب من حبل الوريد وأذك منهم شعلا إذا دعيت لأحسابها لا تجد إلا متحامياً ، وارم منهم سهاماً إذ دعيت بأنسابها الإسماعيلية فقد جاء أن إسماعيل كان رامياً ، وفرج بهم عن الإسلام كل مضيق وأقلع عن المسلمين من العوانية كل حجر فى الطريق ،

وصرف رجالك الميامين وتصيد بهم فإنهم صقور ومناشرهم السكاكين، واخطف بهم الأبصار ، فبأيمانهم كل سكينة كأنها البرق الخاطف، واقطف الرءوس فإنها ثمرات أينعت لقاطف، واعرف لهم حقهم وضاعف لهم تكريماً وآدم لهم بنا برعيا وقدم أهل النفع منهم فقد قدمهم الله وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً، واعلم أنهم مثل الوحوش فرد فى تأنسهم واشكر إقدامهم فطالما اقتحموا على الملوك وما هابوا يقظة حراسهم، وارفع بعضهم على بعض درجات فى نفقات تسافيرهم وقعود مجلسهم ولا تسو بينهم فما هم سواء، «ولا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم » وأصل هذه الدعوة ما زالت تنتقل بالمواريث حتى انتهت إلينا حقوقها وأومضت بنا حيث خلعت هياكلها بجرعاء الحمى بروقها، والله تعالى يوفقه ويرشده ويطول باعه لما قصرت عنه سواعد الرماح ووصلت إليه يده . . . »(٣٠) .

ملخص قصة تظلم بسبب الإقطـــاع

رفعها الأمير ناصر الدين الحسين أحد أمراء الغرب إلى تنكز نائب السلطنة بالشام عقب روك الشام فى سنة ٧١٣هـ فى عهد الناصر محمد .

*

« بسم الله الرحمن الرحـــيم »

« المملوك (٣١) الحسين بن أمير العرب يقبل الأرض وينهى أن المملوك وأقاربه ملتزمون بحفظ ثغر بيروت المحروسة وهم مجتهدون فى خدمة مولانا السلطان ـ خلد الله ملكه ـ وغالب إقطاعاتهم يخدمون عليها أملاكهم الثابتة بالشرع الشريف وهى معهم الآن بعدة ٣٠ فارساً وكانت لآبائهم بثلاثة أرماح (٣٢) إلى حين أقطعت أملاك الجبلية ، ، وإنه متى دخلت هذه الملكيات الروك يهلك المماليك ولا ينتفعون بغيرها لأنها مساكنهم وبها رجالهم وعشيرتهم ، وسؤلهم من صدقات مولانا ملك الأمراء (٣٣) التصدق عليهم بمطالعة على يد المملوك إلى الأبواب الشريفة ، ومهما اقتضاه رأى مولانا ملك الأمراء من إلزامهم بزيادة عدة تحملها طاقتهم التزمه المماليك وما لهم إلا الله تعالى ومراحم مولانا ملك الأمراء عز نصره ـ أنهى الحال والرأى أعلى وأسمى والحمد لله» (٣٤) .

*

« النوع الأول من المناشير »

أ – مناشير أولاد الملوك

نسخة منشور كتب بها عن الملك المنصور قلاوون (٦٧٨–٦٨٩ ﻫ – ١٢٧٩–١٢٩٠ م) لابنه الناصر محمد – من إنشاء القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر :

الحمد لله الذى زين سماء الملك بأنور كوكب بزغ ، وأعز ملك نبغ ، وأشرف سلطان بلغ إلى ما بلغ ذوو الاكتهال من اختيار شرف الخلال وما بلغ .

نحمده حمداً تزيد به النعماء وتنمى، وتهمل به الآلاء وتهمى ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة من كل ريب واقصة كل عيب ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى بعثه الله تعالى بمكارم الأخلاق ومعاداة ذوى النفاق وساوى بين الصغير والكبير من أولى الاستحقاق ، فى الإرفاد والإرفاق ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما رق نسيم وراق ، وما خصفت أوراق .

وبعد، فإن الهواتف أبين ما تشدو إذا حفت الرياض بها من كل جانب والسماء أحسن ما تبدو إذا تزينت بالكواكب السيارة والشهب الثواقب ، والسعادة أحمد ما تحدو إذا خصصت بمن إليه ، وإلا ما تشد الركائب ، وعليه وإلاما تثنى الحقائق والحقائب ،ومن هو للملك فلذة كبده ونور مقلته وساعد يده ومن تتيمن السلطنة بملاحظة جبينه الوضى وتستنير بالأنور المضى ، ومن تغضب الدنيا لغضبه وتزهى إذا رضى ، ومن نشأ فى روض الملك من خير أصل زكى، وفاحت أزاهره بأعطر أرج وأطيب نشر ذكى، وطلع فى سماء السلطنة نجماً ما للنيرين ما له من الإضاءة، ويزيد عليهما بحسن الوضاء ، ومن تشوف

النصر له من مهده ، وتشوق الظفر إلى أن يكون من جنده ، واستبشرت السلطنة بأن صار لها منه فرع باسق وعقد متناسق وزند وار وجناح وارف وفخار تليد وعز طارف ، وطرفان معلمان تنشر فيهما المطارف .

ولهذه المحاسن التى تشرئب إلى قصدها آمال الخلائق المنتجعة، اقتضى حسن البر الوصول وشرف الإقبال والقبول إن خرج الأمر العالى — لابرحت مراسمه متزينة زينة السماء بكواكبها ، ومزاحمة سمك السماك بمناكبها أن يجرى فى ديوان الجناب العالى المولوى الملكى الناصرى (٣٥) .

ب — مناشير الأمراء مقـــدمى الألوف

— ١ —

نسخة منشور للأمير بدر الدين بيدرا أستادار الملك المنصـــور قلاوون من إنشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر

الحمد لله الذى جعل بدر الدين تماماً على الذى أحسن وإماماً تقتدى النجوم منه بالضياء الأبين والنور الأزين ، ونظاماً يجمع من شمل الذرى ما يغدو به حماه الأحمى وجنابه الأصون .

نحمده حمد من أعلى صوته وصيته أعلن. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تغدو وتبدو عند الذب وفى القلب مكانها الأمكن، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، ونبيه الذى أوهى الله به بناء الشرك وأوهن. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ورضى عمن آمن به وعمن أمن .

وبعد فإن خير النعماء ما أتى به على التدريج ، وأتى كما يأتى الغيث بالقطر والقطر لإنبات كل زوج بهيج وأقبل كما تقبل الزيادة بعد الزيادة فبينا يقال : هذا خليج يمده البحر إذ يقال :— هذا بحر يستمد منه كل خليج وبينا يقال: هذا الأمير إذ يقال : هذا المميز ، وبينا يقال :هذا الهلال إذ يقال : هذا هو البدر المنير.

[illegible] — فلان — من هذه الدولة بموضع الغرة من الجبين ومكان الراحة من اليمين ، وله سوابق خدمة لا يزاحمه أحد فى طرق طروقها ،

ولا تستكثر له زيادة بالنسبة إلى موجبات حقوقها ، وهو من التقوى بالمحل الأسمى على غيره من الطراق والمكان الأحمى الذى مكانه منه — وإن كان أمير مجلس — صدر الرواق ، وله الكرامات التى ترى الخدود لها صعر ، وكم سقت من سم العداة دافقة الذعر وكم قابل ثورة ناراً فصارت برداً وسلاماً ، وكم تكلم على خاطر فشاهد الناس منه شيخاً من حيث الشبيبة أجل الله قدره غلاماً ، فهو المجاهد للكفار ، وهو المتهجد فى الأسحار ، وهو حاكم الفقراء وإن كان سلطانه جعله أستاذ الدار ، وهو صاحب العصا التى أصبح بحملها مضافة إلى السيف يتشرف ومعجزها لا يستكثر له أنها لكل حية تتلقف ، وهو الذى تحمد الكشوف والسيوف فتوحه وفتحه ، والذى يشكر يده عنان كل سابح وزمام كل سبحه وكم أسال بيديه من دماء الأعداء ماء جرى ، وعمل بين يديه للفقراء ماجرى وكم ولى لله خفى شخصه فأظهر محضه ، فقال الولى : وما أدرى درا لولا بيدرا اقتضى حسن الرأى الشريف أن يحمل إحسان الدولة القاهرة له عملا وأن يحسن له علا ونهلا وأن يختار له إذ هو صاحب العصا كما اختار موسى قومه سبعين رجلا » .

وخرج الأمر العالى — لا زال ظله ظليلا بامتداد الفىء بعد الفىء ، وعطاؤه جزيلا بتنويل الشىء بعد الشىء — وهو ذو الكرم والكرامات وصاحب العصا بالأستادارية . ولا يستكثر لصاحبها سحر الحيات (٣٦) .

❋

— ٢ —

نسخة منشور كتب بها للأمير سعد الدين مسعود بن الخطيرى من إنشاء الشريف شهاب الدين كاتب الإنشاء — أيام الناصر محمد بن قلاوون

الحمد لله على نعمه التى زادت سعوداً وضاعفت صعوداً ، وكرمت فى أيامنا من لا حاجب له عن أن تمنحه من إنعامنا مزيداً ، وقدمت بين أيدينا الشريفة من أوليائنا من غدا قدره خطيراً وحظه لدينا مسعوداً .

نحمده على أن أنجز لأصفيائنا من وفائنا وعوداً ، ونشهد أن لا إله إلا الله

وحده لاشريك له شهادة تحمد لمخلصها صدوراً وروداً ، وتلقى مؤمنها بالبشر إذا جمع الموقف وفوداً ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى شرف بإنجاده مطروداً وأردف بالملائكة جنوداً وأوصل به حقوقاً وأقام حدوداً ،وحجب ببركاته وفتكاته الأسواء ، فغدا العدل موجوداً وأضحى الحكم مقصوداً . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ما منهم إلا من كان بالمؤمنين رحيماً وعلى المشركين شديداً .

أما بعد، فنعمنا إذا أولت ولياً منحها وآلت ، وإذا قدمت صفياً وهبته مزيدها وأنالت،وإذا أقبلت بوجه إقبالها على مخلص تتابعت إليه المسرات وانثالت ، لا سيما من أطابت الألسنة الثناء عليه وأطالت ، وجبلت سجاياه على العدل والمعرفة فما حافت ولا مالت ، وأوصلت رأفته منا المستضعفين وعلى المجرمين سطوته صالت ، فبيمن مقاصده هانت الخطوب وإن كانت فتكاته فى الحروب كم هالت ، وهممه فى السلم قد جلت،ويوم الروع كم جالت،وعزائمه كم غارت فأغارت وللمعتدين كم غالت ، وكم سبق إلى خدمتنا صاحب الشمس وكيف لا وهو البدر ولكنه لم يزل وإن هى زالت .

وكان فلان هو الذى نقلناه فى درجات التقديم حتى كمل بدره ، ووقلناه فى مراتب التكريم حتى أصبح وهو المسعود حظه المحمود ذكره، وخولناه مواهب جودنا العميمة فاشتد باعه واشتد أزره .

فلذلك خرج الأمر الشريف – لا برح إنعامه يجل عن الحصر ودولته يخدمها العز والنصر ، وإكرامه يقضى بمسرات الأولياء بالجمع ويقضى إلى أعمار الأعداء بالقصر . . (٣٧) .

*

– ٣ –

نسخة منشور كتب بها لعلاء الدين أيدغمش أمير آخور الناصرى (٣٨) من إنشاء الشريف شهاب الدين كاتب الإنشا فى الدولة الناصرية – محمد بن قلاوون .

الحمد لله الذى زاد علاء دولتنا الشريفة ، وأفاد النعماء التامة من قام

بين أيدينا أتم قيام فى أتم وظيفة، وأجاد الآلاء المتوالية بمن أعنة الجياد بإشارته مصرفة ، ومنة الجـــواد بسفارته مصروفة وأراد الاصطفاء لأعز همام : فى قلوب الأولياء له محبة و فى قلوب الأعداء منه خيفة ، وأباد أولى العناد بفتكاته التى بها الغوائل مكفية والطوائل مكفوفة ، وشاد الملك الأعز بإرفاد ولى له الشجاعة المشكورة والطاعة المعروفة .

نحمده على أن جعل اختياراتنا بالتسديد محفوظة وبالتأييد محفوفة، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة السرائر لإخلاصها ألوفة، والضمائر على اختصاصها معطوفة ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى نسله من النبعة المنيفة ، وأرسله بالشرعة الحنيفة وفضله بالرفعة على ظهر البراق إلى السبع الطباق وجنود الأفلاك به مطيفة صلى الله عليه وعلى آله ذوى الهمم العلية والشيم العفيفة، ورضى الله عن أصحابه الذين لو أنفق أحد مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفة ، صلاة تبيض بالأجور الصحيفة وتعوض بالوفور من ميزاتنا الجليلة بفكرتنا الجميلة اللطيفة ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فكرمنا يسبغ المواهب والمنائح ونعمنا تبلغ المآرب والمناجح ، فلا نبرح ننقل فى درجات الصعود من هو فى خدمتنا يبارح ، ويتكفل صالح نظرنا الشريف صلاح حال من أجمل النصائح وأثل المصالح، فكم راض لنا من جامح وخاض بحر الوغى على ظهر سابح، وحمى رواق الإسلام من رغبة يذب ورمى أعناق الكفار من غضبه بذابح ، وأصمى الماتل بكل نابل يستجن فى الجوانح، وانتمى إلى سعادة سلطاننا الناصر الفاتح وسما عزم إعلائه بتقريبه وإدنائه إلى السماك الرامح ، طالما مس الكفار الضر إذ بالعاديات الضوابح ، وأحس كل منهم بالدمار لما ظن أنه لحربه يكابد ولحزبه يكافح ، وصبحهم بإغاراته على الموريات قدحاً فأغرى بهم الخطوب الفوادح ، وطرحهم بالفتكات إلى الهلكات فصافحت رقابهم رقاب الصفائح ، وأخلى من أهل الشرك المشارب والمسارح وأجلى أهل الإفك عن المطارد والمطارح .

ولما كان (فلان) هو الذى استئار إليه شأن هذه المدائح وسار بذكره وشكره كل غاد ورائح .

خرج الأمر الشريف ٠لأ برح سبيل هداه الواضح، وجزيل نداه يغدو كالغوادى بالعائد والبادى من فصله وهو الناصح [٣٩] . . .

*

— ٤ —

نسخة منشور كتب بها للأمير شمس الدين سنقر البكتوتى الشهير بالمساح

الحمد لله الذى أجزل المواهب وجدد من النعم ماتزال به الألسنة تتحدث عن بحرها بالعجائب ، وأطلع فى أفق الدولة الشريفة شمساً تستمد من أنوارها الكواكب .

نحمده على نعم يتوالى درها توالى السحائب ، ويغالى درها عن أن تطوق [٤٠] به الأذنان والترائب ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تختص قائلها من درجات القبول والإقبال بأسمى الدرجات وأسنى المراتب ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى اصطفاه من لؤى بن غالب ، وصان ببعثته الشريفة رداء النسك عن كل جاذب ، وخصه بأشرف المواهب وصير الإيمان بنور هدايته واضح السبل والمذاهب . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا يمضى جزء من الدهر إلا ووجودها فيه وجود الفرض الراتب ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أحق من حلى من النعماء بأفضل العقود ، وخص بأضفى ملابس الإقبال وأصفى مناهل الأفضال : فاستعذب من هذه الورود ، واختال من هذه فى أجمل البرود ، ومنح من الإقبال بكل غادية تخجل السحاب إذ يجود ، وإن رقمت بها الأقلام سطوراً فى طروس أزرت بالزهر اليانع والروض المجود ، ونقل قدره من منزل عز إلى منزل أعز فكان كالشمس تنتقل فى منازل الشرف والسعود — من ظهرت مكارم سماته واشتهرت محاسن صفاته وطلعت فى سماء العجاج نجوم خرصاته ولمعت فى دجى النقع بروق ظباته ، وقدم على الجيوش والجحافل فظهرت نتائج التأييد والتسديد من تقدمه وتقدماته ، وهرم

جيوش الأعداء فى مواقف الهيجاء بثبات أقدامه فى إقدامه ووثباته ، وتجرد فى المهمات والملمات تجرد الماضيين من سيوفه وعزماته .

ولما كان (فلان) هو الموصوف بهذه الأوصاف الجليلة ، والمنعوت بهذه المحاسن الجميلة ، والمشار إليه بهذه المحامد والممادح التى تزهو على زهر الكواكب وتسمو بما له من جميل المآثر والمناقب — أوجب له الاختيار المزيد ، وقضى له الامتنان بتخويله نعماً وتنويله مننا : وتضحى هذه عقداً فى كل جيد ، و تمسى هذه مقربة له من الآمال كل بعيد — واقتضى حسن الرأى الشريف أن يمنح بهذا المنشور : ليخص من الأولياء بالسعد الجديد والجد السعيد .

فلذلك خرج الأمر الشريف . . . (٤١) .

*

— ٥ —

نسخة منشور كتب بها للأمير خاص ترك فى الروك الناصرى(٤٢)

الحمد لله على نعمه التى سرت إلى الأولياء ركائبها ، وهمت على رياض الأصفياء سحائبها ، وتوالت إلى من أخلص فى الطاعة بغرائب الإحسان رغائبها ، وتكفلت لمن خص بأسنى رتب البر الحسان مكارمها العميمة ومواهبها ، وغمرت بحار كرمها الزاهرة من يحدث عن شجاعة ولاحرج كما يحدث عن البحور التى لا تفنى عجائبها .

نحمده على نعمه التى إذا أغبتنا سحائب الندى أعقبت سحائب ، وخصت الخواص من درج الامتنان بمراتب تزاحمهـــا الكواكب على نهر المجرة بالمناكب ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة لا يزال الجهاد يرفع ألويتها ، والجلاد يعمر بوفود الإخلاص أنديتها ، والإيمان يشيد فى الآفاق أركانها الموطدة وأبنيتها ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أيده الله بنصره وخصه بمزية التقدم على الأنبياء مع تأخر عصره ، وآتاه من المعجزات ماتكل ألسنة الأقلام عن إحصائه وحصره . صلى الله عليه وعلى وصحبه الذين حاطوا دينه بالمحافظة على جهاد أعدائه ، وأيدوا ملته بإعادة حكم

الجلاد فى سبيل الله وإبدائه ، صلاة لا يزال الإيمان يقيم فرضها ، والإيقان يملأ بها طول البسيطة وعرضها ،وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فإن أولى من ضوعفت له النعم ووطدت له الرتب التى لا تدرك غاياتها إلا بسوابق الخدم ، وأشرقت به مطالع السعود ، وحققت له مطالب الاعتلاء والصعود ، ورفعته مواقع الإحسان إلى أسنى المراتب التى هو ملى بارتقائها ، وتولت له هوامع البر والامتنان انتقاء فرائد النعم التى هو حقيق باختيارها وانتقائها ، وبلغته العناية بأجل مما مضى قدراً واستقبلته الرعاية من أفق الإقبال بما إذا حقق التأمل وجد هلاله بدراً — من ربى فى ظل خدمتنا التى هى منشأ الآساد ومربى فرسان الجهاد ، وعرين ليوث الوغى التى آجامها عوالى الصعاد ، وبراثنها مواضى السيوف الحداد ، وفرائسها كماة أهل الكفر وحماة أرباب العناد ، فكم له فى الجهاد من مواقف أعزت الدين ، وأذلت المعتدين ، وزلزلت أقدام الأبطال وزحزحت ذوى الأقدام عن مواقف المجال ، وحكمت صفاته فى القمم وأنبتت صفاحه فى منابت الهمم ، وفرقت ما لأهل الكفر من صفوف ، وأرتهم كيف تعد ألوف الرجال بالآحاد وآحادها بالألوف.

ولما كان (فلان) هو الذى أشير إلى مناقبه ، ونبه على شهرة إقدامه فى كل موقف يمن عواقبه ، وأومىء إلى خصائص أوصافه التى مازال النصر يلحظها فى مشاهد الجهاد بعين ملاحظة ومراقبة — اقتضت آراؤنا الشريفة أن نجدد اعتلاء مجده ونزيد فى أفق الارتقاء إضاءة إقباله وإنارة سعده ...

فلذلك خرج الأمر الشريف لا زال . . (٤٣) .

*

— ٦ —

نسخة منشور كتب به فى الدولة الناصرية محمد بن قلاوون لجمال الدين آقوش الأشرفى المعروف بنائب الكرك عند خروجه من الجب (٤٤) .

الحمد لله مفرح القلوب ومفرج الكروب ومبهج النفوس بذهاب غياهب الخطوب ، ومبلغ من تقادم عهده فى حفظ ولائنا نهاية المرغوب ، وغاية

المطلوب، الذى أعاد إلى المخلصين فى طاعتنا النعمة بعد شرودها، وعوضهم عن تقطيب الأيام بابتسامتها وعن خمولها بسعودها، وألقى على الأول منهم جمالا لا يسع الأذهان أن تتصف بإنكار حقوقه وجحودها .

نحمده على ما وهبنا من الأناة والحلم، وخص به دولتنا من المهابة التى تخشى يوم الحرب والمواهب التى ترجى يوم السلم ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكفلت بالنجاة لقائلها ، وأغنت من حافظ عليها عن ضراعات النفوس ووسائلها ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث برعاية الذمم ، والمنعوت بحسن الرأفة التى هى شعار أهل الوفاء والكرم . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما تلافت الأقدار نفوساً من العدم ، وتوافت الأمانى والمناجح فأظفرت من أخلص نيته الجميلة برد ضالة النعم ، صلاة تضفى على الأولياء حلل القبول والرضا، وتصفى من الأكدار مناهل سرورهم، فكان الخطب أبرق وأومض فمضى ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فإن أولى من انتظمت بعد الشتات عقود مساره ، وابتسمت بعد القطوب ثغور مباره ، واستملت عواطفنا عليه فجلبت أسباب منافعه وسلبت جلباب مضاره ، واحتفلت عوارفنا بالملاحظة لعهده الوثيق العرا ، والمحافظة على سالف خدمته التى ما كان صدق ولائها حديثاً يفترى ، وسبق له من الاختصاص فى الإخلاص ما يرفعه من خاطرنا مكانة عالية الذرا — من أضحى من السابقين الأولين فى الطاعة، والباذلين فى أداء الخدمة والنصيحة لدولتنا جهد الاستطاعة، والمالكين للمماليك بحسن الخلة وجميل الاعتزام، والمحافظين على تشييد قواعد الملك بآرائه وراياته التى لا تسامى ولا تسام، وأمسى هو الوالى الذى لا يشاركه أحد فى إخلاص الضمير فى موالاتنا وصفاء النية، ولا يساهمه ولى فيما اشتمل عليه من صدق التعبد وجميل الطوية، والمخلص الذى انفرد بخصائص الحقوق السابقة والآنفة، وامتاز بموجبات خدم لا تجحد محافظتها التالدة والطارفة وطلعت شمس سعادته فى سماء مملكتنا فلم يشنها الغروب، وأضاء بدره فى أفق عزه فكان سراره مذهباً لأعين الخطوب .

ولما كان (فلان) . . (٤٥) .

نماذج مناشير أصحاب الألقاب المختلفة

(من مقدمى الألوف)

— ٧ —

نسخة منشـــور لمن لقبه « سيف الدين »

من إنشاء المقر الشهابى بن فضل الله العمـــرى

الحمد لله الذى جرد فى دولتنا القاهرة سيفاً ماضياً ، ووفق من جعل فعله لمزيد النعم متقاضياً ، وأسعد بإقبالنا الشريف من أصبح به سلطاناً مرضياً وعيشه راضياً .

نحمده على نعمه التى تسر موالياً وتسوء معادياً ، وتقدم من أوليائنا من يقوم مقامنا إذا سمع منادياً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة كم أروت فى موارد الوريد من الرماح صادياً ، وأورت هادياً ، ورفعت من أعلام الأعيان هادياً ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أنزل القرآن بصفاته حالياً ، وأحلنا ببركة المشاركة فى اسمه المحمدى مكاناً علياً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا يبرح كل إنسان لها تالياً ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فإن صدقاتنا الشريفة لم تزل تجدد إنعاماً وتزيد إكراماً ، وتضاعف لكل من أضحى ناصريا بحقيقة ولائه إجلالا وإعظاماً ، ليترقى إلى أعلى الدرج ، ويعلم أنه قد ورد البحر فيحدث عن كرمه ولا حرج ، ومن رأى التقرب إلى الله تعالى بمراضينا الشريفة فتقرب إليها ، وأقبل بقلب مخلص عليها ، وأشبه البدر فوافقه توسماً ، وحكى السيف بارق ثغره لما أومض فى حومة الحرب منقسما وأقدم حين لم يجد بداً أن يكون مقدماً ، ووصفت الطعنات التى أطلعت أسنتها الكواكب بها درية ، والحملات التى تقر العدا لفعلاتها أنها بها درية ، كم له من محاسن وكم عرفت له من مكامن وكم له من صفات كالعقود يصدق بها من قال « الرجال معادن » . كم له من همة تترقى به إلى المعالى ، كم له من عزمة يروى حديثها المسند عن العوالى ، كم به أمور تناط وكم جمهور يحاط ، كم له

من احتفاء واحتفال، وكم له من قبول وإقبال وكم له من وثبات وثبات، وكم له من صفات وصفات، وكم له إماتة كماة، كم له من مناقب تصبح وتمسى، وكم له من معارف لما علم بها ملكه — خلد الله ملكه — قال الملك: «ائتونى به استخدمه لنفسى».

فلذلك لا تزال آراؤنا العالية تعقد له فى كل وقت رأيه، وتسعى به إلى أبعد غاية، وتتبع له عناية، بعد عناية حتى لاتخلو دولتنا الشريفة من سيف مشهور، وعلم منشور، وبطل لا يرد عن الصميم تصميماً ولا تعد أكابر الأمراء إلا ويكون على العساكر مقدماً وعلى الجيوش زعيماً، ليعلم كل مأمور وأمير، وكل مماثل ونظير، أن حسن نظرنا الشريف يضاعف لمن تقرب إلينا بالطاعة إحساناً، ويوجب على من وجد الميسور بهذا المنشور امتناناً «ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً [٤٦]».

ولما كان (فلان) هو المعنى بهذه المقاصد، والمخصص بهذه الممادح والمحامد، والواحد الذى ما قدم على الألف إلا وكالألف ذلك الواحد.

فلذلك خرج الأمر الشريف — لا زالت أيامه موصولة الخلود مرسومة بمزايا الجود أن يجرى فى إقطاعه ... [٤٧].

*

— ٨ —

نسخة منشور لمن لقبه «شمس الدين»

«كتب به فى الدولة الناصرية — محمد بن قلاوون»

الحمد لله الذى جعل دولتنا القاهرة مطلع كل قمر منير ومجمع كل مأمور وأمير، وموقع كل سحاب يظهر به البرق فى وجه السحاب المطير الذى شرف بنا الأقدار وزاد الاقتدار، وجعل ممالكنا الشريفة سماء تشرق فيها الشموس والأقمار.

نحمده على نعمه التى تختال أولياؤنا بها فى ملابسها، وتختص بنفائسها،

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجرد سيف الدين لإقامتها ونحافظ بوقائعه فى الحرب على إدامتها . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى خصه بمزية التقريب وشرفه على الأنبياء بالمكان القريب. صلى الله عليه وسلم وعلى آله الذين عظمهم بقربه وكرمهم بحبه، وقدمهم فى السلف الصالح إذا جاء كل ملك بأتباعه وكل ملك بصحبه ، وسلم .

وبعد فإن أولى الأولياء أن تشمله صدقاتنا الشريفة بحسن نظرنا الشريف، وبرفعة قدره المنيف، ليتم له إحسانها ويزيد إمكانها. حتى ينتقل هلاله إلى أكمل مراتب البدور ، ويمتد بحصنه المستظل به كثير من الجمهور. ويتقدم فى أيامنا الشريفة إلى الغاية التى يرجوها، ويقدم قدمه إلى مكانة أمثاله التى حلوها ، وتتكمل بنا نعمة الله « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها »(٤٨) .

الناصرى بحقيقة ولائه، البهادرى شجاعة فى لقائه. من تكفلت صدقاتنا العميمة له بما لم يكن فى أمله، وجعلت حمايتنا الشريفة بأبهى مما ينسجه الربيع من حلله، وتوسعنا فيه من معرفة تقرب إلى مراضينا الشريفة بهادريا ، وهمة جردنا بها منه سيفاً بهادرياً ، وطلعة أطلعت منه بالبهاء كوكباً درياً مع تحول فيه من نعمنا الشريفة وقام به فى أبوابنا العالية من أحسن القيام فى كل وظيفة .

ولما كان (فلان) هو الذى أشرنا إليه ونبهنا مقل النجوم عليه ، فاقتضت آراؤنا الشريفة أن نبلغه أقصى رتب السعادة ونعجل له بحظ الذين أحسنوا الحسنى وزيادة ليعد فى أكابر أمراء دولتنا الشريفة إذا ذكروا ، والمقدمين على جيوشنا المنصورة إذا بادروا إلى مهم شريف أو ابتدروا ، ليعلم كل أحد كيف يجازى شكور ، وكيف يتحلى بنعمنا الشريفة كل سيف مشهور، وكيف نذكر واحداً منهم فيغدو فى زعماء العساكر المؤيدة وهو مذكور ليبذلوا فى خدمة أبوابنا الشريفة جهدهم، ويتوكلوا على الله تعالى ثم على صدقاتنا العميمة التى تحقق قصدهم .

فلذلك خرج الأمر الشريف . . (٤٩).

*

نسخة منشور كتب به فى الدولة الناصرية — محمد بن قلاوون —

لمن لقبـــه « صلاح الدين »

الحمد لله الذى أتحف الممالك الشريفة من سعيد تدبيرنا بصلاحها وصرف حميد تأثيرنا بإنجاب الأولياء وإنجاحها ، وأسعف طوامح أمانيهم : من اقترابهم من خواطرنا الشريفة فى بعدهم وتدانيهم بإجابة سؤالها وإصابة اقتراحها .

نحمده على أن جعل نصر دولتنا الشريفة قريباً من نصاحها ، ونشكره على أن وصل أراجيهم بأرباحها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تحسن المآل والعاقبة لذوى الإخلاص كما أحسنت فى ابتدائها وافتتاحها ، ويؤذن حسن اعتنائها لأحوال أولى الاختصاص بإصلاحها ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى عمت مواهبه بإبراق سمائها وإغداق سماحها ، وسمت مناقبه بائتلاق غررها وإشراق أوضاحها ، وأمت مواكبه ديار العدا فشدت عليهم مشهور قراعها ومنصور كفاحها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أصابت أكفهم فى السلم بمسعفات أقلامها وصالت أيديهم فى الحرب بمرهفات رماحها ، ماجرت الأقدار بمتاحها وسرت المبار لمتاجها وظهرت آثار الإقبال التام على من له بخدمتنا اهتمام واحتفال فلاح على مقاصده معهود فلاحها ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فإن أولى من لحه نظرنا الشريف حيث كان ، وحجة فكرنا الحسن الجميل فمنحه الإجمال والإحسان ، من لم يزل شكره أرجاً بكل مكان وذكره بهجاً تسرى به الركائب وتسير به الركبان ، وصدره الرحيب مستودع الأسرار فلا تصاب إذا كانت فيه تصان وقدره عندنا المحفوظ المكانة ، فإن بعد فهو قريب دان ، وأمره منا الملحوظ بالإعانة ، فلا نزال نوليه البر ونعلى له الشان .

ولما كان (فلان) . . (٥٠) .

— ١ —

نسخة منشور كتب بها لبعض الأمراء

الحمد لله رافع الأقدار ومجزل المبار وجاعل يمين كرمنا مبسوطة باليسار ، نحمده على غيث فضله الدار ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة سرت الأسرار ، وأذهب نورها ما كان للشرك من سرار ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أنجد له فى نصر الحق وأغار ، وأرهف من سيف النصر الغرار صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم ، من كان ثانى اثنين فى الغار ، ومنهم من سبقت له دعوة سيد المرسلين من سالف الأقدار ومنهم من كرم الله وجهه فكان له من أعظم الأنصار .

وبعد ، فإن العطايا أيسر ما تكون تنويلها ، وأسر ما يلفى تخويلها إذا وجدت من هو لرايتها متلقيا وفى ذرا الطاعة مترقياً ، ومن إذا صدحت حمائم التأييد كانت رماحه الأغصان ، وألويته الأفنان ، ومن تردى ثياب الموت حمراً فما يأتى لها الليل إلا وهى بالشهادة مخضرة من سندس الجنان ، وإذا شهر عضبه أرضى ربه ، وإذا هز رمحه حمى سرحه وإذا أطلق سهماً قتل شهماً ، وإذا جرد حساماً كان حساماً ، وإذا سافرت عزائمه لتطلب نصراً حلت سيوفه فجاءت بالأوجال جمعاً وبالآجال قصراً .

ولما كان (فلان) هو الذى جمع هذه المناقب الجمة وامتاز بالصرامة وعلو الهمة . استحق أن ينظر إليه بعين العناية . وأن يجعل ابتداؤه فى الإمرة دالا على أسعد نهاية .

فلذلك خرج الأمر الشريف — لا زال يرفع الأقدار . ويجزل المبار ، أن يجرى فى إقطاع . . (٥١) .

❁

نسخة منشـــور لمن لقبه « زين الدين »

الحمد لله وهب هذه الدولة من أوليائها أحسن زين من أمراء الطبلخاناه ومنحها منهم من يشكر السيف والعنان منه اليدين . ومن يملأ ولاؤه القلب وثناؤه السمع وبهاؤه العين .

نحمده على نعمه التى نفت عن نور الملك كل شىء من شين . وأبقت له من كماته وحماته من لا فى إخلاصه ريب ولا فى محافظته مين . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة متبرئ من اتخاذ إلهين اثنين ونشهد أن محمداً عبده ورسوله شهادة متمسك من هذه وهذه بعروتين . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة دائمة ما جمع المسافر من الصلوات بين الأختين . وما جلس خطيب بين خطبتين وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فإن خير من رقى خطيبه إلى أرفع رتبه وأنجح فى تحويل النعم على كل طلبة ورغبة ، لا بل أهديت إليه عرائس النعماء وقد ابتدأت هى بالخطبة ، وكثر له فى معروف أصبح يبذله معروفاً وأعين على جود أمس به موصوفاً ، وذللت له قطوف إحسان كم ذلل الأولياء من أجله فى مراضى الدولة ومحابها قطوفاً فقطوفاً — من الخلف الملك أحسن الخلف ومن له يفعل الخير أعظم كلف ، ومن يشهد له بالشجاعة الخيل والليل والبيداء والسيف والرمح والأعداء فلا غزوة إلا وله فيها تأثير وأثره ولا ندوة إلا وبها من وصفه بالذكر الجميل ، سمر . تتشوف إلى ملاحظة غرته كل عين ويتبين لحياطته فى الوجود كل أثر ما أثار وجهه فى نهار سلم إلا وقيل الشمس ولا بدا فى ليل حطب إلا وقيل القمر .

ولما كان (فلان) هو بدر هذه الهالة وجل هذه الجلالة ونور هذه المقلة ولابس هذه الحلة — اقتضى حسن الرأى الشريف أن تكثر لديه النعم وأن يجرى بتنمية الإحسان هذا القلم .

فلذلك خرج الأمر الشريف — لا برح يجود وبالخيرات يعود — أن يجرى فى إقطاعه . . (٥٢) .

نسخة منشور تصلح لمن مات أبوه
وتتضمن معنى الوراثة فى الإقطاعات

الحمد لله الذى يجعل سماء كرمنا على الأولياء هامية السحاب وعوارف نعمنا جميلة العقبى للأعقاب وعواطف أيامنا الشريفة تجزل العطاء وتجبر المصاب .

نحمده على نعمه التى ما سخت العيون إلا أقرتها ، ولا اكتأبت النفوس بملمة إلا سرتها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا يزال ربع الأنس بها معموراً وصدع النفس بها مجبوراً ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أصبح شعث الإيمان به ملموماً وحزب الطغيان به مهزوماً وداء البهتان بحسامه محسوماً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كان هو بدر السيادة وكانوا نجوماً صلاة لا يبرح ذكرها فى صحائف القبول مرقوماً وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فإن أولى من درت أخلاف جودنا لخلفه ، ورعى كرمنا خدم سلفه ، ونقلنا هلاله من تقربنا إلى منازل شرفه ، وأجراه أحلتنا على جميل عوائده ، وسوغه ، نوالنا أعذب موارده وجمع لنا إنعامنا بين طارقه وتالده من استمسك من سبب إخلاصنا بآكده ، وحذا فى ولائنا أحسن حذو ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده ، واشتهرت بالشهامة التى أغنت بمفردها عن الألوف . وعرف بالإقدام الذى طالما فرق الجموع واخترق الصفوف ، ما دنا من الأعداء إلا دنت منهم الحتوف ، ولا أظلم ليل النقع إلا جلته أنجم الصعاد وأهلته السيوف » .

ولما كان (فلان) هو الممدوح بجميل هذه الشيم والممنوح جزيل هذه النعم ، والشبيه فى موالاتنا بأبيه ومن أشبه أباه فما ظلم .

فلذلك خرج الأمر الشريف لا برحت سحب كرمه هاطلة الأنواء شاملة الآباء والأبناء — أى يجرى فى إقطاعه . . (٥٣) .

* * *

النوع الثانى من المناشير

(أ) مناشـــير أمراء العشرات

— ١ —

نســـخة منشور لأمير عشرة

أما بعد حمد الله على نعمه التى يبديها ويعيدها ويفيئها ويقيدها، ويديمها على من شكر ويزيدها، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى نزلت لنصره ملائكة السماء وجنودها وأخذت على الإقرار بنبوته مواثيق الأملاك وعهودها، وعلى آله وصحبه الذين هم أمناء هذه الأمة وشهودها .

فإن أحق من تقلب فى إنعامنا، وتقدم فى أيامنا، وتوالت إليه آلاؤنا تترى ، وتكررت عليه نعماؤنا مرة بعد أخرى، من ظهرت آثار خدمته ، وصحت أخبار نجدته، وشكرت مساعيه الجليلة، وحمدت دواعيه الجميلة وكان له من صفاته الحسنى ما ينيله من الدرجات الأعلى، ومن المطالب الأسنى .

ولما كان (فلان) ممن زانته طاعته، وقدمه إقدامه وشجاعته، وشهدت له مواقف الحروب أنه مجلى الكروب وأقر له يوم الوغى بإبادة من بغى وكان له مع الشهامة الرأى الثاقب والسهم الصائب يصيب ولا يصاب . جذع القريحة رابط الجأش عند تغير الأذهان الصحيحة — اقتضى حسن الرأى الشريف أن ترفع درجته، وتعلى رتبته، وينظم فى عقود الأمراء به، ويسلك به جادة الكبراء لترقيه فى درج السعادة وتبلغ رتبة السيادة .

فلذلك خرج الأمر الشريف — لا برحت هامية غوادى آلائه سابغة ملابس نعمائه أن يجرى فى إقطاعه . (٥٤) .

*

— ٢ —

نسخة أخرى :

أما بعد حمد الله على جيوش كثرها وجيوب للعدا بالأسنة زررها ، وجنوب بالنوم على فرش الأمن الوثيرة آثرها، والصلاة والسلام على سيدنا

محمد الذى أيد الله به الأمة وظفرها، وثبت مواقفها ونصرها، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تستمد الأيام والأنام من رقها آصالها وبكرها، فإن من ورد البحر أغناه بمده، ومن تعرض لسقيا السحاب جاد له برفده، ومن جاور كوكب السعد فاض عليه من سعده، ومن تيمم ناد الندى كان أدنى إلى نيل قصده ومن يمت بخدمه كان من حقه رعاية عهده .

ولما كان (فلان) هو الذى قدم خدماً شهدت بها غرر الأيام ، ولسان كل ذابل وحسام وكل كمى لوت إلى فؤاده من يده طيورسهام ، وجربناه فحمدنا بالتجريب . ودربناه حتى تأهل للتأمير بالتدريب واستحق المكافأة على مآثره وكانت له خدمة عندنا كالحسنة له عنها عشرة .

فلذلك خرج الأمر الشريف — لا زال يمد أولياءه ويسعدهم ويقرب أخصاءه ولا يبعدهم ، أن يجرى فى إقطاعه . . (٥٥) .

*

(ب) مناشير أبنـــاء الأمراء

الذين أمروا فى حيـــاة آبائهم

— ١ —

أما بعد حمد الله الذى جعل سيف دولتنا للدين المحمدى ناصراً وجمع شمل أعز الأولياء والأبناء فى خدمتنا على إنعامنا الذى أضحى بين الأنام مثلا سائراً ، وأقر الأعين من ذرارى أصفيائنا بما يفوق الدرارى التى غدا نورها فى أفقها زاهياً زاهراً والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أيده الله من أوليائه بعشيرته الأقربين وشد أزره من أصحابه بالأبناء والبنين ، وعلى آله وصحبه صلاة لا نزال بها فى درج النصر مرتقين ، ولا يبرح لنا بها حسن العاقبة بالظفر على الأعداء والعاقبة للمتقين — فإن أنمى الغروس من كان أصله فى درج الولاء ثابتاً ، وأزهى الثمر ما كان فى أغصان الوفاء نابتاً ، وأبهى الأهلة ما بزغ فى سماء الإخلاص ، وطلع آمناً من السرار والانتقاص . وأعز الأولياء من نشأ

فى ظل القرب والاختصاص وتلقى ولاءنا عن أبوة كريمة جمعت له من العلياء شمل طارفه وتالده وحذا فى عبوديتنا حذو والده ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده وتحلى بطريقته المثلى فى الموالاة التى عدم فيها المضاهى والمماثل ولاحت على أعطافه مخايل الإخلاص فيعرف فيه من تلك المخايل .

ولما كان (فلان) هو جوهر ذلك السيف المشكور بالمضاء عند الانتضاء ونور ذلك البدر المشهور فى أفق العلياء بالغناء والسناء كم لأبيه فى خدمتنا عند تزلزل الأقدام من مواقف وكم أسلف فى طاعتنا من مخالصة عند الاختلاف وهو عليها عاكف ما تقدم فى كتيبة الإقدام إلا والنصر له معاضد ولا جرد فى مهم إلا أغنى واستحق أن ينشد . ولكن سيف الدولة اليوم واحد » .

اقتضى حسن الرأى الشريف أن ننضد لسعادتهما عقداً منضداً ، وأن نخص كلا منهما بإمرة حتى يغدو لنا من هذا والداً من أعز الأنصار ومن هذا ولداً .

فلذلك خرج الأمر الشريف — لا برح يفرلأوليائه من الإحسان المدد ، ويكثر لأصفيائه ،من الأعوان على الطاعة العدد ،ويشمل بره ومعروفه الوالد والولد (٥٦) .

*

— ٢ —

أما بعد حمد الله الذى زين سماء دولتنا من ذرارى أوليائنا بمن يفوق الدرارى إشراقاً ، وأنار مطالع مواكبنا المنصورة من كواكب أصفيائنا بمن يبهر العيون ائتلاقاً واتساقاً ، وجمع شمل السعادة لأهل بيت اتسقت عقود ولائهم فى طاعتنا فحسنت فى جيد الدهر انتظاماً وانتساقا ، جاعل سيوف دولتنا فى مراضينا مرهفة الغرار مرتقبة الأعداء ، فما جردت عليهم إلا أرتهم مصارع الاغترار ، والشهادة له بالوحدانية التى نطق بها لسان التوحيد والإقرار ، وجعلت

وسيلة إلى الخلود بدار القرار ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أنجده الله من خاصته بالأعوان والأنصار ، ورفع لواء نبوته حتى صار منشور الأعلام فى الأمصار ،وعلى آله وصحبه الذين ميزهم الله بشرف قربه ، وجعل للآباء منهم فضل المزية من قلبه ، ورفع أقدارهم بأن جعل منهم حبه وابن حبه — فإن أولى من جمع شمل السعادة فى إزاره ، ورفعت راية الإمارة لفخاره من نشأ على إخلاص الولاء الذى أشبه فيه أباه ولمعت بروق أسنته التى كم أغمدها فى رقاب عداه كم جرد النصر لنا من أبيه سيفاً فى مواقف التأييد وأمضاه ، كم زكا فرعه السامى فى رياض الإخلاص وأبدر هلاله المشرق فى مطالع الاختصاص .

ولما كان (فلان) هو الذى نشأ فى خدمتنا وليداً وغذى بلبان طاعتنا فأمسى حظه سعيداً ، وأضحى رأيه حميداً ، ولم يزل لأبيه أعزه الله حقوق ولاء تأكدت أسبابها ومدت فى ساحة الاعتداد أطنابها ، وحسن فى وصف محافظتها إسهاب الألسنة وإطنابها .

اقتضى حسن الرأى الشريف أن نرقى هلاله إلى منازل البدور وأن نطلعه فى سماء عز بادية الإنارة واضحة السفور وأن يعلى من ذلك قدره إلى محل الإمارة وأن نتوجه منها بما يكون أعظم دليل على إقبالنا وأظهر أمارة .
فلذلك خرج الأمر الشريف — لا زال . . (٥٧) .

❁

— ٣ —

أما بعد حمد الله منور الأهلة فى آفاقها ، ومنول عوارفه بإرفاقها ، ومكمل عطاياه بإطلاقها ، ومنشىء ذرارى الأولياء كالدرارى فى إشراقها ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى جمع القلوب بعد افتراقها وشفع فى الخليقة إلى خلاقها ، وعلى آله وصحبه البحور فى اندفاقها والبدور فى ائتلاقها ،

فإن أبناء الأولياء أشبال الأسود . وعليهم عاطفتنا تجود . قد أنشأت نعمنا آباءهم فأصبحوا للدولة أنصاراً ،وألحقناهم بهم في التقديم فأمروا أبصاراً ،وكان ممن ترعرع ناشباً وغدا فرعاً زاكياً ،وتدرب على الصهوات يمتطيها وتأهل لجازل النعم برضا مفضيها ،ودلت حركاته على أن الشجاعة سجية طباعه ،وأنه تروى بلبان الطاعة من وقت رضاعه ، وأن أباه أجله الله أحسن مرباه . فأشبهه بجميل اتباعه ، وهو فلان المنتخب في الدولة الناضرة ،المشبه في الإضاءة النجوم السافرة .

فلذلك خرج الأمر الشريف . .[٥٨] .

مناشــير العــربان

— ١ —

« منشور لأمير عــرب »

الحمد لله الذى أرسل ديم كرمنا دائمة الإمداد وشمل بجودنا كل حاضر وباد ، وجعل أيامنا الشريفة تخص بطولها كل طيب النجار طويل النجاد ، نحمده حمداً بحلاه يزدان ومن جداه يزاد ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تمهد لقائلها خير مهاد ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الكريم الأجداد ، الرحيب الناد ، أرسله لإصلاح الفساد ، وإرباح الكساد وكشف العناء وإزالة العناد ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أرهفوا فى جهاد أعداء الله البيض الحداد وأرعفوا السمر الصعاد ، وعلى أصحابه الذين كانوا يوم الفخار السادات ويوم النزال الآساد ، وسلم تسليماً كثيراً . . .

وبعد ، فإن أولى من عمرنا بكرمنا مربعه وناديه وأمطرنا ثرى أمله بغادية مغاديه ، وسفر له وجه إحساننا عن واضح أسرته ، وقابلة إقباله فقدمه على قبيلته وميزه على أسرته ، من أخلص فى طاعتنا ضميراً واتبع جادة موالاتنا فأصبح بتجديد نعمنا جديراً وحذا فى خدمتنا أحسن حذو وعرف بجميل المخالصة فى الحضر والبدو ، واشتهر بالشجاعة التى طالما فرقت جموعاً وأقفرت من الأعداء ربوعاً ، واتصف بالإقدام الذى ما ألف عن محارب رجوعاً كم أنهل مثقفاته فى دماء النحور ، وأشرع صعاده فأوردها الأوردة وأصدرها فى الصدور ، ورفع من أسنتها فى ليل النقع ناراً قرارها لحوم العدا وأضيافها الآســاد والنسور .

ولما كان (فلان) هو الممنوح هذا الإنعام الغمر والممدوح فى مواقف الحروب بإقدام عمرو .

فلذلك خرج الأمر الشريف — لا برحت شاملة مواهبه، هاملة سحائبه — أن يجرى فى إقطاع . . [٥٩] .

٢ — مناشير أمراء آل تنوخ (أمراء الغرب)

أ — الأمير سعد الدين خضر .

❁

— ١ —

نسخة منشور له من المعز أيبك التركمانى[٦٠]

بتاريخ ٢٧ ربيع الأول سنة ٦٥٤ ﻫ (١٢٥٦ م)

العلامة : « حسبى الله »

جهاته : من الشوف : المعاصر الفوقانية — بعذران — عين ماطور[٦١] — بثلون — عين أوزيه — كفر نبرج — أبريج [٦٢] — عريفه .

ومن وادى التيم [٦٣] : تنوره — ظهر حماره .

ومن إقليم الخروب : برجه — بعاصر الشحيم [٦٤] .

ب — الأمير جمال الدين حجى بن نجم الدين محمد بن حجى :

❁

— ٢ —

نسخة منشور له من الملك الظاهر بيبرس

بتاريخ رجب ٦٥٩ ﻫ (١٢٦١ م)

العلامة : « المستعان بالله »

جهاته : عالية — مجدليا — شارون — عرامون — عنرافيل — طردلا — دقون — عين كسور — قدرون — شملان — مرتقون — سرجمور — بطلون عيناب — الدوبر — بتاثر — بيصور — كفر عميه — عينات [٦٥] .

— ٣ —

الأمير شمس الدين كرامة بن بحتر بن صـــالح

المتوفى سنة ٧٩٧هـ (١٣٩٤ م)

« ويتضمن المشاركة فى الإقطاع »

نسخة منشور له من الناصر محمد

جهاته : عرامون — بيصور — كيفون — ثلث عيناب — ثلث عين عنوب — ثلث بناثر — ثلث كفر عميه — ثلث حصة الملك — بخلده — حرف شالا(٦٦) مرتفون — بركة شطرا (٦٧) من الفريديس فدان (٦٨) .

قائمة بالمناشير التى كتبت بعد روك الشام

فى سنة ٧١٣ هـ (١٣١٣ م)

فى عهد الناصر محمد بن قلاوون لأمراء العرب من آل تنوخ

— ١ —

الأمير ناصر الدين الحسين بن سعد الدين أمير الغــرب
(أمير عشرة)

« المجلس السامى الأمير ناصر الدين الحسين بن سعد أمير الغرب لخاصته وعشرين طواشياً من بيروت » : —

« عرامون — حرف شالا — كيفون — بيصور — ثلث عين عنوب — ثلث عيناب — شمشوم — ثلث كفر عميه — ثلث بتاثر — بركة — شطرا — مرتفون — ثلث حصة بخلدا — مفدلا — من الفريديس فدان (٦٩) .

❁

— ٢ —

« الأمير عز الدين حسين بن شرف الدين على »
« أمير عشرة »

« مجلس الأمير عز الدين بن حسين بن شرف الدين على : لخاصته وعشرة طواشية :

نصف عيناث — نصف دقوق — نصف مجدليا — نصف شملال — نصف عين عنوب (٧٠) — نصف سرجمور — نصف عين دارفيل — ثلث بناثر — ثلث عيناب — ثلث قطع أرض فى العمروسية — ثلث حصة الملك فى خلدا — ثلث كفر عمية — من الفريديس فدان (٧١) .

❁

— ٣ —

« الأمير سيف الدين مفرج بن بدر الدين يوسف »

(أمير عشرة)

« مجلس الأمير سيف الدين مفرج بن بدر الدين يوسف بن زين الدين صالح لخاصته وعشرة طواشية :

نصف عيناث — نصف دقوق — نصف مجدليا — نصف شملال — ثلث عين عنوب (٧٢) — نصف عين دارفيل — ثلث بتاثر — نصف سرجمور — ثلث عيناب — ثلث قطع أرض فى العمروسية — ثلث كفر عمية — ثلث حصة الملك فى خلدا — من الفريديس فدان .

❁

— ٤ —

« الأمير عز الدين الحسن بن سعد الدين »

(أمير خمســـة)

« الأمير عز الدين الحسن بن سعد الدين أمير الغرب لخاصته وخمسة طواشية :—

نصف عالية — نصف الحريبة (٧٣) — عناً — نصف الدوير — نصف السباحية — نصف درب المعيتة — ربع قدرون — نصف قطع أرض بقرشية — ربع طردلا — ربع مرطون — ربع عين كسور (٧٤) .

❁

— ٥ —

(الأمير علم الدين ســـليان بن علاب)

(أمير خمســـة)

« الأمير علم الدين سليمان بن علاب لخاصته وخمسة طواشية :—

نصف الحريبة — نصف الدوير — نصف السباحية — من درب المغيثة

النصف – ربع قدرون – نصف قطع أرض بقرنية – ربع طردلا – ربع مرطون – ربع عين كسور [٧٥] .

❋

– ٦ –

« الأمير سيف الدين إبراهيم بن نجم الدين محمد »

(أمير خمســة)

« الأمير سيف الدين ابراهيم بن نجم الدين محمد بن حجى لخاصته وخمسة طواشية : –

ربع بطلون – ربع الظفرانية – نصف القبي [٧٦] – نصف بجواره – نصف مسنون – ربع الدوير – نصف مزرعة أفطو . . . » [٧٧] .

❋

– ٧ –

« الأمير شمس الدين عبد الله بن جمال الدين حجى »

(أمير أربعة)

« الأمير شمس الدين عبد الله بن جمال الدين حجى لخاصته وأربعة طواشية : –

نصف قدرون – نصف رمطون – نصف طردلا – نصف عين كسور [٧٨] .

❋

– ٨ –

« الأمير عماد الدين موسى بن مسعود »

(أمير ثلاثة)

« الأمير عماد الدين موسى بن مسعود بن أبى الجيش ، لخاصته وثلاثة طواشية : –

نصف أدفول – نصف الفسيقين [٧٩] – نصف شطر – نصف دير قوبل – نصف عين حجية [٨٠] .

هـ – من كتب إقطاعات التمليك

١ – مكتوب جامع بالتمليك

« لبلاد قيسارية التى فتحها بيبرس ٦٦٣ هـ (١٢٦٤ م) (استولى عليها من الصليبيين » (حين وزعها على الأمراء المجاهدين من نوع إقطاع التمليك) .

« أما بعد حمد الله على نصرته المتناسقة العقود، وتمكينه الذى رفلت به الملة الإسلامية فى أصفى البرود ، وفتحه الذى إذا شاهدت العيون مواقع نفعه وعظيم وقعه علمت لأمر ما يسود من يسود . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى جاهد الكفار بالسيف البتار ، وأعلمهم لمن عقبى الدار ، وعلى آله وصحبه صلاة تتواصل بالعشى والإبكار . فإن خير النعمة نعمة وردت بعد اليأس ، وأقبلت على فترة من تخاذل الملوك ،وتهاون الناس فأكرم بها نعمة وصلت للأمة المحمدية أسباباً ، وفتحت للفتوحات الإسلامية أبواباً ، وهزمت التتار والفرنج العدوين ، ورابطت من الملح الأجاج والعذب الفرات بالبرين والبحرين ، وجعلت عساكر الإسلام تذل الفرنج بغزوهم فى عقر الدار ، وتجوس من حصونهم المانعة خلال الديار والأمصار،وتقود من فضل عن شبع السيف الساغب إلى حلقات الإسار . ففرقة منها تقتلع للفرنج قلاعاً وتهدم حصوناً، وفرقة تبنى ما هدم التتار بالمشرق وتعليه تحصيناً وفرقة تتسلم بالحجاز قلاعاً شاهقةوتتسنم هضابا سامقة . فهى بحمد الله البانية الهادمة والقاسمة الراحمة. كل ذلك بمن أقامه الله وجرده سيفاً ففرى ، وحملت رياح النصرة ركابه تسخيراً فسار إلى مواطن الظفر وسرى ، وكونته السعادة ملكاً إذا رأته فى دستها قالت تعظيماً له ما هذا بشراً . وهو السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين أبوالفتح بيبرس . جعل الله سيوفه مفاتح البلاد ، وأعلامه أعلاماً من الأسنة على رأسها نار بهداية العباد، فإنه آخذ البلاد ومعطيها وواهبها بما فيها .

وإذا عامله الله بلطفه شكر وإذا قدر عفى وأصلح فوافقه القدر ، وإذا أهدت إليه النصرة فتوحات قسمها فى حاضريها لديه متكرماً ، وقال الهدية لمن حضر ، وإذا خوله الله تخويلا وفتح على يديه قلاعاً جعل الهدم للأسوار ، والدمار للبتار والرقاب للإسار والبـــلاد المزروعة للأولياء والأنصار . ولم يجعل لنفسه إلا ما تسطره الملائكة فى الصحائف لصفاحه من الأجور ، وماتطوى عليه طويات السير التى غدت بما فتحه الله من الثغور باسمه الثغور .

فتى جعـــل البلاد من العطايا فأعطى المـــدن واحتقر الضياعا
سمعنـــا بالكرام وقـــد أرانا عياناً ضعف ما فعلوا سماعا
إذا فعـــل الكرام على قياس جميلا كان ما فعـــل ابتداعا

« ولما كان بهذه المثابة وقد فتح الفتوحات التى أجزل الله بها أجره وضاعف ثوابه ، وله أولياء كالنجوم ضياء ، وكالأقدار مضاء ، وكالعقود تناسقاً وكالوبل تلاحقاً إلى الطاعة وتسابقاً ، رأى ألا ينفرد عنهم بنعمة ولا يتخصص ولا يستأثر بمنحة غدت بسيوفهم تستنقذ . وبعزائمهم تستخلص . وأن يؤثرهم على نفسه . ويقسم عليهم الأشعة من أنوار شمسه ويبقى للولد منهم وولد الولد ، ما يدوم إلى آخر الدهر ويبقى على الأبد ، ويعيش الأبناء فى نعمته كما عاش الآباء وخير الإحسان ما شمل ، وأحسنه ما خلد فخرج الأمر العالى — لا زال يشمل الأعقاب والذرارى وينير إنارة الأنجم الدرارى — أن يملك أمراؤه وخواصه الذين يذكرون ، وفى هذا المكتوب يسطرون ما يعين من البلاد والضياع ، على ما يشرح ويبين فى الأوضاع :—

وهو الأتابك فارس الدين أقطاى الصالحى عتيل بكمالها ، الأمير جمال الدين أيدغدى العزيزى النصف من زيتا ، الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى الصالحى نصف طور كرم ، الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نصف طور كرم ، الأمير شمس الدين الذكر الكركى ربع زيتا ، الأمير سيف الدين بن قلج البغدادى ربع زيتا ، الأمير ركن الدين بيبرس خاص ترك الكبير الصالحى أفراسين بكمالها ، الأمير علاء الدين ايدكين البندقدار الصالحى باقة الشرقية بكمالها ، الأمير عز الدين أيدمر الحلبى الصالحى نصف قلنسوة ،

الأمير شمس الدين سنقر الرومى نصف قلنسوة ، الأمير سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى نصف طيبة الاسم ، الأمير عز الدين ايغان سم الموت نصف طيبة الاسم ، الأمير جمال الدين أقوش النجيبى نائب سلطنة الشام أم الفحم بكمالها من قيسارية ، الأمير علم الدين سنجر الحلبى الصالحى بتان بكمالها ، الأمير جمال الدين أقوش المحمدى الصالحى نصف بورين ، الأمير جمال الدين أيدغدى الحاجبى النـــاصرى نصف بزين ، الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى الصالحى نصف بزين ، الأمير فخر الدين عثمان بن الملك المغيث ثلث حلبة ، الأمير شمس الدين سلار البغدادى ثلث حلبة ، الأمير صارم الدين صراغان ثلث حلبة ، الأمير ناثر الدين القيمرى نصف البرج الأحمر ، الأمير سيف الدين بلبان الزينى الصالحى نصف البرج الأحمر ، الأمير سيف الدين إيتامش السعدى نصف يما ، الأمـــير شمس الدين أقسنقر السلاح دار نصف يما ، الملك المجاهد سيف الدين إسحاق صاحب الجزيرة نصف دنابة ، الملك المظفر صاحب سنجار نصف دنابة ، الأمير بدر الدين محمد بن ولد الأمير حسان الدين بن بركة خان دير القصون بكمالها ، الأمير عز الدين أيبك الأ قرم أمير جاندار نصف الشويكة ، الأمير سيف الدين كرمون أغا التترى نصف الشويكة ، الأمير بدر الدين الوزيرى نصف طبرس ، الأمير زكى الدين منكورس الدويدارى نصف طبرس ، الأمير سيف الدين قشتمر العجمى علار بكمالها ، الأمير علاء الدين أخوا الدويدار نصف عرعرا ، الأمير سيف الدين قفجق البغدادى نصف عرعرا ، الأمير سيف الدين دكجل البغدادى نصف فرعون ، الأمير علم الدين سنجر الأزكشى نصف فرعون ، الأمير علم الدين طرطج الأسدى أقتابة بكمالها ، الأمير حسام الدين إيتمش ابن أطلس خان سيدا بكمالها ، الأمير علاء الدين كندغدى الظاهرى أمير مجلس الصفر بكمالها ، الأمير عز الدين أيبك الحموى الظاهرى نصف أرتاح ، الأمير شمس الدين سنقر الألفى نصف ارتاح ، الأمير علم الدين طيبرس الظاهرى نصف باقة الغربية ، الأمير علاء الدين التنكزى نصف باقة الغربية ،

الأمير عز الدين الأتابك الفخرى القصير بكمالها ، الأمير علم الدين سنجر الصيرفى الظاهرى أخصاص بكمالها ، الأمير ركن الدين البيبرس المغربى نصف قفين ، الأمير شجاع الدين طغريل الشبلى أميرمهمندار نصف كفر راعى ، الأمير علاء الدين كنتغدى الحبيشى مقدم الأمراء البحرية نصف كفر راعى ، الأمير شرف الدين بن أبى القاسم نصف كستا ، الأمير بهاء الدين يعقوب الشهرزورى نصف كستا ، الأمير جمال الدين موسى بن يغمور استادار العالية نصف برنيكية ، الأمير علم الدين سنجر الحلى الغزاوى نصف برنيكية ، الأمير على الدين سنجر نائب أمير جاندار نصف حانوتا من أرسوف ، الأمير سيف الدين بيدغان الركنى فرديسيا بكمالها من قيسارية ، الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى نائب الكرك ثلث حبله من أرسيف ، الأمير جمال الدين أقوش السلاح دار الرومى ثلث حبله ، الأمير شمس الدين سنقر جاه الظاهرى ثلث حبله ، الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح ثلث جلجولية ، الأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى ثلث جلجولية الأمير بدر الدين بكتوت بجكا الرومى ثلث جلجولية .

❁

ملحوظة : ـ (وكتب من كتاب التمليك الشرعى الجامع نسخ وفرقت على كل أمير نسخة وخلع على قاضى دمشق وعاد إلى بلده (٨١)) .

❁

٢ ــ ملخص تقليد بتمليك قلعة الصبيبة وما هو مضاف إليها للأمير بدر الدين بيدرا (٨٢) الأشرفى نائب السلطنة الشريفة أيام خليل

صورة التقليد

« الحمد لله ذى النعم التى »

أجملت للحظوظ الارتفاع وأحسنت فى التخصيص بالأجناس والأنواع ، وخولت كلما يترفع القلم المخول به والمحول له عن مجاراة قلم الجود بالإقطاع نحمده حمداً . ونشهد . . .

ولما كان الجناب العالى الأميرى المولوى الولدى البدرى بدرالدين بيدرا الملكى الأشرفى نائب السلطنة الشريفة ، أجله الله. لهحقوق كرمت ، وخدمة عظمت ، اقتضى شريف الاختصاص أن يكون الكرم على قدر الأكارم . ولذلك خرج الآمر الشريف . . أن يجرى فى ملكه قلعة الصبيبة المحروسة وخاصها المضاف إليها على ما كانت عليه بيد الأمير بدر الدين بيليك الخازندار الظاهرى بما جمعت عليه أسوارها وما حوته أقطارها . ليصبح هذا التمليك فى الاستيلاء والنفاذ . . فليتصرف فيها تصرف الملاك فى أملاكهم ويسمو بتملكها إذا سما الأولياء بالإقطاعات من سلاطينهم وأملاكهم ، فقد وجب تمليكها له وملكه لها وجوباً شرعياً مستوعباً بالمعرفة والإيجاب والقبول والتخلية والتسليم وصار ذلك حقاً مرعياً . . . فليمرد صرحها . . . وليجعلها بالعمارة محسنة . . . فهذا إنعام إذا نشرت صحف المناشير بالإقطاعات ، طوى بما لهذا الملك من الانتفاعات . . والخط الشريف السلطانى . . حجة . . وبه قد أصبح حقاً واجباً ، وما هو إلا معروف بأنه صدقة ومعروف ، وليثبت ذلك بالدواوين المعمورة بمصر والشام . . .(٨٣) .

— ١ —

خلاصة مرسوم شريف بإخراج المعرة وضواحيها عن حماه وإضافتها إلى مملكة حلب لسبب عدم وجود إقطاعات محلولة بحلب تكفى الجنود المنقولين إليها من حماه

بتاريخ ١٩ محرم ٧١٣ هـ (١٣١٣ م)

« فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الناصرى أن يستقر بيده (بيد أبى الفداء صاحب حماه) حماه وبارين بجميع حدودها وماهو منسوب إليهامن بلادوضياع وقراياوجهات وأموال ومعاملات، وغير ذلك من كل ما ينسب إلى هذين الإقليمين ويدخل فى حكمهما. يتصرف فى الجميع كيف شاء من تولية وإقطاع إقطاعات الأمراء والجند وغيرهم من المستجدين من أرباب الوظائف ، وترتيب القضاة والخطباء وغيرهم ، ويكتب بذلك مناشير وتواقيع من جهته ويجرى ذلك على عادة الملك المظفر تقى الدين محمود صاحب حماه ويقيم على هاتين الجهتين ٥٠٠ فارس بالعدة الكاملة من غير نقص ، ويبطل حكم ما عليهما من المناشير والتواقيع الشريفة والمسامحات والمحسوب ، وكل ما هو مرتب عليهما للأمراء والجند والعرب والتركمان وغيرهم بحكم الإنعام بهما على المشار إليه ، على قاعدة الملك المظفر صاحب حماة ، وتعويض الجميع عن ذلك بالمعرة ، وإفرادها عن حماة وبارين ، فليستقر جميع ما ذكر بيده العالية استقرار الدر فى أسلاكها والدرارى فى أفلاكها ، يتصرف فى أحوالها بين العالمين بنهيه وأمره ، ويجرى أموالها بين المتوجبين بإنعامه وبره ، ولا يمضى فيها أمر بغير منشوره الكريم ، ولا يجرى

معلوم ولا رسم إلا بمرسومه الجارى على سنن سلفه القديم ، وليفعل ذلك بجميع ما راد وكيف أراد ، ويتصرف على ما يختار فيما تحت حكمه الكريم ، وبحكمه من مصالح العباد والبلاد ، والله تعالى يعلى بمفاخر عباده ويجعل التأييد والنصر قرين إصداره وإيراده ، والخط الشريف حجة بمضمونه إن شاء الله تعالى .

كتب فى تاسع عشر المحرم سنة ٧١٣ هـ (٨٤) .

*

— ٢ —

تحويل السنين

« ملخص نسخة مرسوم بتحويل السنة القبطية إلى العربية أو السنة الخراجية إلى الهلالية » كتب سنة ٧٥٠ هـ فى عهد السلطان حسن فى سلطنته الأولى (٧٤٨ — ٧٥٢ هـ / ١٣٤٨ م — ١٣٥١م)

وهى : —

« الحمد لله الذى جعل الليل والنهار آيتين ، وصور الشهور والأعوام لابتداء المدد وانتهائها غايتين. ليعلم خلقه عدد السنين والحساب ، وتعمل بريته على توفية الأوقات حقها من الأفعال التى يحصل بها الاعتداد ويحسن بها الاحتساب »

نحمده على ما خص أيامنا الزاهرة من إنعام النظر فى مصالح خلقه .....

وبعد فإنا لما اختصنا الله تعالى به من التوفر على مصالح الإسلام .....

نتبع كل أمر فنسدد خلله .

ولما كان الزمن مقسوماً بين سنين شمسية يتفق فيها ما أخرج الله تعالى من الرزق لعباده ، ويحصل به ميقات القوت الذى قال الله تعالى فيه « كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده »(٨٥) وقمرية لا يعول فى أحكام الدين إلا عليها ولا يرجع فى تواريخ الإسلام إلا إليها . . وكان قد حصل بينهما من تفاوت الأيام فى المدد ، واختلاف الشهور الهلالية فى العدد ما يلزم

منه تداخل مغل فى مغل ونسبة شىء راح وانقضى إلى ما أدرك الآن وحصل، ويؤدى ذلك إلى إبقاء سنة بغير خراج . . .

اقتضى حسن الرأى الشريف أن تحول هذه السنة التى يحصل بها الكبس.. نظراً بذلك فى مصالح الأمة . . .

فلذلك رسم بالأمر الشريف . . . أن يحول مغل سنة ٧٤٩ ه بالديار المصرية المحروسة لمغل سنة ٧٥٠ ه ويلغى اسم مغل السنة المذكورة (وهى سنة ٧٤٩) من الدواوين المعمورة ، ولا ينسب إليها مغل بل يكون مغل سنة ٧٥٠ تالياً لمغل سنة ٧٤٨ وتستقر السنة حينئذ هلالية خراجية بحكم دوران السنين . واستحقاق هذا التحويل من مدة خمس عشرة سنة ، حيث اتفاق مبدأ السنين الشمسية والقمرية ووقوع الإغفال عن هذا المبهم فى الدول الماضية لتكون هذه الدولة الشريفة قائمة بما قعد عنه من مضى من الدول . . لما فى ذلك من المصلحة العامة . . .

فليعتمد حكم ما قررناه . . . وليثبت ذلك فى الدواوين . . . وليسقط ما تخلل بين هاتين السنتين من المغل الذى لاحقيقة له ، وليترك ما بينهما من التفاوت الذى لا تعرف الحسبانات معدله ، وليمح اسم هذه الأيام من الدفاتر.. فليس المغل سوى للعام الذى وجد فيه سببه . وليبطل ذلك من الارتفاعات بالكلية ويسقط من الجرائد . . ولا يذكر مغل السنة المدحوضة فى سجل ولا مشروح ، ولا مشهود يغدو حكم ويروح ، ولا مكلفات تودعها الأقلام شيئاً على المجاز وهو فى الحقيقة مطروح » .

والاعتماد فيه على الخط الشريف – « أعلاه الله تعالى ... » (٨٦) سنة ٧٥٠ه.

*

ملخص نسخة تذكرة سلطانية تكتب لنائب السلطنة عند سفر السلطان إلى خارج البلاد

« تذكرة نافعة ، للخيرات جامعة ، يعتمد عليها المجلس العالى الأميرى الزينى كَتبغا المنصورى نائب السلطنة الشريفة — أدام الله عزه — فى مهمات الديار المصرية وأحوالها ومصالحها وما يترتب بها وما يبت ويفصل فى القاهرة ومصر المحروستين وسائر أعمال الديار المصرية . . وما تستخرج به المراسيم الشريفة المولوية السلطانية الملكية الصالحية الفلانية . . فى أمورها وقضاياها وولاياتها وولاتها وحمولها وحفيرها وحفظها ومتجدداتها على ماشرح فيه :—

فصل الشرع الشريف :

يشد من حكامه وقضاته فى تنفيذ قضاياه وتصريف أحكامه والشد منه فى نقضه وإبرامه .

فصل العدل والإنصاف والحق :

يعتمد ذلك فى جميع المملكة الشريفة . . .

فصل الدماء :

يعتمد فيها حكم الشرع الشريف.ومن وجب عليه قصاص يسلم لغريمه ليقتص منه بالشرع الشريف ، ومن وجب عليه القطع يقطع بالشرع الشريف .

فصل :

الأمور المختصة بالقاهرة ومصر المحروستين حرسهما الله تعالى : لا يتجوه فيها أحد ولا يقوى قوى على ضعيف ،ولا يتعدى أحد على أحد جملة كافية .

فصل :

يتقدم بأن لا يمشى أحد فى المدينة ولا ضواحيها فى الحسينية والأحكار فى الليل إلا لضرورة . . والنساء لا ينصرفن فى الليل . .

فصل الحبوس :

تحرس وتحفظ بالليل والنهار ؛ وتحلق لحى الأسارى كلهم من فرنج

وأنطاكيين وغيرهم ويتعهد ذلك فيهم كلما تنبت ، ويحترز فى أمر الداخل إلى الحبوس . . وتقام الضمان الثقات على الجاندارية الذين معهم ولا يستخدم فى ذلك غريب ولا من فيه ريبة . ويضاعف الحرس فى الليل على خزانة البنود .

فصل :

يرتب جماعة من الجند مع الطواف فى المدينة لكشف الأزقة وغلق الدروب وتفقد أصحاب الأرباع وتأديب من يخل بمركزه من أصحاب الأرباع .

فصل :

الأماكن التى يجتمع فيها الشباب وأولو الدعارة ومن يتعانى العبث والزنطرة لا يفسح لأحد فى الاجتماع بها فى ليل ولا نهار . .

فصل :

يرتب المجردون حول المدينتين بالقاهرة ومصر المحروستين على العادة وكذلك القرافة وخلف القلعة وجهة البحر وخارج الحسينية . . ولا يفارق المجردون مراكزهم إلا عند السفور وتكامل الضوء .

فصل :

يتقدم بأن لا يجتمع الرجال والنساء فى ليالى الجمع بالقرافتين . . .

فصل :

مهمات الغائبين فى البيكار المنصور تلحظ ويشد من نوابهم فى أمورهم ومصالحهم، ويستخلص حقوقهم لنوابهم وغلمانهم ووكلائهم ، ومن كانت له جهة يستخلص حقه منها ، ولا يتعرض إلى جهاتهم المستقرة فيما يستحقونه ويقوى أيديهم وتؤخذ الحجج على وكلائهم بما يقبضونه ، حتى لا يقول موكلوهم فى البيكار ، إن كتبت وكلائنا وردت بأنهم لم يقبضوا لنا شيئاً ، فيكون ذلك سبباً لرد شكاويهم .

فصل :

خليج القاهرة ومصر المحروستين يرسم بهمله وحفره وإتقانه فى وقته

بحيث يكون عملا جيداً متقناً من غير حيف على أحد ، بل كل أحد يعمل ما يلزمه عملا جيداً .

فصل :

جسور ضواحى القاهرة يسرع فى إتقانها وتعريضها . . ويحمل الأمراء فى جراريفها ومقلقلاتها على ما تقدمت به المراسيم الشريفة فى أمر الجسور القريبة والبعيدة .

فصل فى الأعمال والولايات :

تتنجز الأمثلة الشريفة السلطانية المولوية الملكية الصالحية الفلانية . . بإتقان عمل الجسور وتجويدها وتعريضها وتفقد القناطر والترا ع . . وإصلاح ما تشعث من أبوابها .. وتعتمد المراسيم الشريفة من أن أحداً لا يعمل بالجاه ومن وجب عليه فيها العمل يعمل على العادة فى الأيام الصالحية .ويؤكد على الولاة فى مباشرتها بنفوسهم وأن لا يتكلوا على المشدين وأى جهة حصل فيها نقص أو خلل كان قبالة دلك روح وإلى ذلك العمل وماله . . وتؤخذ خطوط الولاة . . بأن الجسور قد أتقن عملها على الوضع المرسوم به .

فصل :

يتقدم إلى الولاة ويستخرج الأمثلة الشريفة السلطانية بترتيب الخفراء على ما كان الحال رتب عليه فى الأيام الظاهرية أن يرتب من البلد إلى البلد خفراء ينزلون بيوت شعر على الطرقات على البلدين ، يخفرون الرائح والغادى .. ولا يسافر الناس إلا من طلوع الشمس إلى غروبها .

فصل ــ الثغور المحروسة :

يلاحظ أمورها ومهماتها . . واستجلاب قلوب التجار.. ومعاملتهم بالرفق والعدل حتى تتواصل التجار وتعمر الثغور ، ويؤكد عليها فى المستخرج وتحصيل الأموال .. وأصناف الذخائر.. ومهما وصل من المماليك والجوارى والحرير والوبر والأطلس والفضة الحجر وأقصاب الذهب المغزول يعتمد فى تحصيله العادة .

فصل :

يؤكد على ولاة الأعمال فى استخلاص الحقوق الديوانية من جهاتها ومباشرة أحوال الأقصاب ومعاصرها فى أوقاتها .

فصل — أموال الخراج الديوانية :

يحترز عليها وتربى وتنمى، ولا يطلق منها شىء إلا بمرسوم شريف منا . .

فصل — حقوق الأمراء والبحرية والحلقة المنصورة والجند وجهاتهم :

يستخلص أموالهم ووكلاءهم، ويوجد الشهادات بما عليهم من غلة ودراهم، وغير ذلك، ولا يحوج الوكلاء إلى شكوى منهم تتصل بمن هو فى البيكار . . .

فصل — يتقدم إلى الولاة والنظار والمستخدمين بعمل أوراق بما يتحصل للمقطعين الأصلية (؟) فى كل بلد ولمقطع الجهة ، ولمن أفرد له طين بجهة ولمن جهته على الرسوم :

ليعلم حال المقطعين فى هذه السنة الجيشية والجهاتية وما تحصل لكل منهم ولا يحصل من أحد ، الولاة مكاشرة ولا إهمال ، ولا يطمع فى الوكلاء لأجل غيبة الأمراء والمقطعين فى البيكار ، ولا يحوج أحد من المقطعين إلى شكوى لسبب متأخر ولا ظليمة ولا إجحاف .

فصل :

إذا خرج جاندار من مصر إلى الأعمال لا يعطى فى العمل أكثر من درهمين نقرة ويوصل الحق الذى جاء فيه لمستحقه ، فإن حصل منه قال وقيل أو حيف أو تعنت يرسم عليه ويسير الحق مع صاحبه معه ويطالع بأن فلاناً الجاندار حضر وجرى كذا وكذا . . .

فصل :

إذا سير أحد من الولاة رسولا بسبب خلاص حق من بعض قرى أعماله فيكون ما يعطى الجاندار عن مسافة سفر يوم نصف نقرة وعن يومين درهم واحد لا غير ، وأى جاندار تعدى وأخذ غير ذلك يؤدب ويصرف من تلك الولاية .

فصـــل :

تكتب الحجج على كل يوكل يقبض لمخدومه شيئاً من مغله أو جهته من الديوان أو الفلاحين، ولا يسلم له شيء إلا بشهادة بحجج مكتتبة عليه تخلد منها حجة الديوان المعمورة بما قبضه من جهته أو إقطاعه ، وتبقى الحجج حاصلة حتى إذا شكا أحد إلينا وسيرنا عرفناهم بمن يشكو من تأخر حقه ، يطالعوننا بأمر وكيله وما قبض من حقه . وتسير الشهادة عليه طي مطالعته ويحترز من الشهادات بما وصل لكل مقطع حتى إنا نعلم من مضمون الحجج والشهادات متحصل المقطعين من البلاد والجهات مفصلا ، وجملة ما حصل لكل منهم : من عين وغلة وما تأخر لكل منهم ويعمل بذلك صورة أمور البلاد والمقطعين وأحوالهم ، ويزيل شكوى من تجب إزالة شكواه ، وتعلم أحوالهم على الجلية .

فصـــل :

تقرأ هذه التذكرة على المنابر فصلا فصلا، ليسمعها القريب والبعيد، ويبلغها الحاضر والغائب ، بمضمونها كل أحد ومن خرج عنها أو عمل بخلافها فهو أخبر بما يلقاه من سطواتنا وشدة بأسنا والسلام[٨٧] » .

– ١ –

« ملخـــص »

نسخة مرسوم شريف بالمسامحة بالبواقى فى ذمم الجند والرعايا بالشام كتب به فى الدولة الناصرية – محمد بن قلاوون فى شهور سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢م) بخط العلامة كمال الدين محمد الزملكانى من إنشائه وقرئ على المنبر بالجامع الأموى بدمشق المحروسة وهى :–

« الحمد لله الذى وسع كل شىء رحمة وعلماً ، وسمع نداء كل حى رأفة وحلماً ، وخص أيامنا الزاهرة بالإحسان فأنجح فيها من عدل ، وخاب من حمل ظلماً ، وزان دولتنا بالعفو والتجاوز فهى تعتد المسامحة بالأموال الجسيمة غنماً إذا اعتدتها الدول غرماً .

نحمده على نعمه التى غمرت رعايانا بإدامة الإحسان إليهم ، وعمرت ممالكنا بما نتعاهد به أهلها من نشر جناح الرأفة عليهم .

وبعد فإن الله تعالى لما خص أيامنا الزاهرة بالفتوح التى أنامت الرعايا ، فى مهاد أمها . . وعمت بالدعة السكون قاطنهم وراحلهم . . رأينا أن نفسح لهم مجال الدعة والسكون .. وأن نشفع العدل فيهم ، كما أمر الله تعالى بالإحسان إليهم ، وتسامحهم بالأموال التى أهملوها وهى كالأعمال محسوبة عليهم ،ونعفيهم من الطلب بالبواقى التى نسوها كالآجال وهى مقدمة بين يديهم .

فلذلك رسم بالأمر الشريف . . أن تسامح مدينة دمشق المحروسة وسائر الأعمال الشامية بما عليها من البواقى المساقة فى الدواوين المعمورة إلى المدد المعينة فى التذكرة الكريمة المتوجة بالخط الشريف ، وجملة ذلك [٨٨] من الدراهم [٨٩] ألف ألف وسبعمائة ألف وستة وأربعون ألفاً ومائة ألف وخمسة

وأربعون درهما ، ومن الغلال المنوعة تسعة آلاف وأربعمائة واثنتان وأربعون غرارة ومن الحبوب مائتان وثمـــان وعشرون غرارة ، ومن الغنم خمسمائة رأس ومن الفولاذ ستمائة وثمانية أرطال ، ومن الزيت ألفان وثلثمائة رطل ، ومن حب الرمان ألف وستمائة رطل .

فليتلقوا هذه النعمة بباع الشكر المديد . . وسبيل كل واقف على هذا المرسوم الشريف اعتماد حكمه والوقوف عند حده ورسمه ، ويعفى آثار هذا الباقى المذكور بمحو رسمه واسمه . . والخط الشريف شرفه الله تعالى وأعلاه حجة بمقتضاه » (٩٠) .

❋

— ٢ —

« نسخـــة »

« مسموح » منحه السلطان الناصر محمد سنة ٧٠٥ هـ (١٣٠٥ م) للأمير بكتاش الفخرى أمير سلاح حين تنازل عن إقطاعه وطلب مسامحته بما عليه من ديون .

« رسم بالأمر الشريف شرفه الله وعظمه أن يسامح المقر العالى المولوى الأميرى البدرى بكتاش الفخرى الصالحى أمير سلاح بجميع ما عليه من تفاوت الإقطاعات المنتقل إليها والمنتقل عنها من غير طلب تفاوت ولا تقاو ، ولا مايخص الديوان الشريف من هلالى وخراجى وغيره ، مسامحة وإنعاماً عليه لما سلف له من الخدمة وتقادم الهجرة مسامحة لا رد فيها ولا رجوع عنها بحيث لا يطالب بشيء قل ولا جل لما مضى من الزمان ، وإلى يوم تاريخه لنزوله عن إقطاعه حسب سؤاله » (٩١) .

❋

— ٣ —

« ملخـــص »

« نسخة مســـامحة بمكوس على جهات مستقبحة بالمملكة الطرابلسية

وإبطال المنكرات ، كتب بها فى الدولة الناصرية – محمد بن قلاوون » ٧١٧ هـ (١٣١٧م) .

« الحمد لله الذى جعل الدين المحمدى فى أيامنا الشريفة على أثبت عماد ::: نحمده على نعم بلغت من إقامة منار الحق المراد ::: .

وبعد فإن الله تعالى منذ ملكنا أمور خلقه . ::: ألهمنا إعلاء كلمة الإسلام ولما اتصل بعلومنا الشريفة أن بالمملكة الطرابلسية آثار سوء ليست فى غيرها ومواطن فسق لا يقدر غيرنا على دفع ضررها وضيرها . ::: .

ومما أنهى إلينا أن بها حانة عبر عنها بالأفراح قد تطاير شرها ...

ومنها – أن المسجون إذا سجن بها أخذ بجميع ما عليه بين السجن وبين الطلب ، وإذا أفرج عنه ولو فى يوم انقلب إلى أهله فى الخسارة بشر منقلب ...

ومنها – أن بالأطراف القاصية من هذه المملكة قرى سكانها يعرفون بالنصيرية لم يلج الإسلام لهم قلباً .. يخلطون ذبائحهم بذبائح المسلمين ، ومقابرهم بمقابر أهل الدين وكل ذلك مما يجب ردعهم عنه شرعاً .

فلذلك رسم بالأمر الشريف ::: أن يبطل من المعاملات بالمملكة الطرابلسية ما يأتى ذكره :–

جهات الأفراح المحذورة بالفتوحات خارجاً عما لعله يستقر من ضمان الفرح الخ ::: وتقديرها :::

أقصاب للأمراء بحكم أن بعض الأمراء كان لهم جهات زرع أقصاب وقرروا على بقية فلاحيهم العمل بها والقيام بنظيره آخر العمل وتقدير ذلك :::

هبة الشاد بنواحى الكهف تشد فيما كان يستأدى من كل مدير ، وتقدير متحصله . . .

السجون بالمملكة الطرابلسية خارجاً عن سجن طرابلس بحكم أنه أبطل بمرسوم شريف متقدم التاريخ وتقديرها :::

عفاية الشام بكور طرابلس واقفة والسرون ومامعه بحكم أن المذكورين كانوا ثبتوا على المراكز بالبحر ، فلما شكت المراكز بالعساكر المنصورة قرر على ذلك فى السنة :

ضمان المشعل بطرابلس مما كان أولا بديوان الشام بالفتوحات ثم استقر بالديوان المعمور فى شهور سنة ٧١٦ هـ ، وتقديره . . .

سجن الأقصاب المحدث بأمر أقصاب الديوان المعمور التى كان فلاحو الكورة بطرابلس يعملون بها ثم أعفوا عن العمل، وقرر عليه السنة . . .

حق الديوان بصهيون بطرابلس وقصريون بطرابلس عمن كان معا فى حصتها وتقدير متحصل ذلك . . .

المستحدث إقطاعاً من بعض الأمراء على الفلاحين مما لم تجربه عادة . من حشيش وملح وضيافة وتقديره . . .

فليبطل هذا على ممر الأزمنة والدهور . . .

ويقرأ مرسومنا هـــذا على المنابر . . .

وأما النصيرية فليعمروا فى بلادهم بكل قرية مسجداً، ويطلق له من أرض القرية رقعة أرض تقوم به وبمن يكون فيه من القوام بمصالحه على حسب الكفاية بحيث يستفز الجناب الفلانى نائب السلطنة بالمملكة الطرابلسية والحصون المحروسة ضاعف الله تعالى نعمته من جهته من يثق إليه الأفراد الأراضى وتحديدها وتسليمها لأئمة المساجد المذكورة ، وفصلها عن أراضى المقطعين وأهل البلاد المذكورة ، ويعمل بذلك أوراقاً وتخلد بالديوان المعمور حتى لا يبقى لأحد من المقطعين فيها كلام ، وينادى فى المقطعين وأهل البلاد المذكورة بصورة ما رسمنا به من ذلك .

فلنعتمد مراسمنا الشريفة . . .(٩٢) .

ح — من كتب المناقــلات الإقطاعــة

الطرخانيــات

(أ)

« طرخانيات أرباب السيوف »

(المرتبة الأولى)

نسخة مرســوم شريف بطرخانية لأمير

« الحمد لله اللطيف بعباده الرؤوف بخلقه ، المان بفضله الغامر بجوده الحائد برزقه، المتفضل على العبد : فى الصبا بصفحه ، وفى الكهولة بعفوه ، وفى الشيخوخة بعتقه .

نحمده على أن جبلنا على اصطناع الصنائع ، وخصنا برفع العوائق وقطع القواطع ، وألهمنا عطف النسق وإن كثرت مما سواه التوابع ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تسكن الرحمة فى قلب قائلها ، وترفع سطوة الغضب عن منتحلها فى أواخر السطوة وأوائلها ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل نبي أوعد فعفا، وأكرم رسول وعد فوفى . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين سلكوا فى المعروف سنته ، ونهجوا فى الإحسان إلى الخلق نهجه فكان لهم فى رسول الله أسوة حسنة، صلاة تقبل العثرات، وتتلو بلسان قبولها « إن الحسنات يذهبن السيئات » وسلم تسليماً كثيراً . .

وبعد فإن أولى من رفعته المراحم الشريفة، بعين عنايتها، ولحظته العواطف المنيفة بلحظ رعايتها (من أهله إخلاصه فى الخدم لأن يقوم مقاماً) ما لا يفارقه ولا يباين وأن لا يحط من قدره العالى بسبب ما اتفق ، إذ كل مقدر كائن ، وأن يصرف اختياره من الإقامة حيث شاء من الممالك المحروسة والمدائن ؛ فلذلك رسم بالأمر الشريف — لا زال من شيمه السماح ومن كرمه بلوغ النجا

والنجاح ، ومن نعمه الصفح عن الذنب المتاح ، حتى يحفظ على الأنفس النفيسة الأموال ويريح لها الأرواح (ولا برح يولى) من قسمة المكرمات ما ينسى به الذنب فكأنه كان برقاً أومض ولمح وراح – أن يكون المشار إليه طرخاناً يقيم حيث شاء وأين أراد من البلاد الإسلامية المحروسة معاملا بمزيد الإكرام والاحترام ، وأوفر العناية والرعاية حسب ما اقتضته المراسيم الشريفة فى ذلك عندما شملته الصدقات العميمة والمراحم الشاملة بالعفو الشريف والحكم المنيف والإقبال والرضا والصفح عما مضى ، لما رأيناه من ترفيه خاطره وقرار قلبه برفع التكليف عنه وقره ناظره ، ولما تخلقت به أخلاقنا من التيمن الذى ألبسه أثواب الأمان وجبلت عليه طباعنا من الرأفة والرحمة ، والراحمون يرحمهم الرحمن ، ولما مهده له عندنا اعترافه الذى هو له فى الحقيقة أقوى شفاعة ولما تحققناه من أنه لم يفعل ذلك إلا لوفور الطاعة التى أوجبت له الإرهاب إذ الهرب من الملوك طاعة ، وكيف لا وقد تيقن سخطنا الشريف وعلم وخشى مهابتنا الشريفة ومن خاف سلم .

فليتقلد عقود هذه المنن التى طوقت جيده بالجود ، وليشكر مواقع هذا الحلم الذى سر وسار كالمثل السائر فى الوجود ، وليقابل هذا الإقبال بالدعاء لأيامنا الزاهرة وليحظ بمواهبنا العميمة وصدقاتنا الباهرة ، وليحط علماً بأن إحساننا العميم قد أعاد إليه ما لفه من الإسعاد والإصفاد ، وأن صفحنا الشريف قد أضرب عما مضى والماضى لا يعاد فليقم حيث شاء من البلاد المحروسة ، متفيئاً ظلال مواهبنا التى يغدو وسرائره بها مأنوسة ، وارداً بحار عطايانا الزاخرة ، متمتعاً بملابس رضانا الفاخرة ، طيب القلب منبسط الأمل منشرح الصدر بما عمه من الإنعام ، وشمل مرعى الجناب فى كل مكان ، معظم القدر على توالى الأزمان مبتهجاً بغمدما غرض من ذلك التقطيب مستبشراً بإقبالنا الذى يلذ له عيشه ويطيب ، والله تعالى يديم له عوارفنا المطلقة ، وغمائم كرمنا المغدقة ، ومواهبنا التى انتشرت له فى كل قطر فهى لأنواع العطايا مستغرقة ، ومننا التى تسير معه حيثما سار وتقيم لديه أنى

أقام فلا تزال عنده مخيمة فى الأماكن المتفرقة والاعتماد على الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه » (٩٣) .

المرتبة الثانيـــة

— ٢ —

« نسخة مرسوم بطرخانية »

« أما بعد حمد الله على نعمه التى قد أوزعتنا بالإحسان إلى عباده أداء شكرها ، وآلائه التى ألهمتنابالتخفيف عن بريته اقتران محامده بذكرها ، ومننه التى وفق بها دولتنا الشريفة،لأن يكون العدل والإحسان أولى ما أجرته بفكرها،وأحق ما أمرته بذكرها،والصلاة والسلام على رسوله الذى أوضح سبل المعروف وشرع سنن العدلالمألوف ووصفه الله تعالى بالرأفة والرحمة فبه يقتدى كل رحيم ، وبه يأتم كل رؤوف ، وعلى آله وصحبه الذين رفعوا منار العدل لسالكه ، وقربوا منال الفضل لآخذه ، وبينوا الحيف والاشتطاط لتاركه ، فإن الله تعالى خص أيامنا الزاهرة بتعـــاهد أهل خدمتنا بالعدل والإحسان وتفقد رعايانا بإزالة ما يكدرعليهم موارد النعم الحسان، فلا نزال نعم النظر فى أمورهم ، ونفيض عام إحساننا على خاصهم وجمهورهم ، ليناموا من عدلنا فى مهاد الدعة،ويبيت ضعيفهم من مراحمنا الشريفة فى أتم رأفة وفقيرهم فى أوفر سعة .

ولما كان (فلان) هو ممن فر فى الخدمة الشريفة قسمه ، وكبر فى الطاعة سنه ووهن عظمه وعجزت عن الركوبوالنزول حركته، وذهبت مواقف حربه ولم يبق إلا أن نلتمس بركته — اقتضى حسن الرأى الشريف أن يضاعف إليه الإحسان ، ويعامل بوافر البر وجزيل الامتنان .

فلذلك رسم بالأمر الشريف — لا زال يوالى المنن ويولى الأولياء من المعروف كل جميل حسن — أن يستقر المذكور طرخاناً لا يطلب لخدمة فى نهار وليل ، ولايلزم بالقيام بنزك ولاخيل ، فليمضحكم هذهالطرخانية

لا تتأول ألسنة الأقلام فى نصه .ولاتتطرق أوهام الأفهام إلى اعتراض ما من إعفائه بنقضه ولا نقصه ، وسبيل كل واقف عليه اعتماد مضمونه والوقوف عند حكمه والانتهاء إلى حده واتباع رسمه إن شاء الله تعالى »(٩٤) .

*

— ٣ —

« طرخانيات أرباب الأقـــلام »

نسخة طرخانية كتب بها عن الملك الناصر محمد بن قلاوون للقاضى قطب الدين بن المكرم أحد كتاب الدرج الشريف بالأبواب الشريفة عند إقامته بالحجاز الشريف. بأن يستقر طرخانا بنصف معلومه الذى كان له على كتابة الدرج الشريف وأن يقيم حيث شاء .

« رسم بالأمر الشريف — لا زال يأمر فيطاع ، ويصل فيعين على الانقطاع ، ويرى على اقتراح الأمل جوده المكرر المكرم ، فالآمل يقترح ما استطاع — أن يستقر للمجلس السامى القضائى (قطب الدين) بن المكرم — نفع الله به من معلومه على كتاب الدرج الشريف الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت النصف من كل شهر على الأدعية الصالحة لهذه الدولة القاهرة ويقيم حيث شاء ثم يستقر ذلك لأولاده من بعده ثم لأولاد أولاده بالسوية إعانة له على بلوغ قصده ورغائبه ، واستعانة بحاضر الجود ودون غائبه ، وإكراماً لجانبه وطالباً وجه الله تعالى يعان على الفور بكنوز مطالبه .

وما كنا لنسمح ببعده عن أبوابنا الشريفة،ولا نجيبه لمفارقة ما بيده من وظيفة، لأنه مايدرك أحد من أبناء عصره مده ولا نصيفه، ولديوان إنشائنا جمال بعقود كتابته النظيمة ومعانى ألفاظه النظيفة، وإنما لإقباله على الآجلة وإعراضه عن العاجلة ، واستيعاب أوقاته بأداء الفريضة والنافلة، أسعفنا سؤله بالإجابة ، وأعناه على الإنابة ، وأجزلنا سهمه من الإحسان فبلغ سهمه الإصابة ، ومن أحسن سبيلا ممن أخذ لنفسه قبل الحين ، ونفض يديه من الدنيا

فراح بالخير مملوء اليدين ، فنظر إلى معاده فأقبل على الله قرير العين ، وها نحن قد كرمناه فى وقت واحد بإنشاء ولدين .

فليشكر لصدقاتنا هذه النعم المتزايدة ، والصلات العائدة والإحسان إليه وإلى بنيه جملة واحدة ، وليدع لدولتنا القاهرة حين يقوم لله قانتاً ، وحين يقول ناطقاً وحيث يفكر صامتاً ، وعند فطره من صومه ، وفى أعقاب الصلوات فى ليله ويومه ، وليوصل إليه هذا المرتب ميسراً لا يكدر مورده بتأخير ، وليصرف إليه مهنئاً لا يشان طوله بتقصير ولا يحوج إلى عناء وطلب ، ولا يلجأ فى تناوله إلى كد وتعب ، بل يرفه خاطره عما فاز به من حسن المنقلب ، والله تعالى يمده بعونه وفضله وينجب فرعه ببركة أصله ، والخط الشريف أعلاه حجة فيه ، إن شاء الله تعالى » (٩٥) .

ط — كتب مختلفــة

« التقاليــد »

— ١ —

ملخــص

تقليد من الناصر محمد بن قلاوون بتولية الملك المؤيد إسماعيل أبى الفداء الأيوبى نيابة السلطنة بحماه (كتب سنة ٧١٢ هـ — ١٣١٢ م) :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى عضد الملك الشريف بعماده وأورث الجد السعيد سعادة أجداده وبلغ ولينا من تباهى بابه ملوك بنى الأيام غاية مراده . . . فأصبح جامع شملها ورافع لواء فضلها . . . نحمد الله على أن صان بنا الملك وحماه وكف بكف بأسنا المتطاول على استباحة حماه . . . ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . . .

أما بعد فإن أولى من عقد له لواء الولاء ، وتشرفت معه أسرة الملوك وذوى المنابر ، وتفرقت أحكامه فيما يشاءمن نواه وأوامر ، وتجلى فى سماء السلطنة شمسه ، فقام فى دستهامقام من سلف ،وأخلف فى أيامنا الزاهرة من درج من أسلافه إذ هو ببقائنا إن شاء الله خير خلف من ورث السلطنة لا عن كلالة واستحقها بالأصالة والإنالة والجلالة ، وأشرقت الأيام بعزة وجهه المنير وتشرفت به صــدور المحافل ، ومن أصبح لسماء المملكــة الحموية وهو زين أملاكها ، ومطلع أفلاكها ، وهو المقام العالى العمادى ابن الملك الأفضــل نور الدين على بن السلطان الملك المظفر تقى الدين ولد السلطان المنصور ولد السلطان الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب وهو الذى ما برحت عيون مملكته إليه متشوقة ولسان حال يتلو ضمن الغيب « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء »(٩٦) إلى أن أظهر الله ما فى

غيبه المكنون وأنجز له فى أيامنا الوعود وصدق الظنون ، وشيد له من الملك بأرفع عماد ، ووصل ملكه بملك أسلافه وسيبقى فى عقبه إن شاء الله إلى يوم التناد .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الناصرى الباهرى — لا زالت الممالك مغمورة من عطائه ، والملوك تسرى من ظل كنفه تحت مسيول عطائه ، أن يستقر فى يد المقام العالى العمادى المشار إليه، جميع المملكة الحموية وبلادها وأعمالها وما هو منسوب إليها ومباشرها التى يعرضها قلمه وقسمه ومنابرها التى يذكر فيها اسم الله تعالى واسمه ، وكثيرها وقليلها وحقيرها وجليلها، على عادة الشهيد الملك المظفر تقى الدين محمود إلى حين وفاته . . . وقلدناه ذلك تقليداً يضمن للنعمة تخليداً وللسعادة تجديداً . والله تعالى يؤهل بالنصر معناه ويجمل ببقائه صورة الدهر هو معناه ، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه . . .

وكتب فى الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ٧١٢ ﻫ حسب المرسوم الشريف . . . والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله وصحبه وسلم »(٩٧).

— ٢ —

ملخص مرسوم بعض الملوك الصلاحية فى إلزام أهل الذمة بالشروط الشرعية التى حددها أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه فى سنة ٧٥٥ ﻫ (١٣٥٤ م) أيام الصالح بن الناصر محمد .

بسم الله الرحمن الرحـــيم

« الحمد لله . . . » .

أما بعد ، فأحكام الشرع الشريف أولى بوجوب الاتباع ، وذمام الدين الحنيفى ببتر من عصى وجبر من أطاع ، وحرمات الملة المحمدية أحق بأن تحفظ ولا تضاع ، ومن المهمات التى تصرف إليها المهمة . . . اعتبار أحوال أهل الملتين من أهل الذمة . . وهم المعنيون بقوله تعالى « قاتلوا الذين لايؤمنون

بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرين . . » .

ولما فتح الله تعالى ببركة سيدنا رسول الله (ص) ما فتح من البلاد . . حدد لهم (عمر) من الآداب حداً لايجوز أن يتعدى .. ولما طال عليهم الأمد، تمادوا على الاغترار وتعادوا إلى الضر والإضرار » . . .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الصلاحى الصالحى لا زال أمره الممتثل المطاع . . أن يعتمد جميع طوائف النصارى واليهود والسامرة بالديار المصرية وجميع البلاد المحروسة الإسلامية وأعمالها من سائر الأقطار والآفاق ما أخذ على سالفهم فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . . . وهو ألا يحدثوا فى البلاد الإسلامية وأعمالها ديراً ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب،ولا يجددوا فيها ما ضرب،ولا يمنعوا كنايسهم التى عوهدوا عليها . . أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعموهم . . ولا يكتموا غشاً للمسلمين ولا يعلموا أولادهم القرآن . . وإن أسلم أحد منهم لا يؤذوه ولا يساكنوه ، وأن يوقروا المسلمين وأن يقوموا فى مجالسهم إذا أرادوا الجلوس وألا يتشبهوا بشىء من المسلمين فى لباسهم . قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ، بل يلبس النصرانى منهم العمامة الزرقاء عشرة أذرع . . واليهودى العمامة الصفراء كذلك وتمنع نساؤهم من التشبه بنساء المسلمين. ولا يتسموا بأسماء المسلمين ولا يركبوا الخيل ولا البغال، ويركبون الحمير بالأكف عرضاً من غير تزين ولا يتخذوا شيئاً من السلاح ولايبيعوا الخمور . . ولا يضعوا أيديهم على أراضى موات المسلمين ولا غير موات ولا مزروع ، ولا ينسبوه لصومعة ولا دير . . ولذلك رسمنا أن كل من مات من اليهود والنصارى والسامرة الذكور والإناث منهم ، يحاط عليهم من ديوان المواريث الحشرية بالديار المصرية وأعمالها ومساير البلاد الإسلامية .. وإذا ثبتوا ذلك ما يستحقونه يعطوه بمقتضاه ويحمل ما فضل لبيت المال المعمور ومن مات منهم ولا وارث يستوعب حمل موجوده لبيت المال

ورسمنا ألا يخدم نصرانى ولا سامرى ولا يهودى فى دولتنا . . ولا عند أحد من أمرائنا . . . (٩٨) .

– ٣ –

نسخة طغرى السلطان المملوكى
التى تصدر بها المكاتبات لملوك الكفار(٩٩)

« من السلطان الأعظم الملك الفلانى العالم العادل المجاهدى المرابط المشاعر المؤيد المظفر المنصور الشاهنشاه فلان الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين محيي العدل فى العالمين وارث الملك ، ملك العرب والعجم والترك ، ظل الله فى أرضه ، القائم بسننه وفرضه ، إسكندرالزمان ، مملك أصحاب المنابر والأسرة والتخوت والتيجان ، واهب الأقاليم والأمصار ، مبيد الطغاة والبغاة والكفار ، حامى الحرمين ، خادم القبلتين ، جامع كلمة الأيمان ، ناشر لواء العدل والإحسان ، سيد ملوك الزمان ، إمام المتقين قسيم أمير المؤمنين ، أبى فلان ؛ فلان ابن السلطان الشهيد الملك الناصر ، والد الملوك والسلاطين أبى المعالى محمد خلد الله سلطانه ونصر جيوشه وأعوانه » .

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« .... »

« .... »



القسم الأول

(١) كتب هذا المنشور بخط العماد الأصبهانى (ت ٥٩٧هـ) (انظر النجوم الزاهرة ج٦ ص٧٣ – ٧٤ ، ١٧٨) .

(٢) القنيطرة : ضيعة صغيرة من أرض البقاع أهلها من المتاولة .

(٣) ثعلبايا : قرية صغيرة بقرب تعنايل وأشتورة بالبقاع ، وأهلها من العرب المسيحيين .

(٤) برجة : قرية مشهورة بزيتها ، المعاصير أو البعاصير بقرب الشحيم ، كانت كلتاهما من مقاطعة الخروب على أن هذه الناحية صارت فيما بعد تابعة لقضاء الشوف .

(٥) ، (٦) شارون ومجد لبغا وكفر عمية ثلاث قرى معروفة بمقاطعة الجرد (حواشى ص ٤٨ – ٤٩ من تاريخ بيروت) .

(٧) تاريخ بيروت ص٤٨ – ٤٩ .

(٨) تاريخ بيروت ص ٥١ – ٥٢ .

(٩) صبح الأعشى ج١٣ ص١٤٣ – ١٤٨ .

(١٠) يرجح أن نسخة التوقيع هذه قد صدرت فى عهد صلاح الدين أو بعد وفاته بفترة قليلة لا تتجاوز عام ٥٩٧هـ ، لأن أسلوبها يوضح أنها من إنشاء القاضى الفاضل (ت ٥٩٦ هـ) أو العماد الأصبهانى (ت ٥٩٧هـ) ، والراجح أنها من إنشاء القاضى الفاضل نظرا لأنه كان الوزير المجلى فى عهد صلاح الدين وبعده (صبح الأعشى ج١٣ ص١٤٨ – ١٥٠ ، النجوم ج٦ ص٥٢ – ٥٣ ، ٧٣ – ٧٤ ، ١٢٤ – ١٧٨) .

(١١) صبح الأعشى ج١٣ ص ١٥٠ – ١٥٢ .

(١٢) هو الملك الناصر يوسف بن العزيز محمد بن غازى بن صلاح الدين ، كان ملكاً على حلب ، فدعاه أهل دمشق لولاية مدينتهم فدخل دمشق سنة ٦٤٨هـ (١٢٥٠م) ولما ظهر التتار أخذوا منه حلب ففر هارباً إلى غزة ثم شخص إلى هولاكو فأكرمه أولا ثم أمر بقتله وقتل أخيه الملك الظاهر غازى ٦٥٩هـ (١٢٦١م) (تاريخ بيروت ص٥٥) .

(١٣) أغلب هذه القرى فى مقاطعة الغرب الأسفل والشوف ، ومرتغون كما أفاد الأمير شكيب أرسلان مزرعة واقعة شرقى خلدا كانت قديماً مأهولة وكانت من أملاك الأمير مصطفى أرسلان . (تاريخ بيروت ص٥٥ – ٥٦ حاشية – ١) .

(١٤) بعد غزوة هولاكو قائد جيش التتار لبلاد الشام ، توجه جمال الدين حجى إلى دمشق، وكانت قد وقعت فى يد كتبغا نائب أستاذه قلاوون (هولاكو) فاجتمع به وكتب له المنشور المذكور عن هولاكو . وتوفى هولاكو سنة ٦٦٤ﻫ (١٢٦٦م) (تاريخ بيروت ص٥٦ – ٥٧) .

(١٥) التعريف ص١٤٦ – ١٤٨ ، صبح الأعشى ج١٣ ص٣٠٧ – ٣٠٨ .

(١٦) التعريف ص١٤٩ – ١٥٠ ، صبح الأعشى ج١٣ ص٣٠٩ .

(١٧) التعريف ص١٥٠ ، صبح الأعشى ج١٣ ص ٣١٠ .

(١٨) التعريف ص١٥٠ ، صبح الأعشى ج١٣ ص٣١٠ .

(١٩) التعريف ص١٥٠ – ١٥١ ، صبح الأعشى ج١٣ ص٣١٠ .

(٢٠) صبح الأعشى ج١٣ ص٣١٠ (نقلا عن التثقيف) .

(٢١) التعريف ص٩٢ – ٩٣ .

(٢٢) التعريف ص٩٦ – ٩٨ .

(٢٣) التعريف ص٩٨ – ٩٩ .

(٢٤) التعريف ص٩٩ – ١٠١ .

(٢٥) التعريف ص١٠٩ – ١١١ .

(٢٦) سورة الشورى ، بعض آية – ٢٩ .

(٢٧) التعريف ص١١١ – ١١٢ .

(٢٨) التعريف ص١١٢ – ١١٣ .

(٢٩) التعريف ص١٠١ – ١٠٣ .

(٣٠) التعريف ص ١٠٣ – ١٠٤ .

(٣١) المملوك : لفظة مستعملة فى الرسائل القديمة إشارة إلى تذلل الكاتب كما يقال حديثا العبد الفقير (تاريخ بيروت ص٩١ حاشية – ٣) .

(٣٢) لعل المقصود بثلاثة أرماح التقدم بخدمة ثلاثة فرسان .

(٣٣) ملك الأمراء لفظ أطلق على نائب السلطنة بالشام (بدمشق) إذ يعتبر أكبر النواب بالشام .

(٣٤) تاريخ بيروت ص٩١ – ٩٢ .

(٣٥) صبح الأعشى ج١٣ ص١٦٧ – ١٦٩ .

(٣٦) صبح الأعشى ج ١٣ ص١٦٩ – ١٧٠ .

(٣٧) صبح الأعشى ج ١٢ ص١٧٦ – ١٧٧ .

(٣٨) الأمير علاء الدين أيدغمش بن عبد الله الناصرى أمير أخور كبير الناصر محمد ، توفى سنة ٧٤٣هـ (النجوم جـ١٠ ص٩٩ - ١٠٠) .

(٣٩) صبح الأعشى جـ١٣ ص١٧٨ - ١٧٩ .

(٤٠) المراد بالتطويق هنا مطلق التحلية وكان الأولى « أن تقرط به الأذنان وتطوق به الأعناق وتحلى به الترائب (الناشر) .

(٤١) صبح الأعشى جـ١٣ ص١٧٩ - ١٨١ .

(٤٢) سيف الدين خاص ترك بن عبد الله المنصور من مماليك الناصر الخاصكية ، وكان مقدم ألف ، توفى ٧٣٤هـ (النجوم الزاهرة جـ٩ ص١٣ ، ٣٠٤) .

(٤٣) صبح الأعشى جـ١٣ ص١٨١ - ١٨٢ .

(٤٤) جمال الدين آقوس الأشرفى ، من مماليك قلاوون ، وأضافه إلى ولده الأشرف خليل وجعله أستاداره فنسب إليه ، ولاه نيابة الكرك لما تسلطن ، وفى سلطنة الناصر الثانية ، سجنه بالقلعة سنة ٧١٢هـ عندما عرف ميله للأميرين الخارجين على الناصر وهما : قراسنقر والأفرم اللذان فرا إلى التتار ، ثم أفرج عنه سنة ٧١٥هـ ومنحه إقطاع الأمير حسام الدين لاجين الأستادار بعد وفاته وهو إقطاع ١٢٠ فارسا ، وكتب له هذا المنشور ، وتوفى ذلك بعد سجيناً بالإسكندرية سنة ٧٣٦هـ . (النجوم الزاهرة جـ٩ ص٣٣ - ٣٤ ، إلى ، ٢٣٢ - ٣١٠) .

(٤٥) صبح الأعشى جـ١٣ ص١٨٣ - ١٨٤ .

(٤٦) سورة المدثر : بعض آية - ٣١ .

(٤٧) صبح الأعشى جـ١٣ ص١٧١ - ١٧٢ .

(٤٨) سورة النحل آية ١٨ .

(٤٩) صبح الأعشى جـ١٣ ص١٧٢ - ١٧٤ .

(٥٠) صبح الأعشى جـ١٣ ص١٧٥ - ١٧٦ .

(٥١) صبح الأعشى جـ١٣ ص١٨٤ - ١٨٦ .

(٥٢) صبح الأعشى جـ١٣ ص١٨٥ - ١٨٦ .

(٥٣) صبح الأعشى جـ١٣ ص١٨٩ - ١٩٠ .

(٥٤) صبح الأعشى جـ١٣ ص١٩٠ - ١٩١ .

(٥٥) صبح الأعشى جـ١٣ ص١٩٢ .

(٥٦) صبح الأعشى جـ١٣ ص١٩٣ - ١٩٤ .

(٥٧) صبح الأعشى جـ١٣ ص١٩٥ - ١٩٦ .

(٥٨) صنبح الأعشى جـ١٣ ص١٩٧ .

(٥٩) صبح الأعشى جـ١٣ ص١٩٩ .

(٦٠) يعلق صاحب تاريخ بيروت على هذا المنشور بقوله : إنه يشك فيه لأن أيبك كان

سلطان مصر ، ولم يحكم الشام التى كانت خاضعة حينئذ للسلطان الناصر يوسف آخر ملوك بنى أيوب بالشام وكان بين أيبك والناصر حروب وعداوة (ص٦١) .

(٦١) لعله يريد معاصر الفخار من قرى الشوف ومن هذه المقاطعة بعذران وعين ماطور (تاريخ بيروت ص٦١ حاشية ٣) .

(٦٢) بثلون بلغة العامة بتلون ، ويقال لعين أوزية : وزية وأبريح عند العامة بريح (نفس المصدر ص٦١ حاشية ٤) .

(٦٣) وادى التيم مقاطعة لا تدخل فى لبنان وتعد من جبل الشيخ وتقع غربى دمشق ومن قراها عين تنور أما ظهر حمار فلم يستدل عليها ولعلها المعروفة بظهر الأحمر (نفس المصدر — والصحيفة حاشية — ٥) .

(٦٤) الخروب : من مقاطعات لبنان شمالى شرق صيداء ، وغربى الشوف ، والشحيم قاعدة هذا الإقليم ، وبقربها بعاصير أو المعاصير . (نفس المصدر والصحيفة حاشية ٦ و ٧) .

(٦٥) عين عنوب وسرجمور وعرامون وعين كسور من الغرب الأسفل ، أما عالية وبيصور وشملان ، ويقال شملال عيناب: ومجدليا من الغرب الأعلى ودقون وعين درافيل بالشحار وقاعدتها أعيبه ، وكفرعمية : الدوير — بطلون شارون: من الجرد الجنوبى والقاعدة وعينات فيها بتاثر ، أما قدرون والصباحية فلم يستدل على موقعهما . (تاريخ بيروت ص٥٦ وحاشية — ٢ ص٦٧) .

(٦٦) حرف شالا : مزرعة فى أراضى قرية كفر متى بجوار مزرعة رمطون (تاريخ بيروت ص٨٦ حاشية — ١ ينظر الخريطة) .

(٦٧) بركة شطرا : مزرعة غير مأهولة قريبة من بيصور ومجدليا (نفس المصدر — والصحيفة حاشية — ٢) .

(٦٨) الفريديس : قرية إقليم العرقوب (نفس المصدر والصحيفة حاشية — ٣) .

(٦٩) تاريخ بيروت ص٩٢ — ٩٣ .

(٧٠) فى أخبار الأعيان ص٢٣٣ ثلث عين عنوب .

(٧١) تاريخ بيروت ص٩٣ — ٩٤ .

(٧٢) تاريخ بيروت ص٩٣ — ٩٤ .

(٧٣) تاريخ بيروت ص٩٣ — ٩٤ .

(٧٤) تاريخ بيروت ص٩٣ — ٩٤ .

(٧٥) تاريخ بيروت ص٩٣ — ٩٤ .

(٧٦) الطفرانية بالجرد والقبى بالشحار (تاريخ بيروت ص٩٤ وحشية — ١) .

(٧٧) تاريخ بيروت ص٩٤ .

(٧٨) تاريخ بيروت ص٩٤ .

(٧٩) فى أخبار الأعيان – دفون والفساقيم والأخيرة من قرى الغرب الأسفل قرب عين كسور (أخبار الأعيان ص٢٣٤) .

(٨٠) تاريخ بيروت ص٩٤ ، أخبار الأعيان ص٢٣٤ .

(٨١) السلوك جـ١ ص٥٣٠ – ٥٣٤ .

(٨٢) كان بيدرا نائب السلطة أيام السلطان الأشرف خليل بن قلاوون وقد خرج على أستاذه وقتله سنة ٦٩٢هـ – ١٢٩٢م ، وتسلطن بعده وتسمى « بالملك الأوحد » ، لمدة يوم واحد تقريبا حتى قتله خاصكية خليل وعلى رأسهم زين الدين كتبغا الذى تسلطن بعد سلطة الناصر الأولى (النجوم الزاهرة جـ٨ ص١٩) .

(٨٣) ابن عبد الظاهر : الألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرفية جـ٣ ص٢٩ – ٣٩ .

(٨٤) أبو الفداء جـ٤ ص٧٤ – ٧٥ .

(٨٥) سورة الأنعام : بعض آية ١٤١ .

(٨٦) نظراً لوقوع طاعون جارف فى سنة ٧٤٩هـ ، التى حولت إلى سنة ٧٥٠هـ علق القلقشندى بقوله « مات كل شىء حتى السنة لإلغائها » « صبح الأعشى جـ١٣ ص٧٥ – ٧٩ » .

(٨٧) صبح الأعشى جـ١٣ ص٩١ – ٩٨ .

(٨٨) لعله « من الدنانير » وحينئذ يستقيم الكلام (حاشية الناشر) .

(٨٩) صبح الأعشى جـ١٣ ص٢٨ – ٣٠ .

(٩٠) صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٢٨ – ٣٠ .

(٩١) صبح الأعشى جـ١٣ ص٣٠ – ٣٥ .

(٩٢) صبح الأعشى جـ١٣ ص٤٨ – ٥١ .

(٩٣) صبح الأعشى جـ١٣ ص٤٨ – ٥٠ .

(٩٤) صبح الأعشى جـ١٣ ص٥٢ – ٥٣ .

(٩٥) صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٥٢ – ٥٣ .

(٩٦) سورة آل عمران آية – ٢٦ .

(٩٧) أبو الفداء – تاريخه جـ٤ ص٧٠ – ٧١ .

(٩٨) مرسوم بعض الملوك الصلاحية (مصور فى مجلد رقم ٤٣١٤ تاريخ بدار الكتب ، صبح الأعشى جـ١٣ ص٣٧٨ – ٣٨٧) .

(٩٩) التعريف ص٨٣ – ٨٤ ، صبح الأعشى جـ١٣ ص١٦٣ .

١ ـ قاموس الألفـــاظ الاصطلاحية

أبواب الغزاة :

لفظ اصطلاحى أطلق فى العهد الفاطمى على إقطاعات الأسطول [١] .

الارتفاع والعمل :

العمل نوع من القوائم يعمله الكتاب فى الدواوين، فيقال عمل بما تحصل من الغلال فى الناحية الفلانية لمغل سنة كذا وكذا الخراجية، عمل بما بيع من الغلال ، عمل بما وجب من مال الجوالى ، عمل بما تعين من أموال الخدم [٢] ، وجاء فى كتاب ابن عمر إلى شرف الدولة البويهى (بلغنى أن ابن طاهر عمل عملا بضياعى بعشرين ألف ألف درهم [٣]) فالعمل هو قائمة بالارتفاع والارتفاع هو تقدير أو تخمين الحاصلات مقدماً. وقد بلغ ارتفاع الصوافى على عهد عمر بن الخطاب ٩ آلاف ألف درهم [٤] على أن اللفظين قد اندمجا فى العهد المملوكى ، واشتهرت كلمة الارتفاع فى الشام وشملت فوق معنى المال أو المحصول المقدر، نفس القائمة ويقابلها فى مصر (التالى) إلا أن التالى كان لما دون السنة فى حين أن الارتفاع للسنة كلها ، أى لتقدير الحاصلات على طول السنة ، وكذلك استخدم المصريون لفظة (الملخص) لتقابل الارتفاع [٥] .

الأرصـــاد :

يقابله الوقف [٦] . عن المقريزى : والذى يتحرر كان ذلك (إقطاع تميم الدارى) إرصاداً له وذريته إلى آخر الدهر .

الأرض العادية :

أى القديمة التى ترجع إلى عهد عاد، وأطلق هذا اللفظ على كل أرض قديمة بصفة عامة ولا يشترط أن تكون على عهد عاد بالذات. عن الرسول

(ص) عادى الأرض لله ولرسوله ثم هى لكم من بعد[٧] وقد تجمع أرض على أرضين .

الأستاذ والأستادار :

لغوياً بالضم المعلم والمقرىء والمدير والعالم وأستاذ الصناعة ، واصطلاحاً الأستادار بمعنى « السيد » المقابلة لكلمة « لورد Lord » فى الإقطاع الغربى إلا أنها أشمل من لورد فى اصطلاح المماليك لأنها تضمنت معنى السيد صاحب الحق المطلق فى مماليكه الذين اشتراهم ورباهم . ومن الأستاذ جاءت كلمة « أستادار » أو « أستاذ الدار » بمعنى ناظر الدار وهى كلمة فارسية معربة من الأصل الفارسى (استذ بمعنى الأخذ ودار بمعنى ماسك) وهو المشرف على الشئون المالية لقصور السلطان أو الأمير والبيوتات الملحقة بها كالشراخاناه والطشت خاناه الخ . ويقال لأستادار السلطان « أستادار العالية » وله كامل التصرف فى جميع الإقطاعات التابعة للديوان المفرد ، وهى المخصصة لحوامك المماليك السلطانية ، وربما عظمت سلطة بعض الأستادارية واتسع نفوذه فطغى على السلطان مثل الأستادار جمال الدين محمود البجاس ، أيام السلطان فرج بن برقوق إذ أضاف إليه سنة ٨١٢ هـ (١٤٠٩ م) الوزارة ونظر الخاص والكشف بالوجه البحرى ، كما استقر مشيراً للدولة ، فصار السلطان لا يعقد أمراً بدونه بل لايخرج إقطاعاً إلا بإذنه مهما كانت مساحة هذا الإقطاع ، وزادت سلطته حتى كان الأمير لا يستطيع التصرف مع فلاحيه حتى يشاوره . وأستادار الأمير يشبه فى سلطته واختصاصه أستادار السلطان لكن على مقياس أصغر ومهمته الأساسية بحث شئون إقطاع الأمير مع الفلاحين والدواوين الحكومية [٨] .

الاعتداد :

لفظ أطلق على عهد الدولة الفاطمية ليدل على إقطاعات العربان فى أطراف البلاد وعبرتها دون عبرة إقطاعات الأجناد [٩] .

الإقطـــاع :

ما يقتطعه ولى الأمر لنفسه أو يمنحه لغيره من أرض أو أى نوع من المال الثابت أو المنقول ، وتسمى الأرض المقطعة بالقطيعة والجمع قطائع أو إقطاعاً والجمع إقطاعات ، وتطلق القطيعة أحياناً على الضريبة كما حدث فى العهد الأيوبى . مثلا كانت قطيعة الفدان الإقطاعى من القمح ٣ر٥٠ إردباً ومن الشعير ٢ر٥٠ إردباً ومن الحمص ٣ر٥٠ إردباً وهكذا (١٠) ، وأطلق لفظ المقاطعة أحياناً على كتاب الإقطاع فى العصر العباسى ، وشملت أيضاً المال الذى دفعه المقاطع كما حدث أن قاطع الخليفة الراضى عماد الدولة البويهى على ما بيده من بلاد فارس بمبلغ ثمانمائة ألف ألف درهم فى السنة (١١) . ومن الإقطاعات ما هو مرتجع . الذى يسترجعه ولى الأمر أو يقبضه ثانياً أو يرده المقطع نفسه ليعتاض غيره .

وتطلق كلمة (الإقطاعية) على الجنود المقطعين وذلك حين عممت الإقطاعات العسكرية (١٢) . وهناك الإقطاعات المحلولة وهى التى انحلت عن أصحابها ولم تقطع بعد (١٣) .

الأكـــرة :

هم عمال الأرض من الفلاحين ، ووردت أمثلة كثيرة فى القطائع تدل على أن المقطـــع تألف الأكرة والمزارعين ، وأنه يحسن بصاحب الضيعة أو الإقطاع أن يحسن معاملة الأكرة . يقول ابن الفرات : (أحسنت إلى بعض الأكرة والمزارعين فى ناحية كحلة من طسوج الأنبار) (١٤) وكثيراً ما ينوه بحسن معاملتهم فى كتب الإقطاع .

الإلجـــاء :

أن يلجئ الضعيف ضيعته أو أهل القرى قراهم لجار قوى ذى جاه أوسلطان أو لولى الأمر نظير حمايته لهم ثم يستردونها ثانياً إقطاعاً على أن يكونوا مزارعين له وأكثر ما يحدث هذا حين يختل الأمن أو ينتشر الظلم .

الأوشاقية :

عمال بالإصطبلات السلطانية أو إصطبلات الأمير ومهمتهم ركوب الخيل للتسيير والرياضة (١٥) .

الإيغـــار :

ومعناها أن يدفع صاحب الأرض عنها قدراً من المال مرة واحدة . فيعفى من الخراج ، ويعبر عن ذلك بأنه قد أوغر الأرض؛ والفعل أوغر ووغر والعامل والخراج استوفاه أو هو أن يوغر الملك الرجل الأرض فيجعلها له من غير خراج أو هو أن يؤدى الخراج إلى السلطان الأكبر فراراً من العمال ، وقد يسمى ضمان الخراج إيغار – وهى لفظة مولدة(١٦) .

البـــابا :

لقب أطلق على جميع رجال الطشت خاناه من البيوت السلطانية ومهمتهم غسل الملابس الخاصة بالسلطان ، وينصحون بالحرص على إزالة نجاسة الثياب عند غسلها، وأصله رومى، ومعناه أبو الآباء يقول القلقشندى « وكأنه لقب بذلك لأنه لما تعاطى ما فيه ترفيه مخدومه من تنظيف قماشه وتحسين هيئته أشبه بالأب الشفوق فلقب بذلك(١٧) » .

البرك أو البرق :

أمتعة المسافر ومهمات الجيوش حدث فى سنة ٩٢٤هـ(١٥١٨م) أن أرسل خاير بك نائب العثمانيين بمصر إلى الأمير أرزمك الكاشف أحد الأمراء المقدمين ٤٠٠ دينار وقال : خذ هذه نفقة سفرك فاعمل بها برقك فاعتذر الأمير أرزمك قائلا : ايش يكيفنى هذا القدر لعمل برق السفر (١٨) .

البشمقدار :

حامل نعل السلطان أو الأمير . من لفظين (بشمق تركية بمعنى نعل ودار فارسية بمعنى ماسك) (١٩) .

البطـــال :

من الأجناد والأمراء وهم العاطلون من أعمال الدولة ووظائفها وإقطاعاتها نتيجة غضب السلطان أو كبر السن أو اضطراراً إلى الاعتكاف والاختفاء ،

أو لمجرد حب الانزواء والابتعاد ، وقد يعاد البطال إلى الخدمة والإقطاع وقت الحاجة ، ففى سنة ٥٧٧ هـ (أنفق صلاح الدين فى البطالين وجردهم إلى الثغور)[٢٠] .

البلاليق :

مفردها بلقية أو بليق وهى نوع من الأدب الفكاهى يعرض فيها المنشد بمهنته أو مهنة من يريد مداعبته ، وربما جاءت المداعبة قاسية ؛ ومن أمثال البلاليق بلقية ابن مولاهم التى أنشدها أمام السلطان حسن . ومنها : « والقوس عندى فى انكسار لا للحصار يصلح لأكديش أو حمار إذا نهق » ، « ورمح أخضر سيسبان بالأسنان نطعن رقاق التركمان ، ما ينخرق .. الخ ». ومن بلقية ابن الخياط التى عارض فيها بلقية ابن مولاهم :

« عندى جلود بلا ورق ، كتب عتق من درسها قلبى ، احترق بنار فكر ولى دوا من الصدف على الصدف ؛ تحبيرها عندى سرف ؛ ولى وسادة من حجر نومى هجر ، فكم برأسى من أثر منو ظهر . الخ »[٢١] .

البلانات :

لعلهن المشرفات على الحمامات السلطانية من لفظ بلان بمعنى حمام ؛ وهذه الطائفة من الجوارى اللاتى أكثر منهن سلاطين المماليك[٢٢] .

البيكار :

بمعنى الحرب ، كان السلطان يسأل فى توزيع براءات الإقطاع « كم بيكاراً » ؟ رآها المقطع ليستوثق من خبرته الحربية ، وجاء فى « التذكرة » المكتوبة عن السلطان على بن قلاوون التوصية بمساعدة نواب الأمراء ووكلائهم ومتحصل حقوقهم أثناء غياب الأمراء « فى البيكار المنصور »[٢٣] .

التانى والتناء :

وهم المستوطنون المستقرون من أصحاب الضياع ، وقد يتعرض التناء إلى ظلم الولاة والعمال والسلاطين ، ففى عهد معز الدولة البويهى حين أقطع السواد لأنصاره ، (أتت الجوائح على التناء) وقد اشتكى بعض التناء من ظلم

أمير مقطع لعدة بلاد ، وقعت ضيعته فى إقطاعه ، فحبسه لتراكم الخراج عليه. وحدث ذلك فى عهد عضد الدولة البويهى سنة ٣٧٢ ﻫ عن بعض التناء حصلت ضيعتى فى إقطاع . . (٢٤)

التجاريد :

مفردها تجريدة بمعنى الحملة الحربية (٢٥) .

التسبب :

رزق الشخص الذى يعطاه نظير قيامه على عمل غير مستديم كعمال المصالح وجباة الخراج ، وإذا أقطع به جهة ليستغلها لا يسمى هذا إقطاعاً وإنما يسمى تسبباً وحوالة ، وذلك يحصل له حين يحل موعد دفع الخراج وموعد تناول رزقه من ذلك ما أمر به الخليفة المعتضد من استخدام (الطبقة الدون) من العساكر وإرسالهم إلى أعمال الخراج لمساعدة فى جمع الأموال ، وأمر بأن يسبب بأموالهم على النواحى (٢٦) .

التسعينية :

هم طائفة عسكر الخاصة ، وعرفوا بهذا الاسم فى العصر العباسى ، نسبة إلى أن شهرهم ٩٠ يوماً (٢٧) .

التسويغ :

ومعناها الإعفاء من بعض الخراج أو الحقوق الخاصة ببيت المال على ضيعة ، أو الإعفاء من كل الرسوم وقد ورد هذا اللفظ فى بعض مقاطعات العباسيين وسجلات الفاطميين .

التشريف :

مجموعة من الملابس الفاخرة يمنحها السلطان ؛ فمثلا أرسل الناصر محمد فى سنة ٧١٩ ﻫ (١٣١٩ م) تشريفاً لابن أبى الفداء صاحب حماة مكوناً من قطعتين : عليا وسفلى من أطلس أحمر وأصفر مزركش وشربوش مكلل باللؤلؤ (٢٨) .

التضمين :

أن يضمن شخص دفع الخراج على جهة معينة بمبلغ معروف يتفق عليه مع أولى الأمر. ويقوم بجمع الخراج كالالتزام فى العصر العثمانى ، ووصف عمل عثمان بن عفان فى تصرفه فى أرض السواد أنه كان تضميناً لا تمليكاً ، ويرادف أيضاً الإيجار(٢٩) على أن التضمين غير مستحب فى الإسلام لأنه ضمان للأموال بقدر معلوم يقتضى الاقتصار عليه وذلك بتمليك الضامن ما زاد ، ويغرم مانقص ، وهذا مناف لحكم الأمانة فيكون باطلا وقد جاء رجل إلى ابن عباس يتقبل منه إيالة بمائة ألف درهم ، فضربه مائة سوط وصلبه حياً تعذيباً وأدباً (٣٠) .

التقليد والتقاليد :

استخدم هذا اللفظ فى الإقطاع ليدل على معنى الاستغلال لا التمليك(٣١) ويشبه التضمين . واستخدمت أيضاً لتدل على معنى التولية على ولاية أو عمل ، ولها أسلوب خاص وافتتاحية خاصة فى العهد المملوكى (٣٢) .

الجاشنكير :

موظف فى قصر السلطان أو الأمير مهمته تذوق الطعام قبل سيده خشية أن يدس له السم فيه ، ومن الذين شغلوا هذا المنصب بيبرس الذى تسلطن خلال سلطنة الناصر محمد . وهذا الاصطلاح من كلمتين فارسيتين « جاشنا بمعنى الذوق وكير بمعنى المتعاطى » وربما اختصرت إلى الششنى(٣٣) .

الجاليش :

بمعنى الراية ومقدم الجيش، وجرت العادة أن يعلق الجاليش إيذاناً بالسفر فى حرب ويستعرض السلطان جيشه ويستمر جاليش معلقاً حتى يخرج السلطان للحرب ؛ وبالمعنى الآخر « جاءت الأخبار أن جاليش عسكر هولاكو ملك التتار قد وصل إلى أطراف دمشق ونهبوا البلاد » (٣٤) .

الجامكية :

هى الرواتب المربوطة للشهر أو أكثر ، وهى الرواتب عامة ؛ وفى القلقشندى

(صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٧) ، أن نفقة مماليك السلطان كانت عبارة عن جامكيات وعلف وكسوة وغير ذلك (٣٥) .

الحشارات :

جشر والجشر إخراج الدواب للرعى ، والجشار صاحب مربع الخيل وخيل محشرة مرعية ؛ والجشار مكان الرعى مثلا «وهجم على جشارهم فأخذ منها من الخيل أربعمائة رأس ومائة من البقر » ومن وصايا أمير أخور « النظر فى جميع إصطبلاتنا الشريفة والجشارات السعيدة » وتدل كذلك على الخيول والبقر التى تساق مع الجيش . فمثلا نهب السلطان غازان سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠م بلاد حلب ولما توجه إلى دمشق أرسل الله عليه ثلوجاً وأمطاراً « ووقع فى خيول عساكره وجمالهم الموتان حتى كانت عدة جشار غازان اثنى عشر ألف فرس فلم يبق منها إلا نحو الألفى فرس »(٣٦) .

الجعالة :

هو المال الذى يتناوله من يرتزق على عمل مستديم فرزقه فى هذه الحالة يجرى مجرى الجعالة ، ولا يكون إقطاعاً ، فيكون جعل الخراج له فى أرزاقه مثل التسبب والحوالة (٣٧) .

الجمـــدار :

الموظف من المماليك الذى يقوم بمساعدة السلطان أو الأمير فى لبس ملابسه من الكلمة الفارسية (جاما بمعنى ثوب ودار بمعنى ماسك) وممن شغلوا هذا المنصب الأمير أقطاى الذى نفاه بيبرس خشية بأسه(٣٨) .

الجنائب :

هى الخيول المسرجة الملجمة التى تسير فى موكب السلطان أو الأمير زينة وتفاخراً من غير أن يركبها أحد ، وهذا مما عابه السبكى على المماليك فذكر : ومن القبائح ركوبهم والجنائب تقاد بين أيديهم مسرجة ملجمة غير مركوبة ، ومعهم فى ذلك المحتاج(٣٩) .

الجوشن :

درع من الجلد يلبس حول الجزء الأوسط من الجسم ، وجمعه جواشن . وفى التدريب على الفروسية « كثير من الفرسان يثبون على الفرس وعليهم الدروع أو الجواشن ملبسة »(٤٠) .

الجون :

والجمع جون : الأدهم من الخيل والإبل ؛ وكان من بين الإصطبلات السلطانية إصطبل لهذا النوع من الدواب (٤١) .

الحراقة :

نوع من السفن الحربية لحمل الأسلحة النارية(٤٢) .

الحرفوش :

جمع حرنفش كغضنفر وهو الجافى الغليظ المتهيء للشر والسافل من الناس ، وجاء بصدد بيان حد شارب المسكر من خمر وغيره مثل « الحشيشة التى يأكلها الحرافيش » ومن معانيها الفقراء الذين يقعون فريسة فى غالب الأحيان للطواعين وأحداث الغلاء ، جاء فى غلاء سنة ٦٦١ هـ (١٢٦٢ م) أن أمر السلطان بيبرس بجمع الحرافيش وتوزيعها على الأمراء وأخذ لنفسه ٥٠٠ حرفوش وأعطى السعيد ابنه ٥٠٠ ونائبه بيليك ٣٠٠ ووزع الباقى على الأمراء ، ورسم أن يعطى كل منهم فى اليوم رطلين خضر ، وهناك عائلة من الشيعة تعرف باسم « بنى الحرفوش » نسبة إلى جدهم حرفوش الخزاعى أحد القادة فى جيش أبى عبيدة الجراح واستقر فى بعلبك حيث صار وبنوه من بعده أصحاب الأمر والنهى حتى أواسط القرن الثامن عشر الميلادى (٤٣) .

الحقوق :

بمعنى زمام البلد ، مثال الحديدة المعروفة بأم رضوان بالدقهلية من حقوق منية خضر ، وكذلك تل بنى تميم بالدقهلية من حقوق القطيعة ، وهكذا ودلت على معنى نوع من الضرائب المقررة على بعض البلاد دون البعض الآخر (٤٤) .

الحلقــة :

هى السلاح ، وحدث حين أجلى الرسول من بنى النضير فى سنة ٤ هـ اشترط عليهم أن يخرجوا من بلدهم ولهم ما حملت الإبل إلا الحلقة . . وأطلقت الحلقة على فرقة من المماليك فى العهد الأيوبى والمملوكى[٤٥] . وفريق الحلقة فى الجيش المملوكى أهم فريق حاز الإقطاعات ويتكون من مماليك الأمراء الذين انفصلوا عن إقطاعاتهم بالوفاة أو النفى أو كبر السن ، وجرت العادة أن يضم السلطان هؤلاء المماليك إلى الحلقة ، ولذا كانوا من حيث المرتبة أو المنزلة دون المماليك السلطانية [٤٦] .

الحمايات :

لغوياً : أحمى المكان جعله حمى لا يقرب ، واصطلاحاً : مغارم فرضها السلطان والأمراء المقطعون على العقارات من أراضى ونحوها نظير ما يقومون به من حماية الشخص الذى يدفع هذا المقرر ، وكان بيبرس الجاشنكير ونائبه سلار قد فرضا كثيراً من هذه الحمايات فألغاها الناصر حين عاد إلى السلطنة وراك البلاد ، ولكنها أعيدت ، ويعتبر برقوق أول من أفرد لها ولغيرها من أبواب الإيراد ديواناً وله موظفون مفرقون بالبلاد يعرفون باسم (أستادارية الحمايات) . وعلق المقريزى على ذلك بقوله « وهو من أعظم أسباب الخراب » .

حــوز :

ما يحوزه ولى الأمر من القطائع والخاص السلطانى ويقال صارت القطيعة حوزاً .

الحــوطة :

أى الحجز ، وإيقاع الحوطة هو إيقاع الحجز على مال أو عقار أو محصول ، وفى سنة ٥٧٧ هـ ،خرج أمر صلاح الدين بالحــوطة على مستغلات العرب بالشرقية ، ووقعت الحوطة على إقطاع جذام وثعلبة لكثرة حملهم الغلال إلى بلاد الفرنج [٤٧] .

الحياصـــة :

الأصل الحواصة،وهو سير يشد به حزام السرج ،واستعملت بمعنى المنطقة التى يشدها الأمير فى وسطه ، وهى من المنح السلطانية،وتكون من الذهب أو الفضة ، بحسب رتبة الأمير فحوائص الأجناد من الفضة ووزنها ٤٠٠ درهم وعمل قلاوون حوائص الأمراء والكبار وتقدر بثلاثة آلاف دينار ولأمراء الطبلخاناه حياصة بمائتى دينار ، وحياصة مقدمى الحلقة من ١٥٠-١٧٠ ديناراً وكان الخاصكية يلبسون حوائص من ذهب ، ولهذه الحوائص سوق لبيعها تعرف باسم سوق الحوائصيين (٤٨) .

الخـــبز :

بمعنى إقطاع فيقال خبز فلان أو إقطاع فلان(٤٩) .

الخـــراج :

ضريبة الأرض ،وأصلها فارسى ،وهو ماوضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عنها وتقديره موقوف على اجتهاد الأئمة ، وفى لغة العرب اسم للكراء والغلة (٥٠) ويقال إن أول من وضع الخراج وأزال المقاسمة هوأنو شروان على أثر تجوله يوماً قرب بستان لامرأة فسمعها تمنع طفلها عن تناول ثمار حتى يأخذ الملك نصيبه فى المقاسمة ، وقد وضع على كل جريب عامر وغامر مما يناله الماء قفيزا ودرهماً ، وهناك أرض خراجية وهى التى فتحت عنوة ولم يسلم أصحابها فيوضع عليها الخراج ، وحين فتح السواد على عهد عمر واصطفى أموال كسرى وأهل بيته مسح الأرض ووضع الخراج . فمثلا وضع على جريب الرطبة ٥ دراهم و ٥ أقفزة ، جريب الشجر ١٠ دراهم وعشرة أقفزة (٥١) .

الخشداشية :

جمع خشداش وهو معرب اللفـــظ الفارسى خواجاتاش أى الزميل . والخشداشية فى عصر المماليك هم الأمراء الذين نشأوا مماليك عند سيد واحد فنمت بينهم رابطة الزمالة القديمة ويقابلها فى الفرنسية (Camarade) . ومن

القواعد المعروفة عند المماليك أن الأجناد إذا مات أحدهم استولى خشداشيته على موجوده (٥٢) .

الخمس :

هو خمس الفيء والغنائم، وهذا من حق ولى الأمر، ومصرفه نص عليه القرآن (واعلموا أنما غنمتم من شيء . .) ، (ما أفاء الله على رسوله . .) ولما كان بعض الخلفاء من بنى أمية لا يضع الخمس حيث نص القرآن فقد كتب عمر بن عبدالعزيز بجمعه مع الفيء ليصرف فى مصالح المسلمين عامة (٥٣) ويدل معنى الخمس كذلك فى العهد الأيوبى والمملوكى بصفة خاصة على ما يستأدى من تجار الروم الواردين على الثغر بمقتضى ما صولحوا عليه ، وربما بلغ ما يستخرج منه عما قيمته مائة دينار ما يناهز ٣٥ ديناراً ، ومن كنائس الروم ما يستأدى منه العشر، إلا أنه لما كان الخمس أكثر معرفة وتداولا كانت النسبة إليه أشهر واعتبر الخمس من المعاملات السلطانية أو الجهات الديوانية منذ العهد الأيوبى فصاعداً (٥٤) .

الخـــواجا :

من ألقاب كبار التجار والأعاجم وهو لفظ فارسى (٥٥) .

الخواخق أو الخوانك :

كلمة فارسية معناها « بيت » وقيل أصلها خونقاه أى الموضع الذى يأكل فيه الملك، وحدثت الخوانق فى الإسلام حوالى القرن الخامس الهجرى حيث يختلى الصوفية للعبادة والتبتل ويسمى رئيس الخانقاه « بالشيخ » أو شيخ شيوخ العارفين. ويعين بتوقيع من السلطان، وأول من لقب بهذا اللقب شيخ خانقاه سعيد السعداء التى بناها صلاح الدين، ولقب الناصر محمد، شيخ الخانقاه التى بناها بسرياقوس سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٤ م) بهذا اللقب . ولهذه الخوانق أوقاف للنفقة عليها فضلا عن مخصصات روادها من الصوفية وللواحد منهم فى اليوم — رطل لحم ضانى و ٤ أرطال خبز ورطل حلوى ورطلان زيت زيتون ، رطلان صابون وفى الشهر ٤٠ درهماً فضة وفى السنة ثمن كسوة وتوسعة فى رمضان

والعيدين ومواسم عاشوراء ورجب وشعبان، وكلما ظهرت فاكهة، صرف لهم مبلغ لشرائها وتبيض قدورهم فى رمضان . وبالخانقاه مخبز ومطبخ وخزانة للسكر والأشربة والأدوية، وبها الطبائعى والجرائحى والكحال ومصالح الشعر . ومن الخوانق المشهورة خانقاه ابن آقوش بناها بخارج باب زويلة سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٤ م) وخانقاه الأمير يشبك بناها سنة ٧٣٦ هـ (١٣٣٥ م) وخانقاه الوزير مغلطاى الجمالى بناها سنة ٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م) وخانقاه برقوق التى بناها سنة ٧٨٦ هـ (١٣٨٤ م) وهكذا [٥٦] .

خوند أو خاوند :

لفظ فارسى يطلق على الذكر أو الأنثى بمعنى مالك أو صاحب ومنها خوندكى بمعنى الأكبر واستعملت فى عصر المماليك بمعنى الكبير أو صاحب المقام الرفيع، ولقب به السلطان وزوجاته [٥٧] .

دربستا :

لفظ فارسى بمعنى « كاملا » . فمثلاً أقطع السلطان خليل سنة ٦٩٢ هـ (١٣٩٢ م) الأمير بيسرى الشمسى منيـة بنى خصيب دربستا أى بدون استثناء، وإذا كان فى الإقطاع شىء موقوف أو ملك حر لا تذكر هذه الكلمة فى مناشير الإقطاع [٥٨] .

درك :

لغوياً بمعنى اللحاق ، واصطلاحاً حماية الأطراف أو الثغور فى الدولة . ودلت كذلك على معنى المساهمة فى الحرب وحماية الأمن الداخلى ، والدرك فى نظام الإقطاع المملوكى، من الالتزامات المفروضة على المقطعين من العربان والتركمان والأكراد، ويسجل فى ديوان الجيش أمام اسم المقطع إن كان عليه درك أو غيره ، فمثلا حاز بنو تنوخ العرب إقطاعاتهم نظير دركهم على بيروت، وكان أمراء التركمان فى كسروان قد تدركوا ألف رجل إلى قبرص للحرب، وهناك « المتدرك » وهو المستأجر الكبير لأراضى الدولة أو أراضى الخاص السلطانى [٥٩] .

درمونة :

مركب كبير لنقل الغلال من وإلى الأهراء السلطانية ، وحمولتها خمسة آلاف إردب [٦٠] .

دزدار :

كلمة فارسية معناها ماسك القلعة أو محافظ القلعة أو مستحفظ القلعة وقد اشتغل نجم الدين أيوب « دزدار » على قلعة تكريت من قبل بهروز الخادم فى العهد السلجوقى قبيل سنة ٥٢٥ هـ (١١٣٠م) ولما ارتحل ودخل فى خدمة زنكى ، عمل أيضاً « دزدار » لقلعة بعلبك[٦١] .

الدستور :

بمعنى الإذن ، فمثلا أعطى السلطان قلاوون فى سنة ٦٧٩ هـ (١٢٨٠ م) دستوراً للعسكر الشامية خلال حرب التتر [٦٢] .

الدكـــة :

تشبه السرير والدكك فى المجتمع المملوكى من بين جهاز العرس لبنات الطبقة العليا ، وجرت العادة أن تجهز العروس بسبع دكك عليها دست طاسات من نحاس أصفر مكفت بالفضة ، وبالدست سبع قطع كبراها نحو إردب قمح وتختلف عن بعضها من فضة — كفت نحاس — خشب مدهون — صينى — بللور — كداهى — والأخيرة مصنوعة من ورق مدهون من الصين ، ومن الدكك العادية التى يجلس عليها الأمراء والسلاطين ، فمثلا كان قايتباى يجلس على دكة بالاصطبل عند النظر فى المظالم [٦٣] .

الرباط :

لغوياً : ماتربط به الدابة من خيل ونحوه ، ويقال لفلان رباط من الخيل ، واصطلاحاً : الرباطات المبنية للفقراء وتؤدى معنى انتظار الصلاة بعد الصلاة ومن شروط روادها «قطع المعاملة مع الخلق وفتح المعاملة مع الحق وترك الاكتساب ومواصلة الليل والنهار بالعبادة وملازمة الأوراد » ويؤدى الرباط ما تؤديه

الخوانق. وللربط أصل يرجع إلى الصفة التى كانت لفقراء الصحابة ومنها ما كان خاصاً بالنساء (٦٤) .

ربا ع :

مساكن تبنى فوق الحوانيت فى الأسواق والقيسارات والفنادق ويسكنها العوام(٦٥) .

الرزق والأحباسية :

الرزق هى الأطيان التى أعطاها الخلفاء والملوك والسلاطين إلى بعض الناس بمقتضى حجج شرعية أو تقاسيط ديوانية رزقة بلا مال أى بدون مال خراج ، وبمعنى آخر معفاة من الضرائب . وتعرف هذه الأراضى باسم « الرزق » أو « أراضى الرزق » (٦٦) .

وكثرت هذه الرزق خلال عصر المماليك ، وروعى فى التوزيع الإقطاعى استثناؤها من المساحات المقطعة . كأن يقال مثلا : بإقليم الشرقية : مدينة الدهتمون من كفور العلاقمة مساحتها ٤٩٠ فداناً بها رزق ٦٠ فداناً وهى من إقطاع الأمير يشبك (٦٧) . وطلخا بالغربية مساحتها ٦٢٠ فداناً بها رزق ٢٥ فداناً (٦٨)، ومساحة أبسوم بالبحيرة ٢٢٨٠ فداناً غير الرزق التى تقدر مساحتها بـ ٤٨ فداناً (٦٩) وهكذا فى كل الأقاليم (٧٠) . ومعنى الأحباسية حبس هذه الرزق أو غيرها أو وقف ريعها على جهات معلومة محدودة (٧١) على أن منها ما هو ليس موقوفاً فيصرف ريعه للمستحقين أصحابها، والرزق التى من هذا النوع تنحل بانقراض أصحابها ، ولذلك ارتجع الناصر محمد فى روكه الرزق من واضعى اليد عليها ، وهى التى كانت بيد بيبرس الجاشنكير وصحبه(٧٢). أما الموقوف منها فيصرف ريعه أو يحبس على المساجد وغيرها من الجهات الخيرية وأعمال البر بحسب شروط الواقف (٧٣) .

وقد بلغت الرزق الأحباسية فى عهد الناصر محمد ١٣٣ ألف فدان ويشرف عليها دوادار السلطان ومعه ناظر الأحباس الذى يلقب « بناظر الأحباس المبرورة »(٧٤) ولها ديوان يديرها . قيل إن أول من دون ديواناً

للأحباس فى عصر الإمام الليث بن سعد؛ إذ أفرد لها ديواناً مستقلاعن ديوان الجيش(٧٥) وتعرضت هذه الرزق الموقوف منها وغير الموقوف للحل والإقطاع أكثر من مرة خلال عصر المماليك (٧٦) .

ووقعت محاولات لحلها فى العصر العثمانى واستفتى العلماء ، ثم استقر الأمر على إبقائها على ما هى عليه دون حل أو إنقاص (٧٧) .

الرسناق :

أسماء أماكن أطلقت على أراضى العراق ومثلها طسوج .

الـــرنك :

لفظ فارسى معناه لون واستخدم بمعنى الشعار أو الشارة التى يتخذها الأمير أو السلطان المملوكى لنفسه وعند تأمير السلطان للأمير علامة على وظيفته فى الإمارة .

ويرجع الأصل فى الرنوك أو الرموز التى اشتهرت فى عصر سلاطين المماليك إلى السلطان الصالح نجم الدين أيوب ، حين أمر مملوكه أيبك وعينه جاشنكير ، إذ جعل شارة وظيفته المنضدة المدورة وتسمى فى المصطلح « خونجا أو خانجا » (٧٨) ولذلك دلت الرنوك فى أغلبها على وظيفة صاحبها . ويبين هذا الجدول بعض أصحاب الوظائف ورنوكهم :

صاحب الوظيفة	رنكه	صاحب الوظيفة	رنكه
السلاح دار	السيف	البشمقدار	حذاء
الجمدار	البقجة (٧٩)	أمراء الجيوش عامة	السيوف
أمير أخور	نعـــلة الفرس (٨٠)	الطبلدار	طبلة وعصا
الساقى	الكأس	الطشتدار	إبريق أو بقجة
الجوكاندار	العصا والصولجان	العلمـــدار	علمان
			وهكذا . . .

(٢)



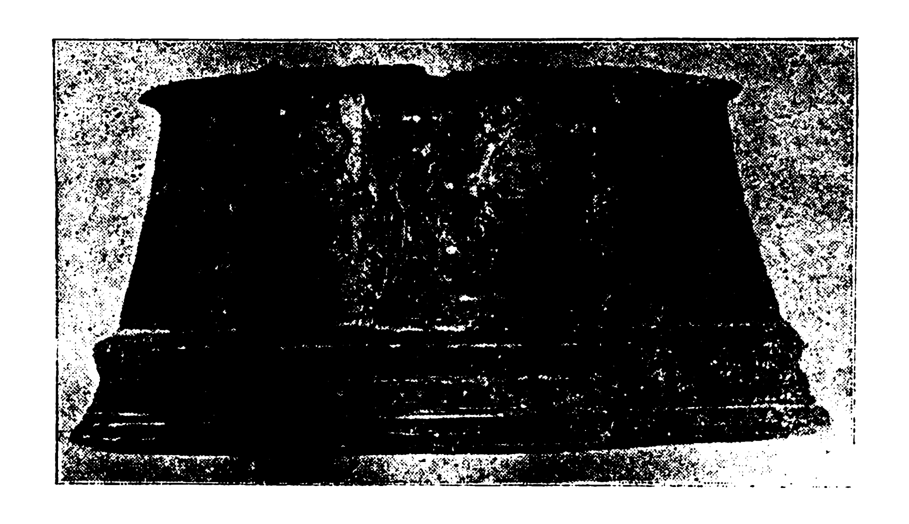
(١)



١ - رنك السبع للسلطان بيبرس على آنية من الفخار .

٢ - رنك الكأس والدواة على رقبة مشكاة من الزجاج للأمير طغيتمر الدوادار ، وهو دوادار الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون ، قتل سنة ٧٤٨ هـ - ١٣٤٧ م .

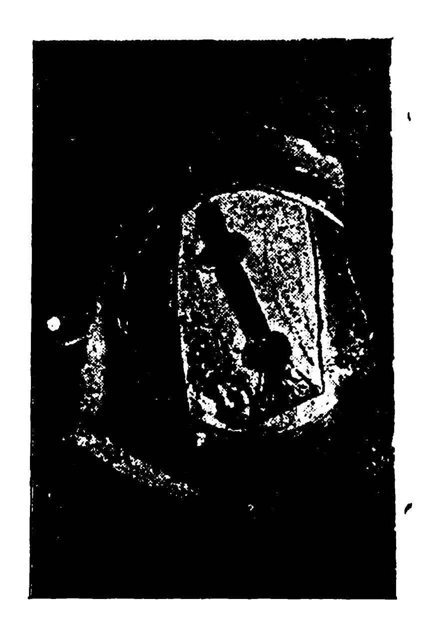
(عن متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)

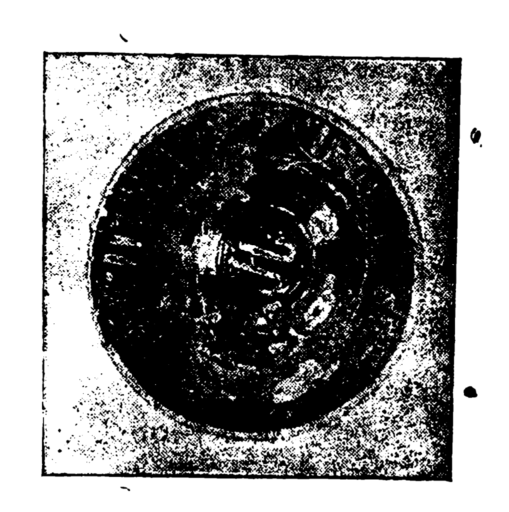


قاعدة شمعدان من نحاس ، مفقودة رقبته التى توضع فيها الشمعة ، ويوضع الشمعدان عادة على كرسى خاص فى القصر أو المسجد ، وأحياناً يوضع بجانب المرآة . وعلى هذا الشمعدان اسم **الأمير** بهادر (٧٩٠ هـ - ١٣٨٨ م) ، **وعليه رنك السيف فى الشطب .**

(عن متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)

(١) (٢)





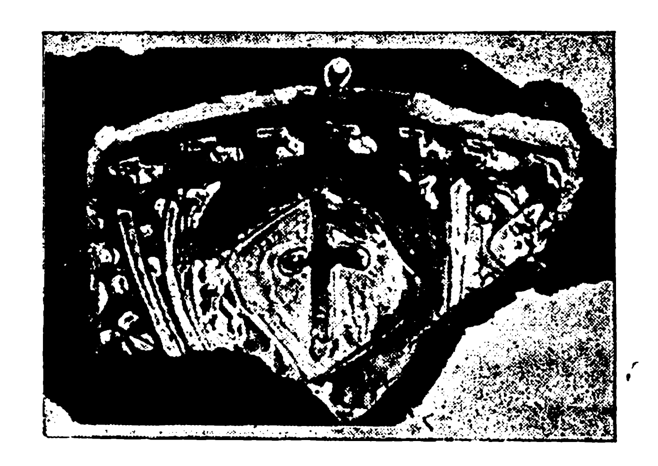
١ – رنك البوق على آنية فخارية وهو شارة الطبلدار أو رئيس المزمرين والمنقرين .

٢ – رنك الصولجان على آنية فخارية شارة الجوكندار

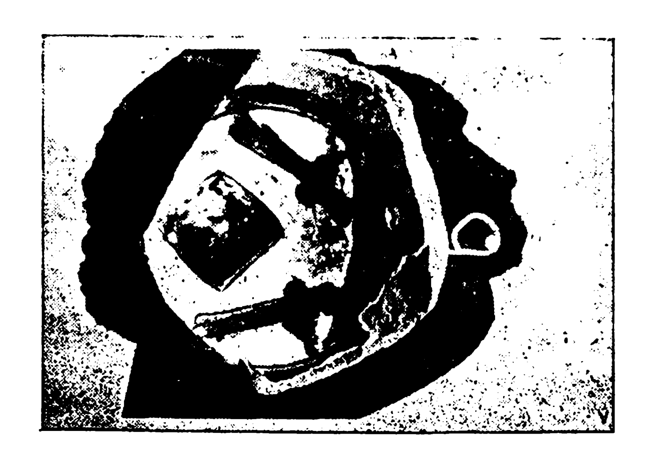
(عن متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)



١ – رنك سيفين وبينهما هلال



٢ – رنك سيف على بقجة



٣ – رنك سيفين بينهما بقجة

السيوف عامة شارة الأمرة ، والهلال رمز للهدف والبقجة رمز للطشتدار

(عن متحف الفن الإسلامى)



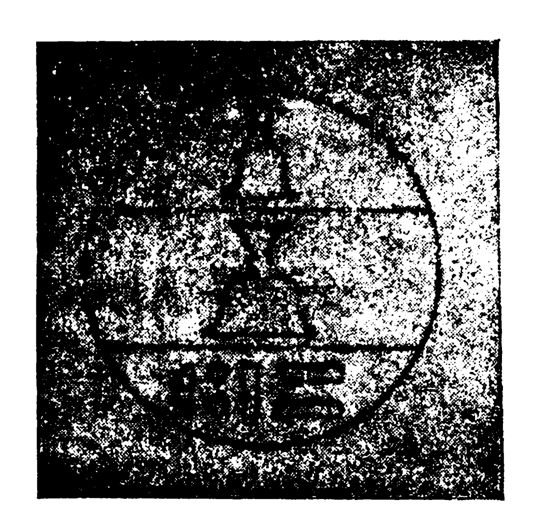
مشكاة مموهة بالميناء باسم الظاهر أبي سعيد برقوق ، ويظهر على عنقها رنكه المكتوب داخل خرطوش مستطيل ، ونصه (عز لمولانا الملك) ، وفى أعلاه (الظاهر) وفى أسفله (عز نصره) وحول الرنك كتابة نسخية كبيرة نصها (الله نور السموات والأرض ، الآية . . .) ، وعلى بدن المشكاة كتابة نصها (عز لمولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد ، نصره الله)

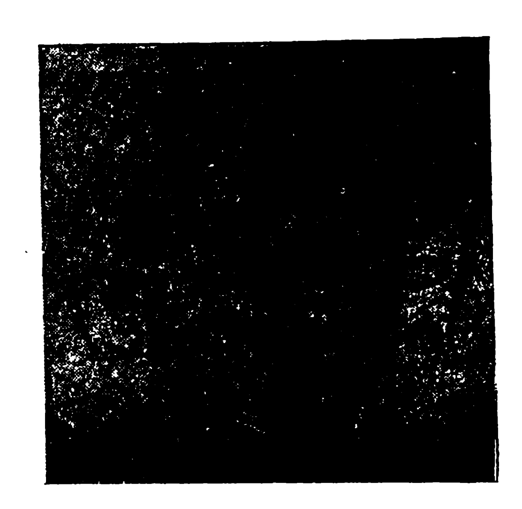
(عن متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)



مشكاة عليها كتابة نسخية مموهة بالميناء ، وتظهر على البدن حول الرنك المركب من الدواة يعلوها السيف ، وفى أسفل الدواة رنك الساقى يحيط به قرنا البارود ونص الكتابة : « الله نور السموات والأرض ، مثل نوره » وتكملة الآية الكريمة على بدن المشكاة ، وحول عنق المشكاة كتابة نسخية باسم الأمير قانى باى الجركسى ونصها « مما عمل برسم المقر العالى السيفى قانى باى الجركسى نضام (خطأ وصحتها نظام الملك) » . (عن متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)

(٢)　　　　(١)

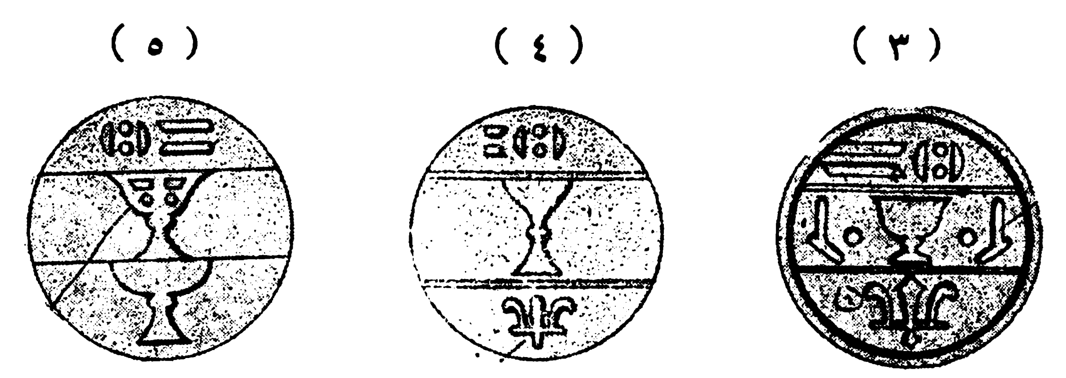




١ – رنك وجد على سبيل فى حارة الشرف بدمشق ، ويرى فيه فرعان فى أعلا الرنك بينهما بقجة ، وفى الوسط كأس مكتوب عليها (الله) ، وفى الجانب الأيمن قرن بارود، وفى الجانب الأيسر محبرة ، وفى أسفل الرنك فرعان بينهما كأس .

٢ – رنك الشرفى يونس الدوادار (دوادار برقوق) به كأسان ومحبرة .

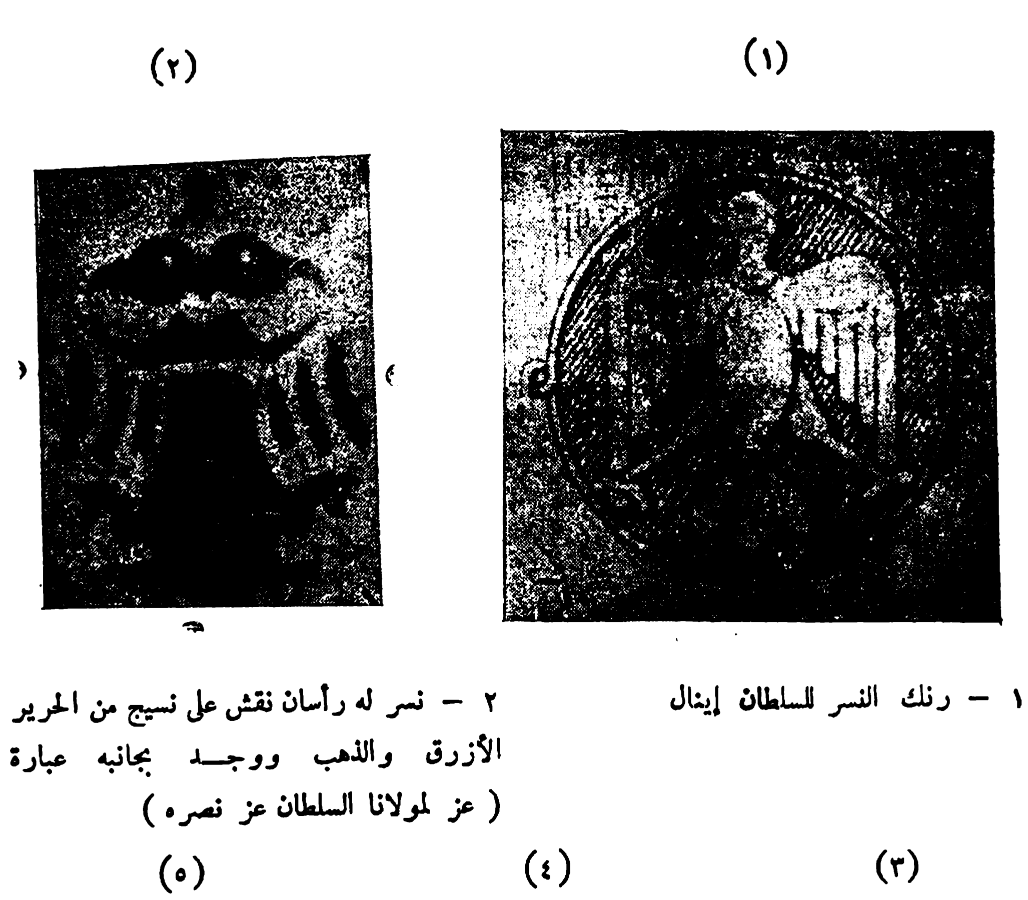
(٣)　　　　(٤)　　　　(٥)



٣ – رنك مركب الأمير سيف الدين طاز فى أعلاه محبرة وفى الوسط عصوان للبواو وكرثان بينهما كأس وفى أسفل زهرة الزنبق .

٤ ، ٥ – رنكان بهما ثلاث كئوس وثلاث محابر وزهرة زنبق . وقد وجد رقم ٤ على مئذنة بغزة .

(عن متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)



(١) ١ – رنك النسر للسلطان إينال

(٢) ٢ – نسر له رأسان نقش على نسيج من الحرير الأزرق والذهب ووجـد بجانبه عبارة (عز لمولانا السلطان عز نصره)

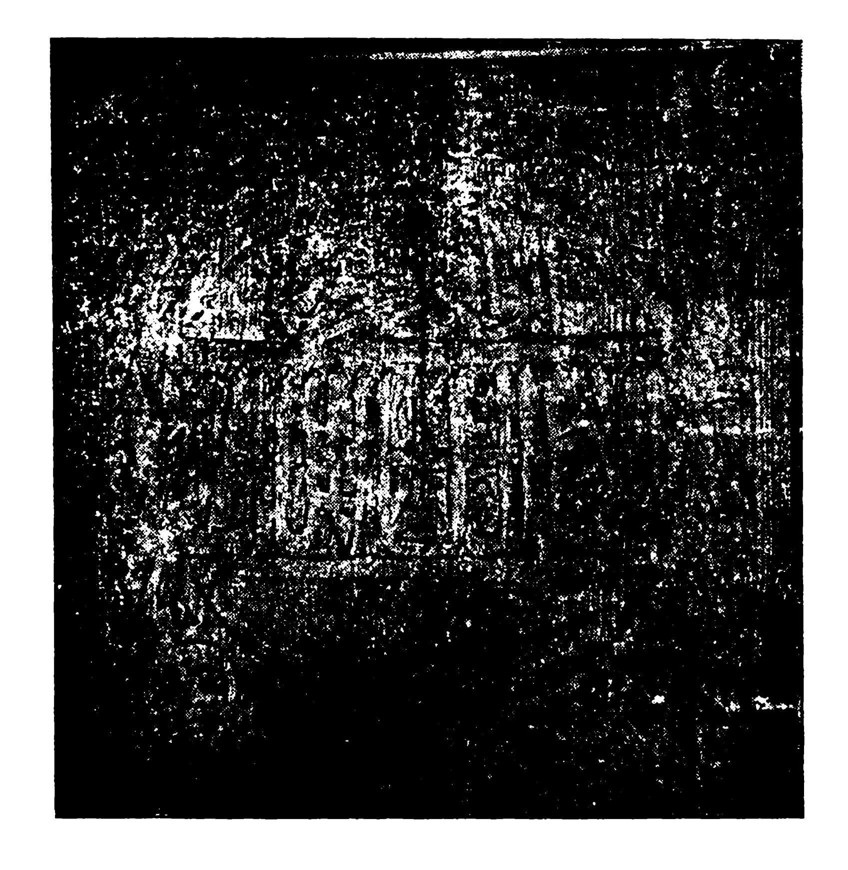
(٣) (٤) (٥)

(٦)



(٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦)
بعض أشكال متنوعة
لرنك النسر

(عن متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)



حشوة من الخشب مزينة برنك السلطان قانصوه الغورى فى خرطوش على شكل دائرة ، مقسمة إلى ثلاثة أقسام : فى القسم الأول (أبو النصر قانصوه الغورى) ، وفى القسم الأوسط وهو الشطب (عز لمولانا السلطان الملك الأشرف) ، وفى القسم الأسفل (عز نصره) . ويحيط بالرنك زخارف من الأرابسك من فروع وأوراق نباتية ، ويبدو أن هذه الحشوة كانت مستعملة فى أحد جوانب (دكة) للمقرئ فى مسجد أو لكرسى فى قاعة العرش ، وربما للدكة التى كان يجلس عليها الغورى بالحوش فى القلعة . (عن متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)

على أنه ليس من الضرورى أن يدل الرنك على وظيفة صاحبه، بل ربما دل على ما يهواه ويتمثله من مثل رنك الأسد لبيبرس، ويبدو أنه اتخذه رمزاً للشجاعة وقوة البأس . ومن الرنوك ما يعجب الناس فينقشونها على ثيابهم وأوانيهم ، وربما جعلوها بالوشم على معاصمهم ، ويرجع هذا فى أغلب الأحيان إلى سيرة الأمير وحسن معاملته ، مثل رنك الأمير جمال الدين آقوش الأفرم نائب دمشق وهو عبارة عن سيف أحمر داخل دائرة ملونة بالأبيض والأخضر، ووضع الرنك على مؤسسة أو ثياب أو سلاح أو مركب يدل على تبعية هذا الملك إلى صاحب الرنك ، وقد هدد خاير بك والى مصر من قبل العثمانيين سكان القاهرة فى سنة ٩٢٤ هـ (١٥١٨)م بأن من لا يستقر فى مسكنه سوف يضرب « عليه رنكه فيصير ملكه » (٨١) .

الزعـــر :

لغوياً الزعارة : شراسة الخلق وزعرور سيء الخلق وفى المصطلح كذلك إذ استعمل هذا فى عصر المماليك ليدل على المفسدين وقطاع الطرق واللصوص الذين يتعرضون للمارة ، ولا سيما فى الأماكن المهجورة ، يذكر المقريزى عن حكر الأمير أقبغا الكائن فى الطريق بين مصر والقاهرة أنه كان مهجوراً « وقد كثر فيه الزعار » وهؤلاء ينشطون فى أوقات الفتن وينهبون ما تقع عليه أيديهم (٨٢) .

السراخور :

المشرف على العلف بالإصطبلات السلطانية أو الخاصة بالأمير (من لفظين فارسيين . سرا بمعنى كبير وخور بمعنى العلف (٨٣)) .

الســـعوط :

لعله مادة مخدرة أو مؤذية كانت توضع فى الأنف تعذيباً للمجرمين (٨٤).

الســـلارى :

ما ينسب للأمير سلار نائب السلطنة فى عهد بيبرس الجاشنكير من

ملابس وأسلحة وآلات خيل وظلت تنسب إليه حتى نهاية عصر المماليك والأمير سلار تترى من مماليك على بن قلاوون وكانت له ثروة ضخمة (٨٥) .

الشحنجية :

والشحنجية هى رياسة الشرطة ، ويسمى متوليها صاحب الشحنة وكان بهروز الخادم الغيىء صاحب الشحنة ببغداد بين سنتى ٥٠٢ و ٥٤٠ هـ (١١٠٨ و ١١٤٥ م) (٨٦) وهناك أمثلة كثيرة لمن تولى هذه الوظيفة وما تعرضوا إليه من نقمة الجماهير أحياناً كما حدث فى عهد السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقى إذ ثار أهل همذان على العبيد وقتلوا شحنة البلد (٨٧) .

الشربوش :

لباس للرأس مثلث يشبه التاج ، ويمنح مع الخلع السلطانية وللشرابيش سوق تعرف باسم (سوق الشرابشيين) (٨٨) .

شكارة بذار :

أن تستغل جزءاً من أرض تكون ملكاً لغيرك وغلتها فى الغالب قليلة . وقد ورد فى منشور من صاحب صيدا الفرنجى أنه أعطى حجى أحد أمراء بنى الغرب شكارة بذار وثلاثة أهراء قمح فى قرية الدامور ملكاً له ولولده ولمن يقوم مقامه بتاريخ ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ــ ١٢٥٧ م)(٨٩) .

الصفايا :

ما يصطفيه الإمام أو ولى الأمر لنفسه أو لبيت مال المسلمين كصفايا الرسول (ص) التى حازها بحقه فى خمس الفىء والغنائم . وكذلك هناك صوافى عمر بن الخطاب فى السواد ولم يقطعها وإنما استصفاها لبيت المال فصارت فى حكم الوقف لا تباع ولا تشترى ولا تورث (٩٠) .

الصفقة :

بمعنى زمام وحقوق ، فمثلا بلدة النخلة من صفقة البدرشين بالجيزة وبلدة العطف من صفقة دهشور ، والغارات من صفقة نهيا وهكذا (٩١)

الصـــلة :

هى ما يصل به ولى الأمر من مال أو عقار نظير عمل معين ، ويطلق هذا اللفظ كوصف للإقطاع الذى يمنح للمستحقين وذوى الحاجات وأرباب المصالح ، كما يقال عن أرض تباع (معاوضة) كأن يكون الثمن عوضاً عن العين (٩٢) .

الصـــوفى :

من التصوف ولبس الصوف ، وقيل نسبة إلى صفة مسجد رسول الله (ص) ، وقيل من الصفاء كما قيل من الصف ، أى أنهم من الصف الأول بقلوبهم وعموماً هم رجال أفرغوا أنفسهم للعبادة والتفقه ، ومن شروط انخراطهم فى هذا المسلك ألا يكون دخولهم الخوانق إلا لسد الرمق للتقوى على العبادة ، وألا يتخذوا من الخوانق كما يقول السبكى « أسباباً » والدلوق المرقعة طرائق للدنيا والزور وأكل الحشيش ، وعلى الصوفى احترام شرط الواقف ، فمثلا اشترط الأمير شيخو على رواد خانقاه بالصليبة ألا يتزوج منهم إلا طائفة حددها من كل مذهب (٩٣) .

الطرخان أو الترخان :

الأمير فى اللغة التركية ، أو الأصيل والشريف ، أو اسم للرئيس الشريف باللغة الخراسانية ، والجمع طراخنة واستعملت فى مصطلح المماليك بمعنى المعزول عن الإقطاع والوظيفة أو المتقاعد عن العمل تجرى عليه الدولة ما يقوم بأوده بقية أيام حياته ، وينطبق على رجال السيف ورجال القلم إلا أنها غلبت على رجال الطائفة الأولى (٩٤) .

الطســـوج :

معناه الناحية ، ويؤدى معنى آخر من حيث أنه يساوى (ربع) دانق وهو لفظ معرب (٩٥) .

طسُــوق :

مكيال أو ما يوضع على الجربان (جمع جريب) من الخراج أو شبه ضريبة معدومة وهو لفظ مولد أو معرب (٩٦) .

الطغراء أو الطغار :

هى علامة ولى الأمر التى توضع على وثائق الإقطــاع وهى كلمة أعجمية (٩٧) .

الطــين :

الأرض الزراعية التابعة لبلد من البلاد، فيقال مثلا عن فاقوس المقطعة أنها لم يكن لها طين، وقدرت عبرتها بمبلغ ٣٥٠٠ دينار ، وربما جاءت العبرة هذه عن رسوم أخرى على مساكن أو حوانيت أو صناعات وغيرها (٩٨) .

العــبرة :

وتعنى مقدار الدخل لجهة معينة وهى مثل الارتفاع .

العثمانيــة :

دلت فى عصر المماليك على طائفــة من أسرى العثمانيين الذين أسرهم المماليك فى حروبهم ضد الدولة العثمانية على عهد قايتباى وقائده المظفر أزبك — المنسوبة إليه الأزبكية — وكلمة عثمانى الملحقة باسم برقوق ترجع إلى التاجر « الخواجا عثمان » الذى باعه . وفى أوائل العصر العثمانى فى مصر دلت كلمة « عثمانى » أو عثمانية على أرطال من نحاس أقرها العثمانيون ، وزنة الرطل ٩ دراهم (٩٩) .

العــرافة :

لفظ يطلق على طائفة من الجند (من عشرة إلى خمسة عشر رجلا) تقيم فى الثغور أو العواصم على حدود الدولة وتبلغ عدة جند العرافة من عشرة أنفار إلى خمسة عشر نفراً، وقد أمر أبو جعفر المنصور على أثر بناء ملطية ومسجدها سنة ١٤٠ هـ الحسن بن قحطبة قائد جند خراسان أن يبنى لكل عرافة بيتين .

سفلايان وعلويان فوقهما واصطبل كما بنى لها المسالح ، وأسكن ملطية أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة لأنها من ثغورهم على زيادة عشرة دنانير فى عطاء كل رجل ومعونة مائة دينار وأقطع الجند المزارع (١٠٠) .

العشر :

ما يؤخذ من زكاة الأرض التى أسلم عليها أهلها كأرض العرب وما أسلم عليه أهله أو فتح عنوة وقسم بين الفاتحين (١٠١) وهو الصدقة،ويؤخذ أيضاً من تجار الروم إذا دخلوا بلاد الإسلام ، وتعتبر ضريبة جمركية . ويدفع أيضاً فى القطائع التى حيزت تمليكاً .

العشران :

جمع عشير،اسم أطلق على بدو الشام وأطلق أيضاً على الدروز(١٠٢) . وعشير الشام فرقتان قيس ويمن ، لا يتفقان قط ، وفى كل قليل يثور بعضهم على بعض وفى سيرة محمد بن قلاوون : ومن جملة رعايا المملكة فى الشام قوم جبلية يقال لهم العشير(١٠٣) .

العشـير :

اسم أطلق على بدو الشام وأطلق أيضاً على سائر الدروز فمثلا ثارت العشران ونهبوا نابلس سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م) فى عهد قلاوون فقمعهم الأمير أيدغدى الصرخدى ، ورتب أميراً بالبلادالساحلية والغزاوية « لردع العشران » وأدت هذه الكلمة كذلك معنى الزكاة المفروضة على قطعان العرب والتركمان نسبة للعشر ، وكذلك من معانيها عدد الفرسان المقرر على المقطعين العرب نقلا عن الأيوبيين. فمثلا أمر السلطان طومان باى سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦م) بجمع عشرين ألف خيال من العشير من فرسان العرب (١٠٤) .

العيـاق :

لغوياً العوق : الحبس والتسبيط ، والرجل العوق الذى لا خير فيه ، والجمع أعواق ومن يعوق الناس عن الخير ، واصطلاحاً بهذا المعنى كذلك ؛ وأطلقت فى عصر المماليك على طائفة من سافل الناس يعتدون على الغير

ويسرون بالمارة ويؤذونهم ، ويشبهون الزعر ، ويحدث فى بعض الأعياد العامة أن تنشط هذه الطائفة للسخرية والإيذاء كما يقع فى عيد النيروز وما يعملونه من موكب يسمى (أمير النيروز) أعضاؤه من سافل الناس والعياق يقفون فى الطرقات ويتراشون بالماء القذر ويتصافعون بالأنطاع والأخفاف (١٠٥) .

الغيـــط :

دلت فى مصطلح الإقطاع المملوكى على معنى الحديقة أو البستان ، مثلا سافر الأمير أزبك سنة ٨٩٦ هـ (١٤٩٠ م) إلى شبرامنت بالجيزة ، للإشراف على القناطر وإقامة بعض منها فأنشأ لنفسه « غيطاً ومنظرة على بركة هناك » ولما وقع غلاء بالشام سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) أشيع أن عسكر العثمانيين « خرب غيطان الشام ونهب الفواكه من فوق الأشجار ، ورعت خيولهم فى الغيطان وأكلوا أوراق الشجر » (١٠٦) .

القـــانون :

بمعنى مساحة فمثلا بلشاشة بالغربية قانونها ٥٣٣ فداناً وكذلك أقطع الناصر محمد زايد القانون سنة (١٠٧) .

القبـــق :

خشبة بأعلاها دائرة وترمى الرماة بقسيها داخل الدائرة وهم ركوب على ظهور خيولهم ، لإصابة هدف تدريباً على إحكام الرمى ويعرف هذا باللغة التركية باسم القبق ؛ وهناك ميدان القبق خارج القاهرة ، وقام السلاطين وأمراؤهم بهذه الرياضة (١٠٨) .

القرانصـــة :

ذكر ابن شاهين أنهم طائفة من الأجناد فى رتبة أمراء الخمساوات وهم القديمو الهجرة والمرشحون للإمرات ، وظلوا بهذا الاسم طول العصر المملوكى والعثمانى حتى أن محمد بك أبا الذهب استأداهم مع من استأدى فى خيانته لعلى بك الكبير إذ « جمع القرانصة والذين يظن فيهم النفاق وأسر إليهم أن يراسلوا على بك » (١٠٩) .

قســـائم :

يراد بها تعهدات ، فمثلا حدث فى سنة ٨٨٩هـ (١٤٨٤م) أن ضرب السلطان محمد ابن قايتباى ناظر الأوقاف بالمقارع وكتب عليه « قسامة » بألا يعود قط يسعى فى نظر الأوقاف ومتى سعى فيه كان دمه هدراً ، ثم سجنه وكتب من هذه « القسامة » أربع نسخ بعث بنسخة إلى كل قاض ، وفى العهد العثمانى أخـــذ المحتسب « قسائم » على التجار بألا يبيعوا ولا يشتروا إلا بالذراع الاستانبولى(١١٠)

قصـــة :

بمعنى الملتمس وهى كذلك من وثائق الإقطاع الأولى مثلا : شكت امرأة زوجها فى « قصة » إلى السلطان قايتباى سنة ٨٧٦ هـ (١٤٧١م) ، وفى نفس السنة سقط نجار كان يعمل فى طباق المماليك بالقلعة فوقف أولاده وعياله « بقصة » يلتمسون منه شيئاً من الصدقة (١١١) .

قطـــار :

قطر الإبل يقطرها ، وقطرها قربها إلى بعضها على نسق ، وجاءت الإبل قطاراً ومعناه صفوفاً مقطورة وراء بعضها ، وكثيراً ما قدمت قطر الإبل ضمن التقادم السلطانية (١١٢) .

قـــن :

القن بالكسر : العبد وجمعه أقنان وأقنة ، وكان الفلاح فى عصر المماليك قد نزل إلى هذه الرتبة من الوجهة العملية ، فصار قنا لا يستطيع مفارقة الأرض هو المعبر عنه بالفلاح « القرارى » . يقول المقريزى عن فلاحى الإقطاعات : « هو عبد لمن أقطع تلك الناحية إلا أنه لا يرجو أن يباع ولا أن يعتق بل هو قن ومن ولد له كذلك » ومن هرب من الفلاحين يعاد ويلزم « بشد الفلاحة » وهذا شرع الديوان فى عرف المماليك ، ويشبه هذا ما وقع فى الإمبراطورية الرومانية حيث كان الفلاح مقيداً بالأرض ، فإذا هرب منها أعيد قسراً وسلسل كالعبد ، ويعاقب أشد العقوبة هو ومن سهل له الفرار أو آواه . ومن القواعد التى قررها تيوسيوس أحد أباطرة الدولة الرومانية

حين أدخل نظام المزارع الكبيرة فى « فلسطين هناك لا يستطيع المزارع أن ينتقل حسب رغبته ، سيكون الفلاح مرتبطاً بمالك الأرض ولن يتمكن أحد من إيوائه » وقد ورث الإقطاع الأوربى هذا المظهر عن الرومان (١١٣) .

كنبوش :

كنبوش بالفتح ، والجمع كنابيش : خمار لتغطية الوجه ، وهو من الخلع السلطانية وكنبوش هو البرذعة تجعل تحت السرج ، ومن معانيه أيضاً الغاشية وهى السرج والغطاء المزركش الذى يوضع على ظهر الفرس (١١٤) .

لاءة :

اللاءة هم نواب الكشاف بالأقاليم ويتبع كل كشاف سبعة لاءة لمعاونتهم فى إدارة كشوفياتهم (١١٥) .

لالا :

المربى لولد السلطان وجمعه لالات ، وعادتهم ألا يظهروا الأولاد للناس حتى يجاوز سنهم سبع سنوات ، فمثلا توفى الأمير أرغون بن عبد الله سنة ٧٤٨ هـ فى خلطة حاجى . وكان الناصر محمد قد جعله لالا لأولاده وخلع السلطان شعبان سنة ٧٧٧ هـ (١٣٧٥ م) على طيبغا الصفوى واستقر به لالا أخوة السلطان(١١٦) .

ماء الخراج ، ماء العشر :

ماء الخراج من أنهار حفرها الناس كالأنهار التى حفرها الأعاجم . أما ماء العشر فمن أنهار أجراها الله كدجلة والفرات (١١٧) . وكان لنوع الماء الذى يسقى به الأرض أثر فى حكم التصرف فيها .

المثاغرة :

هى أن يقيم المقطع الحربى أو المقاتلة أو الحامية على الثغور لحفظها(١١٨) ؛ وقد كان أمراء بنى الغرب فى بلاد الشوف بلبنان من الأمراء المقطعين بشرط القيام بالدرك والمثاغرة (وربما كانوا لا يعرفون دركاً ولا مثاغرة ولا عدة جند

ولم يحرر عليهم عبرة إقطاع ولا غيره ، ثم فى دولة الملك العادل نور الدين جعلوا لهم عدة جند . .) (١١٩) .

مثـــال :

يدل على معنى الأمر العادى أو القرار الذى يصدره السلطان لإنهاء أى خبر بالإضافة إلى دلالته على معنى الوثيقة الإقطاعية . فمثلا وصل فى سنة ٧١٧هـ (١٣١٧م)مثال السلطان بالبشارة بالنيل وأن الخليج كسر (١٢٠) .

المخابرة :

هى المزارعة والمقاسمة على نسبة معينة من المحصول (١٢١) .

مرســـوم :

بمعنى الأمر السلطانى ، فمثلا ورد مرسوم من السلطان بيبرس بالقبض على بعض الأمراء ، وتدل على أوامر التعيين كما هو فى المراسيم المختلفة لبعض طوائف الموظفين ، مثـــل مرسوم بطرخانية لبعض من أعفى من وظائفه وإقطاعاته ، وبمعنى نشرة بأى خبر يريد السلطان إنهاءه كالمثال ، فمثلا لما شفى قايتباى من الكسر الذى ألم بساقه سنة ٨٧٦ هـ (١٤٧١ م) جلس على الدكة وجهز المراسيم إلى البلاد الحلبية بسلامته من هذا العارض (١٢٢) .

المـــزر :

شراب مسكر من الشعير أو الذرة، وكان معروفاً منذ القدم ؛جاء رجل من اليمن إلى الرسول (ص) وسأله عن شراب يشربونه باليمن يقال له المزر ويتخذونه من الذرة فلما استوضحه الرسول (ص) : « أمسكر هو ؟ قال : نعم . قال الرسول (ص) : كل مسكر حرام » وكان من المسكرات المعروفة فى عصر المماليك . وتعرض للإلغاء والإباحة فى كثير من الأحيان (١٢٣) .

المساحة :

ويقصد بها تقدير الخراج بقدر مساحة الأرض كأن يقول : على كل جريب عامر وغامر فقير ودرهم وهكذا (١٢٤) .

المسالح :

المسلحة قوم فى عدة بموضع رصد قد وكلوا به بإزاء ثغر ؛ واحدهم مسلحى ، والجمع ، المسالح والمسلحة كالثغر ، والمرقب ، وفى الحديث كان أدنى مسالح فارس إلى العرب العذيب . ومسلحة الجند خطاطيف لهم بين أيديهم ينفضون لهم الطريق ويتجسسون خبراً لعدو ويعملون عنهم لئلا يهجم عليهم ، ولا يدعون واحداً من العدو يدخل بلاد المسلمين ، وإن جاء جيش أنذروا المسلمين . والمسلحة القوم الذين يحفظون الثغور من العدو ، وسموا مسلحة لأنهم يكونون ذوى سلاح أو لأنهم يسكنون المسلحة وهى كالثغر والمرقب(١٢٥).

المستغلات :

يقول ابن حوقل (ما يجبى لبيت المال من أسواق ومنازل أو طواحين ابتناها الناس فى أرض السلطان فيؤدى عنها أجرة(١٢٦)) ، وهـــذه عرفت بالأحكار فى العصر الأيوبى والمملوكى كالقياسر والطواحين وغيرها .

المستوفى :

وهو صاحب ديوان المجلس فى العهد الفاطمى والأيوبى ، ويطالب المستخدمين بما يجب عليهم دفعه من الحساب فى أوقاته ، ويقيم الجرائد ويقابل بكل ما يرد عليه من حساب ويستوفيه ، وإن أهمل فى هذا كله كان عليه درك ذلك جميعه . ولا يؤاخذ بشىء عمل من مجلس خدمته ما لم يكن عليه خطه إما بالمقابلة وإما بالتاريخ (١٢٧) .

المسطور :

بمعنى إيصال أو مستند أو تعهد بدفع دين . اقترض السلطان برقوق سنة ٧٩٦هـ (١٣٩٣م) مبلغاً من المال من بعض التجار وكتب لهم « مسطوراً » ضمنه فيه الأمير محمود الأستادار (١٢٨) .

المسموح :

أمر بالإعفاء من التزام أو دين أو مظلمة ، فمثلا أمر بيبرس بإبطال المظالم التى أحدثها قطز ، وكتب بذلك « مسموحاً » قرىء على المنابر (١٢٩) .

المطالعـــة :

رقعة ترفع بطلب الإقطاع . شاع استخدام هذا اللفظ فى العصر العباسى فى الدولة الفاطمية ، وتشبه ما عرف باسم (القصة) فى العصر المملوكى ومعناها الملتمس بطلب أى شىء ، ولكنها أكثر مااستخدمت لطلب الإقطاع (١٣٠) .

المعاوضة :

معناها البيع (١٣١) .

المعـــين :

كاتب بين يدى المستوفى (صاحب ديوان المجلس) لمساعدته (١٣٢) .

مفاردة :

مفردها « مفردى » وهم أجناد الحلقة (١٣٣) .

المقـــورة :

يقصد بها الأماكن والأراضى المتسعة التى لا نبات فيها (١٣٤) .

المكوس وأصلها والمال الهلالى وتطورها :

أصل ذلك أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بلغه أن تجاراً من المسلمين يأتون أرض الهند فيأخذون منهم العشر ، فكتب إلى أبى موسى الأشعرى ، وهو على البصرة أن يأخذ من كل تاجر يمر به من المسلمين من كل مائتى درهم : خمسة دراهم ، ومن تجار العهد (أهل الذمة) من كل عشرين درهماً : درهماً واحداً ، ومن تجار الحرب (لعله دار حرب أى دار الأعداء) من كل عشرة دراهم : درهماً واحداً .

وروى عن عمر كذلك أن ناساً من الشام جاءوا له وقالوا (أصبنا دواباً وأموالا فخذ منها صدقة تطهرنا بها) فقال : (كيف أفعل ما لم يفعل من كان قبلى . .) .

وشاور ، فقال على بن أبى طالب له : (لابأس به إن لم يأخذه من بعدك) فأخذ عن العبد عشرة دراهم ، وعن الفرس وعن الهجين ٨ دراهم ، وعن البرذون والبغل ٥ دراهم (١٣٥) .

ونهى عمر بن عبد العزيز عن ذلك وكتب (ضعوا عن الناس هذه المكوس فليس بالمكس ولكنه النجس) (١٣٦) ، (إنه النجس الذى نهى الله عنه) ، وتلا قوله تعالى (ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) (١٣٧) .

عرفت هذه المكوس بالمال الهلالى ، وهى عدة أبواب تصرف فيها ولاة السوء شيئاً فشيئاً ، وأول من أحدث مالا فى مصر سوى مال الخراج ، هو أحمد بن محمد بن المدبر لما ولى خراج مصر سنة ٢٥٠هـ (١٣٨) ، فإنه كان (من دهاة الناس وشياطين الكتاب) فابتدع فى مصر بدعاً صارت مستمرة من بعده لا تنقض ، فأحاط النطرون وحجر عليه بعد ما كان مباحاً لجميع الناس ، وقرر على الكلأ الذى ترعاه البهائم مالاً سماه (المراعى) وقرر على ما يطعم الله من البحر مالا سماه (المصايد) — يقول البلوى — (ابتدعه بمصر : النطرون وكان مباحاً لجميع الناس بمصر ، فصير لهم ديواناً مفرداً وعاملا جلداً ، يحظر على الناس أن يبيعوه أو يشتروه إلا من جهته، والمراعى وهى الكلأ المباح المطلق التى أنبتها الله عز وجل لعباده ترعاها بهائمهم ، والمصايد وهى ما أطعم الله جل اسمه من صيد البحر . فلما احتشم ابن مدبر من ذكر المصايد وشناعة القول فيها ، أمر بأن يكتب فى الديوان (خراج مضارب الأوتار ومفارس الشباك وغير ذلك بمصر وله بالشامات أمثال هذا) (١٣٩) ، حينئذ انقسم مال مصر إلى قسمين : خراجى وهلالى : فالخراجى ما يؤخذ مسانهة من الأرض التى تزرع حبوباً ، ومن الخراج غير الأرض التى تزرع

حبوباً ونخلاوعنباً وفاكهة ،مايؤخذ من الفلاحين هدية مثل الغنم والدجاج ، والكشك وغيره من طرائف الريف ، وكثرهذا فى العهد المملوكى بصــفة خاصة (١٤٠) .

والهلالى هو عدة أبواب مثل هذه التى قرر ابن المدبر وعرف فى زمنه باسم (المرافق والمعاون) (١٤١) وكلها أحدثها ولاة السوء شيئاً بعد شىء (١٤٢) .

ولما ولى ابن طولون مصر سنة ٢٥٤ هـ وأضاف إليه الخليفة المعتمد (٢٥٦ هـ — ٢٧٩ هـ / ٨٧٠ — ٨٩٢ م) الخراج والثغور الشامية (رغب وتنزه عن أدناس المعاون والمرافق وكتب بإسقاطها فى جميع أعماله،وكانت تبلغ بمصر خاصة مائة ألف دينار فى كل سنة (١٤٣) .

أعيدت الأموال الهلالية فى عهد الفاطميين عندما ضعفت وصارت تعرف باسم المكوس (١٤٤) .

ولما تمكن صلاح الدين من تدعيم ملكه فى مصر والشام أمر بإسقاط المكوس فى مصر والقاهرة؛فكتب عنه مرسوماً بذلك. وجملته فى السنة : مائة ألف دينار وتفصيلها :

مكس البهار وعمالته .. .. ٦٤ر٣٣ ديناراً
مكس البضائع والقوافل ... ... ٩٣٥٠ »
منفلت البضاعة عن مكس البز الوارد إليها والنحاس —
والقزدير والمرجان والفاضلات .. .. ٥١٩٣ »
الصادر عن الصناعة بمصر .. .. ٦٦٦٦ »
سمسرة التمر ... ... ٣٠٠٠ »
الفندق بالمنية عن مكس البضائع ... ... ٨٥٦ »
رسوم دار النقد ... ... ٣١٠٨ »
رسوم الخشب الطويل والملح ... ... ٦٧٦ »
رسوم العلب المنسوبة إلى بلبيس والبورى .. .. ١٠٠ »
رسوم التفتيش بالصناعة عن البهار وغيره ... ... ٢١٧ »

سوق الغنم بالقاهرة ومصر والسمسرة وعبور الأغنـــام

بالجيزة.. ... ... ٣٣١١ ديناراً

عبور الأغنام والأبقار والكتان بباب القنطرة ... ... ١٢٠٠ «

واجب ما ورد من الكتان الحطب إلى الصناعة .. ... ٢٠٠ «

رسوم واجبات الغلات كالحبوب الواردة إلى الصناعة والمقس والمنية والميسر والتبانين ومغالت جزيرة الذهب وطموه ومنبر الدرج — ٦٠٠٠ دينار.

العرصة والرسناوى بالجيزة ومكس الأغنام ومكس الورق المجلوب للصناعة ورسم التفتيش والحصة بساحل الغلة والأقوات والرسائل ودار التفاح والرطب بمصر ، والعرضة بالقاهرة ... ... ٢٠٠ دينار .

دار الجبن ومشارفة الخزائن . واجب الحلى الوارد من الوجه البحرى ، خاتم الشرب والديبقى . مكس الصوف ، الحلفاء الواردة من القبلة ، منفلت العريف بالصناعة . وحملة البهار والبضائع الوقد والسرقين والطعم بدار التفاح ، رسوم دار الـــكتاب ، حماية غلات بالمقس ، دار الجبن ، معدية المقياس ، رسوم الحمام بساحل الغلة . واجب الحناء الواردة فى البر ، مسلحة شطانوف ، سوق السكريين . رسوم خيمة الحلى بالشارع ، وسوق وردان ، واجب الفحم الوارد إلى القاهرة ، معدية الجسر بالجيزة ، الخيمة بدار الدباغة ، سمسرة الحبس الجيوشى . دكان الدهن ومعصرة السيرج والخل بالقاهرة ، الخل الحامض وما معه ، بيوت الغزل والمصطبة ، ذبائح الأبقار ، سوق السمك بالقاهرة ومصر ، رسوم الدلالة . رسوم حماية الصناعتين مربعة العمل . معادى جزيرة الذهب ، خاتم الشمع بالقاهرة ، زريبة الذبيحة ، معدية المقياس وإنبابة . حمولة السلجم ، دكة الدباغ ، سوق الرقيق — ٥٠٠ دينار .

معمل الطبرى ، ذبائح الضأن بالجيزة . رسوم ساحل السنط ، تنور الشوى ١٠٠ دينار .

سوق الدواب ، والجمال ، منفات الخاتم بالشاشيين ، بيوت الفروج ٣٠ ديناراً .

رسوم الصبغ والحرير ، وزن الطفل ، معمل المزر والفاخور (١٤٥) .

على أن المكوس ظلت معروفة بهذا الاسم خلال عصر المماليك كما عرفت وتنوعت أبوابها، منها مكس البضائع، زكاة الدولة، وما كان يجبى إذا حضر مبشر بفتح حصن أو نحوه وما يجبى من أهل الذمة غير الجالية وهو دينار برسم نفقة الأجناد فى كل سنة، ومقرر الدينار من التجار عند سفر العسكر وعند وفاء النيل برسم ما يعمل من حلوى، وضمان القراريط من كل ما يباع من الأملاك بنسبة ٢٠ درهماً عن كل ألف درهم حتى ولو تكرر بيع العقار فى الشهر الواحد، ولهذا المكس نظير فى الإقطاع الغربى بنسبة ١/١٢ من ثمن البيع، وهذه يدفعها للسيد، وما يؤخذ من أهل الشرقية من الخيل والجمال والبقر لمن يسرح للصيد فى العباسة، ومنها ما كان مقطعاً للأمراء والأجناد، وتطور أمرها بين الإلغاء والإقرار، ونظر السلاطين إلى إلغائها كنوع من البر والتقرب إلى الله لمغفرة الذنوب، غير أن الإقرار والإكثار منها كان أقرب إلى الاستمرار (١٤٦).

المنشور :

دل المنشور أحياناً فى العهد السلجوقى على كتاب التعيين فى المناصب، فمثلا فى عصر السلطان سنجر السلجوقى سنة ٥١٢ هـ – ١١١٨ م كتب منشور للوزير كمال الملك بتقريره على الوزارة، ومنشور لعلى بار بتمكينه فى الإمارة، ومنشور لأبى القاسم الدركزينى بمنصب الطغراء والإنشاء (١٤٧).

المهتار :

لقب أطلق على كبير المشرفين فى كل بيت من البيوتات السلطانية « ما عدا الشكارخاناه والإصطبلات » وهو مركب من لفظين فارسيين (مه بمعنى الكبير وتار بمعنى أفعل التفضيل)، فيكون المهتار بمعنى الأكبر (١٤٨).

المهم والمهمات :

تدل على معنى الحفلات والولائم فى المناسبات المختلفة كالزواج والختان ونحوهما، والمهمات الشريفة « هى الحملات الحربية » كلما طرأت ضرورة

لحراسة ثغر من الثغور . فيتعين جماعة من الأمراء والجيش المنصور على الثغور (١٤٩) .

نظام الملك :

لقب للقائم بتدبير شئون الملك إذا كان السلطان قاصراً وله التصرف التام فى جميع شئون الدولة ، وله أبهة تميزه عن غيره من الأمراء .. وربما ظل مستبداً بالشئون حتى ولو بلغ السلطان سن الرشد، مثل يلبغا الخاصكى الذى لقب بهذا اللقب فى سلطنة شعبان (١٥٠) .

٢ – بعض اصطلاحات ونظم فى الإقطاع المملوكى
وما يقابلها فى الإقطاع الغربى

البدل المادى Scutagium or Scutage (١٥١) .

التنازل عن الإقطاع Renunciation of Fiefs (١٥٢) .

أجناد الأمراء وأتباع الأتباع Vavassores or Subvassais (١٥٣) .

أصحاب الجوامك وأرباب الجوامك وأرباب النقود والمكيلات Sodeers (١٥٤) .

تعويض الخيول النافقة Resror (١٥٥) .

تقديم الخيول أو ثمنها أو مقرر الفرسان Servicium de Equo (١٥٦) .

حامل الدرع والزردكاش . Squire (١٥٧) .

الجنائب Destrier (١٥٨) .

الحلوان أو رسم دخول الإقطاع (فى المحلولات) Relivium (١٥٩) .

السخرة الإقطاعية Corvé (١٦٠) .

الفروسية بأنواعها المختلفة Chivalry (١٦١) .

الفلاحون القرارية Coloni (١٦٢) .

القـن Villanus or Villein (١٦٣) .

المصادرة وإيقاع الحوطة على الموجود Forfeiture (١٦٤) :

إقطاع الحلقة Feodu m Loricae or fief de Hauberk (١٦٥) .

إقطاع المدن والثغور (لها مقابل الإقطاع الغربى) (١٦٦) .

عملية الروك (Domesday Survey Norm. Eng.) (١٦٧) .

مباشر الإقطاع أوكاتب الأمير أو صاحب ديوان الأمير Reeve or Steward (١٦٨) .

نفقة التجريدة (لها مقابل فى الإقطاع الغربى) (١٦٩) .

٣ — المقاييس والمكاييل والموازين

تختلف المقاييس والمكاييل والموازين عن بعضها البعض فى جهات مصر المختلفة فى العصور الوسطى ، وكذلك خارج مصر ، غير أن جميعها معترف به ، فكل إقليم يتعامل بما اصطلح عليه منها . يقول ابن الأخوة ، من علماء القرن الثامن الهجرى والرابع عشر الميلادى : لم أسمع أن بلداً وافق رطلها البلد الآخر إلا نادراً ، أو قرية لقرية . . . ، ولكن الأوقية مثلا ، فى كل مكان ، تعتبر جزءاً من اثنى عشر جزءاً من الرطل ، وإن اختلفت قيمتها من الدراهم .

وكذلك فى المقاييس ، فقد عرف فى مصر مثلا ، أكثر من ذراع واحد ، فهناك ذراع اليد وذراع القماش ، وهكذا ... ... ، ولم يوحد الذراع فى مصر إلا فى العصر العثمانى حين تقرر فى عام ٩٢٨هـ — ١٥٢١ م ذراع واحد فرض على الناس استعماله .

وتصحح المكاييل والموازين على نماذج لها بدار العيار ، تحت إشراف المحتسب أو نائبه ، ويعتمد ما يصح منها ، والمعروف أن المكاييل والموازين لا تباع إلا بهذه الدار ، فيستدعى المحتسب من آن لآخر ، جميع الباعة إليها بصنجهم وأكيالهم لضبط ما قد أصابه من خلل منها أو إلزامهم بشراء غيرها (١٧٠) .

الـبريد :

يساوى أربعة فراسخ ، وطول الفرسخ ثلاثة أميال وطول الميل ٢٠٠٠ ذراع (١٧١) .

الجريب :

هو المساحة المصطلح عليها فى قياس سواد العراق ، ومساحته ٦٠×٦٠ ذراعاً أى ٣٦٠٠ ذراع مربع (١٧٢) .

الذراع :

قدره الفقهاء فى الإسلام عامة بـ ٢٤ إصبعاً ٦ شعيرات مضمومة بعضها إلى بعض ، أو ست قبضات بقبضة رجل معتدل ، كل قبضة أربعة أصابع بالخنصر والبنصر والوسطى والسبابة ، وكل إصبع ست شعيرات معترضات ظهراً لبطن ، وهذا هو المعروف بذراع اليد . ومن الأذرع المعروفة فى الإسلام : الذراع العمرية ، وهى الذراع التى وضعها عمر بن الخطاب ، والتى مسح بها أرض السواد ، وقدرها عمر بأن جمع أطول الأذرعة الموجودة مع أقصرها وأوسطها وأخذ الثلث وزاد عليه قبضة وإبهاماً قائماً ، ثم ختم طرفيها بالرصاص ، وبعث بها إلى حذيفة وعثمان بن حنيف ليمسحا بها أرض السواد . وهناك ذراع تعرف باسم ذراع العمل ، وضعت زمن الخليفة معاوية بن أبى سفيان فى ولاية زياد بن أبى سفيان على العراق ، فلما أراد زياد قياس أرض السواد ،

جمع ثلاثة رجال (طويل – متوسط – قصير) وأخذ طول ذراع كل منهم وجمع ذلك ثم أخذ ثلثه وجعله لقياس الأرض ، ولذا تعرف هذه الذراع كذلك بالذراع الزيادية ، ظلت هذه الذراع تستعمل فى قياس الأرض الزراعية حتى جاء العباسيون فاتخذوا ذراعاً أطول منها ، على أن العباسيين استخدموا أكثر من ذراع ، فهناك الذراع السوداء التى قررت زمن الرشيد ، وسميت كذلك لأنه قدرها بذراع خادم أسود كان على رأسه، والذراع الميزانية التى وضعها الخليفة عبد الله المأمون لذراع البرايد أى المسافات والأنهار والأسواق، وهناك أذرعة نسبت إلى الفقهاء مثل اليوسفية نسبة إلى القاضى أبى يوسف ، أول من وضعها ، وهكذا (١٧٣) .

الفـــدان :

هو وحدة المساحة فى غير أرض السواد ، أى فى مصر والشام. ومساحته ٤٠٠ قصبة بالحاكمية – نسبة إلى الحاكم الفاطمى – وطول هذه القصبة ٨ أذرع بذراع اليد (١٧٤) ، وبلغت مساحة الفدان الجيشى الإقطاعى زمن الأيوبيين والممـــاليك ٥٩٢٩ متراً مربعاً على حين أن مساحة الفـــدان الحديث ٨٣ر٤٢٠٠ متراً مربعاً (١٧٥) .

القصبـــة :

هناك نوعان من القصبات عرفا فى مصر فى العصور الوسطى : القصبة الحاكمية المذكورة ، والقصبة السندفاوية نسبة إلى مدينة سندفا قرب المحلة الكبرى ، وهى أطول من الحاكمية قليلا .

القفـــيز :

يساوى ١٠ قصبات مربعة (١٧٦) ، والملاحظ أن القفيز يعتبر كذلك

ضمن الأوزان ، ووزنه فى هذه الحالة ٨ أرطال (١٧٧) ، واستخدم أيضاً للدلالة على مكيال عرف فى السواد قبل الإسلام باسم « الشابرقان » ، يقول البلاذرى : « بلغنى أن ذلك القفيز كان مكوكاً عندهم يدعى الشابرقان . . » وعندما مسح عمر السواد ، فرض على كل جريب قفيزاً ودرهماً (١٧٨) .

المـــدى :

يستعمل فى دمشق ومساحته ١٦٠٠ ذراع مربع بالقاسمى ، لعله نسبة إلى الفقيه أبى القاسم الزجاجى .

الإردب :

يساوى ٩٦ قدحاً (١٧٩) .

الصـــاع :

يساوى ٤ أمداد ، ويرى ابن آدم أن الصاع يزن ٨ أرطال (١٨٠) .

الغرارة :

تستعمل فى دمشق ،وسعتها ١٢ كيلة (١٨١) ، وقد فرض صلاح الدين على أخيه العادل عندما منحه الإقطاع فى ٥٨٨ هـ (١١٩٢ م) بالشام ، أن يحمل إلى القدس فى كل سنة عشرة آلاف غرارة (١٨٢) .

القـــدح :

قدر بالوزن من الحب المعتدل بـ ٢٣٢ درهماً ، وقدره الشيخ تقى الدين ابن رزين عند حديثه عن صاع الفطرة بـ ٣٢٧٦٢ حبة (١٨٣) .

الكر العراقى :

يساوى ٦٠ قفيزاً وبالإردب ٤٠ إردباً وبالقنطار ١٧ قنطاراً بالدمشقى وبالكارة ٣٤ كارة ، والكارة تساوى ٥٠ رطلا بالدمشقى (١٨٤) .

المـــد :

يساوى رطلا وثلثاً بالبغدادى ورطلين بالمصرى ، ويعتبر أقل من الربع المصرى (١٨٥) ، وهوعبارة عن ملء كفى الإنسان المغتدل بالحبوب إذا مدهما، ومن هنا جاءت تسميته « بالمد » وقد جرب الفيروزابادى صاحب القاموس المحيط ذلك فوجده صحيحاً .

المطــر :

وجمعه أمطار ، وهو عيار للسوائل وله أصل إغريقى يوازيه ، وباللاتينية Metreta وتختلف سعته باختلاف السوائل ، فمطر النبيذ ٢ ١/٣ جالون ومطر الزيت ٥ جالونات (١٨٦) .

المكوك :

يستعمل فى حمص وحماة وحلب ويسع المكوك صاعاً ونصفاً (١٨٧) .

الوســق :

يساوى ٦٠ صاعاً (١٨٨) .

الويبــة :

تساوى ١٦ قدحاً ، وتساوى ويبة عمر بن الخطاب ٦ أمداد ويلاحظ أن الإردب يساوى فى الفيوم ٦ ويبات وفى بعض جهات مصر الأخرى ٢١ ويبة فأكثر (١٨٩) .

الأوقيـــة :

تساوى ١٠ دراهم أو ١٢ درهماً (١٩٠) .

الرطـــل :

يساوى فى مصر (الفسطاط) والقاهرة ١٤٤ درهماً باعتبار الأوقية ١٢ درهماً .

ورطل الإسكندرية ٣١٢ درهماً ، ويساوى رطل دمياط رطلين وثلاثة أرباع الرطل المصرى ، ورطل المحلة رطلا وثلثاً بالمصرى ، ورطل سمنود رطلا وسدس بالمصرى وبلبيس رطلا وربع بالمصرى وخارج مصر يختلف الرطل من بلد إلى آخر . :

دمشق : رطلها — ٦٠٠ درهم والأوقية ٥٠ درهماً .

حلب : رطلها — ٧٢٠ درهماً .

حماه : رطلها — ٦٦٠ درهماً .

حمص : رطلها — ٧٩٤ درهماً :

غزة : رطلها — ٧٢٠ درهماً .

القدس والخليل ونابلس : رطلها — ٨٠٠ درهم .

الكرك : رطلها — ٩٠٠ درهم .

بغداد : رطلها — ١٣٠ درهماً .

الحجاز : رطلها — ١٢٠ درهماً .

القنطار : يساوى ١٠٠ رطل بالمصرى :

المـــن : يساوى ٢٦٠ درهماً وبالأوقية ٢٦ أوقية ، وأوقيته تساوى ١٠٠ درهم ، ويستخدم المن لوزن الطيب :

النقود الإسلاميـــة

فى الجاهلية :

استخدم العرب فى الجاهلية نقود البلاد المجاورة وهى الفرس والروم واستخدموا الدرهم والدينار ، والوحدة فى الوزن هى المثقال . فإذا كان مصنوعاً من فضة سمى درهماً ، وإذا كان مصنوعاً من الذهب عرف بالدينار ، ولكن أهل مكة بالذات لم يستعملوا هذه العملة وإن استعملها غيرهم من جهات بلاد العرب الأخرى ، وإنما تعامل أهل مكة فيما بينهم بأوزان اصطلحوا عليها فيما بينهم وهو الرطل وزنته ١٢ أوقية وزنة الأوقية ٤٠ درهماً ، وعرف نصف الأوقية باسم (النص) ثم حرف إلى (نش) وأقل وحدة فى هذا الوزن هى : (النواة) ووزنها ٥ دراهم [١٩١] .

المثقال والقيراط :

ويهمنا هنا المثقال فيقال إن وزنه قد بلغ كل ٦ مثاقيل عشرة دراهم [١٩٢] ، وفى رواية القلقشندى : كل ٧ مثاقيل عشرة دراهم [١٩٣] ، وكلاهما صحيح ، أما زنة المثقال بالحبة فتساوى ٧٢ حبة شعير ويساوى ٢٢ قيراطاً إلا حبة ، ولم يتغير المثقال أو يختلف فى جاهلية ولا فى الإسلام [١٩٤] .

فى الإسلام :

ولما بعث الرسول (ص) أقر أهل مكة على ذلك وقال : (الميزان ميزان أهل مكة) — وفى رواية ميزان المدينة — وفرض الرسول (ص) من زكاة الأموال فجعل فى كل خمس أواقى من الفضة الخالصة التى لم تغش خمسة دراهم وهى النواة ، وفرض فى كل ٢٠ ديناراً نصف دينار [١٩٥] .

وفى خـــلافة عمر بن الخطاب ضرب الدرهم سنة ١٨ هـ على نقش الكسروية وزاد فيها (الحمد لله) وفى بعضها (محمد رسول الله) وفى البعض الآخر (لا إله إلا الله وحده) وفى أواخر عهد عمر كان وزن كل ١٠ دراهم ٦ مثاقيل .

ولما جاء عثمان ضرب فى خلافته دراهم ونقشها (الله أكبر) (١٩٦) .

الدراهم السود :

وفى خلافة معاوية قال له زياد : (إن العبد الصالح أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه صغر الدرهم وكبر القفيز وصارت تؤخذ عليه ضريبة أرزاق الجند ، وترزق عليه الذرية طلباً للإحسان إلى الرعية، فلو جعلت أنت عياراً دون ذلك العيار ازدادت الرعية به مرفقاً ومضت لك به السنة الصالحة) فضرب معاوية الدراهم السود الناقصة ووزنها ٦ دوانيق، وضرب زياد وجعل كل ١٠ دراهم ٧ مثاقيل وكتب عليها ، فكانت تجرى مجرى الدراهم ، وضرب معاوية كذلك الدنانير ونقش على الدينار تمثالا متقلداً سيفاً (١٩٧) .

الدراهم المستديرة :

وضرب عبد الله بن الزبير بمكة دراهم مدورة ويعتبر أول من ضرب (الدراهم المستديرة) ونقش على أحد وجهى الدرهم (محمد رسول الله) وعلى الوجه الآخر (أمر الله بالوفاء والعدل) وضرب أخوه مصعب بن الزبير دراهم بالعراق وجعل كل عشرة منها ٧ مثاقيل — مثل زياد — وأعطاها الناس فى العطاء ، حتى قدم الحجاج العراق من قبل عبد الملك بن مروان فقال : (ما بقى من سنة الفاسق والمنافق شيئاً غيرها)(١٩٨) .

ولما استقر الأمر لعبد الملك بعد مقتل مصعب وعبد الله ابنى الزبير فحص عن النقود والأوزان والمكاييل وضرب الدنانير والدراهم سنة ٧٦ هـ وجعل وزن الدينار ٢٣ قيراطاً إلا حبة ووزن الدراهم ١٥ قيراطاً والقيراط أربع حبات وجعل الدانق ٢ ١/٢ قيراط ، وكتب إلى الحجاج بالعراق أن اضربها قبلك فضربها ، ولم ينكر بقايا الصحابة بالمدينة منها سوى نقشها فإن

فيها صورة [199] ونقش على أحد وجهى الدرهم (قل هو الله أحد) وعلى الوجه الآخر (لا إله إلا هو) وطوق الدرهم على وجهيه بطوق وكتب فى الطوقين (ضرب هذا الدرهم بمدينة كذا) وفى الطوق الآخر (محمد رسول الله أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)[200].

وضرب عمر بن هبيرة فى العراق الدراهم الهبيرية، وكانت الهبيرية تساوى ٦ دوانيق .

الخالدية :

وفى عصر هشام بن عبد الملك أمر الخليفة فى ١٠٦ هـ خالد بن عبد الله القسرى ، فضرب (الخالدية) وجعل زنتها ٧ دوانيق ، وبعد عزل خالد القسرى سنة ١٢٦ هـ عاد وزن الدرهم إلى ٦ دوانيق فى عهد يوسف بن عمر الثقفى .

وبعد مقتل الوليد بن يزيد الخليفة الأموى سنة ١٢٦ هـ ضرب مروان الجعدى سكة جديدة [201] .

السكة العباسية :

وفى العهد العباسى ضرب السفاح بالأنبار وكتب عليها (السكة العباسية).

العباسية :

بنفس الوزن وأنقصها المنصور ثلاث حبات وسماها(الدرهم) [202] .

أخذت الدراهم تزيد وتنقص فى العهود المختلفة ودخلها الغش أحياناً ، وأول من غش الدراهم وضربها زيوفاً عبيد الله بن زياد حين فر من البصرة سنة ٦٤هـ ثم فشت فى الأمصار أيام دولة العجم من بنى بويه وبنى سلجوق[203]

❋

٥ — النقود فى مصر الإسلاميــــة

عن الرسول (ص) : « منعت العراق درهمها وقفيزها ومنعت الشام مدها ودينارها ومنعت مصر إردبها ودينارها » ، ولما فتحت مصر سنة ٢٠ هـ (٦٤١ م) فرض عمرو بن العاص على القبط من الرجال دينارين عن كل رأس

فجبى أول عام ١٢،٠٠٠،٠٠٠ إثنا عشر مليون دينار وقيل ١٦،٠٠٠،٠٠٠ ستة عشر مليون دينار [٢٠٤]، وسارت فى مصر سكة بنى أمية والعباسيين حتى جاء أحمد بن طولون فضرب دنانير عرفت باسم الأحمدية نسبة إليه[٢٠٥].

دينار المعز :

وفى العهد الفاطمى ضرب جوهر الصقلى (الدينار المعزى) ونقش فى أحد وجهيه ثلاثة أسطر : دعا فى إحداها الإمام المعز لتوحيد الأحد الصمد وفى السطر الثانى كتب فيه : ضرب هذا الدينار بمصر سنة ٣٥٨ ، وفى الوجه الآخر لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، على أفضل الوصيين وزير خير المرسلين[٢٠٦] وزنة الدينار المعزى ١٥ درهماً وزاد الحاكم فى الوزن سنة ٣٣٩ هـ فبلغ الدينار ٣٤ درهماً ؛ وفى سنة ٥٦٩ ضربت السكة باسم (المرتضى بأمر الله والملك العادل نور الدين محمود، فرسم اسم كل منهما على وجه)[٢٠٧].

الأيوبيون — الناصرى :

وبعد موت نور الدين، ضرب صلاح الدين فى سنة ٥٨٣ هـ الدينار ذهباً مصرياً ، وضرب الدرهم الناصرى من فضة خالصة ومن نحاس نصفين بالسوية وظل الأمر على ذلك فى مصر والشام حتى عصر الملك العادل أبى بكر فأبطل الناصرى سنة ٦٢٢ هـ وضرب دراهم مستديرة ثلثاها من فضة والثلث من نحاس ، واستمر حتى آخر العهد الأيوبى [٢٠٨] .

وقد ورثت الدولة المملوكية النقود الإسلامية من درهم ودينار ومثقال غير أن النظام الإقطاعى الذى عمم منذ عهد أساتذة المماليك وهم الأيوبيون ، قضى بالتفرقة بين طوائف المقطعين فيما يتعلق بقيمة الدينار الذى يحاسبون على أساسه فى عبر إقطاعاتهم ، فاختلف سعر الدرهم تبعاً لجنسيات المقطعين ومراتبهم فى المدرج الإقطاعى [٢٠٩] .

هذا وتعرضت النقود المستعملة فى عصر سلاطين المماليك إلى كثير من التعديلات فى أوزانها وقيمتها مما أضر بعموم الناس فى أكثر الأحيان، بل كان

من أسباب الغلاء حتى أن السلطان قايتباى تحاشى الطريق الذى اعتاد أن يسلكه وسط القاهرة سنة ٨٨١ هـ (١٤٧٦ م) فكان يدخل إلى القلعة من بين الترب حتى لا يشكو الناس له « بسبب الفلوس الجدد »[٢١٠] ، وفضلا عن هذا التعديل الرسمى. تعرضت النقود كذلك إلى الغش والزيف فنشطت طوائف « الزغلية » تضرب « الزغل » من النقود [٢١١] . والمهم فى هذا الزيف مسئولية بعض السلاطين والأمراء فعد من مساوىء السلطان الغورى « معاملة فى الذهب والفضة والفلوس الجدد أنحس المعاملات جميعها » زغل ونحاس وغش لا يحل بها بيع ولا شراء ولا معاملة فى ملة من الملل فقد قرر على دار الضرب مالا . . فى كل شهر فكانوا يضيفون فى الذهب والفضة والنحاس والرصاص جهاراً فكان الأشرفى — أى الدينار — إذا صفى فيه ذهب يساوى ١٢ نصفاً [٢١٢] ، بمعنى آخر يساوى نصف دينار تقريباً ، إذ الأشرفى الصحيح يساوى ٢٥ نصفاً من الفضة [٢١٣] .

ويلاحظ أن الفلوس التى استعملت وقتئذ كانت بالعدد ثم تطور أمرها حتى قومت بالوزن، فكان كل ٤٨ فلساً عدا تقدر قيمتها بدرهم نقرة ، فلما جاء السلطان كتبغا، قرر سنة ٦٩٥هـ (١٢٩٥ م) أن يكون الرطل منها وزناً بدرهمين نقرة [٢١٤] .

واحتوى الرطل على عدد من الفلوس تراوح بين ٢٤ ، ٣٦ ، ٤٠ فلساً تبعاً لوزن الفلس زيادة ونقصاناً. والعادة أن يكون وزن الفلس مثقالا[٢١٥] لكنه لم يكن بهذا الوزن دائماً. بل تناقص وزنه فى أواخر عصر المماليك حتى قدر كل ١١٨ رطلا من الفلوس بمبلغ ٥٠٠ درهم [٢١٦] نقرة أى أنقص وزن الفلس إلى مثقال تقريباً .

ومن الفلوس ما وصف بكلمة « العتق » وهى غير المطبوعة بالسكة السلطانية [٢١٧] ، على خلاف الفلوس « الجدد» المطبوعة بالسكة [٢١٨] . ومن أمثلة الجدد ما ضربه الناصر محمد فى ٧٢٠ هـ (١٣٢٠ — ١٣٢٤ م)

وما ضربه الناصر حسن ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) وجمال الدين محمود الأستادار فى عهد السلطان فرج وكذلك قايتباى سنة ٨٧٩هـ (١٤٧٤ م) وغيرهم (٢١٩) .

القرطاس :

وهناك نوع من العملة التى استعملت فى عصر سلاطين المماليك تسمى بالقراطيس، ويساوى القرطاس منها ٦ فلوس، وكان هذا سائراً فى دمشق إلا أن الناصر محمد أبطلها فى سنة ٧٢٠ هـ (١٣٢٠ م) حين ضرب فلوسه الجدد فى مصر، وجعل التعامل فى دمشق على أساس ماضربه من الفلوس الجدد فى مصر، وهذه هى العملة النحاسية (٢٢٠) .

الدرهم النقرة والأبيض :

أما الدراهم فوجد منها أربعة أنواع : أجودها وأعلاها قيمة ما عرف باسم النقرة ويتكون من فضة ونحاس ووزنه ١٦ قيراطاً أى ينقص عن المثقال . وقدر كل سبعة مثاقيل بعشرة دراهم وزناً وقيمة هذا الدرهم ٢٤ فلساً ، وتطبع بدور الضرب بالسكة السلطانية ، ويكون فيها دراهم صحاح وقراضيات مكسرة ، وقدر وزن الدرهم النقرة بست عشرة حبة خروب، فتكون معاً خروبتين ثم درهم ، والخروبة ثلاث حبات من حب البر المعتدل (٢٢١) .

الأسود والبندق :

والنوع الثانى من الدراهم ما عرف باسم « الدراهم السود » ويقدر الواحد منها بثلث درهم نقرة وهوقليل الاستعمال ، ورجح أن نعتها بالسود جاء لتغير لونها لطول الزمن ولذا ميزت الدراهم الجديدة فى بعض الأحيان باسم الدراهم البيض (٢٢٢) ، ومن هذه الدراهم الجديدة أو البيض وكذلك النقرة ما ضربه السلاطين فى العهود المختلفة؛ على أن الدراهم الجديدة تقل عن الدرهم النقرة ، فمثلا قدر الدرهم المؤيدى بثلاثة أرباع درهم النقرة (٢٢٣) وعرفت الدراهم السود كذلك باسم « البغلية » نسبة إلى رجل يهودى كان

يضربها فى فارس يسمى «بغل» وهى على أية حال دراهم أجنبية (٢٢٤) . ومن الدراهم الأجنبية الدرهم «البندقى» جاء عن طريق التبادل التجارى مع البندقية وأحضر منه السلطان المؤيد شيخ ورجاله كمية كبيرة فى عودته من الشام ٨١٧ هـ (١٤١٤ م) وهذه هى العملة الفضية (٢٢٥) .

الدينـــار :

وفيما يتعلق بالدينار وهو العملة الذهبية، تعرض كغيره من أنواع العملة إلى التعديل فى وزنه والعادة أن يكون مثقالا . لكن وجد من السلاطين من ضرب دنانير تقل عن المثقال أو تزيد، مثل السلطان فرج بن برقوق إذ تراوحت أوزان الدنانير التى ضربها بين مثقالين ومثقال ونصف مثقال ومثقال وربع مثقال (٢٢٦) ، وتبعاً لاختلاف الأوزان ونسبة مافيها من معادن أخرى غير الذهب اختلفت قيم الدينار من الدراهم التى يقدر بها، فمثلا قدر دينار بيبرس بـ ٢٨ درهماً ودينار الناصر بـ ٢٥ درهماً من الدراهم الجديدة أو البيض غير النقرة وهكذا (٢٢٧) .

أما ما عبر عنه باسم «الدينار الجيشى» فهذه لا حقيقة لها . بل كلمة «جيشى» اصطلاح تعارف على استعماله ديوان الجيش أو ديوان الإقطاعات فى إطلاقه على عبرة الإقطاعات وهى لا تعدو أن تكون دنانير عادية ، وإن اختلفت أسعارها من الدراهم باختلاف جنسية المقطع ووضعه فى المدرج الإقطاعى، والعادة أن يكون سعر هذا الدينار من الدراهم النقرة ١٣ درهماً ونصف ومن الدراهم السود ٤٠ درهماً (٢٢٨) ، فمن المقطعين ولعلهم كبار الأمراء من حوسب باعتبار الدينار كاملا ، أى بالسعر المقرر كيفما كان من الدراهم ومنهم من كانت قيمة ديناره نصف دينار ، وقدر سعر دينار أجناد الحلقة والمماليك السلطانية بعشرة دراهم (٢٢٩) وغلب فى عبرة إقطاعات العربان أن يكون دينارهم بقدر ١/٨ دينار (٢٣٠) .

الأشرفى :

ومن أسماء الدنانير كذلك « الأشرفيات » أشهرها وأجودها الأشرف البرسبيهى نسبة إلى السلطان برسباى تمييزاً له عن الأشرفيات المنسوبة لغيره من السلاطين مثل الأشرفى القايتباهى والأشرفى الغورى والأشرفى العثمانى (٢٣١) .

الإفرنتى :

كذلك استعمل فى عصر المماليك الدنانير الأجنبية المعبر عنها بالإفرنتية عن طريق التبادل التجارى على وجه العموم ، ويقدر الدينار منها بسبعة عشر درهماً من الدراهم الجديدة أو البيض . وتختلف عنها فى أن صور ملوكها منقوشة على وجوهها ، ولذا تعرف أحياناً بالدنانير الصورية .

الدوكات :

أو المشخصة ، وإذا كان ضربها فى البندقية عرفت باسم « الدوكات » (٢٣٢) والسكة السلطانية الإسلامية عامة والمملوكية على وجه الخصوص عبارة عن اسم السلطان ولقبه على أحد وجهى العملة وعلى الوجه الآخر مكان الضرب وتاريخه (٢٣٣) .

وجرت العادة فى عصر المماليك أن يكون على أحد وجهى العملة عبارة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » . وهذه العبارة واضحة فى جميع القطع المعروضة وأضيفت عبارات أخرى إلى هذه العبارة مثل « أرسله بالهدى ودين الحق » (٢٣٤) أو « وما النصر إلا من عندالله » (٢٣٥) وربما أضيفت إلى اسم السلطان ولقبه عبارة « قسيم أمير المؤمنين » أو اسم الخليفة نفسه (٢٣٦) . ومن السلاطين من وضع رنكه على عملته مثل بيبرس الذى وضع صورة السبع (٢٣٧) .

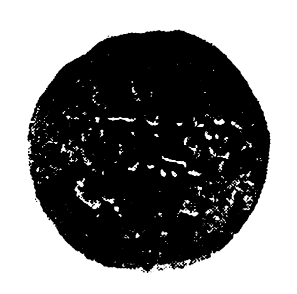
ووضع اسم السلطان داخل دائرة أو ما يشبهها على أحد وجهى العملة . أمر تطير له بعض السلاطين والأمراء والناس ، وذلك من حيث ضيق الدائرة أو اتساعها أو مجرد شكلها ؛ والتفاؤل والتشاؤم من طبيعة المجتمع المملوكى ، ومن أمثلة ذلك تطير الناس بفلوس السلطان برقوق التى ضربت ٧٨٩ هـ

(١٣٨٧م) ووضع اسمه عليها داخل دائرة فقال الناس «تدور عليه الدائرة»(٢٣٨) وتطير يوسف ناظر الخاص بدنانير عثمان بن جقمق المعروفة باسم « المناصرة » وقال لمعلم دار الضرب « قد ضيقت على عثمان قوى » ويعلق ابن إياس « فكان الأمر كذلك »(٢٣٩) . كذلك تطير السلطان أحمد بن إينال بدرهمه الفضة حين وضع اسمه فى دائرة ، فأمر معلم دار الضرب بتغيير الشكل وهكذا . . (٢٤٠) .

وهذه بعض أنواع العملة المنتخبة من العصر المملوكى فى عهود مختلفة وملحق بها جدول لشرح كل قطعة على حدة وهى محفوظة بالمتحف الإسلامى بالقاهرة .



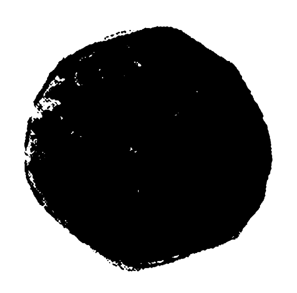
١ – دينار ذهب (بيبرس)



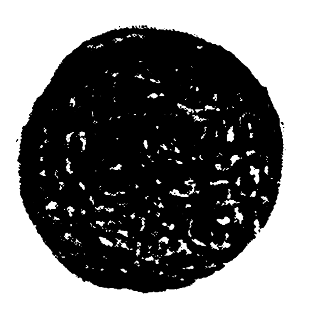
٢ – درهم فضة (بيبرس)



٣ - دينار ذهب (قلاوون)



٤ – درهم فضة (قلاوون)

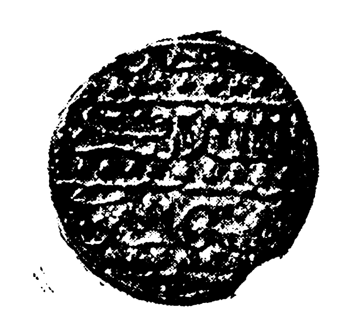
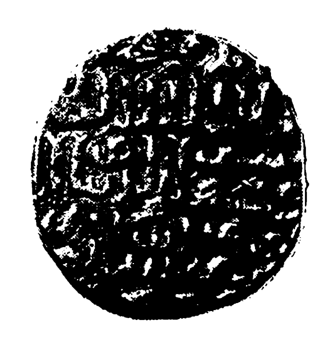


٥ – دينار ذهب (الناصر محمد)

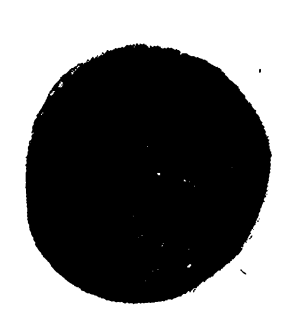


٦ – درهم فضة (الناصر محمد)

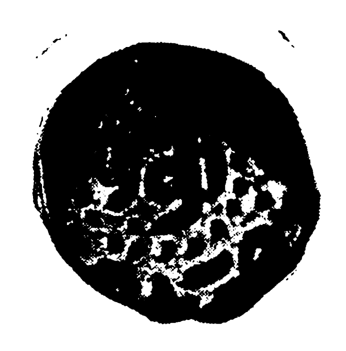
(عن متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)

٧ – دينار ذهب (برقوق)

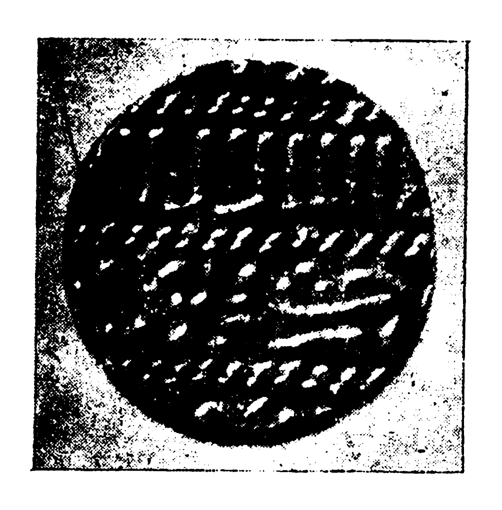
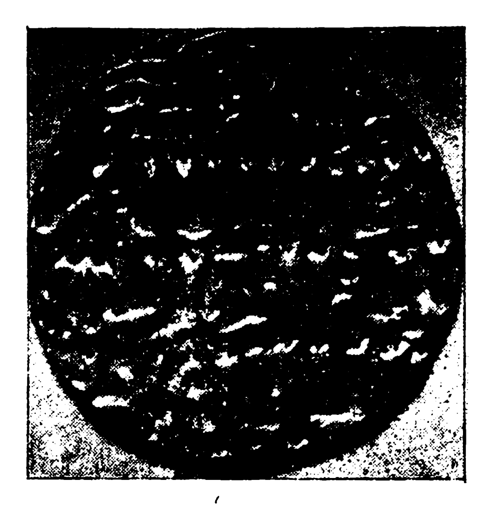



٨ – درهم فضة (برقوق)

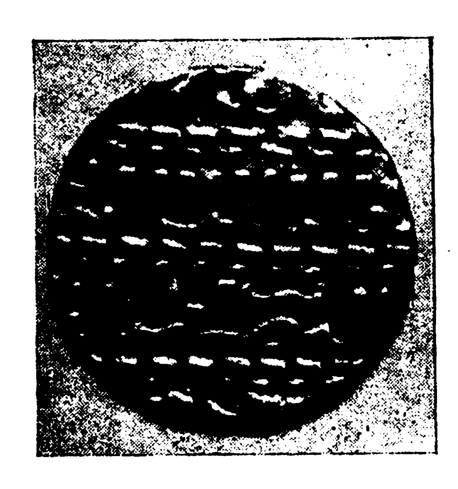
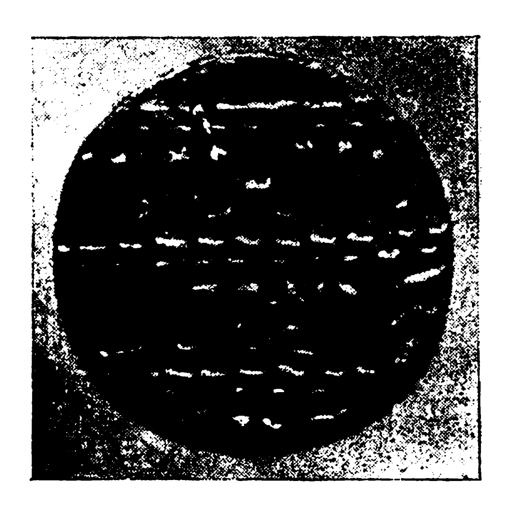



٩ – فلس نحاس (من عملة برقوق)

(عن متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)

١٠ – دينار ذهب (برسباى)

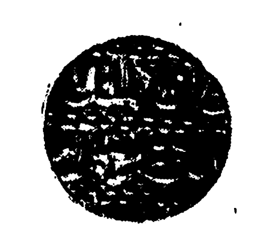



١١ – دينار ذهب (فرج)

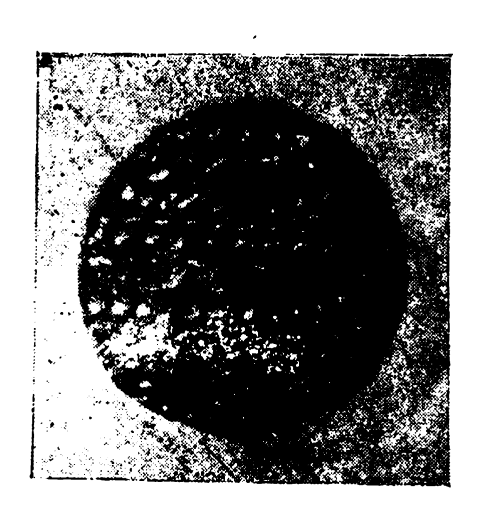
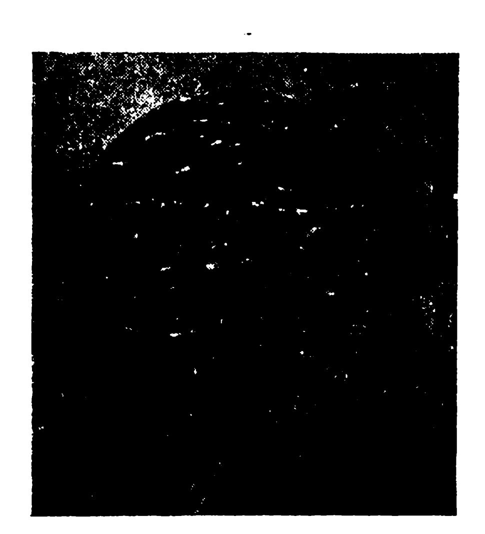
(عن متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)




١٢ – درهم فضة (إينال)

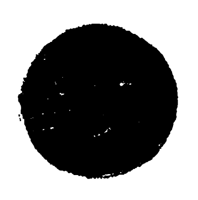


١٣ – دينار ذهب (إينال)

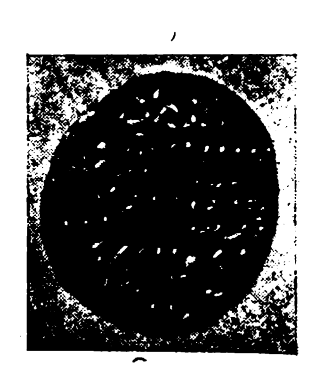
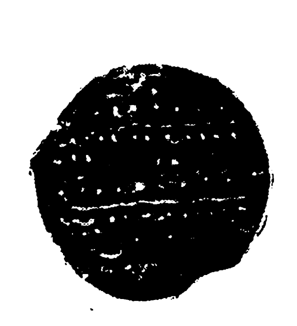



١٤ – دينار ذهب (خشقدم)

(عن متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)

١٥ – دينار ذهب(قايتباى)　　١٦ – درهم فضة (قايتباى)

١٧ – دينار ذهب (الغورى)




١٨ – فلس (من عملة الغورى)

(عن متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)

جدول لشرح قطع النقود

رقم القطعة	نوعها	صاحبها	السكة السلطانية			
			وجه القطعة	ظاهرها	هامش القطعة	
					هامش الوجه	هامش الظهر
١	دينار ذهب	بيبرس	الصالحى السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين قسيم أمير المؤمنين (رنك السبع)	ضرب باسكندرية لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق	(كتابة ممحوة)	(ممحو ويظهر فيه) ضرب هذا ..
٢	درهم فضة	بيبرس	الظاهر ركن الدنيا والدين أمير المؤمنين (رنك السبع)	الإمام المنتصر أبو القاسم أحمد بن الأمام الظاهر	—	القاهرة
٣	دينار ذهب	قلاوون	المؤمنين السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحى قسيم أمير	ضرب بالقاهرة لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق	.. ودين الحق	القاهرة سنة ثمان وثمانين ... (وستمائة)
٤	درهم فضة	قلاوون	السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحى	لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى	—	—
٥	دينار ذهب	الناصر محمد	(الله) وما النصر إلا عند من السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن الملك المنصور	الله وما النصر إلاعند من لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق	—	—

رقم القطعة	نوعها	صاحبها	السكة السلطانية			
			وجه القطعة	ظاهرها	هامش القطعة	
					هامش الوجه	هامش الظهر
٦	درهم فضة	الناصر محمد	السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد ابن الملك المنصور	لاإله إلاالله محمد رسول الله أرسله بالهدى	—	—
٧	دينار ذهب	برقوق	(ضرب) بدمشق السلطان الملك (الظاهر) سيف الدنيا والدين برقوق عز الله أنصاره	وما النصر إلا من عند (الله) لا إله إلا الله محمد رسو (ل) الله أرسله بالهدى ودين (الحق)(لي) ظهره على الدين كله	—	—
٨	درهم فضة	برقوق	(السلطان الملك) الظاهر سيف الدنيا والدين أبو سعيد برقوق	لا إله (إلا) الله (محمد)رسول الله أرسله بالهدى ودين (الحق)	—	—
٩	فلس نحاسى	برقوق	برقوق	الملك(الظاهر) أبوسعيد	ضرب بدمشق	—
١٠	دينار ذهب	فرج	ضرب بالقاهرة سنة ست السلطان الملك الناصر أبوالسعادات فرج بن الشهيد الملك الظاهر أبو سعيد ((برقوق)	لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله		
١١	دينار ذهب	برسباى	لا إله إلا الله محمد رسول الله	بالقاهرة السلطان الملك الأشرف النصر برسباى عز نصره	—	—
١٢	درهم فضة	إينال	السلطان الملك الأشرف إينال (داخل دائرة)	(كتابة غير واضحة)	—	—

رقم القطعة	نوعها	صاحبها	السكة السلطانية			
			وجه القطعة	ظاهرها	هامش القطعة	
					هامش الوجه	هامش الظهر
١٣	دينار ذهب	إينال	السلطان الملك أبو النصر إينال	لا إله إلا الله محمد رسول الله	–	–
١٤	دينار ذهب	خشقدم	السلطان الملك الظاهر أبو سعيد خشقدم	ضرب بالقاهرة لا إله إلا الله محمد رسول الله	–	–
١٥	دينار ذهب	قايتباى	لا إله الا إلله محمد رسول الله	السلطان الملك الأشرف أبوالنصر قايتباى	–	–
١٦	درهم فضة	قايتباى	قايتباى (فى دائرة)	ضرب القاهرة (فى دائرة)	–	–
١٧	دينار ذهب	الغورى	السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى	بالقاهرة لا إله إلا الله محمد رسول الله	–	–
١٨	فلس	الغورى	قانصوه (داخل زخرفة هندسية)	بالقاهرة	–	–

---

(١) السلوك ج١ ص٤٥ حاشية : ٣ .

(٢) النويرى ج٨ ص٢٧٨ — ٢٨٢ .

(٣) ذيل تجارب الأمم ص١٧٣ و ١٧٤ .

(٤) الماوردى ص١٨٣ .

(٥) النويرى ج٨ ص٢٨٥ و ٢٩٢ .

(٦) ضوء السارى ورقة ١٧٤ .

(٧) يحى بن آدم ج٣ ص٦١ — ٧٤ .

(٨) أقرب الموارد ، السلوك مخطوط ج٣ ص٤٠٩ ، صبح الأعشى ج٥ ص٤٥٧ ، ٤٥٨ وزبدة كشف الممالك ص١٠٦ و ١٠٧ وخطط ج٢ ص٢٢٢ ونهاية الأرب ج٨ ص٢٢١ — ٢٢٨ — أنباء الغمر ج٢ ص١٤ وحوادث الدهور ج٢ ورقة ٣١٠ ومعيد النعم ص٣٥ .

(٩) صبح الأعشى ج٣ ص٤٩٣ .

(١٠) ابن مماتى ص٢٥٨ — ٢٦٠ .

(١١) الفخرى ص٢٤٤ — ٢٤٦ والنجوم ج٣ ص٢٤٦ والسلوك ج١ ص٢٦ — ٢٧ .

(١٢) السلوك ج١ ص٧٥ — ٧٦ .

(١٣) الدولة السلجوقية ص٢٦٧ وابن مسكويه ج٦ ص٩٦ .

(١٤) الصابئ ص٣٥٨ — ٣٥٩ .

(١٥) صبح الأعشى ج٥ ص٤٥٤ .

(١٦) القاموس المحيط ، وانظر البلاذرى ص١٥١ — ١٥٢ .

(١٧) صبح الأعشى ج٥ ص٤٧٠ ، معيد النعم ص١٧٥ القاموس .

(١٨) النجوم الزاهرة ج٨ ص٨٧ وحاشية — ١ ، بدائع الزهور ج٣ ص١٥١ .

(١٩) صبح الأعشى ج٥ ص٤٥٩ .

(٢٠) سلوك ج١ ص٧٣ وحاشية — ٤ .

(٢١) المنهل الصافى ج٢ ورقة ٣٠٤ و ٣٠٥ ، النجوم الزاهرة ج١٠ ص٣١٧ — ٣١٨ السلوك ج٢ ص٤٨٢ حاشية — ١ .

(٢٢) زبدة كشف الممالك ص١٢٢ ، القاموس المحيط .

(٢٣) التيسير والاعتبار ورقة ١٦ ، السلوك جـ١ ص١٠٥ حاشية – ١ ، انظر نسخة التذكرة « بالملاحق » .

(٢٤) ابن مسكويه جـ٦ ص٩٧ ذيل تجارب الأمم ص٤٩ – ٥٠ .

(٢٥) زبدة كشف الممالك ص١٣٦ .

(٢٦) الماوردى ص١٨٧ ، الصابئ ص١٤ .

(٢٧) الصابئ ص١٣ – ١٤ .

(٢٨) تاريخ أبي الفداء جـ٤ ص٩٢ .

(٢٩) الماوردى ص١٨٣ .

(٣٠) الماوردى ص١٦٨ .

(٣١) ضوء السارى ورقة ١٧٣ .

(٣٢) التعريف بالمصطلح الشريف ٨٤ – ٨٧ .

(٣٣) صبح الأعشى جـ٥ ص٤٦٠ .

(٣٤) بدائع الزهور جـ١ ص٩٦ و جـ٣ ص٢٤ ، السلوك جـ١ ص٤٤٣ حاشية – ١ و٦٩٢ حاشية – ٤ .

(٣٥) السلوك جـ١ ص٥٢ حاشية – ٢ ، النجوم جـ٨ ص٥٠ حاشية – ٢ .

(٣٦) التعريف ص٩٩ ، السلوك جـ١ ص٤٩٠ حاشية – ٢ و ٩٠٩ حاشية – ١ . النجوم الزاهرة جـ٩ ص١٦٨ وحاشية ١ و ٢ .

(٣٧) الماوردى ص١٨٧ .

(٣٨) تاريخ أبي الفداء جـ٤ ص٩٢ .

(٣٩) معيد النعم ص٦٦ ، خطط جـ٢ ص٩٨ .

(٤٠) آثار الأول بهامش الخلفاء للسيوطى ص١٧٧ ، السلوك جـ١ ص٥٦٣ و ٨٩٧ .

(٤١) زبدة كشف الممالك ص١٢٥ ، القاموس المحيط .

(٤٢) النجوم الزاهرة جـ٩ ص ٧٥ حاشية – ١ ، السلوك جـ١ ص٣٠٦ حاشية – ٣ .

(٤٣) حاشية الشرقاوى على شرح التحرير للشيخ زكريا الأنصارى جـ٢ ص٤٩٨ – ٤٩٩ شرح الخطيب جـ٢ ص٢٢٩ – ٢٣٠ ، بدائع الزهور جـ ٢ ص١٠٣ ، دول الإسلام ص٢٨ – ٢٩ تاريخ بعلبك ص٣٢ ، Supplement aux Dictionnaires Arabes .

(٤٤) التحفة السنية ص٤٧ و ٥١ ، السلوك جـ١ ص٣٨٤ ، بدائع الزهور ص٦٠

(٤٥) راجع الفصل السادس .

(٤٦) السلوك جـ١ ص٥٤٩ ، صبح الأعشى جـ٤ ص١٥ – ١٦ ، القاموس المحيط .

(٤٧) السلوك جـ١ ص٧١ .

(٤٨) السلوك جـ١ص ٨٧٥ وحاشية ١ ، النسخة المخطوطة جـ٣ ص٧٥٤ ، التيسير والاعتبار ورقة ٥٢ – ٥٣ ،وأنباء الغمر جـ١ص١٤٩ ،خطط جـ١ص ١٧٩ ، زبدة الممالك كشف ص١٢٠ .

(٤٩) السلوك جـ١ ص٦٥ و١٣٢ ، صبح الأعشى جـ١٣ ص١٥٣ .

(٥٠) ومنه قوله الخراج بالضمان وأرض الخراج تتميز عن أرض العشر فى الملك والحكم (الماوردى ص ١٤٠) .

(٥١) الأوائل ورقة ٢٣١ ، البلاذرى ص٢٦٨ – ٢٦٩ .

(٥٢) السلوك جـ١ ص٣٨٨ حاشية١ – ٤٣٣ حاشية٣ و٥١٢ .

(٥٣) ابن عبد الحكم سيرة عمر بن عبد العزيز ص٩٩ .

(٥٤) ابن مماتى ص٣٢٦ .

(٥٥) صبح الأعشى مخطوط جـ٣ ورقة ١٢٥ .

(٥٦) خطط جـ٢ ص٤١٤ – ٤٢٦ ، صبح الأعشى ١١ ص٣٧٢ – ٣٧٦ .

(٥٧) السلوك جـ١ ص٢٢٤ حاشية ٢ و ٣٩٠ حاشية١ ، القاموس الفارسى .

(٥٨) صبح الأعشى جـ١٣ ص١٥٦ ، السلوك جـ١ ص٨٤٤ حاشية٧ .

(٥٩) تاريخ الأعيان ص٢٣١ و٢٣٧ ، زبدة كشف الممالك ص١٣٠ ، السلوك ص٤٦٥ حاشية ١ .

(٦٠) زبدة كشف الممالك ص١٢٢ – ١٢٣ .

(٦١) سلوك جـ١ ص٤٠ حاشية ٥ ، النجوم الزاهرة جـ٥ ص٧٣ حاشية١ جـ٦ ص٤ – ٥ .

(٦٢) تاريخ أبى الفداء جـ٤ ص١٦ .

(٦٣) خطط جـ٢ ص١٠٥ ، بدائع الزهور جـ٢ ص١٥٤ .

(٦٤) خطط جـ٢ ص٤٢٧ ، الانتصار جـ٤ ص١٠٢ ، و القاموس المحيط ، ذيل أقرب الموارد .

(٦٥) الانتصار جـ٤ ، خطط جـ٢ ص٨٦ –٩٤– ٩٧ – ٩٨ و١٠٤ و١٠٧ .

(٦٦) النجوم الزاهرة جـ٩ ص٥٣ – ٥٤ الأحكام المرعية ص٤٨ .

(٦٧) التحفة السنية ص١٧ – ١٨ .

(٦٨) التحفة السنية ص٨٥ .

(٦٩) التحفة السنية ص١١٦ .

(٧٠) يلاحظ أن أكبر مساحة خصصت للرزق هى : ألفنت بالبهناساوية فمساحتها ٢٣٧٦ فداناً وكلها رزقة أولاد لاجين الظاهرى ومماليكه ، وأقل مساحة للرزق هى فدان واحد فى جهة البخانس بالغربية، إذ تبلغ مساحتها ٢٠٤ فدانا ، مخصصة للمقطعين والعربان منها فدان واحد رزق. (التحفة السنية ص١٦١ – ١٦٢ و٦٥) .

(٧١) عرف الوقف منذ العهد النبوى فمثلا جاء عمر بن الخطاب يوما إلى النبى (ص) يستأمره

فى أرض أصابها بخيبر وقال : يارسول الله ، إنى أصبت أرضاً بخيبر لم أصب مالا قط هو أنفس عندى منه ، قال الرسول (ص) : إن شئت حبست أصلها وتصدقت منها فتصدق بها عمر بمعنى أنه لا تباع رقبتها ولا تورث ولا توهب .

نص كتاب وقف عمر :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به عبد الله عمر أمير المؤمنين ، إن حدث به حدث ، أن ثمغا وصرمة بن الأكوع والعبد الذى فيه والمائة سهم التى بخيبر ورقيقه الذى فيه والمائة التى أطعم محمد (ص) بالوادى : تليه حفصة ما عاشت ثم يليه ذوو الرأى من أهلها ، لا يباع ولا يشترى ، ينفقه حيث رأى من السائل والمحروم وذوى القربى ، ولا حرج على من وليه من أكل أو يأكل أو اشترى رقيقا منه . (ملتقى الأبحر ص١٨٨ ، درر الأحكام ورقة ٣٠٥ ، بلوغ المرام ص١٩٦ حاشية – ١) .

(٧٢) النجوم الزاهرة ج٩ ص٥٣ – ٥٤ .

(٧٣) خطط ج٢ ص٢٩٥ ، النجوم الزاهرة ج٩ ص٥٣ – ٥٤ .

(٧٤) صبح الأعشى ج٦ ص٣٨ .

(٧٥) توفى الإمام الليث سنة ١٧٥ هـ (٧٩١م) (بدائع الزهور ج٣ ص٣٠٤ – ٣٠٥ ، الأعلام) .

(٧٦) انظر الفصل الثانى .

(٧٧) عطية الرحمن فى صحة أرصاد الجوامك والأطيان ، عبارة عن بحث فى شئون الرزق الأحباسية وتاريخها ، وهى الإجابة على الاستفتاء الذى وضعه الشيخ عيسى الصفتى مؤلف عطية الرحمن (ص٢–٢٢) ومن المراجع الأخرى التى تعرضت لهذا البحث ، السلوك (مخطوط ج٣ ص١٥) ، رسالة فى بيان الإقطاعات ومحلها ومن يستحقها ص٢٣٩ (مخطوط رقم ٣٣ مجاميع دار الكتب) ، بدائع الزهور ج٣ ص٣٠٤ – ٣٠٥ ، خطط ج٢ ص٦ج٢ ص ٢٩٦.

(٧٨) Mayer: Saracenic heraldry pp. 4,15, Artin, Contributions A L' Étude du Blason en Orient, p. 180. الهوارى ص١٠ – ١١ .

(٧٩) لم يقتصر استعمال البقجة على كونها رمزاً للجمدارية وإنما استعملت كذلك فى دار الضرب لطبعها على الفلوس الجديدة المضروبة تمييزاً لها عن الفلوس المزيفة حين انتشر ضرب الزغل من النقود ، ومع ذلك قلد المزيفون البقجة وصوروها على فلوسهم المغشوشة (السلوك ج٢٠٦ – وحاشية١) .

(٨٠) للكأس أشكال مختلفة ، انظر كتاب : Mayer, Op Cit, p. 31

(٨١) السلوك ج ١ ص ٦٧٢ حاشية٤ ج٢ ص ٢١٥ أعيان العصر ج٤ غير مرقم بدائع الزهور ج٣ ص١٧٤ صبح الأعشى ج٤ ص٦١ – ٦٢ .

(٨٢) خطط جـ٢ ص١١٦ ، القاموس المحيط .

(٨٣) زبدة كشف الممالك ص١٢٦ ، صبح الأعشى جـ٥ ص٤٦٠ .

(٨٤) شرح الخطيب جـ٢ ص٢٢٩ .

(٨٥) بدائع الزهور جـ١ ص١٥٥ .

(٨٦) السلوك جـ١ ص٣٥ حاشية١ ص٤٠ حاشية٥ وص٩٧٩ حاشية٣ .

(٨٧) نجوم جـ٥ ص٧٣ حاشية١ جـ٦ ص٤ .

(٨٨) خطط جـ٢ ص٩٨ — ٩٩ .

(٨٩) تاريخ بيروت ص ٥٧ — ٥٨ و٣٤٢ .

(٩٠) البلاذرى ص٢٦٥ — ٢٦٧ ، وفاء الوفا جـ١ ص١٥٢ — ١٥٣ و١٥٦ .

(٩١) التحفة السنية ص١٤٠ — ١٤١ و١٤٤ .

(٩٢) الماوردى ص١٨٤ — ١٨٥ .

(٩٣) بدائع الزهور جـ١ ص٢٠٣ ، خطط جـ٢ ص٤١٤ و٤١٦ — ٤١٧ ، معيد النعم ص١٦١ — ١٦٢ و١٦٤ — ١٦٥ ، السلوك مخطوط جـ٣ ص٢٦٨ .

(٩٤) النجوم الزاهرة جـ١٠ ص٣١٠ — ٣١١ ، القاموس المحيط، القاموس التركى .

(٩٥) الصابئ ص٣٥٨ .

(٩٦) القاموس المحيط .

(٩٧) تاريخ بيروت ٢٥ ، صبح الأعشى جـ٣ ص٥٨ وجـ١٣ ص١٦١ — ١٦٢ ، التعريف بالمصطلح الشريف ص٨٣ — ٨٤ .

(٩٨) التحفة السنية ص٣٨ .

(٩٩) بدائع الزهور جـ١ ص٢٥٩ وجـ٣ ص ٢٩٠ .

(١٠٠) البلاذرى ص١٩١ .

(١٠١) كرد على جـ٢ ص٩٥ ، يحيى بن آدم جـ٣ ص٧٨ — ٨٩ ، ملتقى الأبحر ص٥٥ .

(١٠٢) انظر ماسبق والسلوك جـ١ ص٦٨٩ حاشية٣ و٧٠٠ و٩٠٢ .

(١٠٣) تاريخ بيروت ص٣٥ — ٣٦ حاشية — ٩ .

(١٠٤) السلوك جـ١ ص٦٨٩ حاشية٣ و٦٩٩ ، بدائع الزهور جـ٣ ص١٥ و٩٠ ، تاريخ الفيوم وبلاده ص١٧٧ — ١٧٨ .

(١٠٥) بدائع الزهور جـ١ ص٢٦٣ ، القاموس المحيط ، تاج العروس .

(١٠٦) بدائع الزهور جـ٢ ص٢٤٤ و٢٦٧ جـ٣ ص١٤٤ .

(١٠٧) التحفة السنية ص٢٧ و٣٤ و٧١ و١٤٧ ، السلوك جـ٢ ص٢٣١ .

(١٠٨) خطط جـ٢ ص١١١ ، الفروسية غير مرقم انظر صورة القبق .

(١٠٩) تاريخ الجبرتى جـ١ ص٤٢٢ – ٤٢٣ .

(١١٠) بدائع الزهور جـ٢ ص١٢٣ – ١٣٤ جـ٣ ص٢٧١ .

(١١١) بدائع الزهور جـ٢ ص١٣٣ ، ١٣٤ صبح الأعشى جـ٣ ص١٥٤ .

(١١٢) القاموس المحيط .

(١١٣) معيد النعم ص٤٤ ، خطط جـ١ ص١٣٨ .

(١١٤) النجوم الزاهرة جـ ٩ ص ٧٦وحاشية٥ ، السلوك جـ١ ص٢٥٤حاشية٥ ، ص٢١٤ حاشية٥ ، صبح الأعشى جـ٤ ص٧ .

(١١٥) زبدة كشف الممالك ص١٢٩ – ١٣٠ .

(١١٦) السلوك مخطوط جـ٣ ص٢٦١ ، زبدة كشف الممالك ص١١١ ، النجوم الزاهرة جـ١٠ ص٨٥ .

(١١٧) الماوردى ص١٧٠ – ١٧١ .

(١١٨) يحيى بن آدم جـ٣ ص ٥٧، البلاذرى ص٣٤٥ – ٣٤٦ .

(١١٩) تاريخ بيروت ص٩٦ .

(١٢٠) تاريخ أبى الفداء جـ٤ ص٨٥ .

(١٢١) الماوردى ص١٨٤، الاستخراج ورقة ٧ – ١٠ ، كتاب المنية فى الفقه فى الفتاوى مخطوط ليس مرقم الصفحات .

(١٢٢) بدائع الزهور جـ٢ ص١٢٨ تاريخ أبى الفداء جـ٤ ص٣١٩ .

(١٢٣) لباب التأويل فى معانى التنزيل ص١٧٥ – ١٧٦ .

(١٢٤) الماوردى ص١٨٦ .

(١٢٥) لسان العرب .

(١٢٦) سيد أمير على ص١٦٦ .

(١٢٧) ابن مماتى ص٣٠١ ، صبح الأعشى جـ٤ ص٤٩٣ .

(١٢٨) أنباء الغمر جـ١ ص٣٦٥ – ٣٦٦ .

(١٢٩) دول الإسلام ص٢٧ .

(١٣٠) تاريخ بيروت ص ٩١ ،صبح الأعشى جـ١٣ ص١٥٤ .

(١٣١) الماوردى ص١٨٤ – ١٨٥ .

(١٣٢) ابن مماتى ص٣٠١ ، صبح الأعشى جـ٤ ص٤٩٣ – ٤٩٤ .

(١٣٣) خطط جـ٢ ص١١١ .

(١٣٤) مادة (قور) محيط المحيط .

(١٣٥) ينكر عبد الله بن عمر هذا عن أبيه فقد قيل له : كان عمر يأخذ من المسلمين العشر ، قال: لا (الخطط جـ١ ص٨٦٦ – ٨٦٧) .

(١٣٦) المرجع السابق .

(١٣٧) من رسالة كتبها عمر بن عبد العزيز (انظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبدالحكم ص٩٦ - ٩٩) .

(١٣٨) ولى ابن المدبر خراج مصر خلال ولاية يزيد بن عبد الله التركى على مصر ، ولاية وإقطاعا من قبل الخليفة المستعين بالله ، وقد قبض عليه ابن طولون سنة ٢٦٧هـ وحبسه وأخذ أمواله ثم صالحه على ستمائة ألف دينار ، ثم أسقط هذه المكوس (النجوم جـ٢ ص٤٣ ، البلوى سيرة أحمد ابن طولون ص٤٣ - ٤٦ و٧٤ - ٧٩ ، ١٧٥ - ١٧٧) .

(١٣٩) البلوى ص٤٣ ، خطط جـ١ ص١٦٧ .

(١٤٠) خطط جـ١ ص١٦٧ .

(١٤١) خطط جـ١ ص١٦٧ .

(١٤٢) خطط جـ١ ص١٦٧ .

(١٤٣) خطط جـ١ ص١٦٧-١٦٨ .

(١٤٤) خطط جـ١ ص١٦٨ .

(١٤٥) خطط جـ١ ص١٦٨ - ١٦٩ .

(١٤٦) خطط جـ١ ص١٤٢ - ١٤٤ ، ١٦٦ ، ١٧٢ ، النجوم الزاهرة جـ٣ ص٤٢ ، سيرة أحمد بن طولون ص٤٣ - ٤٦ و ٧٤ و ٧٩ و ١٧٥ - ١٧٧ ، دول الإسلام ص٢١ ، صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٦٨ و ٤٧١ ، الجوهر الثمين جـ ٣ ورقة ١٠٨ - ١٢١ ، السلوك مخطوط جـ٣ ص١٢٧و ٧٢ و ٥٢٣ - ٥٢٤ و ٥٣٠ ، بدائع الزهور جـ١ ص٢٣٠ و ٣١٦ جـ٣ ص ١٠ و ٢٩ ، القول المستطرف ص٨ ، عيون الأخبار غير مرقم ، فتوح النصر جـ١ ورقة ١٣٨ و جـ٢ ورقة ١٠٨ ، أنباء الغمر ص ٧١ ، الأنس الجليل ص١٣٩، ١٤٠، معيدالنعم ص١٧٤ - ١٨١ ، Evans: Life in Med. France, p: 53

(١٤٧) دولة آل سلجوق ص١١٨ ، انظر أيضا معانى السجل فيما سبق وفى الصيرفى قانون ديوان الرسائل (نشرة على بهجت ص٨) وأمثلة من نسخ لسجلات مختلفة ص١٨ و ٢٣ و ٣٦ و ٤٠) .

(١٤٨) صبح الأعشى جـ٥ ص٤٧٠ .

(١٤٩) زبدة كشف الممالك ص١٣٦ - ١٣٧ .

(١٥٠) شذرات الذهب جـ٦ ص٢١٢ .

(١٥١) Ganshoff: pp., 83 - 83

(١٥٢) Ibid., G. 114

(١٥٣) Ibid., G. 106

(١٥٤) Ibid., G. 100

(١٥٥) La Monte, p. 152
(١٥٦) Ganshoff, p. 82
(١٥٧) Stephenson, p. 239
(١٥٨) Ibid., G 241
(١٥٩) Davies, p. 40
(١٦٠) Stephenson, p. 260
(١٦١) Evans, p. 38
(١٦٢) Lot, p. 110
(١٦٣) Steph., 220
(١٦٤) La Monet, p. 145 ; Davies. p. 714
(١٦٥) Ganshoff, p. 105
(١٦٦) La Monte, p. 150
(١٦٧) Davies, p. 2
(١٦٨) Steph., p. 259
(١٦٩) La Monte, p. 143

(١٧٠) معالم القربة فى أحكام الحسبة (الباب التاسع) مخطوط غير مرقم الصفحات ، مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٨٦ ، صبح الأعشى ج٣ ص٤٤٥ ، ٤٤٧ ، نهاية الأرب ج٨ ص٢٦٩ ، خطط ج٢ ص٣٤٣ ، بدائع الزهور ج٣ ص٢٧٠ .

(١٧١) خطط ج١ ص١١٩ ، ابن مماتى ص١٢٥ ، وفاء الوفا ج١ ص١٨٩ .

(١٧٢) الماوردى ص١٤٦ .

(١٧٣) الماوردى ص ١٤٦ — ١٤٧ ، صبح الأعشى ج٣ ص٤٤٧ ، ملتقى الأبحر ص١٧٥ .

(١٧٤) ابن مماتى ص٢٥٨ ، ٢٧٩ ، صبح الأعشى ج٣ ص٤٤٦ .

(١٧٥) ابن عبد الحكم ص١٣٧ — ١٣٨ ، ابن مماتى ص٣٣٨ .

(١٧٦) الماوردى ص١٤٦ .

(١٧٧) الماوردى ص١٤١ .

(١٧٨) فتوح البلدان ص١٦٨ .

(١٧٩) صبح الأعشى ج٣ ص٤٤٥ .

(١٨٠) الخراج جـ٣ ص٧٩ .

(١٨١) تاريخ بيروت ص٨٠ .

(١٨٢) السلوك جـ١ ص١٩٦ .

(١٨٣) صبح الأعشى جـ٣ ص٤٤٠ .

(١٨٤) صبح الأعشى جـ٣ ص٤٤٥ ، النجوم الزاهرة جـ٣ ص٤٩ ، ٢٦٨ .

(١٨٥) ابن مماتى ص٢٤١ .

(١٨٦) ابن مماتى ص٢٤١ .

(١٨٧) مسالك الأبصار جـ٢ ق ٣ ورقة ٣٧٦ – ٣٧٧ ، السلوك جـ١ ص٤٠٩ حاشية – ١ ، تاريخ أبى الفداء جـ٤ ص٩٥ ، خطط جـ١ ص١٦٣ .

(١٨٨) ابن مماتى ص٣٠٨ .

(١٨٩) صبح الأعشى جـ٣ ص٤٤٥ ، خطط جـ١ ص١٢٣ .

(١٩٠) صبح الأعشى جـ٣ ص٤٤٥ .

(١٩١) المقريزى : النقود الإسلامية ص٣ (ذكر المقريزى أنواعا من الدراهم وزنة كل نوع منها: الدرهم الطبرى = ٨ دوانيق والدرهم البغلى = ٤ دوانيق ونصف . الدانق=٨ $\frac{٢}{٥}$ حبة شعير متوسط لم يقشر بحيث يقطع من طرفيها ما امتد (انظر أيضا الماوردى ص١٤٧) .

(١٩٢) النقود الإسلامية ص٣ .

(١٩٣) صبح الأعشى جـ٣ ص٤٤١ .

(١٩٤) النقود الإسلامية ص٤٣ ، القلقشندى جـ٣ ص٤٤٠ .

(١٩٥) النقود الإسلامية ص٤ .

(١٩٦) النقود الإسلامية ص٥ .

(١٩٧) يقال إنه وقع دينار ردىء من هذا النوع فى يد شيخ من الجند ، فجاء به إلى معاوية (النقود الإسلامية ص٥) .

(١٩٨) نفس المصدر ص٦ .

(١٩٩) نفس المصدر ص٦ .

(٢٠٠) ذكر الماوردى أن الحجاج كتب عليها (الله أحد الله الصمد) – انظر الأحكام السلطانية ص١٤٨ ، النقود الإسلامية ص٧ – ٨ .

(٢٠١) النقود الإسلامية ص٩ ، الماوردى ص١٤٨ .

(٢٠٢) النقود الإسلامية ص٩ .

(٢٠٣) النقود الإسلامية ص١٠ – ١١ .

(٢٠٤) النقود الإسلامية ص ١٢ .

(٢٠٥) النقود الإسلامية ص١٢ .
(٢٠٦) النقود الإسلامية ص١٣ .
(٢٠٧) النقود الإسلامية ص١٤ .
(٢٠٨) صبح الأعشى ج٣ ص٤٤٢ – ٤٤٤ ، النقود الإسلامية ص١٥ ، ابن مماتى – ص٣٣٨ – ٣٦٩ .
(٢٠٩) انظر الفصل التاسع .
(٢١٠) بدائع الزهور ج٢ ص١٦٧ ، أنباء الغمر ج١ ص٦٦٥ – ٦٦٦ .
(٢١١) انظر الفصل الثالث عشر .
(٢١٢) بدائع الزهور ج٣ ص٥٩ .
(٢١٣) سلاطين المماليك ص٦١ .
(٢١٤) إغاثة الأمة ص٧٠ ، Description de L' Egypte, T. XVI P. 292
(٢١٥) وزن المثقال ٢٤ حبة خروب أو ٢٤ قيراطا أو من ٧٢ – ٨٤ حبة شعير .
(٢١٦) الكرملى ص٧٦ – ٧٧ و ١٥٦ و ١٦١ ، مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٧٦ ، صبح الأعشى ج٣ ص٤٤٣ – ٤٤٤ ، النجوم الزاهرة ج٩ ص٧٧ – ٧٨ ، أنباء الغمر ج١ ص٦٦٥ – ٦٦٦ .
(٢١٧) أبطل السلطان سليم الفلوس العتق ٩٢٣هـ – ١٥١٧م، وطومان باى لما يزال إبانئذ يجالده بالصعيد ، وضرب فلوسا جددا مطبوعة باسمه ،كل فلسين بدرهم (بدائع الزهور ج٣ ص١١٣)
(٢١٨) صبح الأعشى ج٣ ص٤٤٤ ، الكرملى ص١٦٨ .
(٢١٩) السلوك ج ٢ ص٢٠٦ ، صبح الأعشى ج٣ ص٤٤٣ – ٤٤٤ .
(٢٢٠) السلوك ج٢ ص٢٠٥ .
(٢٢١) السلوك ج ١ ص٤٥ ، مسالك الأبصــار ج٢ ورقة ٣٤٧ ، ٣٧٦ ، الكرملى ص١١٧/١١٨ ، صبح الأعشى ج٣ ص٤٤٣ – ٤٤٤ .
(٢٢٢) المراجع السابقة . Description p. 286
(٢٢٣) الكرملى ص٧٣ .
(٢٢٤) الكرملى ص٢٢ .
(٢٢٥) الكرملى ص٦٢ .
(٢٢٦) صبح الأعشى ج٣ ص٤٤٠ – ٤٤١ .
(٢٢٧) السلوك ج٢ ص٣٢٠ ، صبح الأعشى ج٣ ص٤٤٢ .
(٢٢٨) مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٧٦ .
(٢٢٩) انظر الفصل التاسع .
(٢٣٠) صبح الأعشى ج٣ ص٤٤٢ – ٤٤٣ .

(٢٣١) سلاطين المماليك ص٦١ ، بدائع الزهور جـ٣ ص٢١٥ .

(٢٣٢) السلوك جـ١ ص٦٨ وحاشية – ٥ ، صبح الأعشى جـ٣ ص٤٤١ .

(٢٣٣) الكرملي ص١١٨ ، صبح الأعشى جـ٣ ص٤٤٤ .

(٢٣٤) انظر رقم – ١ من النقود .

(٢٣٥) انظر رقم – ٥ .

(٢٣٦) انظر رقم ١ و ٢ .

(٢٣٧) انظر رقم ١ و ٢ من النقود .

(٢٣٨) بدائع الزهور جـ١ ص٢٦٦ .

(٢٣٩) بدائع الزهور جـ١ ص٢٦٦ جـ٢ ص٣٧ .

(٢٤٠) بدائع الزهور جـ١ ص٢٦٦ .

القسم الأول

كتب الفقه والعــــلوم الدينية

ا – المخطوطات

١ – ابن رجب : (أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أبى العباس أحمد الحنبلى) .
كتاب الاستخراج لأحكام الخراج .
(تصوير شمسى رقم ٦٦ بدار الكتب المصرية) .

٢ – ابن عبد الغنى : (عبد الله الحنفى ، من علماء القرن الثالث عشر الهجرى) .
النور البادى فى أحكام الأراضى .
(فقه حنفى – مخطوط فى مجلدين رقم ٥٦٣ بدار الكتب المصرية) .

٣ – ابن على : (محمد الجعفرى الحنفى)
جواب على سؤال فى الأرض التى أقطعها السلطان أو أرض غيرها ، إذا زرعها فلاح بطريق شرعى ، مقاسمة بالثلث أو الربع ، فهل يجوز ذلك ؟ . (فقه حنفى – رقم ٤٨٤ مجاميع بدار الكتب) .

٤ – ابن نجيم : (زين الدين بن إبراهيم بن نجيم الحنفى المصرى ت ٩٧٠هـ/ ١٥٦٣ م)
ا – رسالة التحفة المرضية فى الأراضى المصرية (رقم ٤٧٩ ، ٣٣ مجاميع بدار الكتب) .

ب – رسالة تتعلق بأحكام السياسة الشرعية (رقم ١١٦٠ بالدار .

جـ – رسالة فى بيان الإقطاعات ومحلها ومن يستحقها (رقم ٣٣ مجاميع بالدار) .

٥ – السجستانى : (يوسف) :

كتاب المنية فى الفقه والفتاوى (رقم ٤٤١ بالدار – غير مرقم الصفحات)

٦ – الرازى : (زين الدين محمد بن أبى بكر الرازى الحنفى) :

منحة السلوك فى شرح تحفة الملوك (مؤلف التحفة هو أبو بكر محمد محمود العينى الحنفى) . (رقم ٧٢٤ بالدار) .

٧ – ملا خسرو : درر الحكام فى شرح عزر الأحكام :

(فقه حنفى رقم ١٨٩ بمكتبة الحرم المكى الشريف) .

(المراجع الآتية مرتبة بحسب عناوينها لعدم وضـــوح أسماء مؤلفيها) :

٨ – التذكرة : (لأحد فقهاء الحنفية) :

« فى تصرف السلطان فى الأراضى والبلاد وغير ذلك . . » كتبت فى سنة ٨٦٦ هـ (١٤٦١ م) ورفعت إلى السلطان خشقدم الرومى . .

(رقم ٣٩١ مجاميع بالدار) .

٩ – « رسالة شريفة متعلقة بالحرايات والأطيان المرصدة من بيت المال ، وعليها أجوبة أرباب المذاهب الأربعة ، ومتعلقة بطين الفلاحة والرزق أيضاً » :

(رقم ٥٣٠ مجاميع بالدار – وقد عثرت على هذه الرسالة مطبوعة فى كتيب بعنوانها الصحيح ، بمكتبة الحرم المكى الشريف ، ونقلتها وأشرت إليها فى بحث عن التعريف ببعض مخطوطات مكتبة الحرم المكى – نشر فى مجلة الحج التى تصدر بمكة المكرمة فى عدد رجب ١٣٧٣ هـ مارس ١٩٥٤ م – انظر رقم ٤ بالمطبوعات) .

١٠– شرح فرائض التاج : (فقه حنفى – رقم ٤٨٤ مجاميع بالدار) .

ب — المطبوعـــات

١ — القرآن الكريم

٢ — تفسير الجلالين (مصر ١٣٢١ هـ) .

٣ — ابن آدم : (يحيى بن آدم بن سليمان القرشي الأموى ت ٢٠٣ هـ/٨١٨م)
كتاب الخراج . (ليدن ١٨٩٥ م) .

٤ — ابن الصفتى : (الشيخ عيسى) :
عطية الرحمن فى صحة أرصاد الجوامك والأطيان . (فى مجلد طبع مصر ١٣١٤ هـ رقم ٣٥٦ بمكتبة الحرم المكى) .

٥ — ابن تاج الشريعة : (عبيد الله بن مسعود) :
كتاب مختصر الوقاية فى مسالك الهداية (بنربورغ ١٨٩٥ م) .

٦ — ابن تيمية : (تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ت ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م) :
السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية . (مصر ١٣٢٢ هـ — رقم ١١٠ بمكتبة الحرم المكى) .

٧ — ابن حجر : (الحافظ شهاب الدين أحمد بن على ت ٨٥٢هـ/١٤٤٧م) :
بلوغ المرام من أدلة الأحكام .

٨ — أبو السعود : (السيد محمد) :
حاشية أبى السعود المسماة : فتح الله المعين على شرح الكنز للعلامة معين الدين محمد الهروى المعروف بملا مسكين (مصر ١٢٨٧ م) .

٩ — أبو يوسف : (يعقوب بن إبراهيم الأنصارى الكوفى ت ١٨٢ هـ/ ٧٩٨ م) :
كتاب الخراج (مصر ١٢٨٧ هـ رقم ١٥٢ بمكتبة الحرم المكى) .

١٠— البيجورى : (الشيخ إبراهيم) :

حاشية البيجورى على شرح العلامة ابن قاسم الغزى على متن أبى شجاع فى مذهب الشافعى (جزءان — مصر ١٣٢٨ هـ) .

١١— الجردانى : (محمد بن عبد الله) :
الجواهر اللؤلؤية فى شرح الأربعين النووية (مصر ١٣٣٠ هـ) .

١٢— الحصفكى : (محمد علاء الدين ت ١٠٨ هـ/٧٢٦ م) :
كتاب شرح الدر المختار :

١٣— الحلبى : (إبراهيم بن محمد ت ٩٥٦ هـ/١٥٤٩ م) . :
ملتقى الأبحر (فرغ من تبييضه عام ٩٢٣ هـ) — (فقه حنفى — مصر ١٢٦٣ هـ) .

١٤— الخازن : (علاء الدين على بن محمد ، من علماء القرن الثامن الهجرى)
لباب التأويل فى معانى التنزيل (تفسير فى أربعة مجلدات — فرغ من تأليفه ٧٢٥ هـ) ، (مصر ١٣٤٩ هـ) :

١٥— الخطيب : (شمس الدين محمد بن أحمد الشربينى ت ٩٧٧ هـ/١٥٧٠م)
شرح الخطيب المسمى : الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع (فقه شافعى — جزءان — مصر ١٣٤٤ هـ) .

١٦— السيوطى : (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١هـ/١٠٥٥م) :
اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة (مصر ١٣١٧ هـ) :

١٧— الشرقاوى : (الشيخ عبد الله بن حجازى المشهور بالشرقاوى) :
حاشية الشرقاوى على شرح التحرير للشيخ زكريا الأنصارى (فقه شافعى فى مجلدين — طبع مصر ١٣٠٥ هـ) .

١٨— الشعرانى : (أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن على ت ٩٧٣ هـ/ ١٥٦٥ م) . :
الميزان (فقه شافعى فى مجلدين ط مصر ١٣٥١ هـ/١٩٣٢ م) :

١٩— الطورى : (محمد بن حسين بن على) :

تكملة البحر الرائق على كنز الدقائق (الجزء الثامن — مصر ١٣١١ هـ ١٨٩٣ م) .

(انظر رقم ٢٣ فيما يلى ...)

٢٠— العزيزى : (الشيخ على بن أحمد بن نور الدين) :
السراج المنــير بشرح الجامع الصغير فى حديث البشير النذير (مصر ١٣١٢ هـ) .

٢١— الغزالى : (أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى ت ٥٠٥ هـ/ ١١١٠ م) .
كتاب إحياء علوم الدين (فى مجلدين — مصر ٢٨٩ هـ و ١٣٤٨ هـ) .

٢٢— الكردى :
تنوير القلوب (فقه شافعى فى مجلد) .

٢٣— النسفى : (حافظ الدين أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى ت ٧١٠ هـ/١٣١٠ م).
كنز الدقائق (فى فروع الحنفية — طبع حجر بالهند رقم ٦٥ بمكتبة الحرم المكى) :

٢٤— النووى : (محى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين ت ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧ م) :
أ — متن الأربعين حديثاً النووية (كتيب فى ٣٢ صحيفة حديث الطبع من غير تاريخ) .
ب — رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين (فرغ من تأليفه عام ٦٧٠ هـ) — (مصر ١٣٢٥ هـ) :

٢٥— بيبرس : (الشيخ رضوان العدل) :
روضة المحتاجين لمعرفة قواعد الدين (مصر ١٣٢٣ هـ) .

٢٦– علی محفوظ : (الشيخ) :
الإبداع فی مضار الابتداع (مصر ١٣٤١ ﻫ) .

٢٧– هيكل : (الشيخ منصور محمد هيكل الشرقاوى الشافعى) :
الكوكب الدرى الرفيع فى حل ألفاظه صلى الله عليه وسلم المسماة :
الجمال البديع على ساكن البقيع (مصر ١٣٤٣ ﻫ) .

٢٨– (وزارة الأوقاف – قسم المساجد) :
كتاب الفقه على المذاهب الأربعة (فى أربعة مجلدات – الجزء الثالث
قسم المعاملات – مصر ١٩٣٥ م) .

القسم الثانى

الكتب التاريخية والجغرافيـــة

ا – المخطـــوطات

١ – ابراهيم الحنبلى[١] :

شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب (رقم ٢٤٠٣١ بمكتبة جامعة القاهرة).

٢ – ابن أبى السرر (السيد محمد ت ١٠٨٧ هـ/١٦٧٦ م) :

عيون الأخبار ونزهة الأبصار (فى مجلد رقم ٧٢ بدار الكتب) .

٣ – ابن الإخوة (محمد بن محمد بن أحمد ت ٧٢٩ هـ/١٣٢٨ م) :

معالم القربة فى أحـــكام الحسبة (مصور رقم ٢٤٠٥٢ مكتبة جامعة القاهرة) .

٤ – ابن الإمام (أبو العباس أحمد بن محمد البصراوى من علماء القرن الحادى عشر الهجرى) :

تحفة الأنام فى فضائل الشام (كتبه عام ١٠٠٣ هـ – رقم ١٦٤٣ بدار الكتب وغير مرقم الصفحات) .

٥ – ابن الفرات (ناصر الدين محمد ت ٨٠٧هـ – ١٤٠٤ م) :

تاريخ الدول والملوك (فى ١٨ مجلداً رقم ٣١٩٧ بدار الكتب) .

٦ – ابن الشحنة (محب الدين أبو الفضائل محمد الحنفى ت ٨١٥هـ/١٤١٢م) :

أ – روض المناظر فى علم الأوائل والأواخر (ألفه فى عهد السلطان المؤيد شيخ ، للأمير محمد بن موسى نائب السلطنة بقلعة حلب) ، (مجلد رقم ٤٥ بدار الكتب – غير مرقم الصفحات) .

ب – عهد للسلطان المؤيد بن إينال (فى مجلد رقم ٥٩ مجاميع بدار الكتب) .

٧ – ابن الشماع (زين الدين عمر بن أحمد الحلبي ت ٩٣٦هـ/١٥٢٩ م) :
عيون الأخبار فيما وقع لجامعه فى الإقامة والأسفار (فى مجلدين رقم ٥٧٠٥ بدار الكتب) .

٨ – ابن العميد (المكين جرجس أبو العباس بن العميد ت ٦٧٢هـ/١٢٧٣م) :
تاريخ المسلمين (١٤٥٥) (فى مجلدمصور رقم ٥٠١ بدار الكتب (٢) :

٩ – ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد ت ٩٣٠ هـ/١٥٢٤ م) :
نزهة الأمم فى العجائب والحكم (فى مجلدين رقم ٢٢٩٦٣ بمكتبة جامعة القاهرة) .

١٠– ابن بهادر (محمد بن محمد بن محمد ت ٨٧٧ هـ/١٤٧٢ م) :
فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر (جزءان مصور رقم ٢٦١٦٦ بمكتبة جامعة القاهرة) .

١١– ابن حبيب (الإمام الحسن بن عمر ت ٧٧٩ هـ/١٣٧٧ م) :
أ – جهينة الأخبار فى أسماء الخلفاء وملوك الأمصار . (رقم ٦١٠ بدار الكتب (٣) .

ب – درة الأسلاك فى دولة الأتراك (١٤٥٦) – (فى ثلاثة مجلدات مصورة رقم ٢٢٩٦١ بمكتبة جامعة القاهرة ورقم ٦١٧٠ بدار الكتب) :

١٢– ابن حجر (الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى ت ٨٥٢ هـ/ ١٤٤٨ م) :

أ – أنباء الغمر بأبناء العمر (فى مجلدين رقم ٤٢٧٦ بدار الكتب) .
ب – رفع الإصر عن قضاة مصر (فى مجلد رقم ١٠٥ بدار الكتب) :

١٣– (أحد تلامذة ابن حجر) :
تاريخ الأمير يشبك الظاهرى ورحلته فى آسيا الصغرى (اصطحب المؤلف الأمير فى رحلته زمن السلطان قايتباى) ، (مجلد مصور رقم ٢٥٩٢ بدار الكتب) :

١٤- ابن حجر (أحمد بن حجر الهيثمى) :
كتاب إخوان الصفا (فى مجلد رقم ٢٧٦ بدار الكتب) .
١٥- ابن دقماق (غرس الدين إبراهيم بن محمد ت ٨٠٩ هـ/١٤٠٦ م) :
أ - نزهة الأنام فى تاريخ الإسلام (فى مجلدين رقم ١٧٤٠ بدار الكتب)
ب - الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين (فى مجلدين رقم ١٥٨٧ بدار الكتب) .
١٦- ابن سيد الناس (الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد ت ٧٣٤هـ/١٣٣٣م)
عيون الأثر فى فنون المغازى والشمايل والأثر (رقم ١٧٥ بدار الكتب).
١٧- ابن شاكر (محمد بن شاكر الكتبى ت ٧٦٤ هـ/١٣٦٢ م) :
عيون التواريخ (فى مجلد مصور رقم ٩٤٩ بدار الكتب) .
١٨- ابن ظافر (الوزير جمال الدين أبو الحسن على ت ٦٢٣ هـ/١٢٢٦ م):
أخبار الدول المنقطعة (رقم ٨٩٠ بدار الكتب) .
١٩- ابن قاضى شهبة (١٤٥٧) (عبد الوهاب بن محمد ت٨٥١ هـ/١٤٤٧ م)
الإعلام بتاريخ أهل الإسلام (فى مجلدين مصور رقم ٣٩٢ بدار الكتب[٤])
٢٠- ابن منكلى (محمد بن منكلى الداعى من رجال القرن التاسع الهجرى) :
التدبيرات السلطانية فى سياسة الصناعة الحربية (ألفه للسلطان قايتباى سنة ٨٩٥ هـ) ، (فى مجلد رقم ٣٦٣٣٧ بمكتبة جامعة القاهرة) .
٢١- أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن تغرى بردى بن عبد الله الظاهرى ت ٨٧٤ هـ/١٤٦٩ م) :
أ - حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور (فى مجلدين رقم ٢٣٩٧ بدار الكتب وقد ذيل فيه على السلوك من ٨٤٠ هـ) .
ب - البحر الزاخر فى علم الأوائل والأواخر (فى مجلد رقم ٩٣٨ بدار الكتب) .
جـ - المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى (١٤٥٨) :
(فى ثلاثة مجلدات رقم ١١١٣ ، ٢٣٥٥ بدار الكتب [٥]) .

٢٢ ـ أبو محمد (مصطفى بن حسن بن سنان بن أحمد الحسينى الهاشمى القرشى ت ٩٩٩ هـ/١٥٩٠ م) :
البحر الزاخر فى أحوال الأوائل والأواخر (فى مجلدين رقم ٢ بمكتبة الحرم المكى[٦] .

٢٣ـ الأسدى (محمد بن محمد ت ٨٥٤ هـ/١٤٥٠ م) :
كتاب التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار (فى مجلد رقم ٥٤٨٦ بدار الكتب) .

٢٤ـ الجزرى (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مجد الدين المعروف بالجزرى الدمشقى ت ٧٣٩ هـ/١٣٣٨ م) :
تاريخ الجزرى (فى ثلاثة مجلدات مصور رقم ٩٩٥ بدار الكتب) .

٢٥ـ الذهبى (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان بن قايماز الذهبى ت ٧٤٨ هـ/١٣٤٨ م) :
أ ـ تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام (وصل فيه إلى سنة ٧٠٠ هـ فى ٣٤ مجلداً منها ٢٠ مجلداً مصورة رقم ٤٢ بدار الكتب) .
ب ـ ذيل تاريخ الإسلام (فى خمسة مجلدات مصورة رقم ٣٩٢ بدار الكتب) .

٢٦ـ الرماح (بدر الدين بكتوت الرماح الظاهرى ـ أحد رجال الحلقة المنصورة) :
علم الفروسية وعلاج الدابة (فى مجلد مصور رقم ٢٦٣٣٩ بمكتبة جامعة القاهرة) .

٢٧ـ الرماح (نجم الدين حسن) :
الفروسية والمناصب الحربية (فى مجلد مخطوط رقم ٥٠ بمكتبة الحرم المكى ، وقد قمت بنسخه وتصويره وترقيمه عام ١٩٥٤ م) .

٢٨ـ الزكى المغربى الحنبلى من علماء القرن التاسع الهجرى) :

سبك النظائر وكسب المفاخر ونثر الدرر ونظم الجواهر . من سيرة أقباى(٧) الأسدى الظافر (١٤٦٠) .

(مجلد مصور رقم ٢٥٩٤ بدار الكتب) .

٢٩- السيوطى : (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) :
تاريخ الملك الأشرف قايتباى المحمودى الظاهرى (مجلد رقم ١٥٥٩ بدار الكتب - غير مرقم الصفحات) .

٣٠- الصفدى (أبو الصفا صلاح الدين خليل بن أيبك ت ٦٤ هـ/١٣٦٣ م):
أعيان العصر وأعوان النصر (مجلدان رقم ٢٠٢ بمكتبة الحرم المكى - غير مرقم الصفحات) .

٣١- العسكرى (أبو هلال الحسين على ت ٣٩٥ هـ/١٠٠٤ م) :
الأوائل (فرغ من تأليفه عام ٣٨٩ هـ - رقم ٢٧٥٠ بمكتبة جامعة القاهرة) .

٣٢- العمرى (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)
مسالك الأبصار (فى ستة أجزاء مصورة رقم ٥٥٩ بدار الكتب) .

٣٣- العينى (الشيخ بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العينى ت ٨٥٥ هـ/ ١٤٥١ م - ١٤٦١ (٨)) :

السيف المهند فى تاريخ الملك المؤيد (مجلد مصور رقم ١٥٨٥ بدار الكتب) .

٣٤- القدسى (محمد أبو إسحاق الشافعى من علماء القرن التاسع الهجرى) :
دول الإسلام الشريفة البهية وذكر ما ظهر لى من حكم الله الخفية فى جلب طائفة الأتراك إلى الديار المصرية (فرغ من تأليفه ٨٨١ هـ ورفعه إلى الأمير يشبك الدوادار زمن السلطان قايتباى (فى مجلد رقم ١٠٣٣ بدار الكتب) .

٣٥- القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على بن أحمد ت٨٢١هـ - ١٤١٨م):

صبح الأعشى فى صناعة الإنشا (نسخة فى ٧ مجلدات مصورة رقم ١٥١٩ بدار الكتب [٩] .

٣٦- المقدسى (مجير الدين العليمى الحنبلى ت ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م) (١٤٦٢) :
الأنس الجليل فى تاريخ القدس والخليل (١٤٦٣)[١٠] .
(مجلد رقم ٩ و ١٠ و ١١ بدار الكتب ورقم ١٢٢ بمكتبة الحرم المكى).

٣٧- المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) :
١) السلوك لمعرفة دول الملوك (١٤٦٤) (فى أربعة مجلدات رقم ٣٥٧٢ ورقم ٤٥٥ بدار الكتب)[١١].
٢) المقفى (فى أربعة مجلدات رقم ٥٣٧٢ بدار الكتب) .
٣) الإعراب فى ذكر من بأرض مصر من الأعراب (فى مجلد رقم ٥/٢٦٢٤٧ بمكتبة جامعة القاهرة)
٤) إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع (فى مجلد رقم ٨٨٦ بدار الكتب) .
٥) كتاب الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك .
(فى مجلد رقم ٢٦٢٤٧ بمكتبة جامعة القاهرة — انظر رقم ٦٥ وفى المطبوعات) .
٦) ضوء السارى فى خبر تميم الدارى (فى مجلد رقم ٢٦٢٤٧ بمكتبة جامعة القاهرة) .

٣٨- النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٢ هـ/١٣٣٢ م) :
نهاية الأرب فى فنون الأدب (فى ٣٠ جزءاً رقم ٥٤٩ بدار الكتب) .

٣٩- بيبرس (الدوادار المنصورى ت ٧٢٥ هـ/١٣٢٤ م [١٢] :
التحفة الملوكية فى الدولة التركية (فى مجلد رقم ٢٤٠٢٩ بمكتبة جامعة القاهرة) .

٤٠ - جان تمر (المملوك جان تمر من أركماس من طبقة الزمامية الملكى الأشرفى) :

تذكرة الملوك إلى أحسن السلوك (رفعه إلى السلطان الغورى فى مجلد رقم ٢٣٩٨ بدار الكتب) :

(المراجع الآتية مرتبة بحسب عناوينها لعدم وضوح أسماء مؤلفيها)

– تاريخ مصر لأحد أفاضل القرن العاشر الهجرى :
(فى مجلد رقم ٤٠٧٦ بدار الكتب) :

– تاريخ فى أشراف وأمراء مكة :
(فى مجلد رقم ٤٣ بمكتبة الحرم المكى) :

– حجة شراء أبى النصر طومان باى حصة من أراضى ناحية سرس بالمنوفية تاريخها ٩٠٦ هـ .

– حجة وقف الأشرف برسباى :
(فى مجلد غير مرقم الصفحات رقم ٣٣٩ دار الكتب) :

– حجة وقف إينال على مدرسته بتاريخ ٨٦٢ هـ :

– مرسوم بعض الملوك الصلاحية فى إلزام أهل الذمة بالشروط التى حددها أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه . كتب سنة ٧٥٥ هـ (فى مجلد رقم ٤٣١٤ بدار الكتب) .

ب – المطبــوعات

١ – إبراهيم (مغلطاى) :
تاريخ سلاطين مصر والشام وحلب وبيت المقدس وأمرائها (ويشمل من ٦٩٠ إلى ٧٤١ هـ) – طبع ليدن ١٩١٩ م .

٢ – ابن أبى الفضائل (المفضل القبطى المصرى) :
المنهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد (ويشمل من ٦٥٨ إلى ٧٤٩ هـ – وترجمة إلى الفرنسية – باريس ١٩١٢) :

٣ – ابن الأثير (على بن أحمد بن أبى الكرم ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٨ م) :
الكامل فى التاريخ – بولاق ١٢٧٤ هـ .

٤ — ابن الأخوة (محمد بن محمد بن محمد ت ٧٢٩ هـ/١٣٢٨ م) :
معالم القربة فى أحكام الحسبة (نشره المستشرق الإنجليزى روبن ليفى) .

٥ — ابن الجيعان (شرف الدين أبو البقاء يحيى ت ٩٠٠ هـ/١٤٩٤ م) :
أ — التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية فى مجلد نشره موريتز — بولاق ١٣٩٦ هـ/١٨٩٨ م .
ب— القول المستطرف فى سفر مولانا الملك الأشرف قايتباى (فى مجلد طبع تورينو ١٨٧٨ م) .

٦ — ابن الداية : (أحمد بن يوسف النحاس — القرن الثالث الهجرى) .
الدر المكنون فى حلى دولة بنى طولون (برلين ١٨٩٤ م) .

٧ — ابن الشحنة (قاضى القضاة محب الدين ت ٨١٥ هـ/١٤١٢ م) :
الدر المنتخب فى مملكة حلب (طبع بيروت ١٩٠٩ م) .

٨ — ابن الشدياق (الشيخ ابن يوسف الشدياق الحدثى المارونى ١٢٧٦ هـ / ١٨٥٩م) :
أخبار الأعيان فى جبل لبنان (بيروت ١٨٥٩ م) .

٩ — ابن العماد الحنبلى (أبو الفلاح عبد الحى ت ١٠٨٩ هـ/١٦٧٨ م) .
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب (فى ٨ أجزاء — مصر ١٣٥٠ هـ).

١٠— ابن الفرات (ناصر الدين محمد ت ٨٠٧ هـ/١٤٠٤ م) :
تاريخ الدول والملوك (المجلد التاسع فى جزءين نشر الدكتور قسطنطين بالجامعة الأمريكية ببيروت — سنة ١٩٣٦) .

١١— ابن القلانسى (أبو يعلى حمزة ت ٥٥٥ هـ/١١٦٠ م) :
ذيل تاريخ دمشق (بيروت ١٩٠٨ م) .

١٢— ابن القيم الجوزية (الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر ت ٧٥١ هـ/١٣٥٠ م) :
أ — زاد المعاد فى هدى خير العباد (فى أربعة أجزاء — مصر ١٣٣٤هـ).

ب- الفروسية الشرعية النبوية (فى مجلد طبع مصر ١٣٦١ هـ ١٩٤٢ م نشره السيد عزت العطار رقم ٧٠ بمكتبة الحرم المكى) .

١٣- ابن الوردى (زين الدين أبوحفص عمر ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) :
تتمة المختصر فى أخبار البشر (تذييل لأبى الفداء فى المختصر - فى مجلدين مصر ١٢٨٥ م) .

١٤- ابن إياس (أبوالبركات محمد بن أحمد ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م) :
بدائع الزهور فى وقائع الدهور (فى ثلاثة مجلدات - طبع بولاق ١٣١١هـ الجزء الناقص ويشمل من سنة ٨٥٧ إلى ٨٧٢ هـ نشره الدكتور محمد مصطفى - طبع الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ١٩٥١ - الجزء الرابع نشره الدكتور محمد مصطفى والمستشرق كاله - طبع استانبول ١٩٣١ . والجزء الخامس نشره الدكتور محمد مصطفى - القاهرة ١٩٦١)

١٥- ابن حجر (شهاب الدين ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٨ م) :
أ - الإصابة فى تمييز الصحابة (فى أربعة أجزاء فى ثمانية مجلدات - مصر ١٩٢٣ م) .
ب- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة (طبع حيدر آباد سنة ١٣٤٨هـ) .

١٦- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله) :
كتاب المسالك والممالك (طبعه دى غويه - ليدن ١٨٨٩ م) .

١٧- ابن خلدون (عبد الرحمن ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٥ م) :
تاريخه المعروف بالعبر وديوان المبتدأ والخبر (مصر ١٢٨٤ م) .

١٨- ابن دانيال (محمد بن دانيال بن يوسف الموصلى ت ٧١٠ هـ/١٣١٠ م) :
طيف الخيال (نشره جورج يعقوب ١٩١٠ م) .

١٩- ابن دقماق (غرس الدين ابراهيم بن أيدمر العلائى ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م) :
الانتصار لواسطة عقد الأمصار (الجزء الرابع والخامس - مصر ١٣٠٩ هـ) .

٢٠- ابن سعد (أبو عبد الله محمد ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م) :
الطبقات الكبرى (مصر ١٣٥٨ هـ) .

٢١- ابن سعيد الأنطاكى (يحيى ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م) :
التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق (بيروت ١٩٠٥ م) .

٢٢- ابن شاهين (غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى ت ٨٧٢ هـ/ ١٤٦٧ م (١٣) .
زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك (وهو مختصر كتابه كشف الممالك - فى مجلدين - طبع باريس ١٨٩٤ م) .
وقد نشره بول رافيس .

٢٣- ابن شداد (القاضى بهاء الدين ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م) :
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (وفى ذيله منتخبات كتاب التاريخ لصاحب حماة تأليف تاج الدين شاهنشاه بن أيوب) - مصر ١٣٤٦هـ.

٢٤- ابن طباطبا (محمد بن على) :
الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية (مصر ١٩٣٨ م) .

٢٥- ابن عبد الحكم (أبو محمد عبد الله ت ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م) .
أ - فتوح مصر (ليدن ١٩٢٠ م) .
ب- سيرة عمر بن عبد العزيز (مصر ١٣٤٦ م) .

٢٦- ابن عبد الظاهر (محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر ت ٦٩٢ هـ/ ١٢٩٣ م) :
الألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرفية (وهى سيرة السلطان خليل بن قلاوون) - طبع ليبسك .

٢٧- ابن عساكر (أبوالقاسم على بن أبى محمد الحسن بن هبة الله ت ٥٧١ هـ/ ١١٧٥ م) :
التاريخ الكبير (دمشق ١٣٣١ م) .

٢٨- ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى القدسى ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) :

أ - البداية والنهاية (فى ١٣ جزءاً - مصر ١٣٤٨ هـ) .

ب- الاجتهاد فى طلب الجهاد (ألفه الأمير منجك اليوسفى نائب السلطنة بالشام - نشرته جمعية النشر والتأليف الأزهرية ١٣٤٧ هـ) .

٢٩- ابن مسكويه (أبو على أحمد بن محمد ت ٤٢٠ هـ / ١٠٣٠ م) :

كتاب تجارب الأمم (ذيله الوزير أبو شجاع محمد بن الحسن الملقب بظهر الدين الروذاوردى والمتوفى سنة٤٨٨هـ/١٠٩٥ م إذ أضاف إليه حوادث الفترة ٣٦٩ إلى ٣٨٩ هـ وتليه قطعة من تاريخ هلال الصابئ إلى ٣٩٣ هـ - مصر ١٣٣٤ م) .

٣٠- ابن مماتى (القاضى الوزير شرف الدين أبو المكارم بن أبى سعيد ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) :

كتاب قوانين الدواوين (نشره الدكتور عطية سوريال - مصر١٢٩٩م)

٣١- ابن هارون (الحسن بن عبدال بن محمد بن عمر بن هرون العباسى من علماء القرن الثامن الهجرى) :

آثار الأول فى ترتيب الدول (فى مجلد - طبع مصر ١٢٩٥ هـ - ويوجد كذلك بهامش تاريخ الخلفاء للسيوطى المطبوع فى مصر ١٣٠٥ هـ وقد رفعه مؤلفه إلى السلطان بيبرس الجاشنكير) .

٣٢- ابن هشام (أبو عبد الله محمد عبد الملك ت ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) :

كتاب سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (القاهرة ١٣٣٢م) .

٣٣- ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ت ٦٩٧ هـ) :

مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب (جزءان - نشر الشيال - مصر ١٩٥٣ ، ١٩٥٧ م) .

٣٤- ابن يحي (الأمير صالح بن يحي بن الحسين أمير الغرب - من علماء القرن التاسع الهجرى) :

تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحتريين (نشره الأب لويس شيخو اليسوعى – بيروت ١٩٢٧ م) :

٣٥– أبو الفداء (إسماعيل بن على بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب الملك المؤيد ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) :

أ – المختصر فى أخبار البشر ، ويعرف بتاريخ أبى الفداء (فى أربعة مجلدات القسطنطينية ١٢٨٦ هـ) وفى مجموعة .

ب – تقويم البلدان (درسدن ١٨٤٠ م) .

٣٦– أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن تغرى بردى بن عبد الله الظاهرى ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) :

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (طبعة دار الكتب – وصلت إلى الجزء الثانى عشر ١٩٥٦ م) وتقوم الآن لجنة بنشر الأجزاء الباقية بتكليف من وزارة الثقافة ؛ اشترك المؤلف فيها وأتم تحقيق الجزء الخامس عشر سنة ١٩٦٣.

٣٧– أبو شامة (شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن ت ٦٥٥ هـ /١٢٦٧ م):

كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين (مصر ١٢٨٧ م) .

(يقوم بنشره الآن الدكتور حلمى بدار العلوم) .

٣٨– أرتين (يعقوب باشا) :

الأحكام المرعية فى شأن الأراضى المصرية (مصر ١٣٠٦ هـ) .

٣٩– الأصفهانى (الفتح بن على البندارى من علماء القرن التاسع الهجرى):

دولة آل سلجوق (مصر ١٣١٨ هـ) .

٤٠– البلاذرى (أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) :

فتوح البلدان (مصر ١٣٥٠ هـ) .

(طبعة حديثة صدرت لهذا الكتاب للدكتور المنجد بالجامعة العربية فى ثلاثة أقسام بدأها عام ١٩٥٦ م) .

٤١– البلوى (أبو محمد عبد الله بن محمد الزينى) :

سيرة أحمد بن طولون (نشره كرد على – دمشق ١٣٥٨ هـ) .

٤٢- الجبرتى (عبد الرحمن) :
عجائب الآثار فى التراجم والأخبار (مصر ١٣٢٢ هـ) .

٤٣- الحريرى (سيد على الحريرى) :
الأخبار السنية فى الحروب الصليبية (مصر ١٩١١ م) .

٤٤- الحلبى (على بن برهان الدين ت ١٠٤٤ هـ/١٦٣٤ م) :
إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون عليه الصلاة والسلام .
(ويعرف بالسيرة الحلبية - مصر ١٢٩٢ هـ) .

٤٥- الحمزاوى (الشيخ حسن العدوى) :
مشارق الأنوار فى فوز أهل الاعتبار (وبهامشه رسالة الصبان المعروفة باسم : إسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وفضائل بيته الطاهرين) - مصر ١٣٠٣ هـ) .

٤٦- الخطيب (الحافظ أبو بكر أحمد على الخطيب البغدادى ت ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠ م) :
تاريخ بغداد أو مدينة السلام (مصر ١٣٤٩ هـ) .

٤٧- الدينورى (أحمد بن داود أبو حنيفة ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) :
الأخبار الطوال (مصر) .

٤٨- السبكى (تاج الدين عبد الوهاب ت ٧٧١ هـ/١٣٦٩ م):
معيد النعم ومبيد النقم (مصر ١٣١٧ هـ) .

٤٩- السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد ت ٩٠٢ هـ/ ١٤٩٦ م) :
أ - الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع (فى ١٢ جزءاً - مصر ١٣٥٤ هـ[١٤] .
ب- التبر المسبوك فى ذيل السلوك (فى مجلد - بولاق ١٨٩٦ م) .

٥٠- السمهودى (جمال الدين أبو المحاسن عبد الله ت ٩١١ هـ/١٥٠٥ م) .
وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى (مصر ١٣٢٦ هـ) .

٥١- السهيلى (أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) :
الروض الأنف والمشروع الروى فى تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى (مصر ١٣٣٢ هـ) .
٥٢- السيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر جمال الدين ت ٩١١هـ/١٥٠٥م):
أ - حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة (مصر ١٣٢٧ هـ) .
ب- تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الله (مصر ١٣٥١هـ) ؛ (له ترجمة إنجليزية) .
٥٣- الصابئ (هلال أبو الحسن ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) :
تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء (بيروت ١٩٠٤ م) .
٥٤- الصفدى (فخر الدين أبو عثمان النابلسى الصفدى كان يعيش فى القرن السابع الهجرى) :
تاريخ الفيوم وبلاده (مصر ١٣٠٦ هـ) .
٥٥- الصيرفى (تاج الرياسة أبو القاسم على بن منجب ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م):
قانون ديوان الرسائل (نشره على بهجت - مصر ١٩٠٥ م) .
٥٦- الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) :
تاريخ الأمم والملوك (طبعة دى غويه - ليدن ١٨٨١ م) .
٥٧- العمرى (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)
أ - التعريف بالمصطلح الشريف (مصر ١٣١٢ هـ) .
ب- مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار (الجزء الأول - تحقيق أحمد زكى باشا - مصر ١٣٤٢ هـ/١٩٢٤ م) .
٥٨- القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على بن أحمد ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) :
صبح الأعشى فى صناعة الإنشا (فى ١٤ مجلداً - طبع دار الكتب) .
٥٩- الكرملى (الأب أنستاس) ناشر :
النقود العربية وعلم النميات (مصر ١٩٣٩ م) .
٦٠- الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) :
كتاب الولاة والقضاة (مصر) .

٦١- الماوردى (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب المصرى ت ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٧ م) .

الأحكام السلطانية (مصر ٢٩٨ هـ) :

٦٢- المقدسى (القاضى مجير الدين أبو اليمن عبد الرحمن العليمى ت ٩٢٨هـ/ ١٥٢١ م) .

الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (مصر ١٢٨٣ هـ) .

٦٣- المراكشى (محيى الدين أبو محمد عبد الواحد بن على التميمى) من علماء القرن السابع الهجرى :

المعجب فى تلخيص أخبار المغرب (فرغ من إملائه ٦٢١هـ - مصر ١٣٣٢ هـ) .

٦٤- المقـــرى (أحمد بن محمد ت ١٠٤١ هـ/١٦٣٣ م) :

نفح الطيب غصن الأندلس الرطيب (مصر ١٣٥٥ هـ/١٩٣٦ م) :

٦٥- المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١ م) :

ا - كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك (نشر وتحقيق الدكتور زيادة - مصر ١٩٣٦ م وما بعدها .

ب- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأمصار (طبعة النيل فى ٤ مجلدات ١٣٢٤ هـ - طبعة بولاق فى مجلدين ١٢٧٠ هـ ونشر جاستون فييت G. Wiet ضمن مجموعة Memoirs وفى مجلدين ترجمة كاترمير Quatrimère

ج- البيان والإعراب عمن بأرض مصر من الأعراب (جوتنجن) :

د - إغاثة الأمة بكشف الغمة (نشر زيادة والشيال - مصر ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠ م) :

هـ- رسالة فى النقود الإسلامية (القسطنطينية ١٢٩٨ هـ) .

و- كتاب الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك (نشر الشيال - مصر ١٩٥٥) :

٦٦– النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣ هـ/١٣٣٣ م) :
نهاية الأرب فى فنون الأدب (نشر دار الكتب المصرية – وصلت إلى الجزء الثامن عشر) .
٦٧– الهوارى (حسن محمد) :
رسالة فى وصف محتويات دار الآثار العربية (مصر) .
٦٨– حسن إبراهيم (الدكتور) :
تاريخ الإسلام السياسى (جـ ٢ – مصر ١٩٤٥) .
٦٩– دحلان (أحمد بن زينى دحلان ت ٣٠٤ هـ / ١٨٨٧ م) :
خلاصة الكلام فى أمراء البلد الحرام (مصر – مكتبة الحرم المكى) .
٧٠– زامباور (المستشرق) :
معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى (ترجمة المرحوم الدكتور زكى حسن وآخرين – فى مجلدين – مصر ١٩٥١ م) .
٧١– زيادة (الدكتور محمد مصطفى) :
أ – بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ المماليك (مجلة كلية الآداب م ٤ ح ١ مايو ١٩٣٦ م – ص ٧٩ – ٧٤) .
ب– المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى (مصر ١٩٤٩ م) .
جـ– حملة لويس التاسع على مصر فى المنصورة (مصر ١٩٦١ م) .
٧٢– زينب العاملى (السيدة زينب بنت على بن حسين عبد الله العاملى السورية)
الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور (بولاق ١٣١ – م) .
٧٣– سيد أمير على :
مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامى (ترجمة رياض رأفت – مصر ١٩٣٨ م) .
٧٤– طرخان (الدكتور إبراهيم على) :
ا – مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة – مصر ١٩٦٠

ب- المسلمون فى فرنسا وإيطاليا (مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٦٤ م) .

٧٥- طه حسين :
الفتنة الكبرى - عثمان ج ١ (مصر ١٩٤٧ م) .

٧٦- طوسون (الأمير عمر) :
مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن (مصر ١٩٣١ م) .

٧٧- عبد الرازق الظاهر : الإقطاع والديوان فى العراق (مصر ١٩٤٦ م)

٧٨- غربال (الأستاذ محمد شفيق) :
مذكرات فى تاريخ التحرير الاقتصادى فى أوربا (معهد الدراسات العليا ١٩٤٧ م) .

٧٩- فشر : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى (ترجمة زيادة والعدوى) (مصر ١٩٤٢) .

٨٠- كرد على (محمد) :
الإسلام والحضارة العربية (مصر ١٣٤٥ هـ / ١٩٣٦ م) .

٨١- كوبلاند (جورج) :
الإقطاع والعصور الوسطى بغرب أوربا (ترجمة الدكتور زيادة - مصر ١٩٤٦ م) .

٨٢- كوبلاند وفينو جرادوف :
الإقطاع والعصور الوسطى بغرب أوروبا (ترجمة الدكتور زيادة - مصر ١٩٥٨ م) ؛

٨٣- مشرفة (الدكتور عطية مصطفى) :
نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين (مصر ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م) ؛

٨٤- مكسيموس :
تاريخ الحروب المقدسة المدعوة حرب الصليب (ترجمه عن الفرنسية كيريو كيريو مكسيموس مظلوم - أورشليم ١٨٦٥ م ؛

٨٥- هيكل (الدكتور محمد حسين) :
حياة محمد (مصر ١٩٤٧ م) ؛

٨٦- ولفنسون (أبو ذؤيب) :
تاريخ اليهود فى بلاد العرب (مصر ١٣٤٥ ﻫ / ١٩٢٧ م) ؛

القسم الثالث

المعاجم والمجلات

أ– المعاجم :

١ – أقرب الموارد فى فصح اللغة والشوارد .
٢ – الأعلام للزركلى .
٣ – الدليل الجغرافى (مصلحة المساحة) .
٤ – الذيل على المعاجم العربية لدوزى .
٥ – أساس البلاغة للزمخشرى .
٦ – القاموس التركى .
٧ – القاموس الجغرافى لمؤلفه محمد رمزى (طبع دار الكتب من ١٩٥٤ إلى ١٩٥٨ م) .
٨ – القاموس الفارسى .
٩ – القاموس المحيط للشيرازى .
١٠– القاموس المحيط للفيروزابادى .
١١– تاج العروس من جواهر القاموس .
١٢– تاج اللغة للهورينى .
١٣– دائرة المعارف الإسلامية .
١٤– دائرة المعارف للبستانى .
١٥– قاموس جغرافى للقطر المصرى لإدارة التعداد بنظارة المالية (١٨٩٩م).
١٦– كتاب الجبال والأمكنة والمياه للزمخشرى .
١٧– لسان العرب لابن منظور .

١٨- محيط المحيط .
١٩- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لياقوت، وهو عبارة عن تلخيص لمعجم البلاد .
٢٠- معجم البلدان لياقوت .

ب - المجلات :

٢١- مجلة التمدن الإسلامى (م ١٢ الجزءان ٣٦ ، ٣٧ - صفر ١٣٦٦ هـ) .
(عدد خاص بالاشتراكية الإسلامية)
٢٢- مجلة الرسالة العدد الممتاز رقم ٣٠٠ فى ٣ مارس ١٩٤١ م .
بحث عن الرنوك للدكتور محمد مصطفى ص ٢٦٨ - ٢٧١ .
٢٣- مجلة المستمع العربى (مقال عن الإقطاع فى الشرق) .
٢٤- مجلة كلية الآداب (مايو ١٩٣٦ م) .

(١) تحقيق اسم المؤلف للدكتور محمد مصطفى زيادة (مجلة المجمع العلمى بدمشق جـ ١٣ جـ ٤ فى مقال عنوانه : الشاميون والتاريخ – أبريل ١٩٤٣م) .

(٢) انظر رقم ٢ فى المطبوعات فيما يلى .

(٣) ورد عنوان هذا الكتاب أحيانا باسم « درة الأسلاك فى ملك الأتراك » « الأعلام » .

(٤) ابن قاضى شهبة نسبة إلى شهبة والسويداء بالشام (عن الصفدى) .

(٥) تقوم دار الكتب الآن بنشره ، وقد نشرت الجزء الأول منه .

(٦) ورد اسم هذا الكتاب « العيلم الزاخر فى الأوائل والأواخر » (الأعلام) .

(٧) أقباى هذا هو ابن عبد الله الطويل والى غزة والأعمال الساحلية على عهد قايتباى .

(٨) العينى أصله من حلب ومولده فى عينتاب ، فنسب إليها ، ولى الحسبة فى مصر بعد المقريزى وصار مقربا من المؤيد (الأعلام) .

(٩) انظر رقم : ٥٨ منا لمطبوعات .

(١٠) توجد نسخ مطبوعة لهذا الكتاب فى نسخة فى مجلدين تحت أرقام ١٠ ، ١١ ، ٨٣٩ ، ٨٦٣ بدار الكتب وتحت رقم ١٢٢ بمكتبة الحرم المكى .

(١١) القسم الثانى من مخطوطة السلوك يوجد بمكتبة الحرم المكى ويبدأ من سنة ٧٦٢هـ وينتهى سنة ٨٤٤هـ أى قبل وفاة المؤلف بسنة وهو خط نسخ جميل عليه آثار القدم (انظر المطبوعات) .

(١٢) المنصورى نسبة للسلطان المنصور قلاوون ، وقد شغل المؤلف وظيفة نيابة السلطنة زمن الناصر محمد بن قلاوون .

(١٣) ابن شاهين أمير مصرى من أولاد الناس ولى حكم الإسكندرية فترة ، وتولى إمارة الحج سنة ٨٤٠هـ – ١٤٧٦ م زمن الملك برسباى ، كما تولى إمارة الكرك وصفد وغيرهما .

(١٤) لهذا الكتاب مختصر يسمى : البدر الطالع مختصر الضوء اللامع لمؤلفه شهاب الدين أحمد بن محمد المنوفى المتوفى ٩٣١هـ (الأعلام) .

القسم الرابع

المراجع الأجنبية

1.—Abel, Le R.P.P. : Géographie de la Palestine, 2 Vol., Paris, 1936-1938.

2.—Abody, J.T. : Feudalism, Its Rise, Progress and Consequence, Lond,. 1890.

3.—Albon, Marquis d' : Cartulaire Général de l'Ordre du Temple, 1119-1150, Paris, 1913-1922.

4.—Barker, E. : The Crusades, Lon., 1929.

5.—Boissonnade, P. : Du Nouveau sur La Chanson de Roland, Paris, 1923.

6.—Boutaric, E. : Le Régime Féodal, Son Origine et son Etablissement et particulièrement de l'immunité (R. Q. H. T. XVIII, 1875).

7.—Bréhier, L. : L'Eglise et l'Orient au Moyen Age, Paris, 1921.

8.—Brooke, Z.N. : A History of Europe, 911-1198, Lond., 1928.

9.—Cahen, cl. : La Syrie du Nord à l'époque des Croisades, Paris, 1940.

10.—Calmette, J. : La Société Féodale, Paris, 1927.

11.—Cartellieri, O. : The Count of Burgundy (Studies in History of Civilization), Lond., 1929.

12.—Chalandon, F. : Histoire de la Première Croisade, Paris, 1925.

13.—Chew, H.M. and Latham, L.C. : Europe in the Middle Ages, 814-1494, Lond., 1930.

14.—Conder, C.R. : The Latin Kingdom of Jerusalem, 1099-1291, A.D., Lond., 1897.

15.—Davies, R.H.C. : A History of Médieval Europe, Lond., 1958.

16.—Davies, R.T. : Documents Illustrating the History of Civilization in Medieval England, 1066-1500, Lond., 1936.

17.—Deanesly, M. : A History of Early Medieval Europe, 476-911, Lond., 1956.

18.—Delaville Le Roulx, (J.) : 1 - Les Hospitaliers en Terre Sainte et à Chypre, Paris, 1904. 2 - Cartulaire Général de l'Ordre des Hospitaliers de Saint-Jean de Jerusalem, Paris, 1894-1906, 4 vol.

19.—Deschamps, P. : Les Chateaux des Croisés en Terre-Sainte, Paris, 1934.

20.—Dodu, G. : Histoire des Institutions monarchiques dans le Royaume Latin de Jerusalem, Paris, 1894.

21.—Dow, E.W. : Feudal Regime, N.Y., 1902.

22.—Dozy, R.P.A. : Histoire des Musulmans d'Espagne, Leiden, 1932.

23.—Dussaud, R. et (autres) : La Syries Antique, Médievale Illustrée, Paris, 1931.

24.—Dutaillis, C.P. : The Feudal Monarchy in France and England in the 10th to the 11th Century, Lond., 1936.

25.—Evans, J. : Life in Medieval France, Oxf. 1929.

26.—Eyre, E. (Edit.) : European Civilization, Its Origins and Development, Oxf., 1935.

27.—Fisher, H.A.L. : A History of Europe, Lond., 1930.

(انظر رقم ٧٨ بالمراجع العربية)

28.—Ganshoff, F. L. : Feudalism, Lond., 1950.

(ترجم الدكتور حسن حبشي هذا الكتاب حديثا)

29.—Goubert, P. : Byzance avant l'Islam, Paris, 1951.

30.—Grousset, R. : Histoire des Croisades et du royaume France de Jerusalem, Paris, 1931-1936.

31.—Guilhiermoz, P. : Essai sur l'origine de la Noblesse en France au Moyen Age, Paris, 1902.

32.—Hagenmeyer : Chronologie de la Première Croisade, Paris, 1902.

33.—Helen, G. : Rural Conditions in the Kingdom of Jerusalem during the 12th and 13th Centuries, Philadelphia, 1903.

34.—Huart, C. : Histoire des Arabes, Paris, 1912.

35.—Jarret, Major H. S., (Translator) : History of the Caliphs by Siouty, Calcutta, 1891.

36.—La Monte, J.L. : (1) Chronologie de l'Orient Latin, Paris, 1906, 2 Vol. (2) Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem, 1100-1291, Cambr. Mass., 1932.

37.—Lane-Poole, St. : The Muhammadan Dynasties, Paris, 1925.

38.—Lot, F. : (1) The End of the Ancient World and the Beginning of the Middle Ages, Lond., 1931. (2) Les Invasions Germaniques, Paris, 1935.

39.—Malcolm, J. : History of Persia, Lond., 1829.

40.—Mayer, L. A. : (1) Mamluke Costume, Geneve, 1932. (2) Saracenic Heraldry, Lond., 1933.

41.—Muir, W. : The Mamluke or Slave Dynasty of Egypt, 1250-1517, Lond., 1896.

42.—Munro, D.C. : The Kingdom of the Crusaders, N.Y., 1936.

43.—Nizam Al Mulk : Siasset Nameh. (Trad. Ch. Schefer, Paris, 1891-1893).

44.—Orton, P. : (1) Outline of Med. History, Cambr., 1942. (2) A Hist. of Europe from 1198 to 1378, Lond., 1951.

45.—Painter, S. : A History of the Middle Ages, N.Y., 1954.

46.—Poliak, A. N. : (1) Feudalism in Egypt, Syria, Palestine and Lebanon, 1250-1900, Lond., 1939. (2) The Ayyubid Feudalism (J.R.A.S., 1939).

(J.R.A.S., 1939). (3) Les Revoltes Populaires en Egypte à l'Epoque des Mamlukes et leur causes Economiques (Extrait de la revue des Etudes Islamiques, 1934)

47.—Quatrimère, M., (Traducteur) : Hist. des Sultans Mamluks par Makrizi, Paris, 1837.

48.—Reid, J. S. : The Municipalities of the Roman Empire, Cambr., 1918.

49.—Rey, E.G. : Les Colonies Franques en Syrie aux XIIe et XIIIe siècles, Paris, 1833.

50.—Richard, J. : (1) Le Comité de Tripoli sous la dynastie Toulousaine, Paris, 1945. (2) Le Royaume Latin de Jerusalem Paris, 1953.

51.—Risler, J.C. : La Civilization Arabe, Paris, 1955.

52.—Runciman, S. : (1) Byzantine Civilization, Lond., 1948. (2) A History of the Crusades, 3 Vol., Lond., 1954.

53.—Sanaullah, M. Fadil : The Decline of the Seljuqid Empire, Calcutta, 1936.

54.—Schlumberge, G. : Renaud de Chatillon, Prince d'Antioch, Seigneur de la Terre d'Outre Jourdain, Paris, 1933.

55.—Sée, H. : Les Classe rurales et le régime dominal en France au Moyen Age, Paris, 1901.

56.—Seignobos, M.C. : L'Europe Féodale (H.G.T. II), Paris, 1893.

57.—Setton, K.M. (Editor-in-Chief) : A History of The Crusades Vol. I : The First Hundred Years, edited by Marshall W. Baldwin, Philadelphia, 1955.

Vol II. : The Later Crusades, 1189-1311, edited by Robert Lee Wolf.

Vol. III : The Fourteenth and Fifteenth Centuries, edited by Harry W. Hazard.

Vol. IV : Civilization and Institutions, edited by Jeremiah O'Sullivan.

Vol. V : Influence and Consequences, with Genealogies and Bibliography, edited by Gray C. Boyce.

58.—Sobernheim, M. : Ikt'a (Enc. of Islam, Vol. II), Leyden, 1927.

59.—Stenton, F.M. : The Firs Century of English Feudalism, 1066-1166, Oxf., 1932.

60.—Stephenson, C. : Medieval Feudalism, N. Y., 1942.

61.—Stevenson, W.B. : The Crusaders in the East, Cambr., 1907

62.—Stuart, D. M. : Chivalry and Social Life in the Middle Ages, Lond., 1927.

63.—Stubbs, W. : Select Charters, Oxf., 1921.

64.—Tousson, O. : La Géographie de l'Egypte à l'Epoque Arabe, Le Caire, 1928.

65.—Vinogradoff, P. : (1) Feudalism (C. Med. H. Vol. III).

(2) Villainage in England, Oxf., 1892. (3) English Society in the 11th Century, Oxf., 1908. (4) The Growth of the Manor, Lond., 1911.

66.—Wiart, R. : Essai Sur la Precaria, Paris, 1894.

67.—Wiet, G. : (1) Catalogue du Musée Arabe, "Lampes et Bouteilles verre Emeillé", Le Caire, 1929.

(2) L'Egypte Arabe (Hist. de la Nation Egyptienne, T. I), Paris, 1937.

68.—Ya'coub Artin : Contribution à l'Etude du Blason en Orient, Lond., 1902.

المحتوى

صفحة

صفحة

الفصل السابع

الإدارة المحلية للإقطاعات

الفصل الثامن

المناقلات الإقطاعية

صـــفحة

صفحة

الخرائط

الصور

الجداول

صـــفحة

المـــراجع

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر

فرع مصر - ١٩٦٨